

الروض الأليف

في شرح السيرة النبوية لابن هشام

الجزء الثالث

۱۴۱۰ هـ - ۱۹۹۰ م

الروض الأنت

في شرح السيرة النبوية لابن هشام

للإمام المحدث عبد الرحمن السهيلي

٥٠٨ - ٥٨١ هـ

ومعه

السيرة النبوية للإمام ابن هشام

المتوفى ٢١٨ هـ

الجزء الثالث

تحقيق وتعليق وشرح

عبد الرحمن الوكيل

توزيع

مكتبة العالم بحجة

حي الشجر

٦٨٧٧٠١٤ ت

الناشر

مكتبة ابن تيمية

القاهرة ١٩٤٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين

الحمد لله والصلاة والسلام على خاتم النبيين ، وسيد ولد آدم أجمعين ،
محمد صلوات الله وسلامه عليه ، وعلى آله الذين اهتدوا بهديه إلى يوم الدين .
« أما بعد » فبإسم الله نقدم الجزء الثالث من « الروض الأنف » للسهيلى
والسيرة النبوية لابن هشام ، سائلين الله أن يعين على التمام ، وأن يجعل عملنا
هذا صالحاً عنده . إنه سميع مجيب .

القاهرة — حلوان — مدينة الزهراء

عبد الرحمن الوكيل

ابتداء ما افترض الله سبحانه وتعالى

على النبي صلى الله عليه وسلم من الصلاة وأوقاتها

وافترضت الصلاة عليه ، فصلّى رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله ، والسلام عليه وعليهم ورحمة الله وبركاته .

قال ابن إسحاق : وحدثني صالح بن كيسان عن عروة بن الزبير ، عن عائشة رضى الله عنها ، قالت : افترضت الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم أوّل ما افترضت عليه ركعتين ركعتين ، كلّ صلاة ، ثم إن الله تعالى أتمّها في الحضر أربعاً ، وأقرّها في السفر على فرضها الأول ركعتين .

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض أهل العلم : أن الصلاة حين افترضت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أتاه جبريل وهو بأعلى مكة ، فهمّز له بعبّيه في ناحية الوادي ، فانفجرت منه عين . فتوضأ جبريل عليه السلام ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر إليه ، ليُريه كيف الطهور للصلاة ، ثم توضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم كما رأى جبريل توضأ ، ثم قام به جبريل ، فصلّى به ، وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بصلاته ، ثم انصرف جبريل عليه السلام .

فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة ، فتوضأ لها ليربها كيف الطهور للصلاة ، كما أراه جبريل فتوضأت كما توضأ لها رسول الله عليه الصلاة والسلام ، ثم صلى بها رسول الله عليه الصلاة والسلام ، كما صلى به جبريل ، فصلّت بصلاته .

قال ابن إسحاق : وحدثني عُثْبَةُ بْنُ مُسْلَمٍ ، مولى بنى تميم ، عن نافع بن جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ - وكان نافع كثير الرواية - عن ابن عباس قال : لما افترقت الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه جبريل عليه السلام ، فصلى به الظهر حين مالت الشمس ، ثم صلى به العصر حين كان ظلُّه مثله ، ثم صلى به المغرب حين غابت الشمس ، ثم صلى به العشاء الآخرة حين ذهب الشفق ، ثم صلى به الصبح حين طلع الفجر ، ثم جاءه ، فصلى به الظهر من غد حين كان ظلُّه مثله ، ثم صلى به العصر حين كان ظلُّه مثليه ، ثم صلى به المغرب حين غابت الشمس لوقتها بالأمس ، ثم صلى به العشاء الآخرة حين ذهب ثلث الليل الأول ، ثم صلى به الصبح مُسْفِراً غير مشرق ، ثم قال : يا محمد ، الصلاة فيما بين صلاتك اليوم ، وصلاتك بالأمس

ذكر أن علي بن أبي طالب رضى الله عنه أول ذكر أسلم

قال ابن إسحاق : ثم كان أولَ ذَكَرٍ من الناس آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصلى معه ، وصدق بما جاءه من الله تعالى : عليُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ بن عبدالمطلب بن هاشم - رضوان الله وسلامه عليه - وهو يومئذ ابن عَشْرَ سنين .

وكان مما أنعم الله على علي بن أبي طالب رضى الله عنه ، أنه كان في حِجْرِ رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الإسلام .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي نَجِيحٍ ، عن مجاهد بن جَبْرِ بن أبي الحجاج ، قال : كان من نعمة الله على علي بن أبي طالب ، ومما صنع الله له ، وأراد به من الخير ، أن قرىشا أصابتهم أزمة شديدة ، وكان أبوطالب ذا عِيَالٍ

كثير ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - للعبّاس عمه ، وكان من أيسر بني هاشم : يا عباس ، إن أخاك أبا طالب كثير العيال ، وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة ، فانطلق بنا إليه ، فلنخفف عنه من عياله ، آخذ من بني رجلاً ، وتأخذ أنت رجلاً ، ففكاهما عنه ، فقال العباس : نعم ، فانطلقا ، حتى أتيا أبا طالب ، فقالا له : إنا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه ، فقال لهما أبو طالب : إذا تركتما عيلاً ، فاصنعا ما شئتما قال ابن هشام : ويقال : عقيلاً وطالبا .

فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً ، فضمه إليه ، وأخذ العباس جعفرأ فضمه إليه ، فلم يزل على مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى بعثه الله تبارك وتعالى نبياً ، فاتبعه على رضى الله عنه ، وآمن به وصدقته ، ولم يزل جعفر عند العباس ، حتى أسلم واستغنى عنه .

أبو طالب يكتشف إيمان على :

قال ابن إسحاق : ذكر بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا حضرت الصلاة خرج إلى شعاب مكة ، وخرج معه على بن أبي طالب مستخفياً من أبيه أبي طالب ، ومن جميع أعمامه وسائر قومه ، فيصليان الصلوات فيها ، فإذا أمسيا رجعا ، فسكنا كذلك ما شاء الله أن يمكننا . ثم إن أبا طالب عثر عليهما يوماً وهما يصليان ، فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا بن أخى ! ما هذا الدين الذى أراك تدين به ؟ قال : أى عم هذا دين الله ، ودين ملائكته ، ودين رُسله ، ودين أبينا إبراهيم - أو كما قال صلى الله عليه وسلم - بعثنى الله به رسولا إلى العباد ، وأنت أى عم ، أحق من بذلت له النصيحة ، ودعوته إلى الهدى ،

وَأَحَقُّ مَنْ أَجَابَنِي إِلَيْهِ ، وَأَعَانَنِي عَلَيْهِ ، أَوْ كَمَا قَالَ . فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ : أَيُّ ابْنِ أَخِي ، إِنِّي لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَفَارِقَ دِينَ آبَائِي ، وَمَا كَانُوا عَلَيْهِ ، وَلَكِنْ وَاللَّهِ لَا يُخَلِّصُ إِلَيْكَ بَشِيءٌ تَكْرَهَهُ مَا بَقِيْتُ .

وَذَكَرُوا أَنَّهُ قَالَ لِعَلِيٍّ : أَيُّ بُنَى ، مَا هَذَا الدِّينَ الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ ؟ فَقَالَ : يَا أَبَتِ ، آمَنْتُ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِ اللَّهِ ، وَصَدَّقْتَهُ بِمَا جَاءَ بِهِ ، وَصَلَّيْتُ مَعَهُ لِلَّهِ وَاتَّبَعْتَهُ . فَرَعَوْا أَنَّهُ قَالَ لَهُ : أَمَا إِنَّهُ لَمْ يَدْعُكَ إِلَّا إِلَى خَيْرٍ فَالْزَمْنِي .

إِسْلَامُ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ ثَانِيًا

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : ثُمَّ اسْلَمَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ بْنُ شَرَحْبِيلَ بْنِ كَعْبِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى ابْنِ امْرِئِ الْقَيْسِ الْكَلْبِيِّ ، مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكَانَ أَوَّلَ ذَكَرَ اسْلَمَ ، وَصَلَّى بَعْدَ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ .

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ بْنُ شَرَحْبِيلَ بْنِ كَعْبِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ امْرِئِ الْقَيْسِ بْنِ النُّعْمَانِ بْنِ عَامِرِ بْنِ عَبْدِوَدٍّ بْنِ عَوْفِ بْنِ كِدَانَةَ بْنِ بَكْرِ بْنِ عَوْفِ بْنِ عُذْرَةَ بْنِ زَيْدِ اللَّاتِ بْنِ رُقَيْدَةَ بْنِ ثَوْرِ بْنِ كَلْبِ بْنِ وَبَرَةَ . وَكَانَ حَكِيمٌ بَنِي حِزَامِ بْنِ خُوَيْلِدٍ قَدِمَ مِنَ الشَّامِ بَرَقِيقٌ ، فَبِهِمْ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ وَصِيفٌ . فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ عَمَّتُهُ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ ، وَهِيَ يَوْمَئِذٍ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَهَا : اخْتَارِي يَا عَمَّةُ أَيْ هَؤُلَاءِ الْغُلَامَانِ شِئْتِ فَبِهِمْ لَكَ ، فَاخْتَارَتْ زَيْدًا فَأَخَذَتْهُ ، فَرَأَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَهَا ، فَاسْتَوْهَبَهُ مِنْهَا ، فَوَهَبَتْهُ لَهُ ، فَأَعْتَقَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَبَنَّاهُ ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُوْحَى إِلَيْهِ .

وكان أبوه حارثة قد جزع عليه جزعا شديدا ، وبكى عليه حين فقده ، فقال :

بَكَيْتُ عَلَى زَيْدٍ وَلَمْ أَذْرِ مَا فَعَلَ أَحَىُّ ، فَيَرْجَى أُمِّ آتَى دُونَهُ الْأَجَلَ
فَوَاللَّهِ مَا أَذْرِي ، وَلِمَ لِسَائِلُ أَغَالِكَ بَعْدَى السَّهْلِ ، أُمِّ غَالِكِ الْجَبَلِ
وَيَالَيْتَ شِعْرِي هَلْ لَكَ الدَّهْرُ أَوْبَةً تَحْسَبِي مِنَ الدُّنْيَا رَجُوْعَكَ لِي بِجَلِ
تُذَكِّرُنِيهِ الشَّمْسُ عِنْدَ طُلُوعِهَا وَتَعْرِضُ ذِكْرَاهُ إِذَا غَرَبَهَا أَفَلَ
وإِنْ هَبَّتِ الْأَرْوَاحُ هَيَّجَنَ ذِكْرَهُ فَيَا طُولَ مَا حَزَنِي عَلَيْهِ وَمَا وَجَلَ
سَأَعْمِلُ نَصَّ الْعَيْسِ فِي الْأَرْضِ جَاهِدًا وَلَا أَسَامَ الْقَطُوفِ أَوْ تَسَامِ الْإِبِلِ
حَيَاتِي أَوْ تَأْتِي عَلَى مَنِيَّتِي فَسَكُلْ أَمْرِي فَنَ ، وَإِنْ غَرَّهَ الْأَمَلُ

ثم قدم عليه - وهو عند رسول الله صلى الله عليه وسلم - فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم - : إن شئت فأقيم عندي ، وإن شئت فانطلق مع أبيك ، فقال : بل أقيم عندك . فلم يزل عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى بعثه الله فصدقه وأسلم ، وصلى معه ، فلما أنزل الله عز وجل : « ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ » الأحزاب : ٥ قال : أنا زيد بن حارثة .

إسلام أبي بكر الصديق رضي الله عنه

قال ابن إسحاق : ثم أسلم أبو بكر بن أبي قحافة ، واسمه : عتيق ، واسم أبي قحافة : عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب ابن لؤي بن غالب بن فهر .

قال ابن هشام : واسم أبي بكر : عبدالله ، وعتيق : لقب لحسن وجهه وعتقه

قال ابن إسحاق : فلما أسلم أبو بكر رضى الله عنه : أظهر إسلامه ، ودعا إلى الله وإلى رسوله .

وكان أبو بكر رجلاً مؤلفاً لقومه ، محبباً سَهْلاً ، وكان أنسب قريش لقريش ، وأعلم قريش بها ، وبما كان فيها من خير وشر ، وكان رجلاً تاجراً ، ذا خلق ومعروف ، وكان رجال قومه يأتونه ، ويألفونه لغير واحد من الأمر ، لعلمه وتجارته وحسن مجالسته ، فجعل يدعو إلى الله ، وإلى الإسلام مَنْ وثق به من قومه ، مِمَّنْ يَفْشَاهُ وَيَجَاسُ إِلَيْهِ .

فرض الصلاة

وذكر حديث عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ : « فُرِضَتِ الصَّلَاةُ رَكْعَتَيْنِ رَكَعَتَيْنِ ، فزِيدَ فِي صَلَاةِ الْخُمْسِ ، وَأُقِرَّتْ صَلَاةُ السَّفَرِ » ^(١) ، وذكر الْمُزَنِيُّ أَنَّ الصَّلَاةَ قَبْلَ الْإِسْرَاءِ ^(٢) كَانَتْ صَلَاةً قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ ، وَصَلَاةً قَبْلَ طُلُوعِهَا ، وَيَشْهَدُ لِهَذَا الْقَوْلِ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ : (وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ) ^(٣) غافر : ٥٥ . وقال يحيى

(١) البخارى ومسلم ومالك وأبو داود والفسائى .

(٢) قال الحافظ فى الفتح : « كان صلى الله عليه وسلم قبل الإسرائاء يصلى قطعاً ، وكذلك أصحابه ، أقول : وفى ختام سورة المزمل ، وهى التى نزلت بعد القلم : « وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ، آية : ٢٠ وفى سورة القلم : « أرايت الذى ينهى عبداً إذا صلى ، وهى قطعاً قبل الإسرائاء وفى المذثر بعدها عن المجرمين : (ما سلككم فى سقر ، قالوا : لم نك من المصلين) ٤٢ ، ٣ ، وآيات غيرها تؤكد أن الصلاة كانت مفروضة قبل الإسرائاء .

(٣) لا تصلح دليلاً لما يقول ، إذ يمكن أن يفهم أن المقصود هو الأمر بالتسبيح طول اليوم .

ابن سلام مثله ، وقال : كان الإسراء وفرض الصلوات الخمس قبل الهجرة بعام ، فعلى هذا يحتمل قول عائشة : فزيد فى صلاة الحضر ، أى : زيد فيها حين أكملت خمسا ، فتكون الزيادة فى الركعات ، وفى عدد الصلوات ، ويكون قولها : «فرضت الصلاة ركعتين» أى : قبل الإسراء ، وقد قال بهذا طائفة من السلف ، منهم : ابن عباس ، ويجوز أن يكون معنى قولها : فُرِضَت الصلاة : أى ليلة الإسراء ، حين فُرِضَت الخمسُ فرضت ركعتين ركعتين ، ثم زيد فى صلاة الحضر بعد ذلك ، وهذا هو الروى عن بعض رواة هذا الحديث عن عائشة ، ومن رواه هكذا الحسن والشَّعْبِيُّ أن الزيادة فى صلاة الحضر كانت بعد الهجرة بعام ، أو نحوه ، وقد ذكره أبو عمر ، وقد ذكر البخارى من رواية مَعْمَرٍ عن الزُّهْرِيِّ عن عُرْوَةَ عن عائشة قالت : فرضت الصلاة ركعتين ركعتين ، ثم هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، ففُرضت أربعا ، هكذا لفظ حديثه وههنا سؤال يقال : هل هذه الزيادة فى الصلاة نسخ أم لا ؟ فيقال : أما زيادة ركعتين أو ركعة إلى ما قبلها من الركوع حتى تكون صلاة واحدة ، فذلك نسخ لأن النسخ رفع الحكم ، وقد ارتفع حكم الإجزاء من الركعتين ، وصار من سَلَمَ منهما عامدا أفسدهما ، وإن أراد أن يتم صلاته بعد ما سلم ، وتحدث عامدا لم يُجزئه إلا أن يستأنف الصلاة من أولها ، فقد ارتفع حكم الإجزاء بالنسخ ، وأما الزيادة فى عدد الصلوات حين أكملت خمسا بعد ما كانت اثنتين ، فيسمى نسخا على مذهب أبى حنيفة ، فإن الزيادة عنده على النص نسخ ، وجهور المتكاملين على أنه ليس بنسخ ولا احتجاج الفريقين موضع غير هذا (١) .

(١) ليس فى القرآن آية منسوخة بالمعنى الذى فسر به النسخ علماء الأصول . والآيات التى =

الوضوء :

فصل : وذكر نزول جبريل عليه السلام بأعلى مكة حين هَمَزَ له بعبقه ،
فأنبع الماء ، وعلمه الوضوء ، وهذا الحديث مقطوع في السيرة ، ومثله لا يكون
أصلا في الأحكام الشرعية ، ولكنه قد روى مسندا إلى زيد بن حارثة - يرفعه -
غير أن هذا الحديث المستند يدور على عبد الله بن كهيعة وقد ضُفِّفَ ، ولم يخرج
عنه مُسَلِّمٌ ولا البخاري ؛ لأنه يقال : إن كتبه احترقت ، فكان يحدث من
حفظه ، وكان مالك بن أنس يحسن فيه القول ، ويقال إنه القدي روى عنه
حديثَ بَيْعِ الْأُمُرِّبَانِ (١) في الموطأ مالك ، عن الثقة عنده ، عن عمرو بن
شُعَيْبٍ ، فيقال : إن الثقة ههنا ابن كهيعة ، ويقال : إن ابن وهب حدث به
عن ابن كهيعة ، وحديث ابن كهيعة هذا ، أخبرنا به أبو بكر الحافظ محمد
ابن العربي قال : نا أبو المطهر سعد بن عبد الله بن أبي الرجاء ، عن أبي نعيم الحافظ
قال : نا أبو بكر أحمد بن يوسف المطار قال : نا الحارث بن أبي أسامة ، قال :
نا الحسن بن موسى عن ابن لهيعة ، عن عقيل بن خالد عن الزهري ، عن عروة
عن أسامة بن زيد ، قال : حدثني أبي زيد بن حارثة أن رسول الله - صلى الله عليه

ـ زعموا أنها منسوخة هي آيات يجب العمل بها . كل آية في المصحف الذي بأيدينا
يجب تدبرها والعمل بمقتضاها . ولنا حذر من القول بنسخ آية فيه فنحكم بطلان ما هو حق
(١) يبيع العربان هو أن يشتري السلعة ، ويدفع إلى صاحبها شيئا ، على أنه إن
أمضى البيع حسب من الثمن ، وإن لم يمض البيع كان لصاحب السلعة ، ولم يرتجعه المشتري ،
وهو بيع باطل عند الفقهاء لما فيه من الشرط والغرر وأجازه أحمد ، قال ابن الأثير ،
وحديث النهي منقطع ومفردات ابن الأثير واللسان .

وسلم - في أول ما أوحى إليه أتاه جبريل عليه السلام ، فعلمه الوضوء ، فلما فرغ من الوضوء أخذ غُرْفَةً من ماء ، فنَضَحَ بها فَرَجَهُ ، وحدثنا به أيضا أبو بكر محمد ابن طاهر ، عن أبي علي الغساني عن أبي عُمر النَمَرِيِّ ، عن أحمد بن قاسم ، عن قاسم بن أَصْبَغ ، عن الحارث بن أبي أسامة بالإسناد المتقدم ، فالوضوء على هذا الحديث مَكْنَىٌّ بِالْفَرَضِ ، مَدَنِيٌّ بِالتَّلَاوَةِ ، لَأَنَّ آيَةَ الْوُضُوءِ مَدَنِيَّةٌ (١) ، وإنما قالت عائشة : فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى آيَةَ التَّيْمِمِ ، ولم تقل : آيَةَ الْوُضُوءِ ، وهي هي ؛ لأنَّ الْوُضُوءَ قد كان مفروضا قبلُ ، غير أنه لم يكن قرآنا يتلى ، حتى نزلت آيَةُ الْمَائِدَةِ .

إمامة جبريل :

وذكر حديث عبد الله بن عباس في إمامة جبريل للنبي - صلى الله عليه وسلم -

(١) يقول ابن حجر في الفتح عن حديث ابن لهيعة : وهو مرسل ، ووصله أحمد من طريق ابن لهيعة ، لكن قال : عن الزهري عن عروة عن أسامة بن زيد عن أبيه ، وأخرجه ابن ماجه من رواية راشد بن سعد عن عقيل عن الزهري نحوه ، لكن لم يذكر زيد بن حارثة في السند ، وأخرجه الطبراني في الأوسط من طريق الليث عن عقيل موصولا ، ولو ثبت لكان على شرط الصحيح . لكن المعروف رواية ابن لهيعة . هذا وقد روى حديث صلاة جبريل بالرسول أبو داود والترمذي مع اختلاف يسير عما في السيرة ، وقال الترمذي : حسن صحيح ، وصححه الحاكم والذهبي والنووي وغيرهم من المشكاة . وعن ابن مسعود عن النبي ﷺ نزل جبريل فأمني ، فصليت معه ، ثم صليت معه ، ثم صليت معه ، يحسب بأصابعه خمس صلوات . - زاد في رواية - ثم قال : بهذا أمرت ، رواه الخمسة إلا الترمذي - التاج .

وتعليمه إياه أوقات الصلوات الخمس في اليومين ، وهذا الحديث لم يكن ينبغي له أن يذكره في هذا الموضع ؛ لأنَّ أهلَ الصحيح متفقون على أن هذه القصة ، كانت في الغدِّ من ليلة الإسراء ، وذلك بعد ما بُنِيَ بِخَمْسَةِ أَعْوَامَ ، وقد قيل إن الإسراء كان قبل الهجرة بعام ونصف ، وقيل : بعام ، فذكره ابن إسحاق في بدء نزول الوحي ، وأول أحوال الصلاة .

أول من آمن :

وذكر أن أولَ ذَكَرٍ آمَنَ بالله عَلَى - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - ، وسيأتي قولُ من قال : أولَ مَنْ أسلم أبو بكر ، ولكن ذلك - والله أعلم - من الرجال ؛ لأن عليا كان حين أسلم صَبِيًّا لم يدرك ، ولا يختلف أن خديجة هي أول من آمن بالله ، وصدق رسوله ، وكان عَلَى أَصْغَرٍ مِنْ جَعْفَرٍ بِعَشْرِ سَنِينَ (١) ، وجعفرٌ أَصْغَرُ مِنْ عَقِيلٍ بِعَشْرِ سَنِينَ ، وعقيل أَصْغَرُ مِنْ طَالِبٍ بِعَشْرِ سَنِينَ ، وكلهم أسلم إلا طالبا اختطفته الجن ، فذهب ولم يعلم بإسلامه (٢) ، وأمُّ عَلَى : فاطمة بنت أسد بن هاشم ، وقد أسلمت ، وهي إحدى الفواطم التي قال فيهن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لعلِّي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : أَقْسَمُهُ بَيْنَ الْفَوَاطِمِ الثَّلَاثِ ، يَعْنِي ثَوْبَ حَرِيرٍ ، قَالَ الْقُتَيْبِيُّ . يَعْنِي : فَاطِمَةَ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَفَاطِمَةَ بِنْتَ أَسَدٍ ، وَلَا أُدْرَى مِنَ الثَّلَاثَةِ ، وَرَوَاهُ عَبْدُ الْغَنِيِّ بْنُ سَعِيدٍ : أَقْسَمُهُ بَيْنَ الْفَوَاطِمِ الْأَرْبَعِ ، وَذَكَرَ

(١) هو كما قال في نسب قریش ص ٣٩ .

(٢) خرافة .

فاطمة بنت حمزة مع اللتين تقدمتا، وقال : لا أدرى مَنْ الرابعة ، قاله في كتاب
الغوامض والمبهّمات (١) .

إسلام زيد :

فصل : وذكر حديث زيد بن حارثة ، وقال فيه : حارثة بن سُرخِيل ،
وقال : ابن هشام شراحيل ، قال أصحاب النسب كما قال ابن هشام ، ورفع نسبه إلى
كلب بن وبرة ، وَوَبْرَةَ هُوَ : ابن ثعلب بن خلوان بن الحاف بن قضاة (٢) ، وأم زيد :

(١) استدل من حكموا بسبق علي بحديث عند الطبراني أن النبي ﷺ ، صلى
أول يوم الاثنين ، وصلت خديجة آخره ، وصلى على يوم الثلاثاء . وبما جاء
في المستدرک للحاكم : نبي النبي يوم الاثنين ، وأسلم على يوم الثلاثاء . وإلى هذا
ذهب سلمان وخباب وجابر وأبو سعيد الخدري ، وبما جاء في الطبراني عن الحسن
وغیره : كان أول من آمن على بن أبي طالب ، وهو ابن خمس عشرة سنة ، أو ست
عشرة . بينما روى عن عروة أنه أسلم وهو ابن ثمان سنين وفيه ابن لهيعة ، وفيه ضعف .

(٢) في جمهرة ابن حزم : خلوان بن عمران بن الحاف بن قضاة .
وجاء في مجمع الزوائد عن نسبه : بن رفيدة بن كليب بن وبرة بن الحارث بن قضاة
وفي جمهرة ابن حزم : زيد بن حارثة بن شراحيل بن عبد العزى بن عامر بن النعمان
ابن عامر بن عبدود بن عوف بن كنانة بن عوف بن غفرة بن زيد اللات بن رفيدة
ابن كلب بن وبرة ، ونسبه في الإصابة : زيد بن حارثة بن شراحيل بن عبدود بن عوف
ابن كنانة بن بكر بن عوف بن زيد اللات بن ثور بن كلب بن وبرة السكلي
وما سأزيده بين قوسين في نسب أمه من الإصابة .

هذا وقد اتفق على أنه أول من أسلم من الموالى . وقيل إن حكيم بن حزام
اشتراه لعمته خديجة بأربعمائة درهم كما جاء في الإصابة . أما كونه أول ذكر أسلم ،
فهو في حديث مرسل عند الطبراني كما في السيرة . وفي مجمع الزوائد أن خديجة
رضي الله عنها هي التي استوهته .

سُئِدَ بَنْتُ ثَعْلَابَةَ [بن عبد عامر] من بنى مَعْنٍ من طَيْيٍّ ، وكانت قد خرجت بزید
لتزیرہ أهلها ، فأصابته خيل من بنى الْقَيْنِ بن جِسْرٍ ، فباعوه بسوق حُبَاشَةَ ،
وهو من أسواق العرب ، وزیدٌ يومئذ ابن ثمانية أعوام ، ثم كان من حديثه
ما ذكر ابن إسحاق ، ولما بلغ زيدا قول أبيه : بكيت على زید ، ولم أدر ما فعل .
الآيات . قال بحيث يسمعه الرُّكبان :

أَحِنُّ إِلَى أَهْلِي ، وَإِنْ كُنْتُ نَائِيًا بَأْنِي قَعِيدُ الْبَيْتِ عِنْدَ الْمَشَاعِرِ
فَكُفُّوا مَنْ الْوَجْدَ الَّذِي قَدْ شَجَاكُمْ وَلَا تَعْمَلُوا فِي الْأَرْضِ نَصَّ الْأَبَاعِرِ
فَأِنِّي بِحَمْدِ اللَّهِ فِي خَيْرِ أَسْرَةٍ كَرَامَ مَعَدٍّ كَابِرًا بَعْدَ كَابِرِ

فبلغ أباه ^(١) قوله ، فجاء هو وعمه كعب ، حتى وقفا على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بمكة ، وذلك قبل الإسلام ، فقال له : يا بن عبد المطلب ، يا بن سيد
قومه ، أنتم جيران الله ، وتفككون العاني ، وتطعمون الجائع ، وقد جئناكم في
ابننا عبدك ^(٢) ، لتحسن إلينا في فدائه ، فقال : أو غير ذلك ؟ فقالا : وما هو ؟
فقال : أدعوه وأخبره ، فإن اختاركما فذاك ، وإن اختارني فوالله ما أنا بالذي

(١) في الإصابة أن بعض الحجاج رأوا زيدا فمرفهم وعرفوه ، فطلب منهم أن
يبلغوا أباه :

أَحِنُّ إِلَى قَوْمِي وَإِنْ كُنْتُ نَائِيًا بَأْنِي تَطِينُ الْبَيْتِ عِنْدَ الْمَشَاعِرِ
فَانْطَلِقِ الْحَجَّاجَ ، وَأَعْلُوا أَبَاهُ . وَوصفوا له موضعه

(٢) في رواية : عندك .

أختار على من اختارني (١) أحدا ، فقالا له : قد زدت على النصف ، فدعاه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلما جاء قال : من هذان ؟ فقال : هذا أبي حارثة بن شراحيل ، وهذا عمي : كعب بن شراحيل ، فقال : قد خيرتك إن شئت ذهبت معهما ، وإن شئت أقت معي ، فقال : بل أقيم معك (٢) ، فقال له أبوه : يا زيد أختار العبودية [على الحرية و] على أبيك (٣) وأملك وبلدك وقومك ؟ ! فقال : إني قد رأيت من هذا الرجل شيئا ، وما أنا بالذي أفارقه أبداً فعند ذلك أخذ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بيده ، وقام به إلى الملاء من قريش (٤) ، فقال : اشهدوا أن هذا ابني ، وارثاً وموروثاً ، فطابت نفس أبيه عند ذلك ، وكان يدعى : زيد بن محمد ، حتى أنزل الله تعالى : ﴿ ادعوهم لآبائهم ﴾ (٥) الأحزاب : ٥ .

وفي الشعر الذي ذكره ابن إسحاق لحارثة بعد قوله :

حياتي وإن تاتي (٦) على منيتي فكل امرئ فان وإن غره الأمل

(١) في الإصابة : د فامن علينا ، وأحسن في فدائه ، فإننا سنرفع لك . قال : وما ذاك ؟ قالوا : زيد بن حارثة : فقال : أو غير ذلك . ادعوه ، فخيروه ، فإن اختاركم فهو لكم بغير فداء ، وإن اختارني فوالله ما أنا بالذي أختار على من اختارني فداء . (٢) في الإصابة : د أنت مني بمكان الأب والعم ، .

(٣) الزيادة من الإصابة

(٤) وقد أخرجه إلى الحجر كما ورد في الإصابة

(٥) عن عبد الله بن عمر ، قال : د إن زيد بن حارثة - رضي الله عنه - مولى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد ، حتى نزل القرآن : ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله ، الصحيحان والترمذي والنسائي

(٦) في السيرة : أو تاتي

سأوصي به قيساً وعمراً كليهما وأوصي يزيد ثم أوصي به جبلاً^(١)
يعنى : يزيد بن كعب [بن شراحيل] وهو ابن عم زيد وأخوه [لأمه]^(٢)
ويعنى بجبل : جبلة بن حارثة أخا زيد ، وكان أسنَّ منه . سئل جبلة : من أكبر
أنت أم زيد ؟ فقال : زيد أكبر منى ، وأنا ولدت قبله ، يريد : أنه أفضل منه بسبقه
للإسلام^(٣) .

إسلام أبي بكر :

فصل : وذكر إسلام أبي بكر ونسبه ، قال : واسمه : عبد الله ، وسمى عتيقاً
لِعَتَاقَةِ وجهه ، والعتيقُ : الحَسَنُ^(٤) كأنه أعتق من الذم والعيب - وقيل : سمي
عتيقاً ؛ لأن أمه كانت لا يعيش لها ولد ، فنذرت إن وُلِدَ لها ولدٌ أن تسميه : عبد
الكعبة ، وتتصدق به عليها ، فلما عاش وشبَّ ، سمي : عتيقاً ، كأنه أعتق من
الموت^(٥) ، وكان يسمى أيضاً : عبد الكعبة إلى أن أسلم ، فسماه رسول الله -

(١) في الإصابة : ثم من بعدهم جبل

(٢) الزيادة من الإصابة

(٣) ورد في البخارى عن ابن عمر : (قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :
وايم الله إن كان خليفاً للامارة - يعنى : يزيد بن حارثة - وإن كان من أحب الناس إلى ،
هذا وقد قتل زيد في غزوة مؤتة . وهو أمير سنة ٨ هجرية

(٤) العتق أيضاً الكرم والنجابة والشرف والحرية .

(٥) في الإصابة : فلما ولدته استقبلت به البيت ، فقالت : اللهم هذا عتيقك
من الموت ، فبه لى ، وقيل : لقب بهذا لأنه قديم فى الخير ، أو لأنه لم يكن فى لسه
شيء يعاب به أهله .

صلى الله عليه وسلم - : عبد الله (١) ، وقيل : سمى : عتيقا ؛ لأن رسول الله -
صلى الله عليه وسلم - قال له حين أسلم : أنت عتيق من النار (٢) ، وقيل : كان
لأبيه ثلاثة من الولد : مُعْتَقٌ ومُعْتِقٌ وعَتِيقٌ (٣) ، وهو : أبو بكر (٤) ،
وسئل ابن مَعِين عن أم أبي بكر فقال : أم الخير عند اسمها ، وهى : أم الخير
بنت صَخْر بن عمرو (٥) بنت عم أبي قحافة ، واسمها : سلمى ، وتُسَكَّنَى : أم
الخير ، وهى من المبايعات ، وأما أبوه عثمان أبو قحافة فأمه : قَيْلَةُ - بياض بائنتين
منقوطة من أسفل - بنت أذاة بن رياح بن عبد الله بن قُرْطِ بن رِزاح بن عدى بن
كعب . وامرأة أبي بكر أم ابنه عبد الله وأسماء : قَتْلَةُ بنت عبد العزى بقاء
منقوطة بائنتين من فوق ، وقيل فيها : بنت عبد أسعد بن نصر بن حِثْل بن عامر

(١) عند سعيد بن منصور عن عائشة : قالت : اسم أبي بكر الذى سماه
عبد الله . ولكن غلب عليه اسم عتيق ، وقال مصعب الزبيري : قيل له عتيق
لأنه ، لم يكن فى نسبه شيء يباب به .

(٢) فى الترمذى : قالت عائشة : دخل أبو بكر على رسول الله - صلى الله
عليه وسلم - فقال : أنت عتيق الله من النار . قالت : فمن يومئذ سمى : عتيقا .
وفى أبى يعلى بسنده إلى عائشة : من سره أن ينظر إلى عتيق من النار ، فلينظر إلى
أبى بكر . .

(٣) فى جمهرة ابن حزم : ولد أبى قحافة أبو بكر ، واسمه عبد الله ، وعتيق
ومعتق لاعتق لها ، ص ١٢٧ .

(٤) ورد نسب أبى بكر فى جمهرة ابن حزم ، وفى نسب قريش كما هو فى السيرة
أما فى الاشتقاق لابن دريد ، فليس فيه عمرو ، وفى تهذيب الاسماء واللغات
للنووى وعمير ، بدلا من عمرو ، انظر ص ٢٧٥ نسب قريش . .

(٥) فى الإصابة . وفى نسب قريش ، وفى تهذيب النووى ، وفى جمهرة ابن
حزم : عامر .

وهو قول الزبير^(١) وذكر أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عرض عليه الإسلام ، فما عَـكَمَ عند ذلك ، أى : ما تردد ، وكان من أسباب توفيق الله إياه - فيما ذكر - رؤيا رآها قبل ذلك ، وذلك أنه رأى القمر ينزل إلى مكة ، ثم رآه قد تفرق على جميع منازل مكة ويوتها ، فدخل في كل بيت منه شُعْبَةٌ ، ثم كأنه جُمِعَ في حِجْرِهِ ، فقَصَّها على بعض الكنايين ، فمبها له بأن النبي المنتظر الذي قد أظلم زمانه تتبعه ، وتسكون أسعد الناس به ، فلما دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام ، لم يتوقف ، وفي مدح حَسَّان الذي قاله فيه ، وسمعه النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم ينكره دليل على أنه أول من أسلم من الرجال ، وفيه :

خير البرية أتقاها ، وأفضلها بعد النبي ، وأوقاها بما حملا
والثاني التالي الحمد مشهده وأول الناس قدما صدق الرُّسُلَا^(٢)

(١) نسبها في نسب قريش لأبى عبد الله الزبيرى : قتيلة بنت عبد العزى بن عبد أسعد بن نصر بن مالك بن حسل ص ٢٧٦ وفي جمهرة ابن حزم : قتيلة بنت عبد العزى بن عبد بن سعد بن جابر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤى ص ١٢٧ (٢) قبلهما :

إذا تذكرت شجشوا من أخى ثقة فاذا ذكر أخاك أبا بكر بما فعلا
وقيل : إن ابن عباس كان يستشهد بهذه الآيات على أولية إسلام أبى بكر ، وفي الروض جاء الشطر الثاني من البيت الثانى هكذا : والثانى التالى صدق المرسل . وقد روى هذا ابن عبد البر والطبرانى فى الكبير . وقد توفى أبو بكر رضى الله عنه فى ٤ من جمادى الأولى سنة ١٣ من الهجرة . وهو ابن ثلاث وستين ولد بعد الفيل بسنتين وستة أشهر . وأولاده : عبد الله وعبد الرحمن ومحمد وعائشة وأسما وأم كلثوم . وأم عائشة وعبد الرحمن : أم رومان بنت عامر بن عمير بن ذهل بن دهمان بن الحارث بن تيم بن مالك بن كنانة ، وفي جمهرة ابن حزم ، وفي نسب قريش : بنت عبد شمس بن عَتَّاب بن أذينة بن سميع بن عامر بن عويمر بن دهمان بن الحارث بن غنم بن مالك بن كنانة . نسب قريش ٢٧٦ .

الذين أسلموا بدعوة أبي بكر

فأسلم بدعائه - فيما بلغنى - عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية
ابن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي
ابن غالب ، والزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن
كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي .

وعبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة بن
كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي .

وسعد بن أبي وقاص ، واسم أبي وقاص : مالك بن أهيب بن عبد مناف
ابن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي .

وطليحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن
مرة بن كعب بن لؤي ، فجاء بهم إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين
استجابوا له ، فأسلموا وصلّوا ، وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول
فيما بلغنى : مادعوتُ أحداً إلى الإسلام إلا كانت فيه عنده كسبوة ، ونظر
وردد ، إلا ما كان من أبي بكر بن أبي قحافة ، ما عكّم عنه حين ذكرته له ،
وما تردد فيه .

قال ابن هشام : قوله : « بدعائه » عن غير ابن إسحاق .

قال ابن هشام : قوله : عكّم : تلبّث . قال ربيعة بن العجاج :

وانصاع وثأب بها وما عـكم

قال ابن إسحاق : فكان هؤلاء النفر الثمانية الذين سبقوا الناس بالإسلام
فصلوا وصدقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بما جاءه من الله .

ثم أسلم أبو عُبَيْدَة ، واسمه : عامر بن عبد الله بن الجراح بن
هلال بن أُمَيْيْب بن ضَبَّة بن الحارث بن فِهْر . وأبو سَلَمَة ، واسمه : عبد الله بن
عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يَظْظَة بن مُرَّة بن كَعْب
ابن لؤى .

والأرقم بن أبي الأرقم . واسم أبي الأرقم : عبد مناف بن أسد — وكان
أسد يُكنى : أبا جُنْدُب — بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يَظْظَة بن مُرَّة بن كَعْب
ابن لؤى . وعثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جَحْجَح بن عمرو
ابن هُصَيْيْص بن كَعْب بن لؤى . وأخواه : قدامة وعبد الله ابنا مَظْعُون بن حبيب

وعُبَيْدَة بن الحارث بن الْمُطَّلِب بن عبد مناف بن قصي بن كِلَاب بن مُرَّة بن
كَعْب بن لؤى ، وسَعِيدُ بن زيد بن عمرو بن نُفَيْل بن عَبْدِ الْعُزَّى بن عبد الله بن
مُطَّلِب بن رِيَّاح بن رَزَّاح بن عَدَى بن كَعْب بن لؤى ، وامراته : فاطمة بنت
الخطَّاب بن نُفَيْل بن عَبْدِ الْعُزَّى بن عبد الله بن قُرْط بن رِيَّاح بن رَزَّاح بن عَدَى
ابن كَعْب بن لؤى ، أخت مُعمر بن الخطَّاب . وأسما بنت أبي بَكْر . وعائشة
بنت أبي بكر ، وهى يومئذ صغيرة . وخَبَّاب بن الأَرْت ، حليف بنى زهرة .

قال ابن هشام : خَبَّاب بن الأَرْت من بنى قَمِيم ، ويقال : هو من خزاعة .

قال ابن إسحاق : ومُعَيْزُ بن أَبِي وَقَّاص ، أخو سَعْدِ بن أَبِي وَقَّاص .
وعبدُ الله بن مَسْعُود بن الحارث بن شَمِخ بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل
ابن الحارث بن تميم بن سَعْد بن هُذَيْل حليف بني زُهْرَةَ ، ومَسْعُود بن القارِى ،
وهو مَسْعُود بن ربيعة بن عمرو بن سعد بن عبد المُرِّي بن حَمَّالَة بن غالب بن
مُحَلَّم بن عائذة بن شُبَيْع بن الهون بن خَزِيمَة من القارَة .

قال ابن هشام : والقارَة : لقب ، ولهم يقال :

قد أنصَفَ القارَة مَنْ رامَها

وكانوا قومًا رُمَاءً .

قال ابن إسحاق : وسَلَيْطُ بن عمرو بن عبد شمس بن عبدوُد بن نصر
ابن مالك بن حِمْل بن عامر بن لؤى بن غالب بن فِهْر . وعيَّاش .
ابن أبي ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يَقْظَة بن مُرَّة .
ابن كَعْب بن لؤى . وامراته أسماء بنت سلامة بن مُحَرَّبَة التيمية .
وخُنَيْس بن خُذافة بن قيس بن عَدِي بن سعد بن سَهْم بن عمرو بن هُصَيْن .
ابن كَعْب بن لؤى . وعامر بن ربيعة بن عَنَز بن وائل ، حليف آل الخطَّاب .
ابن ثَقِيل بن عبد المُرِّي .

قال ابن هشام : عَنَز بن وائل أخو بَكْر بن وائل ، من ربيعة بن نزار .

قال ابن إسحاق : وعبدُ الله بن جَحْش بن رِثاب بن يَعْمَر بن صَبْرَة بن

مُرَّة بن كبير بن غَم بن دُودان بن أسد بن خُزَيْمَة . وأخوه : أبو أحمد بن جَحْش ، حليفاً بنى أُمَيَّة بن عبد شمس . وجعفر بن أبي طالب ، وامراته : أمماء بنت مُعَمِّس بن النعمان بن كعب بن مالك . بن قُحافة ، من خَنُوم ، وحاطب بن الحارث بن مَعْمَر بن حَبِيب بن وَهَب بن حُذافة بن جُمَح بن عمرو بن هُصَيص بن كعب بن لؤى ، وامراته فاطمة بنت المُجَلَّل بن عبد الله . أبي قَيْس بن عبدود بن نَضر بن مالك بن حِسل بن عامر بن لؤى بن غالب بن فهر . وأخوه خَطَّاب بن الحارث ، وامراته فُسَكِيَّة بنت يَسار . ومَعْمَر بن الحارث . ابن مَعْمَر بن حَبِيب بن وَهَب بن حُذافة بن جُمَح بن عمرو بن هُصَيص بن كعب بن لؤى . والسائب بن عثمان بن مَظْعُون بن حَبِيب بن وَهَب . والمطلب ابن أزهري بن عَبد عَوْف بن عَبد بن الحارث بن زُهْرَة بن كِلاب بن مُرَّة بن كعب بن لؤى ، وامراته : رَمْلَة بنت أبي عَوْف بن صُبَيْرَة بن سَعِيد بن سعد بن سَهْم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب بن لؤى . والنَّحَّام ، واسمه : نَعِمْ بن عبد الله بن أُسَيْد ، أخو بنى عدى بن كعب بن لؤى .

قال ابن هشام : هو نَعِمْ بن عبد الله بن أُسَيْد بن عبد الله بن عَوْف بن عُبَيْد بن عُوَيْج بن عدى بن كعب بن لؤى ، وإنما سُمِّي النَّحَّام ، لأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : لقد سمعت نَحْمَه في الجنة .

قال ابن هشام : نَحْمَه : صوته وحِسَه .

قال ابن إسحاق : وعامر بن فُهَيْرَة ، مولى أبي بكر الصديق رضى الله عنه

قال ابن هشام : عامر بن فُهَيْرَة مَوْلَدٌ مِنْ مَوْلَدَى الْأَسَدِ ، أَسْوَدُ اشْتَرَاهُ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْهُمْ .

قال ابن إسحاق : وَخَالِدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ بْنِ عَبْدِ مَنْفٍ بْنِ قُصَيٍّ بْنِ كِلَابٍ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبٍ بْنِ لُؤَيٍّ ، وَامْرَأَتُهُ أُمَيَّةُ بِنْتُ خَلْفٍ بْنِ أَسَدٍ بْنِ عَامِرٍ بْنِ بَيَاضَةَ بْنِ سُبَيْعٍ بْنِ جَفْثَةَ بْنِ سَعْدٍ بْنِ مُلَيْحٍ بْنِ عَمْرٍو ، مِنْ خِرَاعَةٍ .

قال ابن هشام : وَيُقَالُ : هُمَيَّةُ بِنْتُ خَلْفٍ .

قال ابن إسحاق : وَحَاطِبُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ بْنِ عَبْدِ وَدٍّ بْنِ نَضَرَ ابْنِ مَالِكٍ بْنِ حِصْلٍ بْنِ عَامِرٍ بْنِ لُؤَيٍّ بْنِ غَالِبٍ بْنِ فِهْرٍ . وَأَبُو حَذَافَةَ ، وَاسْمُهُ : مِهْشَمٌ . فِيمَا قَالَ ابْنُ هِشَامٍ - بِنْتُ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ بْنِ عَبْدِ مَنْفٍ ابْنِ قُصَيٍّ بْنِ كِلَابٍ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبٍ بْنِ لُؤَيٍّ . وَوَاقدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ مَنْفٍ ابْنِ عَرَبٍ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ يَرْبُوعَ بْنِ حَنْظَلَةَ بْنِ مَالِكٍ بْنِ زَيْدٍ مَنَاةَ بْنِ تَمِيمٍ ، حَايِفُ بْنُ عَدَى بْنِ كَعْبٍ .

قال ابن هشام : جَاءَتْ بِهِ بَاهِلَةٌ ، فَبَاعُوهُ مِنَ الْخَطَّابِ بْنِ نُفَيْلٍ ، فَتَبَنَّا ، فَلَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : « اذْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ » الْأَحْزَابُ : ه قَالَ : أَنَا وَاقِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، فِيمَا قَالَ أَبُو عَمْرٍو الْمَدَنِيُّ .

قال ابن إسحاق : وَخَالِدٌ وَعَامِرٌ وَعَاقِلٌ وَإِيَّاسُ بْنُ الْبَكَّيْرِ ابْنُ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ نَاشِبٍ بْنِ غَيْرَةَ مِنْ بَنِي سَعْدِ بْنِ لَيْثٍ بْنِ بَكْرِ بْنِ عَبْدِ مَنَاةَ بْنِ كِنَانَةَ حُلَفَاءُ بَنِي

عدى بن كعب . وعمار بن ياسر ، حليف بنى مخزوم بن يقظة .

قال ابن هشام : عمار بن ياسر عذسي من مذحج .

قال ابن إسحاق : وصميب بن سنان ، أحد النمر بن قاسط ، حليف بنى تميم بن مرة .

قال ابن هشام : النمر بن قاسط بن هنب بن أفصى بن جديلة بن أسد ابن ربيعة بن نزار ، ويقال : أفصى بن دُعَمَى بن جديلة بن أسد ، ويقال : صميب : مولى عبد الله بن جذعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم .

ويقال : إنه رومي . فقال بعض من ذكر أنه من النمر بن قاسط : إنما كان أسيراً في أرض الروم ، فاشترى منهم ، وجاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم : صميب سابق الروم .

إسلام أبي عبيدة وسعيد بن زبير :

وذكر إسلام أبي عبيدة بن الجراح واسمه ، وقد اختلف فيه ، فقيل : عبد الله بن عامر ، وقيل : عامر بن عبد الله . وأمه : أميمة بنت غنم بن جابر ابن عبد العزى بن عامرة بن وداعة بن الحارث بن فهر ، قاله الزبير (١) .

وذكر إسلام سعيد بن زيد ، وقد ذكرناه فيما مضى ، وذكرنا أمه فاطمة بنت بعتجة (٢) بن خلف الخزاعية ، وما وقع في نسبه من التقديم والتأخير ، ومن

(١) في ص ٤٤٥ من نسب قريش لأبي عبد الله الزبيرى ، وفي التهذيب للنووى أميمة بنت جابر .

(٢) في الإصابة: بعتجة بن مليح .

الفتح في رِزَاح بن عدى والكسر ، وأن رِزَاح بن ربيعة هو الذي لم يختلف في كسر الراء منه ، ويكنى سعيد : أبا الأعور ، توفي بأرضه بالعقيق ، ودفن بالدينة في أيام معاوية سنة خمسين أو إحدى وخمسين ، وهو ابن بضع وسبعين سنة ، روى عنه ابن عمر ، وعمرو بن حُرَيْث ، وأبو الطَّفَيْل عاصم بن وَائِلَة وجماعة من التابعين^(١) ، ولم يرو عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلا حديثين^(٢) . أحدهما : « من غَصَبَ شبرا من أرض طُوَّقه يوم القيامة من سبع أرضين^(٣) » وهو أحد العشرة الذين شهد لهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالجنة ، وأحد الذين رجف بهم الجبل ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « اثْبُتْ حِرَاهُ ؛ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ أَوْ صَدِيقٌ أَوْ شَهِيدٌ^(٤) » ويروى : اثْبُتْ أَحَدُ^(٥) ،

(١) من كبارهم : أبو عثمان النهدي ، وابن المسيب ، وقيس بن أبي حازم وغيرهم

(٢) في ذخائر المواريث ذكر له عشرة أحاديث .

(٣) رواه البخاري في المظالم وبده الخلفي ، ومسلم في البيوع

(٤) بعد هذا ورد : وقيل : ومن هم ؟ قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف . قيل : ومن العاشر ؟ قال : أي سعيد بن زيد رواى الحديث - أنا ، رواه الترمذى وأبو داود

(٥) روى قصة أحد البخاري وأحمد والترمذى والنسائي وأبو حاتم وأبو داود . والذين كانوا معه : أبو بكر ، وعمر وعثمان وفيه : « فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصَدِيقٌ وَشَهِيدَانِ ، وَحَدِيثٌ ثَبِيرٌ - وهو جبل بالمزدلفة على يسار الزاheb إلى منى - عن ثمامة بن شراحيل اليماني . والذين كانوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم : أبو بكر وعمر وعثمان . وفيه : فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصَدِيقٌ وَشَهِيدَانِ . وقد أخرجه النسائي والترمذى والدارقطني . وفي حديث حراء المروى عن أبي هريرة أنه كان معه أبو بكر =

وأن القصة كانت في جبل أُحُدٍ ، ويروى أنها كانت في جَبَلِ ثَبِيرِ ذكره الترمذى ، وأنهم كانوا أربعة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم الخلفاء الأربعة ، ولعل هذا أن يكون مراراً ، فتصح الأحاديث كلها ، والله أعلم .

إسلام سعد وابن عوف والنخاس :

وذكر فيمن أسلم بعد أبي بكر سعد بن أبي وقَّاص ، واسم أبي وقاص : مالك بن أهْيَب ، وأهْيَب : هو عم آمنَة بنت وهب أم النبي — صلى الله عليه وسلم — والوقاص في اللغة ، هو واحد الوقايق وهو شبك يصعد بها الطير ، وهو أيضاً فَعَال من وَقَص إذا انكسر عنقه ، وأمُّ سعد : حَمَّةُ^(١) بنت سفيان بن أمية بن عبد شمس ، يكنى : أبا إسحاق ، وهو أحد العشرة ، دعا له النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يُسَدِّدَ الله سهمه ، وأن يجيب دعوته ، فكان دعاؤه أسرع الدعاء إجابة^(٢) . وفي الحديث أن

== وعمر وعثمان وطلحة والزبير ، وفي رواية : وسعد بن أبي وقاص ، ولم يذكر عليا في هذه الرواية ، وفيه : فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد . وقد خرجهما مسلم ، والترمذى ، وذكر عليا ، ولم يذكر سعدا . ولكن الثابت أن سعدا مات بقصره بالعقيق قرب المدينة . ولم يستشهد .

(١) في الإصابة : حمزة ، ولعله خطأ مطبعي ، وكانت غير واضحة في الروض فأثبتها من نسب قريش ص ٢٦٣ .

(٢) في البخارى ومسلم والترمذى أن الرسول ص ، كان يقول له يوم أحد هارم ، فذاك أبى وأمى . وزاد الترمذى أيها الغلام الحزور ، الشديد القوى ، وروى البخارى عن سعد : ه لقد مكثت ثلاثة أيام ، وإنى لثقت الإسلام ، يعنى ثالث رجل أسلم . وروى الترمذى : اللهم استجب لسعد إذا دعاك . مات سعد ==

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : احذروا دعوة سعد . مات في خلافة معاوية .

وذكر عبد الرحمن بن عوف بن عَبدِ عَوْفِ بن عبد بن الحارث ابن زُهْرَةَ^(١) ، وهو أيضا أحد العشرة يكنى : أبا محمد ، أمُّه : الشَّفاء بنت عوف ابنَ عَبدِ بن الحارث^(٢) وهى بنت عم عَوْفٍ والدِ عبد الرحمن بن عوف ، فأبوها : عَوْف عم عوف وأخو عبد عوف .

==رضى الله عنه بالعقيق، وحمل إلى المدينة ، وقال الواقدي : أثبت ما قبل في وقت وفاته أنها سنة خمس وخمسين ، وهو الذى بنى الكوفة ، وفتح مدائن كسرى واعتزل الفتنة . وعن عائشة قالت : سهر رسول الله « ص » مقدمه المدينة ليلة ، فقال : ليت رجلا صالحا من أصحابي يحرسنى الليلة ، قالت : فبينما نحن كذلك سمعنا خشخشة سلاح ، فقال : من هذا ؟ قال : سعد بن أبى وقاص ، فقال له رسول الله : ما جاء بك ؟ فقال : وقع فى نفسى خوف فجئت أحرسك ، فدعا له رسول الله « ص » ثم نام . رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى .

(١) نسبه هكذا فى نسب قريش ، وقد سقط من نسبه فى الإصابة : ابن بين عبد . وبين الحارث ، أما فى جمهرة ابن حزم ، فنسبه : عبد الرحمن بن عوف بن عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة بن كلاب .

(٨) فى الإصابة جاء نسبها : أبوها : عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث ابن زهرة . وهو خطأ لأنها بهذا تكون أخت عبد الرحمن . وفى نسب قريش : الشفاء بنت عوف بن الحارث بن زهرة . فأسقطه عبد بن الحارث ، من نسبها . وفى مكان آخر : « الشفاء بنت عوف بن عبد ، ص ٢٦٥ ، ٢٦٣ وفى الإصابة : واسم أمه : صفية ، ويقال : الصفا ، حكاه ابن منده ذكر البخارى فى تاريخه من طريق الزهرى : قال : أوصى عبد الرحمن بن عوف لاسكل من شهد بدرا بأربعائة دينار ، فكانه مائة رجل ، مات سنة ٣١ أو ٣٢ وعاش ٧٢ عاما . دفن بالبقيع وصلى عليه عثمان . أو الزبير .

وذكر نُعَيْم بن عبد الله النَّحَّام^(١) ، وقول النبي - صلى الله عليه وسلم :
سمعت نَحْمَه في الجنة ، ولم يفسر النَّحْمَ ما هو ، وهي سُعْلة مستطيلة ، ويقال
للبخيل : نَحَّام ؛ لأنه يَسْعُل إذا سئل يتشاغل بذلك ، وأنشد الزبير :

مالك لا ننحِم يارواحه إن النحيم للشقاة راحه

قال : ويقال للنَّحْمَة : نَحْطَة ، وقال غيره : النَّحْطَة في الصدر ، والنَّحْمَة
في الخلق ، والنَّحَام أيضاً طائر أحمر في عظم الإوز^(٢) .

عبد الله بن مسعود ومسعود الفارسي :

وذكر عبد الله بن مسعود^(٢) بن شَمِخ بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل

(١) نسبه في نسب قريش . نعيم بن عبد الله بن أسيد بن عبد بن عوف .
ابن عبيد بن عويج بن عدي بن كعب ، أما في الإصابة فسكنا في السيرة ، أي : بإسقاط
ابن بين عبد وعوف . وقد استشهد نعيم بأجنادين في خلافة عمر سنة خمس عشرة .
وقيل : يوم موته في حياة النبي د ص ، .

(٢) في القاموس : نَحَط ينحط نحيطا : زفر زفيرا ، النحاط كغراب : تردد
البكاه في الصدر من غير أن يظهر كالنحط . وقال عن النحيم إنه كالزحير أو فوقه .
وقال عن النحام بمعنى طائر لأنها على وزن غراب ، وخطأ الجوهرى في فتحها
وشدها ، وفي الاستيعاب لابن عبد البر ، وعند ابن السكيت : أسيد بن عبد عوف .
انظر الخشنى ص ٨٠ ، وفي كتاب حذف نسب قريش ص ٨٢ لمؤرخ بن عمرو
السدوسي : أسيد بن عبد عوف ، .

(٣) في الإصابة : عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن سمح بن فار
ابن مخزوم بن صاهلة بن الحارث بن تيم بن سعد بن هذيل الهذلي أبو عبد الرحمن .
في جمهرة ابن حزم : شَمِخ وتيم .

ابن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل حليف بني زهرة ، وقال في نسبه : كَاهِل ،
وقيدته الوقشي بفتح الهاء من كَاهِل ، كأنه سُئِمَ بالفعل من كَاهِل يُكَاهِلُ ،
كما قال - عليه السلام لرجل استأذنه في الجهاد - واسمه : جَاهِيَّة - فقال : هل
في أهلك مِن كَاهِلٍ أَى : من قَوِيٍّ عَلَى التصرف ^(١) ، والا كتهال : القوة .
وقال أبو عبيد : كَاهِلٌ أَى : أَسَنٌ ، وقال ابن الأعرابي : إنما لفظ الحديث هل
في أهلك من كاهن ، وغيره الراوى له ، فقال : مِن كَاهِلٍ ، قال : وكاهن
الرجال ، هو الذى يخلف الرجل في أهله يقوم بأمرهم بعد ، يقال منه : كَهَنَ
يَكْنُهن كِهانة .

وذكر في نسبه أيضا شَمَخًا وهو من شَمَخَ بَأَنَفِهِ إذا رفعه عِزَّةً . وأم
عبد الله هي : أم عبد بنت سَوْدٍ بن قديم بن صاهلة هذلية ^(٢) .

وذكر مسعوداً القارى ، وهو : مسعود بن ربيعة ورفع نسبه إلى الهون
ابن خَزَيْمَةَ ، وهم القارّة وفيهم جرى المثل المثل : قد أنصف للقارة من رامها .
قال الراجز :

قد علمت سلمى ، وَمَنْ والاها أنا زرد الخليلَ عَنْ هواها

(١) في النهاية والقاموس : ويروى من كاهل - يفتح ميم من - وهاء كاهل
باعتبارها فعلاً ماضياً أى تزوج . أو أسن

وفي الاشتقاق : من كاهل أى كهل يقوم بأمرهم ذوسن محتك
(٢) في الإصابة : أمه : أم عبيد بنت عبدود بن سواد أو اسوادة بن مريم
وفي جهرة ابن حزم : وأم عبد الله بن مسعود : أم عبد من المهاجرات الاول
من بني قديم بن صاهلة بن كاهل :

نردھا دایمۃ کلاھا قد أنصف القارۃ من راماما
 إننا إذا ما فئسۃ نأقأھا نردُّ أولأھا علی أخرأھا
 وُسْمی بنو الھون بن خزيمة قارۃ لقول الشاعر منهم فی بعض الحروب :
 دَعُونَا قارۃ لا تُذْعِرُونَا فَنُجْفِلَ مثل إجفال الظلیم (١)
 هكذا أنشدہ أبو عُبَیْدٍ فی کتاب الأنساب ، وأنشدہ قاسمٌ فی الدلائل :
 دَعُونَا قارۃ لا تُذْعِرُونَا فَتَذْبِکَ القرابۃ والذمامُ

وكانوا رُمَماَ الحَدَق (٢) ، فمن رامام فقد أنصفهم ، والقارۃ : أرضٌ كثيرة
 الحجارة ، وجمعا (٣) قُور ، فکأن معنى المثل عندهم : أن القارۃ لا تَنقَدُ حجارَتُها
 لِإِذَارِمِیَ بها ، فمن راماما فقد أنصف .

وهم فی نسب أبي مزينة :

وذكر أبا حذيفة بن عتبة . قال ابن هشام : واسمه : مِهْشَم ، وهو وهم عند
 أهل النسب ، فإن مِهْشَمًا إنما هو أبو حذيفة بن المغيرة أخو هاشم ، وهشام
 ابني المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وأما أبو حذيفة بن عتبة فاسمه :

(١) فی الاشتقاق واللسان : لا تنفرونا . وفي مجمع الأمثال : القارة قبيلة ، وهم
 عضل والديش ابنا الهون بن خزيمة ، ولما سموا قارة ، لاجتماعهم والتفافهم لما
 أراد السداح أن يفرقهم فی بنى كنانة ، وهم اليوم فی الین . وقيل غير ذلك .
 (٢) يقال : هو من رماة الحدق : حاذق ماهر فی النضال .

(٣) فی الاشتقاق : القارة : أكمة سوداء فیها حجارة ، وفي القاموس جاء
 أيضا أنها الجبل الصغیر المنقطع عن الجبال ، أو الصخرة العظيمة أو الصخرة السوداء
 وجمعا قارات وقار وقور ، وقيران . هذا وقد ورد فی نسب مسعود فی الإصابة
 بعد غالب هو ابن عائدة بن نذیع بن ملیح ، وعند السکبى : مسعود بن عامر
 ابن ربيعة بن عمير بن سعد بن مغلد بن غالب .

قيس فيما ذكروا^(١).

عميس :

وذكر أسماء بنت عميس امرأة جعفر بن أبي طالب ، وعميس أبوها هو : ابن معد^(٢) بن الحارث بن تميم بن كعب بن مالك بن قحافة بن عامر بن ربيعة بن زيد بن مالك بن نسر بن وهب بن شهران بن عفرس بن حنلف بن أفتل ، وهو : جماعة خثعم بن أمار على الاختلاف في أمار هذا ، وقد تقدم . وأما : هند بنت عوف بن زهير بن الحارث^(٣) من كنانة ، وهي أخت ميمونة بنت الحارث الهلالية زوج النبي - صلى الله عليه وسلم - أمها واحدة ، وأخت ثبابة أم الفضل امرأة العباس^(٤) ، وكن تسع أخوات^(٥) ، فيهن ، قال رسول الله

(١) في الإصابة أيضا مع هذا : وقيل : هاشم . استشهد يوم اليمامة ، وهو ابن ست وخمسين سنة ، وفي الخثعمي ص ٨٠ مثل تصويب السبيلي

(٢) هو بإسكان العين أو فتحها . ونسبه في نسب قريش : عميس بن معبد بن تميم ابن مالك بن قحافة بن عامر بن ربيعة بن عامر بن معاوية بن زيد بن مالك بن نسر بن وهب الله بن شهران بن عفرس بن حلف بن أفتل ، وفي جمهرة ابن حزم ، وعميس بن معد بن الحارث بن تميم بن كعب بن مالك بن قحافة بن عامر بن ربيعة بن عامر بن سعد ، ابن مالك بن بشر بن وهب بن شهران بن عفرس بن حلف بن خثعم ، ص ٨٠ . نسب قريش : ٣٦٨ جمهرة . والإصابة تنفق مع الروض حق ربيعة . ثم تقول عن ربيعة : ابن غانم بن معاوية بن زيد الخثعمية . وقيل : وعميس هو ابن النجاشي ابن كعب ، والباقي سواء .

(٣) قيل خولة بنت عوف بن زهير .

(٤) في الاشتقاق : أنها أم بني العباس بن عبد المطلب لإتماما وكثيراً .

(٥) قيل : عشر لام ، وست لام وأب .

— صلى الله عليه وسلم : الأخوات مؤمنات ، وكانت قبل جعفر عند حمزة ابن عبد المطلب ، فولدت له أمة الله ، ثم كانت عند شداد بن المهدي ، فولدت له عبد الله وعبد الرحمن ، وقد قيل : بل التي كانت عند حمزة ، ثم عند شداد هي أختها : سلمى ، لأسماء ، وتزوجها بعد حمزة أبو بكر الصديق ، فولدت له محمد ابن أبي بكر ، وتزوجها بعده علي بن أبي طالب ، فولدت له يحيى . قال الكلبي : ولدت له مع يحيى عون بن علي ^(١) ، ولم يختلف أنها ولدت لجعفر ابنا اسمه : عون ^(٢) ، وولدت له أيضا عبد الله بن جعفر ، وكان جواد العرب في الإسلام ، وبنات عُمَيْس : أسماء وسلامة وسلمى ، وهن أخوات ميمونة وسائر أخواتها لأم .

تصويب في نسب بني عمرى :

وذكر ابن إسحاق في السابقين إلى الإسلام من بني سَهْم : عبد الله بن قيس ابن الحارث بن عدى بن مُعَيْد بن سَهْم ^(٣) ، وحيثما تكرّر نسب بني عدى بن سعد

(١) في الإصابة أن الذى روى هذا هو ابن سعد عن الواقدي . أما ابن الكلبي فقال إنها ولدت له عوناً ، وقال أبو عمر : تفرد بذلك ابن الكلبي .
(٢) ولدته له في الحبشة في هجرتها . وفي الإصابة أنها تزوجت أبا بكر بعد قتل زوجها جعفر ، وروى عمر بن شبة في كتاب مكة أن الرسول زوجها أبا بكر يوم حنين .

(٣) المذكور في السيرة في هذا الموضع : خنيس ، أما عبد الله فأخوه ، وكان خنيس زوج حفصة رضى الله عنها . وقد مات بجراحه يوم أحد ، وقد تزوج النبي صلى الله عليه وسلم حفصة بعده . ونسب خنيس في نسب قريش هو : خنيس بن حذافة ابن قيس بن عدى بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب . وهو مطابق لما في السيرة =

ابن سهم يقول فيه ابنُ إسحاق : سَعِيدٌ ^(١) ، والناس على خلافه ، وإنما هو سَعْدٌ ، وسيأتى فى شعر عبد الله بن قيس شاهد على ذلك ، وإنما سَعِيدٌ بنُ سهم أخو سعد ، وهو جد آل عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سَعِيد بن سهم وفى سهم : سَعِيدٌ آخر ، وهو ابن سعد المذكور ، وهو جد المطلب بن أبى وداعة ، واسم أبى وداعة : عوف بنُ صُبَيْرَة ^(٢) ، ابن سَعِيد بن سعد ، وقد قيل فى صُبَيْرَة : صُبَيْرَة بالضاد المعجمة ، وهو الذى كان شابا جميلا يلبس حلة ، ويقول للناس : هل ترون بى بأسا إعجابا بنفسه ، فأصابته المنية بغتة ، فقال الشاعر فيه :

مَنْ يَأْمَنُ الْحَذَثَانَ بَعْدَ صَمِّ نَيْرَةِ الْقَرْشَى مَا نَا
سَبَقَتْ مِنْتُهُ الْمَشِيدَ بَ وَكَانَ مَمْنَيْتُهُ أَفْتِلَاتَا ^(٣)
عَنْزَرُ :

وذكر عامر بن ربيعة ، وقال : هو من عَنْزِ بن وائل . عَنْزُ بسكون النون ، ويذكر عن على بن المَدِينِ أَنَّهُ قَالَ ، فيه عَنْزٌ بفتح النون ، والسكون أَعْرَفُ . ذكر أهل النسب أن وائلا [بن قاسط] كان إذا ولده ولد ، خرج من خباته ،

= ولذا يكون السهلى مخطئا فى نقله عن السيرة إذ ذكر عبد الله بن قيس بن الحارث بن عدى دون خنيس . وليس لعدى ولدا سمى الحارث ، فالحارث ابن قيس ، ووالد قيس هو عدى .
(١) وقوله هنا حق ، وقد صوبتها فى السيرة عن صاحب الروض ، وعن نسب قريش لأبى عبد الله المصعب الزبيرى ص ٤٠٠ ، وما بعدها ، وعن جهمرة ابن حزم ص ١٥٤ ، وعن الإصابة فى ترجمة خنيس .

(٢) هو كذلك فى النسب أما فى جمرة ابن حزم فهيرة وهو خطأ

(٣) منية : موت ، أفلات : فجأة

فما وقعت عينه عليه سماه به ، فلما وُلد له بكر وقعت عينه على بكر من الإبل ، فسماه به ، فلما ولد له ثعلب رأى نفسين يتغالبان ، فسماه ثعلب ، فلما ولد له عَنزٌ ، رأى عَنزاً - وهى الأنثى من المعز - فسماه عَنزاً ، فلما وُلد له الشَّخِصُ خرج فرأى شخصاً على بعدٍ صغيراً ، فسماه : الشَّخِصُ ، بهؤلاء الأربع (١) ، هم قبائل وائل ، وهم معظم ربيعة ، وهو عامر بن ربيعة العَنْزِيُّ العَدَوِيُّ حليف لهم ، ويقال : هو عامر بن ربيعة بن كعب بن مالك بن ربيعة بن عامر بن سعد بن عبد الله بن الحارث بن رُقَيْدَة بن عَنز بن وائل بن قاسط ، وقيل : عامر بن ربيعة بن مالك بن عامر بن ربيعة بن حُجَيْر بن سلامان بن هَنْب بن أَفْصَى بن دُعْيَى بن جَدِيلَة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان (٢)

إسوم عامر بن فهرية :

وذكر عامر بن فُهَيْرَة مولى أبى بكر ، وفُهَيْرَة : أُنثى ، وهى تصغير فُهر ، لأن الفُهر مؤنثة ، وكان عبداً أسود للطفيل بن الحارث بن سَخْبَرَة (٣) اشتراه

(١) القصة فى الاشتقاق لابن دريد ص ٦ وفيها : « فإننا هو بشخص قد ارتفع له ، ولم تبيذه نظراته ، وعن ثعلب : « فثلبه أن يرى شيئاً فسماه ثعلب ،
(٢) فى جهرة ابن حزم ص ٢٨٥ عامر بن ربيعة بن كعب بن مالك ابن ربيعة بن عامر بن ربيعة بن حجير بن سلامان بن مالك بن ربيعة ابن رفيدة بن عنز بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعوى بن جديلة ابن أسد بن ربيعة بن نزار . وفى الإصابة كالنسب الأول فى الروض مات سنة ٣٢٢ هـ قال أبو عبيدة سنة ٣٧ هـ ،

(٣) فى الإصابة الطفيل بن عبد الله بن سخبرة .

أبو بكر فأعتقه ، وأسلم قبل دخول النبي - صلى الله عليه وسلم - دار الأرقم ،
وسمّي في الكتاب نُبَذَ من أخباره ، منها : أنه قتل عامر بن الطفيل (١) يوم بدر
معوثة ، فلما طعنه خرج من الطعنة نورٌ ، وكان عامر يقول : مَنْ رَجُلٌ لما طعنته
رُفِعَ ، حتى حالت السماء دونه ، هذه رواية البسكافي عن ابن إسحاق ، وفي
رواية يونس بن بكير عن ابن إسحاق أن عامراً سأل رسول الله - صلى الله
عليه وسلم - حين قدم عليه ، وقال : يا محمد مَنْ رَجُلٌ من أصحابك لما طعنته
رُفِعَ إلى السماء ؟ فقال : هو عامر بن فهيرة ، وروى هشام بن عروة عن أبيه :
أن عامراً التمس في القتلى يومئذ فلم يوجد ، فكانوا يرون أن الملائكة
رفعته ، أو دفنته (٢) ذكره ابن المبارك .

(١) عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر السكلاقي العامري مات كافراً بإجماع
أهل النقل . وفي الصحيح أنه قدم على النبي ﷺ ، فقال له : لك أهل السهل ، ولـ
أهل المدر ، أو أكون خليفتك أو أغزوك بألف أشقر ، وألف شقراء ، فقال
ﷺ : اللهم اكفني عامراً فطمن في بيت امرأة - فقال : ائتوني بفرسي ، فأت
على ظهر فرسه ، وليس هو عامر بن الطفيل الأسلمي الصحابي .

(٢) قتل عامر - وسنه أربعون سنة ، وفي البخاري أنه كان غلاماً لعبد الله بن
الطفيل بن سبخرة أخى عائشة لامها ، وهو الذي كان يرعى بمنحة من غنم لابي بكر -
كما جاء في البخاري - فيريحها على الرسول ﷺ ، وأبي بكر ، وهما في غار ثور ،
فبيبتان - كما جاء في الحديث - في رسل - وهو لبن منحتهما - غنم - ورضيفهما
الرسول اللبن ، والرضيف اللبن الذي وضعت فيه الحجارة المحماة ليذهب وخمه
أو اللبن المغلى ، حتى ينقع عامر بهذه الغنم بغلس ، وكان يفعل هذا كل ليلة من
الليالي الثلاث دون أن يشعر به أحد . وقد روى البخاري أنه لما قتل الذين بئر
معوثة ، وأسر عمرو بن أمية الضمري قال له عامر بن الطفيل : من هذا ؟ وأشار =

اصرع بما تؤمر وما المصيرية والنزى :

فصل : وذكر قول الله سبحانه : ﴿ فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾ (١) الحَجَر : ٩٤ .
والمعنى : اصْدَعْ بالذى تؤمر به ، ولسكنه لما عَدَّى الفعل إلى الهاء حَسَنَ حذفها ،
وكان الحذف ههنا أَحْسَنَ من ذكرها ؛ لأن ما فيها من الإبهام أكثر مما
تقتضيه الذى ، وقولهم : مامع الفعل بتأويل المصدر ، راجِعٌ إلى معنى الذى إذا

== إلى قتيل ، فقال له عمرو : هذا عامر بن فهيرة ، فقال : لقد رأيته بعد ما قتل
رفع إلى السماء ، حتى إني لأنظر إلى السماء بينه وبين الأرض ، ثم وضع . ونلاحظ
أن قائل هذا هو عامر بن الطفيل الكافر .

(١) فى البخارى عن ابن عباس . قال : لما نزلت (وأنذر عشيرتك) جعل
النبي يدعوهم قبائل قبائل . وعن أبى هريرة أن النبي قال : يا بنى عبد مناف .
اشتروا أنفسكم من الله . يا بنى عبد المطلب اشتروا أنفسكم من الله . يا أم الزبير
ابن العوام عمة رسول الله ، يا فاطمة بنت محمد اشتريا أنفسكما من الله . لا أملك
لكما من الله شيئا ، سلاني من هالى ما شئتما . وعن ابن عباس أيضا : و لما نزلت
وأنذر عشيرتك ، جعل النبي ينادى : يا بنى فهر يا بنى عدى بيطور قریش ،
وهذه القصة إن كانت وقعت فى صدر الإسلام بمكة . فإن ابن عباس لم يدركها . لأنه
ولد قبل الهجرة بثلاث سنين ، ولا أبو هريرة لأنه إنما أسلم بالمدينة ، وفى نداء
فاطمة يومئذ أيضا ما يقتضى تأخر القصة ؛ لأنها كانت حينئذ صغيرة أو مراهقة ،
وإن كان أبو هريرة حضرها ، فلا يناسب الترجمة (يعنى ترجمة البخارى لهذا
الباب بقوله : باب من انتسب إلى آبائه فى الإسلام والجاهلية ، لأنه إنما أسلم
بعد الهجرة ، بدء ، والذي يظهر أن ذلك وقع مرتين مرة فى صدر الإسلام -
ورواية ابن عباس وأبى هريرة لها من مراسيل الصحابة - ومرة بعد ذلك حيث
يمكن أن تدعى فيها فاطمة عليها السلام ، أو يحضر ذلك أبو هريرة أو ابن عباس .
و المحافظ فى الفتح ج ٦ ص ٤٣٣ طبعة ١ عبد الرحمن محمد . هذا وحديث
ابن إسحاق بعد يؤكد فرضية الصلاة قبل الإسراء .

تأملته ، وذلك أن الذى تصلح فى كل موضع تصلح فيه ما التى يسمونها المصدرية
نحو قول الشاعر :

عسى الأيام أن يرزج^(١) نَ بَوْمًا كالذى كانوا^(٢)

أى : كما كانوا ، يقول الله عز وجل إذا : « فاصدع بما تؤمر » ، إما أن
يكون معناه : بالذى تؤمر به من التبليغ ونحوه ، وإما أن يكون معناه : اصدع
بالأمر الذى تؤمره ، كما تقول : عجبت من الضرب الذى تضربه ، فتكون
ما ههنا عبارة عن الأمر الذى هو أمر الله تعالى ، ولا يكون للباء فيه دخول ،
ولا تقدير ، وعلى الوجه الأول تكون ما مع صلتها عبارة عما هو فعل للنبي
صلى الله عليه وسلم - والأظهر أنها مع صلتها عبارة عن الأمر الذى هو قول
الله ووحيه ، بدليل حذف الهاء الراجعة إلى : ما ، وإن كانت بمعنى الذى
فى الوجهين جميعا ، إلا أنك إذا أردت معنى الأمر لم تحذف إلا الهاء وحدها ،
وإذا أردت معنى المأمور به ، حذفت باء وهاء ، فحذف واحد أيسر من حذفين .

(١) البيت للفند - بكسر الفاء - الزمانى بكسر الزاى وتشديد الميم ، وهو شهل
ابن شيبان بن ربيعة بن زمان بن مالك بن صعب بن على بن بكر بن وائل جاهلى
قديم . وفى الحيوان للجاحظ : الزمانى وهو خطأ ، والقصيد فى الحيوان ج ٦
ص ١٤٠ ط ١ : ساسى ، والامالى للقالى ، وفى فيه تسعة أبيات . وفى الحيوان :

عسى الأيام ترجمهم - جميعا كالذى كانوا

وفى الامالى . ترجمن قوما ، ويقول البكرى فى السمط عن شهل صاحب
الشمس ، وليس فى العرب شهل بشين معجمة غيره . انظر ص ٢٦٠ ج ١ ط ١
الامالى للقالى . وص ٥٧٨ سمط اللآلى للبكرى

مع أن صدّعه وبيانه إذا علّقه بأمر الله ووحيه ، كان حقيقة ، وإذا علّقه بالفعل الذى أمر به كان مجازاً ، وإذا صرّحت بلفظ الذى ، لم يكن حذفها بذلك الحسن . وتأمله فى القرآن تجده كذلك نحو قوله تعالى : ﴿ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ ، وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ البقرة : ٣٢ ﴿ وَيَعْلَمُ مَا تَسْرُونَ وَمَا تَعْلَنُونَ ﴾ التغابن : ٤ . و﴿ لَمَّا خَلَّصْتُ بَيْدَى ﴾ ص : ٧٥ ﴿ وَلَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ الكافرون . ولم يقل : خلّصته ، وحذف الهاء فى ذلك كله ، وقال فى الذى : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ ﴾ البقرة : ١٢١ ﴿ وَالَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً ﴾ الحج : ٢٥ وما أشبه ذلك ، وإنما كان الحذف مع ما أحسن لما تقدّمناه من إيهامها ، فالذى فيها من الإيهام قرّبها من ما التى هى شرط لفظاً ومعنى ، ألا ترى أن ما إذا كانت شرطاً تقول فيها : ما تصنع أم صنع مثله ، ولا تقول : ما تصنعه ؛ لأن الفعل قد عمل فيها ، فلما ضارعتها هذه التى هى موصولة ، وهى بمعنى الذى الذى أجريت فى حذف الهاء مجراها فى أكثر الكلام ، وهذه تفرقة فى عود الضمير على ما ، وعلى « الذى » يشهد لها التنزيل ، والقياس الذى ذكرناه من الإيهام ، ومع هذا لم نر أحداً نبّه على هذه التفرقة ، ولا أشار إليها ، وقارىء القرآن محتاج إلى هذه التفرقة . وقد يحسن حذف الضمير العائد على الذى ؛ لأنه أوجز ، ولكنه ليس كحُسْنِهِ مع مَنْ وَمَا ، فى التنزيل : ﴿ وَالنُّورَ الَّذِي أُنْزِلْنَا ﴾ التغابن : ٨ فإن كان الفعل متعلّياً إلى اثنين كان إبراز الضمير أحسن من حذفه ، لأنّه يقوم أن الفعل واقع على المفعول الواحد ، وأنه مقتصر عليه ، كقوله تعالى : ﴿ [وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي] جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً ﴾ الحج : ٢٥ ﴿ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ ﴾ البقرة : ٢١ وشرح ابن هشام معنى قوله : اصدع شرحاً صحيحاً ، وتمتّه أنه صدّع على جهة البيان ، وتشبيهه لظلمة الشك والجهل بظلمة الليل . والقرآن نور ، فصدّع به تلك الظلمة ، ومنه سُمي الفجر : صديعاً ، لأنه يصدّع ظلمة الليل ، وقال الشماخ :

مباداة رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه

قال ابن إسحاق : ثم دخل الناس في الإسلام أرسالاً من الرجال والنساء ، حتى فشا ذكر الإسلام بمكة ، وتحدث به . ثم إن الله - عز وجل - أمر رسوله - صلى الله عليه وسلم - أن يصدع بما جاءه منه ، وأن يباذى الناس بأمره ، وأن يدعو إليه ، وكان بين ما أخفى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أمره ، واستتر به إلى أن أمره الله تعالى بإظهار دينه ثلاث سنين - فيما بلغني - من مبعثه ، ثم قال الله تعالى له : ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ، وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ الحجر : ٩٤ . وقال تعالى : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ . وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَقُلْ إِنِّي أَنَا الْذَّيِّرُ الْمُبِينُ ﴾ الشعراء : ٢١٥ : ٢١٧

ترى السُّرْحَانَ مُفْتَرِشًا يديه كأن بياضَ آتِيته صَدِيعٌ^(١)

على هذا تأوله أكثر أهل المعاني ، وقال قاسم بن ثابت : الصديع في هذا البيت : ثوب أسود تلبسه النواحة تحته ثوب أبيض ، وتصدع الأسود عند صدرها فيبدو الأبيض ، وأنشد :

كَأَنَّهُنَّ (٢) إِذْ وَرَدْنَ لِيَعْلَا نَوَاحِيَهُ مُجْتَابَةً صَدِيعَا

(١) نسبة في اللسان في مادة صدع إلى عمرو بن معدى كرب ، والشماخ شاعر ذيباني مخضرم وهو ابن ضرار بن سنان ، وقيل اسمه : معقل والشماخ لقب له ، وقيل اسمه : الهيثم ، والاول أكثر . ص ٥٨ سطر اللآلى .
(٢) في معجم البكري : كأنها

قال ابن هشام : فاصدع : افرق بين الحق والباطل . قال أبو ذؤيب الهذلي ،
واسمه : خويلد بن خالد ، يصف أثن وخش وفخلمها :

وكانهنَّ رِبابَةٌ ، وكأنَّه يَسْرُ يَفِيضُ على القِداحِ وَيَصْدَعُ
أى : يَفْرِقُ على القِداحِ ويبين أنصاءها . وهذا البيت فى قصيدة له . وقال
رؤبة بن المعجاج :

أنتَ الحَلِيمُ ، والأَمِيرُ المُنْتَقِمُ تَصْدَعُ بالحقِّ ، وتنْفِي مَنْ ظَلَمَ
وهذان البيتان فى أرجوزة له .

صلاة الرسول وأصحابه فى الشعاب

قال ابن إسحاق : وكان أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلَّوا ،
ذهبوا فى الشَّعابِ ، فاستَخَفُّوا بصلاتهم من قومهم ، فبينما سعد بن أبى وقاص
فى نَفَرٍ من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى شِعبٍ من شِعاب مكة ،
إذ ظهر عليهم نفرٌ من المشركين - وهم يصلُّون - فناكروهم ، وعابوا عليهم
ما يصنعون حتى قاتلوهم ، فضرب سعد بن أبى وقاص يومئذ رجلاً من المشركين
بلحى بعير ، فشجَّه ، فكان أول دم هُريق فى الإسلام .

عداوة الشرك للرسول ومساومته لعمه

قال ابن إسحاق : فلما بادى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قومه
بالإسلام وصدع به كما أمره الله ، لم يبعد منه قومه ، ولم يردوا عليه - فيما بلغنى -

حتى ذكر آلهتهم وعابها ، فلما فعل ذلك أعظموه وناكروه ، وأجمعوا خِلافه وعداوته ، إلا مَنْ عَصَمَ الله تعالى منهم بالإسلام ، وهم قليل مُسْتَحْفُون ، وحَدِّبَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم عُمُه أبو طالب ، ومنعه وقام دونه ، ومضى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على أمر الله ، مُظْهِراً لأمره ، لا يردّه عنه شيء . فلما رأت قريش ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يُعْتَبَرُ مِنْ شَيْءٍ ، أنكروه عليه ، مِنْ فراقهم وَعَيْبِ آلهتهم ، ورأوا أن عُمُه أبا طالب قد حَدِّبَ عليه ، وقام دونه ، فلم يُسَلِّمْهُ لَهُمْ ، مشى رجالٌ مِنْ أَشْرَافِ قُرَيْشٍ إِلَى أَبِي طَالِبٍ ، عُتْبَةُ وَشَيْبَةُ ابْنَا رِبِيعَةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ بْنِ قُصَيٍّ بْنِ كِلَابٍ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبٍ بْنِ لُؤَيٍّ بْنِ غَالِبٍ . وَأَبُو سَفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ ابْنِ عَبْدِ مَنَافٍ بْنِ قُصَيٍّ بْنِ كِلَابٍ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبٍ بْنِ لُؤَيٍّ بْنِ غَالِبٍ بْنِ فِهْرٍ .

قال ابن هشام : واسم أبي سفيان : صخر .

قال ابن إسحاق : وأبو الْبَخْتَرِيِّ ، واسمه : العاص بن هشام بن الحارث ابن أسد ابن عبد العزى بن قُصَيٍّ بْنِ كِلَابٍ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبٍ بْنِ لُؤَيٍّ .

قال ابن هشام : أبو الْبَخْتَرِيُّ : العاص بن هاشم .

قال ابن إسحاق : والأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قُصَيٍّ ابْنِ كِلَابٍ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبٍ بْنِ لُؤَيٍّ . وأبو جهل — واسمه عمرو ، وكان يُكْنَى أبا الْحَكَمِ — ابن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يَظْلَةَ بْنِ مُرَّةَ ابْنِ كَعْبٍ بْنِ لُؤَيٍّ . والوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يَظْلَةَ

ابن مُرّة بن كعب بن لؤى . ونُبِيه ومُنْبِه ابنا الحجاج بن عامر بن حذيفة بن
سعد بن سَهْم بن عمرو بن هُصَيْن بن كعب بن لؤى . والعاص بن وائل .

قال ابن هشام : العاص بنُ وائل بن هاشم بن سُمَيْد بن سَهْم بن عمرو بن
هُصَيْن بن كعب بن لؤى .

قال ابن إسحاق : أو مَنْ مشى منهم . فقالوا : يا أبا طالب ، إن ابن أخيك
قد سبَّ آلهتنا ، وعاب ديننا ، وسفّه أحلامنا ، وضللَّ آبائنا ، فأبأ أن تُكفّه
عنا ، وإما أن تُخَلِّيَ بيننا وبينه ، فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه ، فنكفّيك
فقال لهم أبو طالب قولاً رفيقاً ، وردهم رداً جميلاً ، فانصرفوا عنه .

ومضى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على ما هو عليه ، يظهر دينَ الله ،
ويدعو إليه ، ثم شرى الأمرُ بينه ، وبينهم حتى تباعد الرجالُ ، وتضاغنوا ،
وأكثرت قُرَيْشٌ ذِكْرَ رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم - بينها ، فتذا مروا فيه ،
وحضَّ بعضهم بعضاً عليه ، ثم إنهم مَشَوْا إلى أبي طالب مرّةً أخرى ، فقالوا له :
يا أبا طالب ، إن لك سِناً وشرفاً ومنزلةً فينا ، وإنّا قد استنهنّاك من ابن أخيك
فلم تنهه عنا ، وإنا والله لانصبر على هذا مِنْ شَمِّ آبائنا ، وتسفيه أحلامنا ،
وعيب آلهتنا ، حتى تُكفّه عنا ، أو نُنازله وإياك في ذلك ، حتى يهلك أحدُ
الفريقين ، أو كما قالوا له . ثم انصرفوا عنه ، فعظم على أبي طالب فراقُ قومه
وعداوتهم ، ولم يَطْبِ نفساً بإسلام رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم - — لهم
ولا خِذْلَ لانه .

مناصرة أبي طالب للرسول صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : وحدثني يعقوب بن عُتبة بن المُغيرة بن الأُخنس أنه حَدَّث : أَنَّ قُرَيْشًا حين قالوا لأبي طالب هذه المقالة ، بعث إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فقال له : يا بن أخى ، إن قومك قد جاءونى ، فقالوا لى كذا وكذا ، للذى كانوا قالوا له ، فأبقي على ، وعلى نفسك ، ولا تحمّلنى من الأمر مالا أطيق : فظن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أنه قد بدأ لعمه فيه أنه خاذله ومُسلمه ، وأنه قد ضعف عن نصرته والقيام معه . قال : رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يا عم ، والله لو وضعوا الشمس فى يمينى ، والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر حتى يُظهره الله ، أو أهلك فيه ، ما تركته . قال : ثم استعبر رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فبكى ثم قام ، فلما ولى ناداه أبو طالب ، فقال : أقبل يا بن أخى ، قال : فأقبل عليه رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فقال : اذهب يا بن أخى ، فقل ما أحببت ، فوالله لا أُنكحك لشيء أبداً .

قال ابن إسحاق : ثم إن قريشا حين عرفوا أن أبا طالب قد أبى خذلان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وإسلامه وإجاءه أفرأقهم فى ذلك وعداوتهم ، مشوا إليه بهمة بن الوليد بن المُغيرة ، فقالوا له — فيما بلغنى — : يا أبا طالب ، هذا عُمارة بن الوليد ، أنهد فتى فى قريش وأجمله ، نخذه فلك عقله ونصره ، واتخذ ولداه فولك ، وأسلم إلينا ابن أخيك هذا ، الذى قد خالف دينك ودين

آبائك ، وفترق جماعة قومك ، وسفه أحلامهم ، فنقتله فلما هو رجل برجل ، فقال : والله لبئس ما تسومونني ! أتعطونني ابنكم أغذوه لكم ، وأعطيكم ابني تقتلونه ! هذا والله ما لا يكون أبداً . قال : فقال المظعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف بن قصي : والله يا أبا طالب لقد أنصفك قومك ، وجهدوا على التخلص مما تكرهه ، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئاً ، فقال أبو طالب للمظعم : والله ما أنصفوني ، والكنك قد أجمعت خذلاني ومظاهرة القوم عليّ ، فاصنع ما بدا لك ، أو كما قال . قال : فحقب الأمر ، وحجيت الحرب ، وتناذ القوم ، وبأدى بعضهم بعضاً .

فقال أبو طالب عند ذلك - يعرض بالمظعم بن عدى - ويعم من خذله من بني عبد مناف ، ومن عاداه من قبائل قريش ، ويذكر ما سألوه ، وما تباعد من أمرهم :

ألا قلْ لعمرو والوليد ومُظعم
من الخور حبيب كثير رغاؤه
تخلف خلف الورد ليس بلاحق
أرى أخويننا من أبنينا وأمنّا
إذا ما علا الفياء قيل له : وبئر
بلى لها أمر ، وإنك تجرهما

كما جرحت من رأس ذي عني صخر
أخص خصوصاً عبد شمس ونوفلاً
هما نبدانا مثل ما يُنبذ الجمر
هما أغمرنا للقوم في أخوينهما
فقد أضجعا منهم أكفهما صفر

هُمَا أَشْرَكَ كَافٍ لَاجِدَ مَنْ لَا أَبَا لَهُ مِنْ النَّاسِ إِلَّا أَنْ يُرْسَلَ لَهُ ذِكْرُ
وَتَيْمٌ وَتَحْزُومٌ وَزُهْرَةٌ مِنْهُمْ وَكَانُوا لَنَا مَوْلَى إِذَا بُنِيَ النَّصْرُ
فَوَاللَّهِ لَا تَنْفَكُ مِنَّا عَدَاوَةٌ وَلَا مِنْهُمْ مَا كَانَ مِنْ نَسَلِنَا شَفَرُ
فَقَدْ سَنَنْتُ أَحْلَاهُمْ وَعُقُولُهُمْ وَكَانُوا كَجَفَرٍ بَنَسٍ مَا صَنَعْتَ جَفَرُ

قال ابن هشام : تركنا منها ييتين أقذع فيهما .

قال ابن إسحاق : ثم إن قريشا تذاصروا بينهم على مَنْ فِي الْقَبَائِلِ مِنْهُمْ مِنْ
أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الَّذِينَ أَسْلَمُوا مَعَهُ ، فَوُثِّتَ كُلُّ قَبِيلَةٍ
عَلَى مَنْ فِيهِمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بَعْدَ بَوْنِهِمْ ، وَيَقْتَنُونَهُمْ عَنْ دِينِهِمْ ، وَمَنْعَ اللَّهِ رَسُولَهُ
- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنْهُمْ بَعْمَهُ أَبِي طَالِبٍ ، وَقَدْ قَامَ أَبُو طَالِبٍ ، حِينَ رَأَى
قَرِيشًا يَصْنَعُونَ مَا يَصْنَعُونَ فِي بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي الْمُطَّلِبِ ، فَدَعَاهُمْ إِلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ ،
مِنْ مَنْعِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَالْقِيَامِ دُونَهُ ، فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ ،
وَقَامُوا مَعَهُ ، وَأَجَابُوهُ إِلَى مَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ أَبِي لَهَبٍ ، هَدَوَ
اللَّهُ الْمَلْعُونُ .

فلما رأى أبو طالب من قومه ما سرّه في جَهْدِهِمْ مَعَهُ ، وَحَدَبِهِمْ عَلَيْهِ ، جَعَلَ
يُمَدِّحُهُمْ وَيَذْكُرُ قَدِيمَهُمْ ، وَيَذْكُرُ فَضْلَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِيهِمْ
وَمَكَانَهُ مِنْهُمْ ، لِيَشُدَّ لَهُمْ رَأْيَهُمْ ، وَلِيَحْدُبُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرِهِ ، فَقَالَ :

إِذَا اجْتَمَعَتْ يَوْمَ مَا قَرِيشَ لِمَفْخَرٍ فَعَبْدُ مَنْافٍ سِرُّهَا وَصَمِيمُهَا
فَإِنْ حُصِّلَتْ أَشْرَافُ عَبْدِ مَنْافٍ فِي هَاشِمٍ أَشْرَافُهَا وَقَدِيمُهَا

سَوَانُ فُخِّرَتْ يَوْمًا ، فَإِنَّ مُحَمَّدًا هُوَ الْمُصْطَفَى مِنْ سِرِّهَا وَكَرِيمُهَا
تَدَاعَتْ قُرَيْشُ غُثَّهَا وَنَجِيفُهَا عَلَيْنَا فَلَمْ تَنْظُرْ وَطَاسَتْ حُلُومُهَا
وَكُنَّا قَدِيمًا لَا نَقَرُ ظِلَامَةً إِذَا مَا ثَنَوْا صُغُرَ الْخُدُودِ نَقِيمُهَا
وَنَحْمَى جَاهَا كُلَّ يَوْمٍ كَرِيهَةٍ وَنَضْرِبُ عَنْ أَجْجَارِهَا مَنْ يَرُومُهَا
بَنَّا انْتَقَشَ الْعُودَ الذَّوَاءَ ، وَإِنَّمَا بَأْ كُنَّا نَفْنَأُ نَفْدَى وَتَنْمِي أُرُومُهَا

مبادأة رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه

أصل الصلاة لغة :

ذكر في الحديث : أن أبا طالب حَدَّبَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم -
وقام دونه : أصل الحَدَّبِ : انحنأ في الظاهر ، ثم استُعِيرَ فيمن عطف على غيره ، ورق
له كما قال النابغة :

حَدَّبَتْ عَلَى بَطُونٍ ضَبَّةٌ كُلِّهَا إِنَّ ظَالِمًا فِيهِمْ ، وَإِنْ مَظْلُومًا

ومثل ذلك الصلاة ، أصلها : انحناء وانعطاف من الصَّالِينَ وهما : عرقان
في الظهر إلى الفخذين ، ثم قالوا : صَلَّى عليه ، أى : انحنى عليه ، ثم سموا الرحمة
حُذُوءًا وصلاة ، إذا أرادوا المبالغة فيها ، فقولك : صلى الله على محمد ، هو أرق
وأبلغ من قولك : رحم الله محمدًا في الخنو والعطف^(١) . والصلاة أصلها

(١) ذكر القاموس للصلاة هذه التعريفات : وسط الظهر منا ، ومن كل ذى أربع ،
أو ما انحدر من الوركين ، أو الفرجة بين الجاعرة والدبر ، والذنب ، أو ما عن يمين
الذنب وشماله . وهما صلاوان . ويقول المبرد : أصل الصلاة : الرحمة . والمشهور عند كثير
من المتأخرين أن صلاة الله على الرسول وعلينا هي رحمته ، وهو رأى ضعيف ، لأن الله يقول
عن عباده الصابرين : (أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة ، وأولئك هم المهتدون) البقرة :
١٥٧ فعطف الرحمة على الصلوات يقتضى المغايرة بينهما . كما أن صلاة الله سبحانه خاصة =

في المحسوسات عُبِّرَ بها عن هذا المعنى مبالغة وتأكيداً كما قال الشاعر :

فما زِلْتُ في إِيْنِي [له] وتَعَطُّي عليه ، كما تحنو على الولد الأمُّ

ومنه قيل : صَلَّيْتُ على الميت أى : دعوت له دعاء مَنْ يحنو عليه ويتعطف عليه ، ولذلك لا تكون الصلاة بمعنى الدعاء على الإطلاق : لا تقول : صَلَّيْتُ على العدو ، أى : دعوت عليه . إنما يقال : صَلَّيْتُ عليه في معنى الحُنُوِّ والرحمة والمعطف ؛ لأنها في الأصل انعطاف ، ومن أجل ذلك عُدِّيت في اللفظ بعلى ، فتقول : صليت عليه ، أى : حَنَوْتُ عليه ، ولا تقول في الدعاء إلا : دعوتُ له ، فتُعَدَّى الفعل باللام ، إلا أن تريد الشرَّ والدعاء على العدو ، فهذا فرق ما بين الصلاة والدعاء ، وأهل اللغة لم يفرقوا ، ولكن قالوا : الصلاة بمعنى الدعاء إطلاقاً ، ولم يفرقوا بين حالٍ وحالٍ ، ولاذكروا التعمد باللام ، ولا بعلى ، ولا بد من تقييد العبارة ، لما ذكرناه ، وقد يكون الخُذْبُ أيضاً مستعملاً في معنى المخالفة إذا قُرِنَ بالقَعَسِ كقول الشاعر :

== بالأنبياء والرسل والمؤمنين ، أما رحمته فقد وسعت كل شئ . ولو أننا تتبعنا آيات القرآن لوجدنا أن المراضع التي تذكر فيها الرحمة لا يحسن فيها وضع الصلاة مكانها ، ولهذا يقول ابن القيم عن معنى صلاتنا نحن على الرسول ، ص ، إنها الطلب من الله ما أخبر به عن صلاته . وصلاة ملائكته . وهى ثناء عليه وإظهار لفضله وشرفه وإرادة تكريمه وتقريبه فهى تتضمن الخبر والطلب . وإرادة من الله أن يعلى ذكره ويزيده تعظيماً وتشريفاً ، ص ٩٩ جلاء الأفهام ، وقد ذكر البخارى في صحيحه أن صلاة الله على نبيه هى ثناؤه عليه عند الملائكة

وإن حذبوا ، فاقعس ، وإن هم تقاعسوا
لينتزعوا ما خلف ظهرك فاحذب^(١)

وكقول الآخر :

ولن يُنهيه^(٢) قوما أنت خائفهم كمثل وقيك جبالا يجبال
فاقعس إذا حذبوا ، واحذب إذا قعسوا
ووازن الشر مثقالا تنقال
أنشده الجاحظ في كتاب الحيوان له .

أبو البختري :

فصل : وذكر بحجء النفر من قریش إلى أبي طالب في أمر النبي صلى الله
عليه وسلم ، وذكر أنسابهم ، وذكر فيهم أبا البختري بن هشام ، قال : واسمه :
العاصي بن هشام ، وقال ابن هشام : هو العاصي بن هاشم ، والذي قاله ابن
إسحاق هو قول ابن الكلبي ، والذي قاله ابن هشام هو قول الزبير بن أبي بكر
وقول مصعب^(٣) وهكذا وجدت في حاشية كتاب الشيخ أبي بحر : سفيان
ابن العاصي .

(١) القعس بفتح القاف والعين ، ضد الحذب : دخول المظهر وخروج الصدور ،
والماضي : قعس كفرج - والبيت من قصيدة منسوبة إلى أبي الاسود الدؤلي ،
وهو في الحيوان هكذا : فإن حذبوا فاقعس . . ليستمسكوا بما وراءك فاحذب
ص ١٧٤ ج ٥ الحيوان للجاحظ ط ساسي

(٢) نهيه فلانا عن الشيء : زجره وكفه عنه ، ووقم الرجل يقمه وقا ، أكرهه
وأذله وقهره وقسره ، ووقه عنه : رده أقبح الرد .

(٣) هو كما قال في كتاب المصعب نسب قریش ص ٢٠٩ وكذلك في جمهرة

ابن حزم ص ١٠٨

لو وضعوا الشمس في يميني :

فصل : وذكر قول النبي - صلى الله عليه وسلم - والله لو وضعوا الشمس في يميني ، والقمر في شمالي على أن أدعَ هذا الذي جئت به ما تركته ، أو كما قال ^(١) . خَصَّ الشمسَ باليمين ؛ لأنها الآية المُبْصِرَةُ ، وخص القمر بالشمال لأنها الآية المَمْحُوتَةُ ، وقد قال عمر - رحمه الله - لرجل ، قال له : إني رأيت في المنام كأن الشمس والقمر يقتتلان ، ومع كل واحد منهما نُجُومٌ ، فقال عمر : مع أيهما كنت ؟ فقال : مع القمر ، قال : كنت مع الآية المَمْحُوتَةِ ، اذهب ، فلا تعمل لي عملاً ، وكان عاملاً له ، فمَزَلَهُ ، فقتل الرجل في صِفِّينَ مع معاوية ، واسمه : حابس بن سعد ، وخص رسول الله - صلى الله عليه وسلم - النَّبَّيْنِ حين ضَرَبَ المثل بهما ؛ لأن نورهما محسوسٌ ، والنورُ الذي جاء به من عند الله - وهو الذي أرادوه على تركه - هو لا مَحَالَةَ أَشْرَفُ من النور المخلوق ، قال الله سبحانه : ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ ﴾ التوبة : ٣٣ . فاقتضت بلاغة النبوة - لما أرادوه على ترك النور الأعلى - أن يقابله بالنور الأدنى ، وأن يخص أعلى النيرين ، وهي الآية المْبَصِرَةُ بأشرف الديدن ، وهي النبي بلاغةً لامثلها ، وحكمة لا يجهل اللبيب فضلها .

البداء :

وقول ابن إسحاق : ظن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن قد بدا لعمه بداء ، أي : ظهر له رأى ، فسمى الرأى بداء ، لأنه شئ يبدو بعد ما خفى ، والمصدر

(١) لم يروه أحد من أصحاب الصحاح .

البَدَاءُ^(١) والبُدْءُ، والاسم: البَدَاءُ، ولا يقال في المصدر: بدا له بُدْءٌ، كما لا يقال: ظهر له ظهورٌ بالرفع؛ لأن الذي يظهر، ويبدو هاهنا هو الاسم: نحو البَدَاءِ وأنشد أبو علي:

لعلك والموعودُ حَقٌّ وفَاوُهُ بدالك في تالك القُلُوصِ بَدَاءُ^(٢)

ومن أجل أن البُدْءُ هو الظهور، كان البَدَاءُ^(٣) في وصف الباري - سبحانه - محالاً؛ لأنه لا يبدو له شيء كان غائباً عنه، والنسخُ للحكم ليس ببداء كما توهمت الجملة من الرافضة واليهود، إنما هو تبديل حكم بحكم بقدر قدره، وعلم علمه، وقد يجوز أن يقال: بدا له أن يفعل كذا، ويكون معناه: أراد. وهذا من المجاز الذي لا سبيل إلى إطلاقه إلا بإذن من صاحب للشرع، وقد صح في ذلك ما خرجه البخاري في حديث الثلاثة: الأعمى والأفروع

(١) ليس لما قيل من قبل عن وضع الشمس والقمر سند صحيح، فكيف يقيم عليه كل هذا؟

(٢) القُلُوص من الإبل: الشابة، والبيت من أبيات ذكرها أبو علي القالي في أماليه ص ٧١ ط ٢ غير منسوبة إلى أحد، وهي قول رجل وعد رجلاً قُلُوصاً فأخلفه. ونقل البكري في السمط ص ٧٠ عن أبي عمرو الشيباني أنها لرجل من مزينة، وذكر الأستاذ الميمنى في تحقيقه للسمط أنها لمحمد بن بشير الخارجي كما ورد في الأغاني

(٣) الشيعة هم القائلون بالبدا، وله معان - كما يقول الشهرستاني - (البدا في العلم، وهو أن يظهر له صواب على خلاف ما أراد وحكم، والبدا في الأمر وهو أن يأمر بشيء ثم يأمر بعبه بخلاف ذلك) وهذا محال على الله سبحانه أن يرى شيئاً، ثم يظهر له أن الأمر بخلاف ما رأى، فانه بكل شيء عليم.

والأبرص ، وأنه عليه السلام قال : بدا لله أن يبتليهم ، فبدا هنا بمعنى : أراد ، وذكرنا الرافضة ، لأن ابن أعين ، ومن اتبعه منهم ، يجوزون البداء على الله تعالى ، ويجعلونه والنسخ شيئاً واحداً ، واليهود لا تجيز النسخ يحسبونه بداءً ، ومنهم من أجاز البداء كالرافضة ، ويروى أن علياً - رحمه الله - صلى يوماً ، ثم ضحك فسئل عن ضحكته فقال : تذكرت أبا طالب حين فرضت الصلاة ، ورآني أصلي مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم بنخلة^(١) فقال : ما هذا الفعل الذي أرى ، فلما أخبرناه ، قال : هذا حسن ، ولكن لا أفعله أبداً ، لا أحب أن تعلموني استحي فتذكرت الآن قوله ، فضحكت .

عرصة قريش على أبي طالب :

فصل : وذكر قول الأملأ من قريش لأبي طالب : هذا عمارة بن الوليد أشهد فتى في قريش ، وأجله ، نخذه مكان ابن أخيك . أشهد . أي : أقوى وأجله ، ويقال : فرس ههذ للذي يتقدم الخيل ، وأصل هذه الكلمة : التقدم ، ومنه يقال : ههذ ثدي الجارية ، أي : برز قدماً . وعمارة بن الوليد هذا المذكور هو : الذي أرسلته قريش مع عمرو بن العاص إلى أرض الحبشة فسُجِر هناك ، وجن ، وسنزيد في خبره شيئاً بعد هذا إن شاء الله .

(١) نخلة: أما كن متعددة منها : نخلة محمود ، وهو موضع بالحجاز قريب من مكة فيه نخيل وكروم ، ونخلة الشامية ، وهي ذات عرق وأعلى نخلة ذات عرق ، وهي لبنى سعد الذين أرضعوا النبي صلى الله عليه وسلم ، ونخلة اليمانية واد يصب فيه يدعان به مسجد للنبي .

وذكروا أن أبا طالب قال لهم حين سألوه أن يأخذ غمارة بدلا من محمد صلى الله عليه وسلم : أرايتم ناقة تحن إلى غير فصيلها وترأى أمه (١) لا أعطيك ابنى تقتلونه أبداً ، وأخذ ابنكم أكفله ، وأغذوه ، وهو معنى ما ذكر ابن إسحاق قال ابن إسحاق فحَقَّب الأمرُ عند ذلك ، يريد : اشتد ، وهو من قولك : حَقَّب البعير إذا راغ عنه الحَقَب من شدة الجهد والنصب ، وإذا عسر عليه البول أيضا لشد الحَقَب (٢) على ذلك الموضع ، فيقال منه : حَقَّب البعير ، ثم يستعمل في الأمر إذا عَسِرَ ، وكذلك قوله : فَشَرَى الأمر عند ذلك ، أى : انتشر الشر ، ومنه الشَّرَى ، وهى قروح تنتشر على (٣) البدن ، يقال منه : شَرَى جلدُ الرجل ، يَشْرَى شَرَى .

(١) رثم الجرح بكسر الهمزة انضم والتأم ، رثمت الانثى ولدها رأما ورأمانا فورثمانا أحبته وعطفته عليه .

وينسب إلى أبى طالب أنه قال للنبي هذا الشعر :

والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أوسد في التراب دفيننا
فأصدع بأمرك ما عليك غضاضة وابشر بذلك وقر منه عيمونا
ودعوتنى وزعمت أنك ناصحى ولقد صدقت ، وكنت ثم أميننا
وعرضت ديننا لا بحالة أنه من خير أديان البرية ديننا
لولا الملامة ، أو حذار مسبة لوجدتني سمحا بذلك مييننا

انظر المواهب ص ٢٤٨ .

(٢) الحزام يلى حقو البعير ، أو حبل يشد به الرجل في بطنه

(٣) عرفها القاموس بقوله : بشور صفار حمر حكاكة مكربة تحدث دفعة

غالبا . وتشتد ليلا .

شعر أبي طالب :

فصل : وذكر شعر أبي طالب :

أَلَا قُلْ لِّعَمْرٍو وَالْوَلِيدِ . إِلَى آخِرِ الشَّعْرِ

وفيه :

أَلَا لَيْتَ حَظِّي مِنْ حَيَاتِكُمْ ^(١) بَكَرٍ

أى : إن بكرا من الإبل أنفع لى منكم ، فليته لى بدلا من حياطتكم
كما قال طرفة فى عمرو بن هند :

فَلَيْتَ لَنَا مَكَانَ الْمَلِكِ عَمْرٍو رَغُوثًا ^(٢) حَوْلَ قُبَيْنَا تَمْخُورِ

وقوله : من الْخُورُ حَبَابُ . الْخُور ^(٣) الضَّعَافُ ، وَالْحَبَابُ بِالْحَاءِ ::

الضعيف . وفى حاشية كتاب الشيخ أبى بحر : حَبَابٌ ^(٤) بِالْجِيمِ ، وَفُسِّرَ فَقَالَ : هُوَ
السَّكِينُ الْهَذَرُ ، وَفِي الشَّعْرِ :

إِذَا مَا عَلَا الْفَيْئَاءُ قِيلَ لَهُ : وَزُرْ

أى يُشَبَّهُ بِالْوَزْرِ لضعفه ، ويحتمل أن يكون أراد : يَضْفَرُ فى العين لملو
للسكان وبعده ، وَالْفَيْئَاءُ قَمَلَاءُ ، وَلَوْلَا قَوْلُهُم : الْفَيْئُ ، لَكَانَ حمله عَلَى بَابِ

(١) فى رواية ، حفاظكم ، والحفاظ الغضب ص ٨٢ الحشنى

(٢) الرغوث هى كل مرضعة وفى الاصل : ليت

(٣) جمع أخور

(٤) وتروى بالحاء . الضعيف

القَضَمَاصِ والجَرْجَارِ أُولَى (١) ، ولكن سُمِعَ النَّفِيفُ ، فلم أن الألفين .
زائدتان (٢) ، وأنه من باب قَيَاقٍ وسَلَسٍ الذى ضوعفت فيه فاء الفعل دون
عَيْنِهِ ، وهى ألفاظ يسيرة نحو قَلَقٍ وسَلَسٍ وثُلُثٍ وسُدُسٍ (٣) ، وقد اذعنينا بجمعها
من الكلام ، ولعل لها موضعا تذكر فيه من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى ،
ولا تكون ألف فيفاء للإلحاق فيصرف ؛ لأنه ليس فى الكلام : فَعْلَالٌ ، فإن
قيل : يكون ماحقا بقَضَمَاصٍ وبابه ، قلنا : قَضَمَاصٌ ثنائى مضاعف ، فلا يلحق
به الثلاثى ، كما يلحق الرباعى بالثلاثى ، ولا الأكثر بالأقل (٤) ، وقد حكى

(١) القَضَمَاصُ : أشنان الشام ، أو شجر من الحمض ، والأسد ، ويضم
وليس فعلا - يضم الفاء - سواه ، والجَرْجَارُ كالقرقار : نبت ، ومن الإبل :
الكثير الصوت .

(٢) فى اللسان ، بالنيف استدلال سيبويه على أن ألف فيفاء زائدة ، وفيه عن
المبرد : « ألف فيفاء زائدة لأنهم يقولون : فيف ، وفى شرح الشافى للرضى
« والألف فى النيفاء زائدة لقولهم : فيف بمعناه وكذلك الزبوا والصيصاء إذ ليس
فى الكلام فعلا » بكسر الفاء وسكون العين إلا مصدرا كزلزال ، ص ٣٧٢ ٣٦٣
مطبعة حجازى والزبوا بالفتح والكسر ما غلظ من الارص ، والصيصاء :
الحشف من التمر ، أو حب الحنظل ليس فى جوفه لب .

(٣) إذا ضبط ثلث وسدس على أنها فعلا كانا بفتح الفاء والعين ، ومن
الاسماء بما هو كذلك : دعد واورت وطوط « الحبة وغير ذلك »

(٤) معنى الإلحاق فى الاسم والفعل أن تزيد حرفا أو حرفين على تركيبه
زيادة غير مطردة فى إفادة معنى : ليصير ذلك التركيب بتلك الزيادة مثل كلمة
أخرى فى عدد الحروف وحركاتها المعينة والسكنات ، كل واحد فى مثل مكانه
فى الملحق بها ، وفى تصاريفها : من الماضى والمضارع والأمر والمصدر واسم الفاعل
واسم المفعول إن كان الملحق به فعلا رباعيا ، ومن التصغير والتكسير إن كان

فيقفاة بالقصر وليست ألنهما للتأنيث ، إذلا يجمع بين علامتي تأنيث ، فهي إذا من باب أرطاة ونحوها (١) ، كأنها ملحقة بسلمية (٢) . وفي الشعر :

كأ جرّ بجمت من رأس ذي علق صخر . وترك صرف علق ، إما لأنه جعله اسم بقعة ، وإما لأنه اسم علم ، وترك صرف الاسم العلم سائغ في الشعر ، وإن لم يكن مؤنثا ولا أعجميا نحو قول عباس بن مرداس :

وما كان حصن ولا حابس يفوقان مرداس في الجمع
ونحو قول الآخر :

يامن جفاني وملا نسيت أهلا وسهلا
ومات مزحبا لما رأيت مالى قلا

= الملحق به اسماء رباعيا لاختاسيا ، وفائدة الإلحاق أنه ربما يحتاج في تلك الكلمة إلى مثل ذلك التركيب في شعر أو سجع ص ٥٢ ج ١ شرح شافية ابن الحاجب لرضي الدين الاسترأبادي . م حجازي ، وانظر ص ١٢ المنصف شرح ابن جني لكتاب التصريف لأبي عثمان المازني .

(١) شجرة ثمرها مر تأكلها الإبل ، وألفها للإلحاق ، فتنون نكرة لامعرفة أو ألفها أصلية ، فتنون دائم ، أو ووزنها أفعول وموضعها المعتل . والقاموس ، وفي اللسان مادة رطا : الأرضي شجر من شجر الرمل ، وهو أفعول من وجه ، وفعل من وجه ، لأنهم يقولون : أديم مأروط إذا دبغ بورقه ، ويقولون : أديم مرطى ، والواحدة : أرطاة ، ولحق تاء التأنيث فيه يدل على أن الالف فيه ليست للتأنيث ، وإنما هي للإلحاق ، أو بنى الاسم عليها

(٢) السلمية : الجسيمة من الفساء

فلم يصرف مَرَحَبًا ، وسيأتى فى هذا الكتاب شواهد كثيرة على هذا ،
ونشرح العلة فيه إن شاء الله تعالى ^(١) ، ولوروى : من رأس ذى علقى الصخر

(١) يقول ابن مالك فى الالفة :

ولا يضطرار أو تناسب صرف ذو المنع والمصرف قد لا ينصرف
وبقول الأشموى فى شرحه لها إن الكوفيين أجازوا منع المصرف
من الصرف للضرورة ، وأباه سائر البصريين ، والصحيح : الجواز ،
واختاره الناظم - يعنى ابن مالك اثبتت سماعه ، وقد فصل بعض المتأخرين بين ما فيه
علية ، فأجاز منعه لوجود إحدى علتين ، وبين ما ليس كذلك ، فصرفه وبؤيده أن
ذلك لم يسمع إلا فى العلم ، وأجاز قوم منهم : ثعلب ، وأحمد بن يحيى منع صرف
المنصرف اختياراً ص ٢٢٤ ج ٣ ط الأزهرية . وقد ذكر ابن هشام أن من
البصريين من أجاز ذلك ، وهما الأخفش والفارسي وأن من الكوفيين من منع ذلك
وهو أبو موسى الحامض من شيوخ الكوفيين وقد حكى الفخر الرازى عن أكثر
الكوفيين والاختش أن السبب الواحد يمنع من الصرف ، ولم يفرق بين العلية
وغيرها انظر ص ٢٢٨ ج ٢ من كتاب شرح التصريح على التوضيح ط
التجارية ، وقد رد الدوشرى المذهب الذى حكاه الفخر ؛ لأن الأصل فى الاسماء أن
تكون منصرفة . المصدر السابق الحاشية بهامشه للعليمى الحمصى . ومن الأبيات
التي ورد فيها منع المصرف :

طلب الأزارق بالكتائب إذ هوت بشيب غائلة النفوس غدور
فنع صرف شيب وهو علم مصرف وهو شيب بن يزيد رأس الخوارج
الأزارقة ، وفاعل طلب ضمير يعود على سفيان نائب الحجاج ومثله :
وقائلة ما بال دوسر بعدنا صحا قلبه عن آل ليلى وعن هند
من معانى قصيدة أبى طالب : حجاب : من معانيها : قصير ، أو الجبل
الضئيل . وتروى بالحاء أيضاً : الضعيف . هما أغمرنا للقوم : أى سبيلهم الطعن فيهم
تجرىم : سقط وانحدر . ذو علق : جبل فى ديار بنى أسد . والصفر : الخالى
من الآنية وغيره . إلا أن يرس له ذكر : أن يذكر ذكر اخنيا . من نسلنا =

بحذف التنوين لالتقاء الساكنين ، لكانَ حَسَنًا ، كما قُرِئَ : قل : هو الله أحدٌ ،
الله الصَّمَدُ » بحذف التنوين من أحد ، وهي رواية عن أبي عمرو بن العلاء ،
وقال الشاعر :

حميد الذي أوج داره

وقال آخر :

ولا ذا كرُّ الله إلا قليلا

وأنشد قول أبي طالب :

إذا اجتمعت يوما قُرَيْشٌ لِمَفْخَرٍ فَعَبْدُ مَنْافٍ سِرُّهَا وَصِيْمُهَا
قوله : سرها أى : وَسَطُهَا ، وسر الوادى وَبَرَارَتُهُ : وَسَطُهُ ، وقد تقدم .
متى يكون الوسط مدحا ، وأن ذلك فى موضعين : فى وصف الشهود ، وفى
النسب ، وبَيَّنَّا السر فى ذلك .

وقال فى القصيدة : ونضرب عن أحجارها مَنْ يرومها . أى ندفع عن
حصونها ومعاقلها ، وإن كانت الرواية : أحجارها بتقديم الجيم ، فهو جمع جُحْرٍ
والجُحْر هنا مُسْتَعَار ، وإنما يريد عن بيوتها ومساكنها^(١) .

== شفر : أى : أحد ، يقال : ما بالدار أحد ، وما بها شفر ، وما بها كتيع ، وما بها
عريب ، وما بها ذبيح ؛ وما بها نافخ صرمة كلها بمعنى واحد . أى ما بها أحد .

(١) من معانى القصيدة غث : يعنى ليس له نسبة هنالك . وأصل الغث :
اللحم الضعيف . طاشت حلومها : ذهبت عقولها . انتعش العود الذواء : حيى .
وظهرت فيه الحضرة ، وأصل نعش : رفع . والعود الذواء الذى جفت رطوبته .
الاكتاف : النواحي . وأرومها : جمع أرومه : الأصل . انظر ص ٨٣ ،
وما بعدها لآبى ذر الحشنى فى شرح السيرة

موقف الوليد بن المغيرة من القرآن

ثم إن الوليد بن المغيرة اجتمع إليه نفرٌ من قريش - وكان ذا سنٍ فيهم ، وقد حضر الموسم ، فقال لهم : يا معشر قريش ، إنه قد حضر هذا الموسم ، وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه ، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا ، فأجمعوا فيه رأياً واحداً ، ولا تختلفوا ، فيكذب بعضكم بعضاً ، ويرد قولكم بعضه بعضاً ، قالوا : فانت يا أبا عبد شمس ، فقل ، وأقم لنا رأياً نقول به ، قال : بل أنتم ، فقولوا أنتم ، قالوا : نقول : كاهن ، قال : لا والله ما هو بكاهن ، لقد رأينا الكهان ، فما هو بزمنة الكاهن ولا سجنه ، قالوا : فنقول : مجنون ، قال : ما هو بمجنون ، لقد رأينا الجنون وعرفناه ، فما هو بخنفة ، ولا تخالجه ، ولا وسوسته ، قالوا : فنقول : شاعر ، قال : ما هو بشاعر ، لقد عرفنا الشعر كاه : رجزه وهزجه وقريضه وقبوضة ومبسوطه ، فما هو بالشعر ، قالوا : فنقول : ساحر ، قال : ما هو بساحر ، لقد رأينا السحار وسحرهم ، فما هو بنفثهم ولا عقدم ، قالوا : فما نقول يا أبا عبد شمس ؟ قال : والله إن لقوله لحلاوة ، وإن أصله لعذق ، وإن قرعته لجناة - قال ابن هشام : ويقال : لعذق - وما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عُرِف أنه باطل ، وإن أقرب القول فيه لأن تقولوا : ساحر ، جاء بقول هو سحر يُفَرِّق به بين المرء وأبيه ، وبين المرء وأخيه ، وبين المرء وزوجته ، وبين المرء وعشيرته . فتفرقوا عنه بذلك ، فجعلوا يجلسون يسُبل الناس حين قدموا للموسم ، لا يمر بهم أحدٌ إلا حذروه إياه ، وذكروا لهم أمره .

مانزل في حق الوليد من القرآن :

فأنزل الله تعالى في الوليد بن المغيرة ، وفي ذلك من قوله : « ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً ، وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْدُوداً وَبَنِينَ شُهُوداً ، وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيداً ، ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ، كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيداً » المذثر : ١١-١٦ أي خصباً .

قال ابن هشام : عنيدا : معاند مخالف . قال رؤبة بن العجاج :

ونحن ضَرَّابُونَ رَأْسَ الْعُنْدِ

وهذا البيت في أرجوزة له :

« سَأَرْهَقُهُ صَعُوداً ، إِنَّهُ فَسَكَرَ وَقَدَّرَ ، فُقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ .
ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ . ثُمَّ نَظَرَ ، ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ » المذثر : ١٧ : ٢٢

قال ابن هشام : بسر : كره وجهه . قال العجاج :

مُضَبَّرَ اللَّاحِثِينَ بَسْرًا وَمِنْهَا

يصف كراهية وجهه . وهذا البيت في أرجوزة له :

« ثُمَّ أَذْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ فَقَالَ : إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ ، إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ » . المذثر : ٢٣ - ٢٥ .

قال ابن إسحاق : وأنزل الله تعالى : في رسوله - صلى الله عليه وسلم - وفيما جاء به من الله تعالى ، وفي النفر الذين كانوا معه يُسْتَفَنون القول في رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفيما جاء به من الله تعالى : « كما أنزلنا على الْمُقَدِّسِينَ .

الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ . فَوَرَبِّكَ لَنَسْتَلَنَّكُمْ أَجْمِينَ . عَمَّا
كَانُوا يَعْمَلُونَ « الحجر : ٩٠ — ٩٣

قال ابن هشام : واحدة المضين : عِضَّة ، يقول : عَضَّوه : فرقوه . قال .
روية بن العجاج :

وليس دينُ اللهِ بالمُعَضَّى

وهذا البيت في أرجوزه له .

قال ابن إسحاق : فجعل أولئك النفرُ يقولون ذلك في رسول الله - صلى
الله عليه وسلم - لِمَنْ لَقُوا من الناس ، وصدرت العربُ من ذلك الموسم بأمر
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فانتشر ذكره في بلاد العرب كلها .

أبو طالب يفخر بنفسه وابن أخيه

فلما خشي أبو طالب دهاء العرب أن يركبوه مع قومه ، قال قصيدته التي
تَعَوَّدَ فيها بِحَرَمِ مَكَّةَ وبمكانه منها ، وتودَّدَ فيها أَشْرَافَ قومه ، وهو على ذلك
يُخَبِّرُهُمْ وَيُغَيِّرُهُمْ فِي ذَلِكَ مِنْ شَعْرِهِ أَنَّهُ غَيْرُ مُسْلِمٍ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه
وسلم - ولا تاركة لشيء أبداً حتى يهلك دونه ، فقال :

ولَمَّا رَأَيْتُ الْقَوْمَ لَاوُدَ فِيهِمْ وَقَدْ قَطَعُوا كُلَّ الْعُرَى وَالْوَسَائِلِ
وَقَدْ صَارَحُونَا بِالْمَدَاوَةِ وَالْأَذَى وَقَدْ طَاوَعُوا أَمْرَ الْعَدُوِّ الْمُزَايِلِ
وَقَدْ حَالَفُوا قَوْمًا عَلَيْنَا أَظْنَةً يَعْصُونَ غَيْظًا خَلَفْنَا بِالْأَمَلِ

صَبَرْتُ لَهُمْ نَفْسِي بِسَمْعٍ سَمِجَةٍ
وَأَحْضَرْتُ عِنْدَ الْبَيْتِ رَهْطِي وَإِخْوَتِي
قِيَامًا مَعَ مُسْتَقْبِلِينَ رِتَاجَهُ
وَحَيْثُ يُنْبِخُ الْأَشْعُرُونَ رِكَابَهُمْ
مَوْسِمُ الْأَعْضَادِ ، أَوْ قَصَرَاتِهَا
تَرَى الْوَدْعَ فِيهَا ، وَالرُّخَامَ وَزِينَتَهُ
أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مِنْ كُلِّ طَاعِنٍ
وَمِنْ كَاشِحٍ يَسْعَى لَنَا بِمَعِيَّةٍ
وَقَوَرٍ ، وَمَنْ أَرَسَى ثَبِيرًا مَكَانَهُ
وَبِالْبَيْتِ ، حَقَّ الْبَيْتِ ، مِنْ بَطْنِ مَكَّةَ
وَبِالْحَجَرِ الْمُسَوَّدِ إِذْ يَمْسَحُونَهُ
وَمَوْطِيءِ إِبْرَاهِيمَ فِي الصَّخْرِ رَطْبَةً
وَأَشْوَاطٍ بَيْنَ الْمَرَوْتَيْنِ إِلَى الصَّفَا
وَمَنْ حَجَّ بَيْتَ اللَّهِ مِنْ كُلِّ رَاكِبٍ
وَبِالْشَّمْرِ الْأَقْصَى إِذَا عَمَدُوا لَهُ
وَتَوَقَّافِهِمْ فَوْقَ الْجِبَالِ عَشِيَّةَ
وَلَيْلَةٍ جَمْعٍ وَالْمَنَازِلِ مِنْ مَنِي
وَجَمْعٍ إِذَا مَا الْمُقَرَّبَاتِ أَجْزَنَهُ

وَأَبْيَضَ عَضْبٍ مِنْ تَرَاثِ الْمَقَاوِلِ
وَأَمْسَكَتُ مِنْ أَثْوَابِهِ بِالْوَصَائِلِ
لَدَى حَيْثُ يَقْضَى حَلْفُهُ كُلُّ نَافِلٍ
بِمُقْضَى السُّيُولِ مِنْ إِسَافٍ وَنَائِلٍ
مُخَيَّسَةً بَيْنَ السَّدِيسِ وَبَازِلِ
بِأَعْنَاقِهَا مَعْقُودَةً كَأَنَّا كُلَّ
عَلَيْنَا يَسُوءُ ، أَوْ مُلِحَّ بِيَاظِلِ
وَمِنْ مُلْحِقٍ فِي الدِّينِ مَا لَمْ يُحَاوِلِ
وَرَاقٍ لِيَلْزُقَ فِي حِرَاءٍ وَنَازِلِ
وَبِاللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِغَافِلٍ
إِذَا اكْتَشَفُوهُ بِالصُّحَى وَالْأَصَائِلِ
عَلَى قَدَمَيْهِ حَافِيَا غَيْرَ نَاعِلِ
وَمَا فِيهِمَا مِنْ صُورَةٍ وَتَمَائِلِ
وَمِنْ كُلِّ ذِي نَذْرٍ وَمِنْ كُلِّ رَاكِبٍ
إِلَّالِ إِلَى مُقْضَى الشَّرَاجِ الْقَوَائِلِ
يُقِيمُونَ بِالْأَيْدِي صُدُورَ الرِّوَاكِلِ
وَهَلْ فَرَقَهَا مِنْ حُرْمَةٍ وَمَنَازِلِ
سِرَاعًا كَمَا يَخْرُجْنَ مِنْ وَقْعٍ وَابِلِ

وبالجُمرة الكبرى إذا صمدوا لها
 وكفدة إذ هم بالحِصَاب عَشِيَّة
 حليفان شداً عَقْدَ ما اختلفا له
 وحطَمِهِمْ سَمَرُ الرِّمَاحِ وَسَرَحُهُ
 فهل بعد هذا من مَعَاذٍ لِعَاذٍ
 يُطَاعُ بنا أَمْرُ العِدَا وَدَ أَنَا
 كَذِبُكُمْ وَيَتِ اللهُ تَرْكُ مَكَّةَ
 كَذِبُكُمْ - وَيَتِ اللهُ - بُزَيَّ مُحَمَّدًا
 وَنُسْلُهُ حَتَّى نُصْرَعَ حَوْلَهُ
 وَيَنْهَضَ قَوْمٌ فِي الحَدِيدِ إِلَيْكُمْ
 وَحَتَّى تَرَى ذَا الضَّمَنِ يَرْكَبُ رَدْعَهُ
 وَإِنَّا - لَعَمْرُ اللهِ - إِنْ جَدَّ مَا أَرَى
 بِكَفِّيَ قَتَى مِثْلَ الشَّهَابِ سَمِيدَع
 شُهُورًا وَأَيَّامًا وَحَوْلًا مُجَرَّمًا
 وَمَاتَرَكُ قَوْمٍ - لَا أَبَالَكَ - سَيِّدًا
 وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الغَنَامُ بِوَجْهِهِ
 يُلَوِّذُ بِهِ الْهَلَاكُ مِنْ آلِ هَاشِمٍ
 لَعَمْرِي لَقَدْ أَجْزَى أَسِيدٌ وَبَكَرُهُ
 يَوْمُونَ نَذَفًا رَأْسَهَا بِالْجَنَادِ
 تُجْزِيهِمْ حُجَّاجُ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ
 وَرَدًّا عَلَيْهِ عَاطِفَاتُ الْوَسَائِلِ
 وَشِبْرَقُهُ وَخَذَ النِّعَامِ الْحَوَامِلِ
 وَهَلْ مِنْ مُعِيذٍ يَتَّقِي اللهُ عَاذِلِ
 تُسَدُّ بنا أَبْوَابُ تَرْكٍ وَكَابِلِ
 وَنُطْقِنِ إِلَّا أَمْرُكُمْ فِي بِلَالِ
 وَلَمَّا مُطَاعِنِ دُونَهُ وَنُفَاضِلِ
 وَنَذْهَلِ عَنْ أَبْنَائِنَا وَالْحَلَالِ
 نُهُوضِ الرَّوَايَاتِ حَتَّى ذَاتِ الصَّلَاحِ
 مِنَ الطَّعْنِ فَعَلِ الْأَنْكَابِ الْمُتَحَامِلِ
 لَتَلْتَدِسْنَ أَسْيَافُنَا بِالْأُمَامِلِ
 أَخِي ثَقَّةٍ حَامِي الْحَقِيقَةِ بَاسِلِ
 عَلَيْنَا وَتَأْتِي حِجَّةٌ بَعْدَ قَابِلِ
 يَحُوطُ الدَّمَارَ غَيْرَ ذَرْبٍ مُوَائِلِ
 نِمَالِ الْيَتَامَى عِصْمَةً لِلْأُرَامِلِ
 فَهُمْ عِنْدَهُ فِي رَحْمَةٍ وَقَوَاضِلِ
 إِلَى بُغْضِنَا وَجَزَائِنَا لَا كَلِ

وعثمانُ لم يَرَبِّعَ علينا وفُفِّدُ
أطاعا أُنبياءَ، وابنَ عَبدِ يَغُوثِهِم
كما قد لَقِينَا مِنْ سُبَيْعٍ وَنَوَفلِ
فإن يُلَفِّيا، أو يُمَكِّنِ اللهُ مِنْهُما
وذاك أبو عمرو أبى غيرُ بُغضنا
يُنَاجِي بِنَا فى كُلِّ مُنْسى وَمُضْبِحِ
ويُؤَلِّى لَنَا بِاللَّهِ ما إِنْ يَغُشُّنا
أضاقَ عَلَيْهِ بُغْضُنا كُلَّ نَلْمَةٍ
وسائِلُ أبا الوليدِ ما ذا حَبَوْنَا
وَكُنْتَ امْرَأَ مِمَّنْ يُعَاشِ بِرَأْيِهِ
فَعُتِبَتْهُ لا تَسْمَعُ بِنَا قَوْلَ كاشِحِ
وَمَرَّ أَبُو سُفْيَانَ عَنِّي مُعْرِضاً
يَفِرُّ إِلَى نَجْدٍ وَبَرْدٍ مِيَاهِهِ
ويُخْبِرُنَا فَعَلَ الْمُناصِحِ أَنَّهُ
أُمُطِّعُ لَمْ أَخْذُلْكَ فى يَوْمِ نَجْدَةٍ
ولا يَوْمَ خُفِّمَ إِذْ أَتَوْكَ أَلِدَةً
أُمُطِّعُ إِنْ الْقَوْمَ ساموكَ خُطَّةَ
جَزَى اللهُ عَنَّا عَبدَ شَمْسٍ وَنَوَفلًا
ولكن أَطاعا أَمَرَ تِلْكَ القَبائِلِ
ولم يَرُقُّبا فِينا مَقالةً قائلِ
وَكُلُّ نَوَلٍ مُعْرِضاً لَمْ يُجَامِلِ
نَكِلَ لَهَا صاعاً بِصاعِ المُكَايِلِ
لِيُظْعِنُنَا فى أَهْلِ شَاءَ وَجَامِلِ
فَنَاجِ أبا عَمْرٍ بِنَا ثُمَّ خَانِلِ
بلى قد تَرَاهُ جَهْرَةً غيرَ حائلِ
مِنَ الأَرْضِ بَيْنَ أَخْشَبٍ قَمَجادِلِ
بَسْعِيكَ فِينا مُعْرِضاً كَالْمُخَانِلِ
وَرَحْمَتِهِ فِينا وَلَسْتَ بِجَاهِلِ
حَسودٍ كَذُوبٍ مُبْغِضِ ذى دَعَاوِلِ
كأَمْرٍ قَئِيلٍ مِنْ عِظامِ المَقَاوِلِ
ويزْعُمُ أَنى لَسْتُ عَنْكُمْ بِغافِلِ
شَفِيقٌ، وَيُخْفِ عَارِمَاتِ الدَّوَاحِلِ
ولا مُعْظِمَ عِنْدَ الأُمُورِ الجَلالِ
أولى جَدَلٍ مِنَ الخُصُومِ المَساجِلِ
وإِنى مَتى أُوَكِّلَ فَدَسْتُ بَوائِلِ
عُقُوبَةٍ شَرِّ عَاجِلٍ غَيْرِ آجِلِ

بميزان قِسْطٍ لَا يُخْسِرُ شَعِيرَةً له شاهدٌ من نفسه غير عائل
 لقد سَفَهَتْ أَحْلَامُ قَوْمٍ تَبَدَّلُوا بنى خَلْفَ قَيْصًا بِنَا وَالْقِيَا طَل
 وَنَحْنُ الصَّمِيمُ مِنْ ذُوَابَةِ هَاشِمٍ وَآلِ قُصَيٍّ فِي الْخُطُوبِ الْأَوَائِلِ
 وَسَنَهُمْ وَنَحْزُومَ تَمَالَوْا وَالْبُؤَا عَلَيْنَا الْعِدَا مِنْ كُلِّ طَمَلٍ وَخَامِلِ
 فَعَبِدَ مَنَافَ أَنْتُمْ خَيْرُ قَوْمِكُمْ فَلَا تُشْرِكُوا فِي أَمْرِكُمْ كُلَّ وَاعِلِ
 لَعْمَرَى لَقَدْ وَهَمْتُمْ وَعَجَزْتُمْ وَجِئْتُمْ بِأَمْرِ مُخْطِئٍ لِلْمَفَاصِلِ
 وَكُنْتُمْ حَدِيثًا حَطَبَ قَدْرُ وَأَنْتُمْ أَلَا نَحِطَابُ أَفْذَرٍ وَمَرَاجِلِ
 لَيْتَنِي بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ عُقُوقُنَا وَخِذْلَانُنَا، وَتَرْكُنَا فِي الْعَمَاقِلِ
 فَإِنَّ نَكَ قَوْمًا تَنْتَرِ مَا صَنَعْتُمْ وَتَحْتَلِبُوهَا لِقَحَّةٍ غَيْرَ بَاهِلِ
 وَسَائِطُ كَانَتْ فِي لَوْئِيٍّ بَنٍ غَالِبِ نَفَاهُ إِلَيْنَا كُلُّ صَقَرٍ حُلَاحِلِ
 وَرَهْطُ نَقِيلٍ شَرُّ مَنْ وَطِئَ الْحَصَى وَأَلَامُ حَافٍ مِنْ مَعَدٍّ وَنَاعِلِ
 فَأَبْلَغُ قُصَيًّا أَنْ سَيُنْشِرَ أَمْرُنَا وَبَشَّرُ قُصَيًّا بَعْدَنَا بِالتَّخَاذِلِ
 وَلَوْ طَرَقَتْ لَيْلًا قُصَيًّا عَظِيمَةً إِذَا مَا لَجَانَا دُونَهُمْ فِي الْعَمَادِلِ
 وَلَوْ صَدَقُوا عَمْرًا بِأَخِلَالِ بِيوتِهِمْ لَكُنَّا أَسَى عِنْدَ النِّسَاءِ الْمَطَافِلِ
 فَكُلُّ صَدِيقٍ وَابْنِ أُخْتٍ نَعُدُّهُ لَعْمَرَى - وَجَدْنَا غَيْبَهُ غَيْرَ طَائِلِ
 سِوَى أَنْ رَهْطًا مِنْ كِلَابِ بَنٍ مُرَّةٍ بَرًّا إِلَيْنَا مِنْ مَعَقَّةٍ خَاذِلِ
 وَهَنَا لَهُمْ حَتَّى تَبَدَّدَ جَمْعُهُمْ وَيَحْمُرَ عَنَّا كُلُّ بَاغٍ وَجَاهِلِ
 وَكَانَ لَنَا حَوْضُ السَّقَايَةِ فِيهِمْ وَنَحْنُ الْكُدَى مِنْ غَالِبٍ وَالْكَوَاهِلِ

شَبَابٍ مِنَ الْمُطَيَّبِينَ وَهَاشِمٍ
فَمَا أَدْرَكُوا ذَخْلًا وَلَا سَفَكًا
وَادَمًا
بَضْرٍ تَرَى الْفَتَيَانَ فِيهِ ، كَانَهُمْ
بَنِي أُمَّةٍ مَحْبُوبَةٍ هِنْدٍ كَيَّةٍ
وَلَكِنَّمَا نَسْلٌ كِرَامٌ لِسَادَةٍ
وَنَعَمْ ابْنُ أُخْتِ الْقَوْمِ غَيْرُ مُكَذَّبٍ
أَشْمٌ مِنَ الشَّيْءِ الْبَهَائِلِ يَنْتَمِي
لَعَمْرِي لَقَدْ كَلِفْتُ وَجَدًا بِأَحْمَدٍ
فَلَا زَالَ فِي الدُّنْيَا جَالًا لِأَهْلِهَا
فَمَنْ مِثْلُهُ فِي النَّاسِ أَيْ مُؤَمِّلٍ
حَلِيمٍ رَشِيدٍ عَادِلٍ غَيْرُ طَائِشٍ
غَوَالِهُ لَوْلَا أَنْ أَجِءَ بِسَبَّةٍ
لَكُنَّا انْبِعَانَاهُ عَلَى كُلِّ حَالَةٍ
لَقَدْ عَلِمُوا أَنْ أَبْنَانَا لَا مُكَذَّبُ
فَأَصْبَحَ فِينَا أَحَدٌ فِي أَرْوَمَةِ
حَدِثُ بِنَفْسِي دُونَهُ وَحَمِيَّتُهُ
فَأَيْدَهُ رَبُّ الْعِبَادِ بِنَقَرِهِ
رَجَالٌ كِرَامٌ غَيْرُ مِيلٍ نَمَاهُمْ

كَبِيضِ السُّيُوفِ بَيْنَ أَيْدِي الصَّيَاقِلِ
وَلَا حَالَفُوا إِلَّا شِرَارَ الْقَبَائِلِ
ضَوَارِي أَسُودَ فَوْقَ لَحْمٍ خَرَادِلِ
بَنِي جُحَجٍ عُبَيْدٍ قَيْسِ بْنِ عَاقِلِ
بِهِمْ نَمِي الْأَقْوَامِ عِنْدَ الْبَوَاطِلِ
زَهِيرٌ حُسَامًا مُفْرَدًا مِنْ حَمَائِلِ
إِلَى حَسْبٍ فِي حَوْمَةِ الْمَجْدِ فَاضِلِ
وَإِخْوَتِهِ دَابَّ الْمَحَبِّ الْمَوَاضِلِ
وَزَيْنًا لِمَنْ وَالَاهُ رَبُّ الْمَشَاكِلِ
إِذَا قَاسَهُ الْحُكَّامُ عِنْدَ التَّفَاضِلِ
يُؤَالِي إِلَهًا لَيْسَ عَنْهُ بِغَافِلِ
تُجَرُّ عَلَى أَشْيَاخِنَا فِي الْمَحَافِلِ
مِنَ الدَّهْرِ جِدًّا غَيْرُ قَوْلِ التَّهَازِلِ
لَدَيْنَا ، وَلَا يُغْنَى بِقَوْلِ الْأَبَاطِلِ
تَقْصُرُ عَنْهُ سَوْرَةُ الْمُعْتَاطِلِ
وَدَافَعَتْ عَنْهُ بِالذُّرَا وَالسَّكَاكِيلِ
وَأَظْهَرَ دِينَنَا حُتْمَهُ غَيْرُ بَاطِلِ
إِلَى الْخَيْرِ آبَاءُ كِرَامِ الْمَحَاصِلِ

فإن تك كعب من لوى صقيبة فلا بد يوما مرة من زابل
قال ابن هشام : هذا ما صح لي من هذه القصيدة ، وبعض أهل العلم
بالشعر ينسكروا كثرتها .

قال ابن هشام : وحدتني من أئق به ، قال : أقحط أهل المدينة ، فأتوا
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فشكوا ذلك إليه ، فصعد رسول الله صلى
الله عليه وسلم المنبر فاستسقى ، فما لبث أن جاء من المطر ما أتاه أهل الضواحي
يشكون منه الغرق ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم حوالينا
ولا علينا ، فأنجاب السحاب عن المدينة ، فصار حوالينا كالإكليل ؛ فقال رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم : لو أدرك أبو طالب هذا اليوم لسره ، فقال له بعض
أصحابه : كأنك يا رسول الله أردت قوله :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل
قال : أجل

قال ابن هشام : وقوله « وشبرقه » عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : والغياطل : من بني سهم بن عمرو بن هصيص ،
وأبو سفيان بن حرب بن أمية . ومطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف .
وزهير بن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وأمه : عاتكة
بنت عبد المطلب . قال ابن إسحاق : وأسيد ، وبكره : عتاب بن أسيد بن أبي

للإيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي . وعثمان بن عبيد الله :
أخو طلحة بن عبيد الله التيمي . وقنفذ بن عمير بن جذعان بن عمرو بن
كعب بن سعد بن تيم بن مرة . وأبو الوليد : عتبة بن ربيعة . وأبي :
الأخنس بن شريق الثقفي ، حليف بني زهرة بن كلاب .

قال ابن هشام : وإنما سمي الأخنس ؛ لأنه خنس بالقوم يوم بدر ، وإنما
اسمه : أبي ، وهو من بني علاج ، وهو علاج بن أبي سلمة بن عوف بن عتبة .
والأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب . وسبيع
ابن خالد ، أخو بلحارث بن فهر . ونوفل بن خويلد بن أسد بن عبد العزى
ابن قصي ، وهو ابن العدوية . وكان من شياطين قريش ، وهو الذي قرن
بين أبي بكر الصديق وطلحة بن عبيد الله رضى الله عنهما في حبل حين أسلما ،
فبذلك كانا يُسميان : القرينين ، قتله علي بن أبي طالب عليه السلام يوم بدر .
وأبو عمرو : قرظة بن عبد عمرو بن نوفل بن عبد مناف . «وقوم علينا أظنة» :
بنو بكر بن عبد مناة بن كنانة ، فهؤلاء الذين عَدَّد أبو طالب في شعره
من العرب .

ذكر الرسول «ص» ينتشر

فلما انتشر أمرُ رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم - في العرب ، وبلغَ البلدانَ ،
ذُكرَ بالمدينة ، ولم يكن جئ من العرب أعلمَ بأمرِ رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم -
حين ذُكر ، وقبل أن يُذكر من هذا الحى من الأوس والخزرج ،

بذلك لما كانوا يسمعون من أخبار اليهود ، وكانوا لهم حلفاء ، ومعهم في بلادهم . فلما وقع ذكره بالمدينة ، وتحدثوا بما بين قريش فيهم من الاختلاف . قال أبو قيس بن الأسلت . أخو بني واقف .

أبو قيس بن الأسلت ونسبه وشعره في الرسول «ص»

قال ابن هشام : نسب ابن إسحاق أبا قيس هذا هاهنا إلى بني واقف ، ونسبه في حديث الفيل إلى خَطْمَةٍ ؛ لأن العرب قد تنسب الرجل إلى أخى جده الذى هو أشهر منه .

قال ابن هشام : حدثني أبو عبيدة أن الحكم بن عمرو الغفارى من ولد نُعَيْلَةَ أَخَى غِفَار ، وهو غِفَار بن مُلَيْل ، وَنُعَيْلَةُ بنُ مُلَيْل بن ضَمْرَةَ بن بَكْر ابن عبد مناة ، وقد قالوا : عُثْبَةُ بنُ غَزْوَانَ السَّامِيُّ ، وهو من ولد مازن ابن منصور وسليم : ابن منصور .

قال ابن هشام : فأبو قيس بن الأسلت : من بني وائل ، ووائل ، وواقف وَخَطْمَةُ إخوة من الأوس .

قال ابن إسحاق : فقال أبو قيس بن الأسلت — وكان يحب قريشا ، وكان لهم صهرا ، كانت عنده أرنب بنت أسد بن عبد العزى بن قصى ، وكان

يقيم عندهم السنينَ بأسرانه — قصيدةً يعظم فيها الحرمة ، وينهى قريشا فيها
عن الحرب ، ويأمرهم بالكف بعضهم عن بعض ، ويدكر فضلهم وأحلامهم ،
ويأمرهم بالكف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويدكرهم بلاء الله
عندهم ، ودفعه عنهم الفيل وكيدَه عنهم ، فقال :

يا راكبا إما عَرَضْتَ فَبَلَّغْنِي	مُغَالَةً عَنِّي لَوْ يَّ بَنِ غَالِبِ
رسول امرى قد راعه ذاتُ بَيْنِكُم	على النَّأْيِ مَحْزُونٍ بِذَلِكَ نَاصِبِ
وقد كانَ عِنْدِي لِلْهُمُومِ مُعَرَّسٌ	فَلَمْ أَقْضِ مِنْهَا حَاجَتِي وَمَآرِبِ
نُبَيْتِكُمْ شَرَجِينَ كُلِّ قَبِيلَةٍ	لَهَا أَزْمَلٌ مِنْ بَيْنِ مُذْكَرٍ وَحَاطِبِ
أَعِزُّكُمْ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ صُنُومِكُمْ	وَشَرِّ تَبَاغِيكُمْ وَدَسِّ الْعَقَارِبِ
وإظهار أخلاقٍ ، وَنَجْوَى سَقِيمَةٍ	كَوْخِزِ الْأَسَافِ وَقُعْمَا حَقِّ صَائِبِ
فَذَكَّرْتُمُ بِاللَّهِ أَوَّلَ وَهْلَةٍ	وَإِحْلَالِ أَحْرَامِ الطَّيِّبَاءِ الشَّوَابِ
وَقُلْ لَهُمْ وَاللَّهِ بِحُكْمِ حُكْمَةٍ	ذَرُّوا الْخَرْبَ تَذْهَبْ عَنْكُمْ فِي الْمَرَاكِيبِ
مَتَى تَبْعَثُوهَا ، تَبْعَثُوهَا ذَمِيمَةٍ	هِيَ الْفُؤَالُ الْأَقْصَيْنِ أَوْ لِلْأَقَارِبِ
تُقَطِّعُ أَرْحَامًا ، وَتُهْلِكُ أُمَّةً	وَتَبْرِي السَّيْفِ مِنْ سَنَامٍ وَغَارِبِ
وَتَسْتَبْدِلُوا بِالْأَتْخَمِيَّةِ بَعْدَهَا	شَايِلًا وَأَصْدَاءَ ثِيَابِ الْمُحَارِبِ
وَبِالْمَسْكِ وَالْكَافُورِ غَيْرَ سَوَابِغَا	كَأَنَّ قَتِيرِيهَا عَيُونُ الْجَنَادِ
فَيَأْيَاكُمْ وَالْحَرْبَ لَا تَعْلَقَنَّكُمْ	وَحَوْضًا وَخَيْمَ الْمَاءِ مُرًّا لِلشَّارِبِ
تَزِينُ لِلْأَقْوَامِ ، ثُمَّ يَرَوْنَهَا	بِعَانِيَةٍ إِذْ بَيَّنْتَ ، أَمْ صَاحِبِ

تُحَرِّقُ، لَا تُشَوِّى ضَعِيفًا، وَتَنْتَحِى ذَوِى الْعِزِّ مِنْكُمْ بِالْحُتُوفِ الصَّوَائِبِ
أَلَمْ تَعْلَمُوا مَا كَانَ فِي حَرْبِ دَا حَسٍ فَتَعْتَبِرُوا أَوْ كَانَ فِي حَرْبِ حَاطِبٍ
وَكَمْ قَدْ أَصَابَتْ مِنْ شَرِيفٍ مُسَوِّدٍ طَوِيلِ الْعِمَادِ، ضَيْفُهُ غَيْرُ خَائِبِ
عَظِيمِ رَمَادِ النَّارِ يُخَمِّدُ أَمْرُهُ وَذِي شَيْمَةٍ مُحَضِّ كَرِيمِ الْمَضَارِبِ
وَمَاءِ هُرَيْقٍ فِي الضَّلَالِ كَأَنَّمَا أَذَاعَتْ بِهِ رِيحُ الصَّبَا وَالْجَنَائِبِ
يُخَبِّرُكُمْ عَنْهَا أَمْرٌ حَقٌّ عَالِمٍ بَأْيَامِهَا وَالْعِلْمُ عِلْمُ التَّجَارِبِ
فَيَبِيعُوا الْحِرَابَ مِنْهُ جَارِبَ، وَاذْكُرُوا

حِسَابَكُمْ، وَاللَّهُ خَبِيرٌ مُحَاسِبٌ
وَلِمَ أَمْرِي، فَاخْتَارَ دِينًا، فَلَا يَكُنْ

عَلَيْكُمْ رَقِيبًا غَيْرَ رَبِّ الثَّوَابِ
أَقِيمُوا لَنَا دِينًا حَنِيفًا، فَأَنْتُمْ لَنَا غَايَةٌ قَدْ يَهْتَدِى بِالدَّوَائِبِ
وَأَنْتُمْ لِهَذَا النَّاسِ نُورٌ وَعِصْمَةٌ تَوَكَّلُونَ، وَالْأَحْلَامُ غَيْرُ عَوَازِبِ
وَأَنْتُمْ إِذَا مَا حُصِّلَ النَّاسُ - جَوْهَرٌ لَكُمْ سُرَّةُ الْبَطِيحَاءِ شُمُّ الْأَرَانِبِ
تَصَوْنُونَ أَجْسَادًا كَرَامًا عَتِيقَةً مُهَذَّبَةً الْأَنْسَابِ غَيْرِ أُنَائِبِ
يَرَى طَالِبُ الْحَاجَاتِ نَحْوِيُوتَكُمْ عَصَائِبَ هَلَكَى تَهْتَدِى بِعَصَائِبِ
لَقَدْ عَلِمَ الْأَقْوَامُ أَنَّ سَرَائِنَكُمْ عَلَى كُلِّ حَالٍ خَيْرٌ أَهْلُ الْجَنَابِ
وَأَفْضَلُهُ رَأْيًا، وَأَعْلَاهُ سُنَّةٌ وَأَقْوَلُهُ لَاحِقٌ وَسَطُ الْمَوَاقِبِ
فَقُومُوا، فَصَلُّوا رَبَّكُمْ، وَتَمَسَّحُوا بِأَرْكَانِ هَذَا الْبَيْتِ بَيْنَ الْأَخَاشِبِ

فَعِنْدَكُمْ مِنْهُ بِلَالٌ وَمَصْدَقٌ
غَدَاةَ أَبِي يَكْسُومَ هَادِي الْكَتَائِبِ
كَتَيْبَتُهُ بِالسَّهْلِ تُمْنِي، وَرَجُلُهُ عَلَى الْقَاذِفَاتِ فِي رُءُوسِ الْمَنَاقِبِ
فَلَمَّا آتَاكُمْ نَصْرُ ذِي الْعَرْشِ، رَدَّاهُمْ جُنُودُ الْمَلِكِ بَيْنَ سَافٍ وَحَاصِبٍ
فَوَلَّوْا سِرَاعَاهَا رَيْنَ، وَلَمْ يَوْتِبْ إِلَى أَهْلِهِمِ الْخُبْشِ غَيْرُ عَصَائِبِ
فَإِنْ تَهَلَّكَوْا، تَهَلَّكَ وَتَهَلَّكَ مَوَاسِمُ
يُعَاشُ بِهَا، قَوْلُ امْرِئٍ غَيْرِ كَاذِبِ

قال ابن هشام : أنشدني بيته : « وماء هريق » ، وبيته : « فبيعوا
الحراب » ، وقوله : « وليّ امرئ فاختر » ، وقوله :

على القاذفات في رؤوس المناقب

أبو زيد الأنصاري وغيره .

حرب داحس :

قال ابن هشام : وأما قوله :

ألم تعلموا ما كان في حرب داحس

فحدثني أبو عبيدة النحوي : أن داحسا قَرَسَ كان لقيس بن زهير بن جذيمة
بن رواحة بن ربيعة بن الحارث بن مازن بن قُطَيْبَةَ بن عَبْسٍ بن بَغِيضٍ بن رِيثِ
ابن غَطَفَانَ ، أجراه مع فرس لحذيفة بن بدر بن عمرو بن زيد بن جُوَيْبَةَ بن

لَوْذَانِ بْنِ تَمْلَبَةَ بْنِ عَدَى بْنِ قَزَارَةَ بْنِ ذُبْيَانَ بْنِ بَغِيضِ بْنِ رَيْثِ بْنِ غَطَّانِ ،
يَقَالُ لَهَا : الْغَبْرَاءُ . فَدَسَّ حُذَيْفَةُ قَوْمًا وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَضْرِبُوا وَجْهَهُ دَاحِسًا ، إِنْ
رَأَوْهُ قَدْ جَاءَ سَابِقًا ، فَجَاءَ دَاحِسٌ سَابِقًا ، فَضَرَبُوا وَجْهَهُ ، وَجَاءَتِ الْغَبْرَاءُ . فَلَمَّا
جَاءَ فَارِسُ دَاحِسٍ أَخْبَرَ قَيْسًا الْخَبَرَ ، فَوَثَبَ أَخُوهُ مَالِكُ بْنُ زُهَيْرٍ ، فَلَطَمَ وَجْهَ
الْغَبْرَاءِ ، فَقَامَ حَمَلُ بْنُ بَدْرٍ ، فَلَطَمَ مَالِكًا . ثُمَّ إِنْ أَبَا الْجَنْدَبِ الْعَبْسِيِّ لَقِيَ
عُوفَ بْنَ حُذَيْفَةَ فَمَتَّلَهُ ، ثُمَّ لَقِيَ رَجُلًا مِنْ بَنِي قَزَارَةَ مَالِكًا فَمَتَّلَهُ فَقَالَ حَمَلُ بْنُ
بَدْرٍ أَخُو حُذَيْفَةَ بْنِ بَدْرٍ :

فَعَمَلْنَا بِعُوفٍ مَالِكًا وَهُوَ ثَارُنَا فَإِنْ تَطْلُبُوا مَنَاسُوِي الْحَقِّ تَنْدَمُوا

وهذا البيت في أبيات له . وقال الربيع بن زياد العبسي :

أَفْبَعَدَ مَقْتَلِ مَالِكِ بْنِ زُهَيْرٍ تَرْجُو الذُّسَاءَ عَوَاقِبَ الْأَطْهَارِ

وهذا البيت في قصيدة له .

فَوَقَعَتِ الْحَرْبُ بَيْنَ عَبْسٍ وَقَزَارَةَ ، فَقَتَلَ حُذَيْفَةُ بْنُ بَدْرٍ وَأَخُوهُ حَمَلُ
بَنِي بَدْرٍ ، فَقَالَ قَيْسُ بْنُ زُهَيْرٍ بَنِي جَذِيمَةَ يَرْتِي حُذَيْفَةَ ، وَجَزَعَ عَلَيْهِ :

كَمْ فَارِسٍ يُدْعَى وَلَيْسَ بِفَارِسٍ وَعَلَى الْهَمَاءَةِ فَارِسٌ ذُو مَصْدَقٍ
فَابْكُوا حُذَيْفَةَ لَنْ تُرْتَوْا مِثْلَهُ حَتَّى تَبِيدَ قِبَائِلُ لَمْ تُخْلَقْ

وهذان البيتان في أبيات له . وقال قيس بن زهير :

عَلَى أَنْ أَلْقَى حَمَلًا بَنَ بَدْرٍ وَالظُّمُّ مَرْتَعُهُ وَخِيمُ

وهذا البيت في أبيات له : وقال الحارث بن زهير أخو قيس بن زهير :

تركتُ على الهباءِ غيرَ فخرٍ حذيفةً عنده قصْدُ العوالى

وهذا البيت في أبيات له .

قال ابن هشام : ويقال : أرسل قيسٌ داحساً والغبراء ، وأرسل حذيفةً الخطارَ والحنفاءَ ، والأول أصحُّ الحديثين . وهو حديث طويل مَنعنى من استقصائه قطعهُ حديثَ سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حرب حاطب

قال ابن هشام : وأما قوله : « حرب حاطب » . فيعنى حاطب بن الحارث . ابن قيس بن هَيْشَةَ بن الحارث بن أمية بن معاوية بن مالك بن عَوْف بن عمرو بن عَوْف بن مالك بن الأوس ، كان قتل يهودياً جاراً للخزرج ، فخرج إليه يزيد بن الحارث بن قيس بن مالك بن أحرر بن حارثة بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج — وهو الذى يقال له : ابن فُسْحَم ، وفُسْحَم : أمه ، وهى امرأة من القَيْن بن جَسْر — ليلاً فى نفر من بنى الحارث بن الخزرج فقتلوه ، فوقعت الحرب بين الأوس والخزرج فافتتلوا قتالا شديداً ، فكان الظفر للخزرج على الأوس ، وقُتل يومئذٍ سُويد بن صامت بن خالد بن عطية ابن حَوْط بن حبيب بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس ، قُتل المَجْدَر بن ذِيَاد البلوى ، واسمه عبد الله ، حليف بنى عَوْف بن الخزرج . فلما كان يوم أحد

خرج المجذّر بن ذِيَّاد مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وخرج معه الحارث بن سُوَيْد بن صامت ، فوجد الحارثُ بن سُوَيْد غِرَّةً من المُجذّر فقتله بأبيه .
وسأذكر حديثه في موضعه - إن شاء الله تعالى - ثم كانت بينهم حروب منغى من ذكرها واستتماء هذا الحديث ما ذكرت في حديث حرب داحس .

حكيم بن أمية ينهى قومه عن عداوة الرسول

قال ابن إسحاق : وقال حكيم بن أمية بن حارثة بن الأوقص السلمي ،
حايف بنى أمية وقد أسلم ، يورّع قومه عما أجمعوا عليه من عداوة رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، وكان فيهم شريفا مطاعا :

هل قائلٌ قولاً من الحقّ قاعدٌ	عليه، وهل غضبانٌ للرُّشد سامعٌ
وهل سيّدٌ ترجو العشيّة نفعه	لأقصى الموالى والأقارب جامعٌ
تبرأتُ إلا وجهه من يملك الصّبا	وأهجركم مادام مُدليّ ونازع
وأُسلمٌ وجيبيّ للإله ومنطقيّ	ولو راعني من الصّدّيق روائع

موقف الوليد بن المغيرة

وذكر خبر الوليد بن المغيرة وقوله : فيما جاء به النبي - صلى الله عليه وسلم - من الوحي والقرآن : قد سمعنا الشعر فما هو بهزجُه ، ولا رَجَزُه .
والهزجُ من أعارِض الشعر معروفٌ عند العروضيين ، ولا أعرفُ له اشتقاقا

إلا أن يكون من قولهم في وصف الذباب : هَزَجٌ ، أى : مُتَرَنِّمٌ (١) ، وأما الرَّجَزُ فيحتمل أن يكون من رجزت الحمل إذا عدلته بالرجازة ، وهو شيء يعدل به الحمل ، وكذلك الرَّجَزُ في الشعر أشطار مُعَدَّلَةٌ ، ويجوز أن يكون من رَجَزَتِ الناقةُ إذا أصابتها رَعْدَةٌ عند قيامها ، كما قال الشاعر : حتى تقومَ تَكْلُفَ الرَّجْزَاءِ (٢) فالْمُرْتَجِزُ كأنه مُرْتَمِدٌّ عند إنشاده لِقَصْرِ الأبيات (٣) .

(١) في المعجم الوسيط : هزج يهزج فكهز هزجا يهزج أوله وثانيه : تغنى والمهزج كل صوت فيه ترنم خفيف مطرب وصوت فيه بحج ، وصوت الرعد وصوت الذباب ، ونوع من بحور الشعر العربي والفارسي ، سمى بذلك لاقتراب أجزائه ، وهى : مفاعيلن ست مرات ، مجزوء وجوبا ، أى بأربع تنهيلات ، كل اثنتين في شطرة

(٢) المطرعة في اللسان وفيه والرجزاء ، وفي الروض كانت الرجزاء بلا همزة .

وفي أمالي القالى ج ٢ ص ٢٨٠ والرجز أن يردد عجز البعير إذا أراد النهوض ، وأنشد :

تجد القيام كأنما هو نجدة حتى تقوم تكلف الرجزاء
وفي سبط اللآلى شرح أمالي القالى للبكرى : وهو لآلى النجم ارتجله عند عبد الملك حين قال له : إنك لا تحسن القصيد ، فقال : إني لأحسنه ، فقال : فقل في هذه الجارية ، فقال لها : ما اسمك ؟ قالت : شهشاء ، وكانت أدماء ، فقال :

علق الهوى بجبال الشعشاء والموت بعض جبال الأهواء
والنجدة الشجاعة والشدة ص ٩٢٤ .

(٣) الرجز : بحر من بحور الشعر ، وقد قال الحرثي لم يبلغنى أنه جرى على —

وقوله : قد سمعنا الكهان ، فما هو بَرْمَزْمَةُ السكاهنِ ولا سَجْمُهُ : الزَّمَزْمَةُ صوت ضعيف كنجوما كانت الفُرسُ تفعله عند شربها الماء ، ويقال أيضا : زَمَزَمَ الرَّعْدُ ، وهو صوت له قبل التَّهْدِيرِ ، وكذلك السكَّهَانُ ، كانت لهم زَمَزْمَةُ الله أعلم بكَيْفِيَّتِهَا ، وأما زَمَزْمَةُ الفُرسِ ، فكانت من أنوفهم .

وقول الوليد : إن أصله أَعْدَقٌ ، وإن قرعَه لَجَنَاءٌ . استعارة من النخلة : التي ثَبَتَ أَصْلُهَا ، وقوى وطاب فرعها إذا جنى ^(١) ، والنخلة هي : أَعْدَقُ بفتح

== لسان النبي صلى الله عليه وسلم من ضروب الرجز لإلضربان : المنهوك والمشطور ولم يعدما الخليل شعرا ، فالمنهوك كقوله : في حديث رواه البخاري وأحمد ومسلم والنسائي ، :

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب
والمشطور كقوله ، في رواية جندب ، هو في البخاري ، .

هل أنت إلا لصبيح دميت وفي سبيل الله ما لقيت
وقوله : أنا ابن عبد المطلب ليس افتخارا ، فقد كان يكره الانتساب إلى الآباء الكفار . ولكنه أشار إلى رؤيا رآها عبد المطلب كانت مشهورة عندهم ، رأى تصديقها ، فذكرهم إياها بهذا القول وانظر النهاية لابن الأثير ، والرجز مركب من « مستغلن » ست مرات . والمشطور منه ما كان على ثلاث تنجيلات ، ويعتبر البيت في الوقت . نفسه شطرة فلا يحزأ به ذاك مثل :

رب أخ لي لم تلده أمي
والمنهوك ما بقى على تفعلتين
مثل :

إلهنا ما أعد لك

ولم تكن العرب تعزف لهذه البحور هذه الأسماء .

(١) كل ما يجنى فهو جنى وجناة ، وفي حواشي أبي ذر : أي : فيه تمر يجنى ، وفي ==

العين ، ورواية ابن إسحاق أفصح من رواية ابن هشام ؛ لأنها استعارة تامة يشبه آخر الكلام أوله ، ورواية ابن هشام : إن أصله لَغَدَقٌ ، وهو الماء الكثير ، ومنه يقال : غَيَدَقَ الرجلُ إذا كثر بصاقه ، وأحدُ أعمام النبي — صلى الله عليه وسلم — كان يُسمى : الغَيْدَاقَ لكثرة عطائه ، والغَيْدَقُ أيضا ولدُ الضَّبِّ ، وهو أكبر من الحِجْلِ قاله قُطْرُبٌ في كتاب الأفعال والأسماء له (١) .

ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَهَيْبًا :

فصل : وذكر ابن إسحاق قول الله تعالى : « ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَهَيْدًا » الآيات التي نزلت في الوليد ، وفيها له تهديد ووعيد شديد ، لأن معنى : « ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ » أي دَعْنِي وإِيَاهُ ، فسترى ما أصنع به ، كما قال : « فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بهذا الحديث » القلم : ٤٤ وهي كلمة بقولها المغتاظ إذا اشتد غيظه وغيضه ، وكرهه أن يُشَفَّعَ لمن اغتاظ عليه ، فعنى الكلام : أي : لاشفاعة تنفع لهذا الكافر ، ولا استغفار يا محمد منك ، ولا من غيرك وقوله : « وبنين شهوداً » أي : مقيمين معه غير محتاجين إلى الأسفار والغيبة عنه ، لأن ماله كان ممدوداً والمال الممدود عندهم : اثنا عشر ألف دينار ، فصاعداً « وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيداً »

==رواية البيهقي : « وإنه لمشر أعلاه ، مغدق أسفله ، وإنه ليعلو ، وما يعلى ، وإنه ليحطم ماتحته ، وفي رواية الحاكم : « وإنه لمنير أعلاه مشرق أسفله » وقد أخرج الحديث الحاكم وصححه عن ابن عباس ، وقريب منه ما رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من طرق أخرى .

أى : هيأت له ، وقدمت له مقدمات استندراجاً له ، وقوله تعالى : « سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً » هى عَقَبَةٌ فى جهنم ، يقال لها : الصَّعُودُ مسيرُها سبعين سنةً ، يكلفُ الكافر أن يصمدها ، فإذا صمدها بعد عذاب طويل صُبَّ من أعلاها ، ولا ينفس ، ثم لا يزال كذلك أبداً ، كذلك جاء فى التفسير (١) .

وقوله سبحانه : « قَتَلْتُ كَيْفَ قَدَّرَ » أى : لئن كيفاً كان تقديره فكيف ها هنا من حروف الشرط ، وقيل معنى قتل : أى هو : أهل أن يدعى عليه بالقتل ، وقد فسر ابن هشام : بَسْرُ وَالْبَسْرِ أَيْضاً : القهر ، والبسرُ حل المنحل على الناقة قبل وقت الضراب . وفسر عِضِينَ ، وجعله من عَضَّيت أى فَرَّقَتْ ، وفى الحديث : « لَا تَمْضِيَّةٌ فى ميراث إلا ما احتمله الْقَسَمُ » ومعنى هذا الحديث موافقٌ لمذهب ابن القاسم ورأيه فى كل ما لا يفتنع به إذا قسم (٢) أو كان فيه ضرر على الشريكين ألا يقسم ، وهو خلاف رأى مالك ، وحجة مالك قول الله تعالى : « نِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرُ نَصِيبًا مَفْرُوضًا » النساء : ٧ . وقد قيل فى عِضِينَ إنه جمع عِضَّة ، وهى السَّحَرُ وأنشدوا :

(١) رواه أحمد والترمذى ثم قال : غريب لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة عن دراج ، وابن لهيعة ضعيف ، وأحسن ما قيل : هو تفسير مجاهد ، فقد قال فى تفسير : سأُرْهِقُهُ صَعُوداً : أى : مشقة من العذاب ، وقال قتادة : عذاب لراحة فيه واختاره ابن جرير . أو قربناه من العذاب الشاق لبعده عن الإيمان .

(٢) مثل لهذا الذى يضار به الورثة : قسم الجوهرة أو الطيلسان وما أشبه . ولهذا يباع ويقسم ثمنه بين الورثة ، لأن التقسيم فيه ضرر كبير على كل الورثة . (م - ٦ الروض الانف ج ٣)

أَعُوذُ بِرَبِّي مِنَ الْتَأَنُّاتِ فِي عُنْدِ الْمَاضِي الْمُتَّصِيهِ

وَيَمْنُهُ قَوْلُهُمْ :

يَا لِمَ تَصِيَّهُ (١) وَيَا لِمَ أَفْيَكُكُمْ [وَيَا لِمَ يَهْمِيَّتُهُ]

سَرِّحْ لِامْرِئِي أَبِي طَالِبٍ ::

فصل :: وقد ذكر قصيدة ما لبني طالسب إلى آخرها ، وفيها :: وَأَبْيَضَ عَضِيْبُ
مِنْ تَرَاثِ الْمُقْلُولِ . قد شرحنا الألفاظ والمقولات ، فإما تقدم ، وتراث أصله ::
وُوراث من وُورثت ، ولكن لا تبديل هذه الهمزة ، إلا في مواضع محفوظة ،
وعليها كثرة وجود الهمزة في تصريف الكلمة ، فالتراث محال قد نُورث ،
وَوُوراثه قوم عن قوم ، فظننا مستعملة في التورث والتوارث ، وكذلك تجاه
البيت ، الهمزة مستعملة في التوجيه والتوجيه ، فلما ألفوها في تصريف الكلمة
لم ينسكروا قلب الواو إليها ، كما فعلوا في ربحان وهو من الرُّوح لكثرة الياء

(١) كسرت اللام في ثلاث الكلمات على معنى : اعجبوا لهذا العضية الخ ، فإذا
فتحت فعناه الاستغاثة ، ويقال ذلك عند التعجب من الإفك العظيم والزيادة من
الاسان . وعنه بفتح الضاد وكسر ها . وأعضه جاء بالعضية ، وعنه يعضه
بفتح الضاد . قال فيه ما لم يكن وفي البخاري عن ابن عباس في هذه الآية أنه قال :
هم أهل الكتاب جزأوه أجزاء ، آمنوا ببعض ، وكفروا ببعض ونسب إلى ابن عباس
أيضاً في غير البخاري أنه قال عن عضين : السحر . قال عكرمة : العض : السحر
بلسان فريش . ورأى ابن عباس الذي ذكره البخاري هو الآفاق

في تصارييف الكلمة ، كما قدمنا قبل ، وهى فى تراث وبابه أبعد ؛ لأن الياء
المألوفة فى مادة الكلمة زائدة ، وياء ريمان ليست كذلك ، وكذلك التَّكَاة
من توكلات وتترى من التواتر ، والتَّوَلَج من التَّوَلَّج والمُتَلَج ، لأنهم
يقولون : اتَّلَجَ بالتشديد ، فتصير الواو تاء للإدغام ، حتى يقولوا : مُتَلَج
فيجعلونها تاء دون الإدغام ، وهذا أشبه بقياس ريمان وبابه ؛ فإن التاء الأولى
من مُتَلَج أصلية وهى فى مُتَلَج إذا ضُعِّفَت أصلية أيضاً ، فهى هى ، فقف على هذا
الأصل ؛ فإنه سر الباب (١) . وأراد بالمقاول : آباءه ، شبههم بالملوك ، ولم يكونوا
ملوكا ، ولا كان فيهم من ملكٍ بدليل حديث أبى سفيان حين قال له هرقل :
هل كان فى آباءه من ملك ؟ فقال : لا . ويحتمل أن يكون هذا السيف الذى
ذكر أبو طالب من هبات الملوك لأبيه ، فقد وهب ابنُ ذى يزن لعبد المطلب
هباتٍ جَزَلَة حين وفد عليه مع قريش ، يهنئونه بظفره بالحبشة ، وذلك بعد
مولد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعامين .

وقوله : مُوسَمَة الأعضاء أو قَصَرَاتِها : يعنى [مُعَلَّمَة] بسمَة فى أعضادها (٢) ،

(١) جاء فى شرح الشافية للرضى : واعلم أن التاء قريبة من الواو فى المخرج لكون
التاء من أصول الشايبا ، والواو من الشفتين ، ويجمعهما الهمس ، فتتبع التاء بدلا منها
كثيرا ، لكنه مع ذلك غير مطرد إلا فى باب افتعل نحو تراث وتولج وتترى
من المواثرة والتلج بضم التاء وفتح اللام وفرخ العقاب ، والتكأة وتقوى . وتوراة
عند البصريين فوالة من ورى الزند كتبوا ، فإن كتاب الله نور ، وعند الكوفيين
هما تفعله وتفعّل ، والاول أولى لكون فوعل أكثر من تفعّل ، ص ٨٠ - ٣ ومنه
تجاه ، وتكلان وتلاد ، وتيقور ، وتهمة وتوأم ، وتخمة وتلاد فأصلها : وجه ،
وكل وولاد ، ووقر ووهم ووأم ووخم وولاد وأصل توراة : ووراة .
(٢) موسمة الأعضاء : معلمة ، والسمة العلالة ، القصرات : أصول الاعناق
وزيادة معلمة الى وضعها بين قوسين يقتضها السياق .

ويقال لذلك الوسم السَّطَاع والخِبَاط في الفخذ والرقمة أيضاً في العضد ، ويقال للوسم في الكشح : الكشاح ولما في قصرة العنق : العِلاط ، والعُلْطَان والشَّعْب أيضاً في العنق ، وهو كالمِحْجَن ، وفي العنق وسم آخر أيضاً يقال له : قَيْدُ الْفَرَس . قال الراجز :

كُومٌ عَلَى أَعْنَاقِهَا قَيْدُ الْفَرَسِ تنجو إذا الليل تدانى ، والتبس

ولوسوم الإبل أسماء كثيرة وباب طويل ، ذكر أبو عبيد أكثره في كتاب الإبل ، منها الْمُشَيْطَنَةُ وَالْمُفْعَاةُ وَالْقُرْمَةُ وهي في الأنف ، وكذلك الجُرْفُ وَالْخَطَافُ وهي في العنق ، والدَّلْوُ وَالْمُشْطُ وَالْفِرْتَاخُ وَالشُّوْثُورُ والدَّمَاعُ في موضع الدمع ، والصدّاعُ في موضع الصدغ واللّجَامُ من الخلد إلى العين ، يقال منه : بعير مَلْجُوم ، والهِلَالُ وَالْخِرَاشُ وهو من الصدغ إلى الذقن .

وقوله : أَوْ قَصَرَاتِهَا جمع قَصْرَةٍ ، وهي أصل العنق ، وخفضها بالعطف على الأعضاء ، ولا يجوز أن تكون في موضع نصب كما تقول : هو ضارب الرجل وزيداً في باب اسم الفاعل ؛ لأن قوله : مَوْسِمَةُ الْأَعْضَادِ من باب الصفة المشبهة ، وهي لا تعمل إلا مُضْمَرَةً ، واسم الفاعل يُضْمَرُ إذا عطف على المخفوض ، وذلك أن الصفة لا تعمل بالمعنى ، وإنما تعمل بِشَبِّهِ لَفْظِي يَنْفِيهَا ، وبين اسم الفاعل ، فإذا زال اللفظ ، ورجع إلى الإخمار لم تعمل ، وتخالف اسم الفاعل أيضاً ؛ لأن معمولها لا يتقدم عليها ، كما يتقدم المفعول على اسم الفاعل ، وذلك أن منصوبها فاعل في المعنى ، والفاعل لا يتقدم ، والصفة

لا يُفصل بينها وبين منصوبها بالظرف ، ويجوز ذلك في اسم الفاعل ، والصفة لا تعمل إلا بمعنى الحال ، واسمُ الفاعل يعمل بمعنى الحال والاستقبال ، نعم ويعمل بمعنى الماضي إذا دخلت عليه الألف واللام ، ولوروى : موسمة الأعضاء بنصب الدال على معنى : موسمة الأعضاء بالتثنية ، وحذفه لالتقاء الساكنين ، لجاز كما روى في شعر حُندج^(١) :

كَبِكْرُ مَقَانَاةِ الْبِيَاضِ

(١) في الأصل : جتدح ، ومقناة التي ستأتي في الشطرة ، وهما خطأ ، والصواب ما أثبتته ، وجاء صواب مقناة في موضع آخر من الروض . وحندج هو امرؤ القيس الشاعر الجاهلي ، والشعر من معلقته المشهورة ، والرواية في المعلقة ، وفي اللسان هكذا .

كَبِكْرُ الْمَقَانَاةِ الْبِيَاضِ بِصَفْرَةٍ غَذَاهَا نَمِيرُ الْمَاءِ غَيْرُ مَحْلٍ

البكر من كل صنف مالم يسبقه مثله . والمقناة : الخلط ، والمقناة — كما يقول الزوزني — مصوغة للفعول دون المصدر ، وفي اللسان : في شرح كبكر الخ . . . أى : كالبيضة التي هي أول بيضة باضتها النعامة التي قوتى بياضها بصفرة ، أى : خلط بياضها بصفرة . . . فترك الألف واللام من البكر ، وأضاف البكر إلى نعمتها . وفي اللسان له معنى آخر : . . . أراد : كبكر الصدفة المقناة البياض بصفرة ؛ لأن في الصدفة لونين من بياض وصفرة أضاف الدرة إليها ، وبكر الصدفة درتها التي لم ير مثلها . . . شبهها في صفاء اللون ونقائه بدرة فريدة تضمثها صدفة بياض شابت بياضها صفرة ، ويقول الزوزني : يروى البيت بنصب البياض وخفضه ، وهما جيدان بمنزلة قولهم زيد الحسن الوجه ، والحسن الوجه خفض على الإضافة والنصب على التشبيه كقولهم : زيد الضارب الرجل ، ص ١٥ وما بعدهما لأبي عبد الله الحسين بن أحمد بن الحسين الزوزني ط ١٢٨٨ واللسان مادة قنا . هذا ورواية مقناة مقترنة بالألف واللام لاتأني بالتثنية . وقد جاء تصويب مقناة في مكان آخر بمقناة .

بالنصب وبالرفع أيضاً ، أى : البياض منها على نية التنوين فى مقاناة ، وحذفه لالتقاء الساكنين ، وأما الخفض فلا خفاء به ، وإذا كانت القصصات مخفوضةً بالمطف على الأعضاء ، ففيه شاهد لمن قال : هو حسن وجهه كما روى سيبويه حين أنشد :

كَمَيْتَا الْأَعَالَى جَوْنَتَا مُصْطَلَاهُمَا^(١)

(١) أنشده سيبويه فى الكتاب ص ١٠٢ ط ١٣١٦ فى بيتين للشماخ ابن ضرار من قصيدة تبلغ أكثر من عشرين بيتا ، والبيتان اللذان أنشدهما سيبويه

أَمِنْ دَمْنَتَيْنِ عَرَسَ الرِّكْبَ فِيهِمَا بِحَقْلِ الرِّخَامَى قَدْ عَفَا طَلَاهُمَا
أَقَامَتْ عَلَى رُبْعِيهِمَا جَارَتَا صَفَا كَمَيْتَا الْأَعَالَى جَوْنَتَا مُصْطَلَاهُمَا

وتروى الشطرة الثانية من البيت الاول : « قد أنى لبلاها » وفى الشعر شاهد على أن الصفة المشبهة قد تضاف إلى ظاهر مضاف إلى ضمير صاحبها . والدمنة : الموضع الذى أثر الناس فيه بنزولهم وإقامتهم ، وعرس : نزل آخر الليل قليلا للاستراحة ، والركب : جمع راكب والطلل : ما بقى من آثار الدار ، والرخامى : شجر مثل الضال ، وهو السدر البرى . والبلى : الفناء ، وأنى : حان . والرابع : الدار والمنزل ، والضمير فى ربعيهما للدمنتين خلافا للمرتضى الذى يزعم فى أماليه أنه لامرأتين سيأتى ذكرهما ، ولم يتقدم . والصفاء : الجبل . وجارتاه : أنثيتان - أى حيران للقدر — مقطوعتان من الجبل ، وتقربان منه ، فيكون هو ثلاثة الأثاني . وكميتا الأعلى : صفة جارتا صفنا ، وكميتا مثن : كميت بالتصغير من الكمئة ، وهى الحمرة الشديدة المائلة إلى السواد ، الأعلى : أعلى الجارتين شبه أعلاهما بلون الكميت ؛ لأن النار لم تصل إليه فتسوده ، وجونتا مصطلاهما —

وفي حديث أم زرع : صَفَرُ رَدَائِهَا ، وَمِلءُ كَسَائِهَا (١) مثل حَسَنَةُ وَجْهِهَا ،

== صفة أخرى لجارتا صفا ، والجونة : السوداء ، وهو صفة مشبهة ، والمصطلى اسم مكان الصلاة ، أى : الاحتراق بالنار ، فيكون المصطلى موضع إحراق النار . يريد إن أسافل الأثافي ، الأثافي هي أرجل القدر الذى يطبخ عليه ، قد اسودت من إبقاد النار بينها . . . كل هذا فى وصف القدر الذى كان للأحبة بجوار الجبل يوقدون فيه النار . ومحل الشاهد فى قوله : جَوْنَتَا مَصْطَلَاهَا . فإنه أضاف جَوْنَتَا إلى مَصْطَلَاهَا ، فجَوْنَتَا بمنزلة : حَسَنَتَا ، ومَصْطَلَاهَا بمنزلة . وَجْهَهُمَا ، والضمير الذى فى مَصْطَلَاهَا يعود على قوله : جارتا صفا ، وفى خزانة الأدب للبغدادى تفصيل لما دار حول هذا البيت الذى استشهد به سيبويه ، أقامت على ربيعهما ، الخ فى قرابة عشر صفحات من ٢١٩ إلى ٢٢٨ > ٤ ط السلفية ، وانظر كتاب سيبويه ص ١٠٢ > ١ ، والامالى للبراضى > ٣ ص ١١٨ والاشمونى مع حاشية الصبان > ٣ ص ١٠ ط ١٣٠٥ .

(١) حديث أم زرع أخرجه البخارى ومسلم والزمذى فى الشمائل والطبرانى وأبو يعلى وغيرهم ، وفيه تتحدث عائشة - رضى الله عنها - عن إحدى عشرة امرأة من أهل اليمن تعاهدن أن لا يكتمن من أخبار أزواجهن شيئا ، ثم مضت تقص عائشة ما قالته كل زوجة حتى الحادية عشرة التى قالت : زوجى أبو زرع ، وما أبو زرع ؟ . . . ثم مضت هذه فى ثنائها العظيم على زوجها وأهله حتى بلغت ذكر ابنة أبي زرع ، فقالت عنها : طوع أبيها ، وطوع أمها ، وزين أهلها ونسائها ، وملء كسائها ، وصفر رداؤها ، وغيظ جارتها ، ثم تحم عائشة رضى الله عنها قصة أم زرع بأن زوجها طلقها ، فنسكت بعده رجلا سريا تقول عنه أم زرع : لو جمعت كل شيء أعطانيه ما بلغ أصغر آنية أبي زرع ، قالت عائشة : فقال لى رسول الله ص ، كنت لك كَأَنِّي زرع لأم زرع ، إلا أنه طلقها ، وإنى لا أطلقك ، فقالت عائشة : بأى أنت وأمى ، لانت خير لى من أبى زرع لأم زرع والمقصود من صفر رداؤها أنها ضامرة البطن ، فكان رداؤها صفرا أى خاليا لشدة ضمور بطنها ، والرداء يفتى إلى البطن ، فيقع عليه .

وفي الأمل من صفة النبي صلى الله عليه وسلم : شَتْنُ الكَفَيْنِ (١) طَوِيلُ
أَصَابِعِهِ ، أَعْنَى : مثل صِفَرِ رَدَائِهَا .

وقوله : ترى الودع فيه . الودع ، والودع بالسكون والفتح : خرواته
تنظم ، ويتحلى بها النساء والصبيان كما قال :

[السُّنُّ مِنْ جَلَنَزِيرٍ عَوَزَمَ خَلْقِي]
وَالْحِلْمُ حِلْمٌ صَبِي يَمْرُسُ (٢) الودع

وقال الشاعر :

إن الرؤاة بلا فَنهمٍ لما حفظوا مثل الجمال عليها يُحَمَلُ الودعُ
لا الودعُ ينفعه حملُ الجمال له ولا الجمالُ بحمل الودع تنفع

ويقال : إن هذه الخرزات يقذفها البحر ، وأنها حيوان في جوف البحر ،
فإذا قذفها ماتت ، ولها بريق ولون حسن ، وتصلب صلابة الحجر ، فتنقب ،
ويتخذ منها القلائد ، واسمها مشتق من ودعته أى : تركته ، لأن البحر يفضب .

(١) ورد أنه شتن الكفين والقدمين في أحاديث بعضها رواه البخاري
والترمذي ، والمعنى أن كفيه وقدميه يميلان إلى الغلط والقصر ، وقيل : هو الذي
في أنامله غلط بلا قصر . وهذا في الرجل لأنه أشد لقبضته ، ويذم في النساء
وفي حديث المغيرة : شتنة الكف . أى غليظته ،

(٢) يلوكة ويمصه والبيت في الأصمعيات لرجل من تميم .

عنها ويدعها ، فهي ودع مثل قبض ونفض ^(١) ، وإذا قلت الودع بالسكون فهي من باب ما سى بالمصدر .

وقوله : والرُخام أى : ما قطع من الرُخام ، فنظم وهو حجر أبيض ناصع : والمناكل : أراد المناكيل ^(٢) ، لحذف الياء ضرورة كما قال ابن مضاء : وفيها المصافر ، أراد : المصافير ، وفي أول القصيدة : وقد حالفوا قومنا علينا أظنة [جمع ظنين ^(٣)] أى مُتهم ، ولو كان بالضاد مع قوله : علينا ، لماد معناه مدحاً لهم ، كأنه قال : أشجة علينا ، كما أنشد عمرو بن بحر [الجاحظ] :

لو كنت فى قوم عليك أشجة عليك ألا إن من طاح طائح
يودون لو خاطوا عليك جلودهم

وهل يدفع الموت النفوس الشعائح ^(٤) .

(١) القبض بمعنى : مقبوض . النفض بفتح وسكون : مصدر نفضت الثوب والشجرة وبالتحريك ما تساقط من الورق والثر والنفض بقاء ساكنة مع كسر النون : خرم النحل فى العسالة أو مامات منه فيها . أو هو بالقاف وبالتحريك : ما سقط من الورق والثر وحب العنب حين يوجد بعضه فى بعض .

(٢) المناكل : جمع عشكل ، وعشكول : الأغصان التى ينبت عليها الثمر الخشنى .

(٣) زيادة ليست فى الأصل والسباق يقتضيها .

(٤) البيتان فى البيان والتبيين لأبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ص ٥٥ . ط ١٩٤٨ والبيت الأول يروى هكذا . .

لقد كنت فى قوم عليك أشجة بنفسك لولا أن من طاح طائح
وما للأغر ، والأغر لقب لشاعرين من بنى يشكر بن وائل .

وفيهما :

وَتَوَرَّ وَمِنْ أَرْسَى ثَبِيرًا مَكَانَهُ وَرَاقٍ لِيرَقَى فِي حِرَاءٍ وَنَازِلٍ

ثور : جبل بمكة ، وثبير : جبل من جبالها ذكروا أن ثبيراً كان رجلاً من هذيل مات في ذلك الجبل ، فعرف الجبل به ، كما عرف أبو قبيس بـثُبَيْس بن شالح رجل من جُرهم ، كان قد وشى بين عمرو بن مُضاض ، وبين ابنة عمه مَيَّة ، فنذرت ألا تكلمه ، وكان شديد الكلف بها ، خلف ليقتلن قُبَيْساً ، فهرب منه في الجبل المعروف به ، وانقطع خبره فإمّات ، وإما تردّي منه ، فسمى الجبل : أبا قبيس^(١) وهو خبر طويل ذكره ابن هشام في غير هذا الكتاب .

وقوله : وراق ليرقى قد تقدم القول فيه ، وأصح الروايتين فيه : وراق ليرقى حراء ونازل^(٢) . قال البرقي : هكذا رواه ابن إسحاق وغيره ، وهو الصواب . قال المؤلف : فالوهم فيه إذا من ابن هشام ، أو من البكائي . والله أعلم .

وقوله : وبالحجر الأسود ، فيه زحاف^(٣) يسمى : الكف ، وهو حذف

(١) في القاموس : سمى برجل من مذحج حداد لأنه أول من بنى فيه :

(٢) وفي رواية : وعير وراق في حراء ونازل .. وعير : اسم جبل .

(٣) في السيرة : المسود . فلا يكون زحاف الكف .

النون من مفاعيلين^(١) وهو بعد الواو من الأسود ونحوه قول خُذْج :

أَلَا رَبُّ يَوْمٍ لَكَ مِنْهُنَّ صَالِحٌ^(٢)

وموضع الزحاف بعد اللام من ذلك .

وقوله : إذا اكتنفوه بالضحي والأصائل . الأصائل : جمع أصيلة ، والأصل جمع أصيل ، وذلك أن فعائل جمع فعيلة ، والأصيلة : لغة معروفة في الأصيل ، وظن بعضهم أن أصائل : جمع آصال على وزن أفعال ، وآصال : جمع أصل نحو أطناب وطنب ، وأصل : جمع أصيل مثل رُغِف : جمع رغيف ، فأصائل على قولهم : جَمَعَ جَمْعَ الْجَمْعِ ، وهذا خطأ بين من وجوه ، منها : أن جمع جمع الجمع لم يوجد قط في الكلام ، فيكون هذا نظيره ، وعن جهة القياس إذ كانوا لا يجمعون الجمع الذي ليس لأدنى العدد ، فأخرى ألا يجمعوا جمع الجمع ، وأبين خطأ في هذا القول غفلتهم عن المهمة التي هي فاء الفعل التي في أصيل وأصل ، وكذلك هي فاء الفعل في أصائل ، لأنها فعائل ، وتوهوها زائدة كالتى في أقاويل ، ولو كانت كذلك كانت الصاد فاء الفعل ، وإنما هي عينه ، كما هي في أصيل وأصل ، فلو كانت أصائل جمع آصال ، مثل أفوال

(١) من تفعيلات البحر الطويل وهي : فعولن مفاعيلن . أريج : رات للبيت الواحد .

(٢) هو من معلقته ، وشطرته الأخرى : ولاسيما يوم بدارة جملج . وللشطرة الأولى رواية لم يدخلها زحاف الكف ، وهي : ألا رب يوم كان منهن صالح . ودارة جملج : غدبر بعينه .

وأقاول لا جتمت همزة الجمع مع همزة الأصل ولقالوا فيه : أواصيل بتسهيل
الهمزة الثانية ، ووجه آخر من الخطأ بين أيضاً ، وهو أن أقاعيل جمع أفعال ،
لا بُدَّ من ياءٍ قبل آخره ، كما قالوا في أقاول ، فكان يكون أواصيل ،
وليس في أصائل حرف مدٍّ ولين قبل آخره إنما هي همزة فعائل ، ومن الخطأ
في قولهم أيضاً : أن جعلوا أصلاً جمعاً كثيراً مثل رُغف ، ثم زعموا أن أصالاً
جمعٌ له ، فهم بمنزلة من قال في رُغف جمع أرغاف ، فإن قيل : لجمع أى شيء
هي أصال ؟ قلنا : جمع أصل الذى هو اسم مُفرد فى معنى الأصائل لا جمع
أصل الذى هو جمع ، فإن قيل : فهل يقال أصلٌ واحد ، كما يقال أصيلٌ واحد ؟
قلنا : قد قال بعضُ أرباب اللغة ذلك ، واستشهدوا بقول الأعشى :

يوماً بأطيب منها نشرَ رائحةٍ ولا بأحسن منها إذدنا الأصل^(١)

أى : دنا الأصيل ، فإن صح أن الأصل بمعنى الأصيل ، وإلا فأصل جمع
أصيل على حذف الياء الزائدة مثل طوى^(٢) وأطواء ، ولا أعرف أحداً
قال هذا القول ، أعنى : بجمع الجمع غير الزجاجي وابن عزيز .

(١) قصيدة أرطاة : ودع هريرة إن الركب مرتعل ، ومنها قبل هذا البيت .

ماروضة من رياض الحزية معشبة خضراء جاد عليها مسبل مطل
يضاحك الشمس منها كوكب شرق مؤزر بعميم الثبت مكنم
يوماً بأطيب منها نشر رائحة ولا بأحسن منها إذدنا الأصل

(٢) الطوى كغنى : البئر .

وقوله : وموطى* إبراهيم في الصخر رطبة . يعنى موضع قدميه حين غسلت كَنَتَهُ (١) رأسه ، وهو راكب ، فاعتمد بقدمه على الصخرة حين أمال رأسه ليُغسل ، وكانت سارة قد أخذت عليه عهداً حين استأذنها في أن يطالع رَزْ كَنَتَهُ (٢) بمكة ، خلف لها أنه لا ينزل عن دابته ، ولا يزيد على السلام ، واستطلاع الحال غَيْرَةٌ من سارة عليه من هاجر ، فحين اعتمد على الصخرة أبقى الله فيها أثر قدمه آية . قال الله سبحانه : ﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ﴾ آل عمران : ٩٧ أى : منها مقام إبراهيم ، ومن جعل مقاماً بدلاً من آيات ، قال : المَقَامُ جمع مقامة ، وقيل : بل هو أثر قدمه حين رفع القواعد من البيت وهو قائم عليه (٣) .

وقوله : بين المَرَوَتَيْنِ : هو كنجو ما تقدم في بطن المسكتين والحمتين

(١) الكنية بفتح فكسر : سقاء مسيك - بكسر فسین مشددة مكسورة - كثير الأخذ للماء والكنة : امرأة الابن يعنى امرأة إسماعيل

(٢) بسكون الراء وفتح التاء بيض النعام يريد به ولده إسماعيل وأمه هاجر ولو روى بكسر الراء لكان من التركة ، وهى الشئ المتروك .

(٣) روى عن ابن عباس أن المقام هو الحرم كله . أو الحج كله ، وعن سعيد بن جبیر : الحجر مقام إبراهيم ، فسكان يقوم عليه ، ويناوله إسماعيل الحجارة ، ولو غسل رأسه كما يقولون لاختلفت رجلاه ، واختار ابن كثير أنه الحجر الذى كان إبراهيم عليه السلام يقوم عليه لبناء الكعبة لما ارتفع الجدار أتاه إسماعيل عليه السلام به ليقوم فوقه ، ويناوله الحجارة ، فيضعها بيده لرفع الجدار . وكلما فرغ من جدار نقله إلى الناحية التى تليها ، وكان هذا المقام ملصقاً بجدار الكعبة قديماً ، ومكانه اليوم معروف .

وَعُنِيزَتَيْنِ ، مما ورد مُثْنًى من أسماء المواضع ، وهو واحد في الحقيقة ، وذكرنا
العلة في مجيئه مثنى ومجموعاً في الشعر . وفيها قوله :

وَبِالْمَشْعَرِ الْأَقْصَى إِذَا قَصَدُوا لَهُ إِلَّا لَأَ

البيت . فالمشعر الأقصى : عَرَفَةُ ، وألألاً : جبل عَرَفَةُ . قال النابغة :
يَرْزُنَ إِلَّا لَأَ سَيْرُهُنَّ التَّدَاغُ (١)

وسمى : أَلألاً لأن الجميع إذا رأوه ألأوا في السير أى : اجتهدوا فيه ؛
ليدركوا الموقف قال الراجز :

مُهَرَّ أَبَى الْخُبْحَابِ لَا تَشَلَّى بَارَكَ فَيْكَ اللَّهُ مِنْ ذَى أَلْ (٢)

والشَّراج : جمع شَرَجٍ ، وهو مسيل الماء ، والقوابِلُ : المتقابلة . وفيها
قوله : وَحَطَمِهِمْ سُمُرُ الصَّفَاحِ : جمع صَمَحٍ ، وهو سَطَحُ الجبل ، والسُمُرُ
يجوز أن يكون أراد به السَّمَرُ ، يقال فيه : سَمَرٌ وَسَمَرٌ بسكون الميم ، ويجوز نقل
ضمة الميم إلى ما قبلها إلى السين ، كما قالوا فى حَسَنَ : حُسْنٌ ، وكذا وقع
فى الأصل بضم السين ، غير أن هذا النَّقل إنما يقع غالباً فيما يراد به المدح أو الذم

(١) شطرة البيت الأولى : « بمصططجات من لصاص وثيرة ، وفى المراسد :
إلال : جبل بعرفات . قيل جبل رمل بعرفات عليه يقوم الإمام ، وقيل عن يمين
الإمام ، وقيل : هو جبل عرفة نفسه . وفى البكرى قريب مما ذكر المراسد .
وقد يقال عنه الإلال ، وإلال كسحاب أو كبلال .

(٢) البيت لآبى الخضر اليربوعى يمدح عبد الملك بن مروان ، وكان أجرى
مهراً ، فسبق . وانظر ص ٢٣ لإصلاح المنطق لابن السكيت .

نحو حَسَنٍ وَبَشِيجٍ ، كما قال : وَحُسْنٌ ذَا أَدْبَا .. أَيْ حَسُنَ ذَا أَدْبَا ^(١١) ، وجائز أن يراد بالشُّمُو ههنا جمع : أَسْمَرٌ وَسَمْرَاءٌ وَيَكُونُ وصفا للنبات ، والشجر كما يوصف بالدهشة إذا كان مُخَضَّرًا ، وفي المنزول : (مُذْهِمَتَانِ بِرَحْمَنِ الرَّحْمَنِ : ٤٤) أَيْ : خضراوان إلى السواد ..

وقوله : وَشَبِيرَةٌ .. وهو نبات يقال لبياضه : أَلْبَلَى ، وبالطبعة : الشُّبْرَق ..

(١١) يقول الجوهري : نقول : قد حسن الشيء .. وإن شئت خففت الضمة ، فقلت : حسن الشيء يسكون السين ، ولا يجوز أن تنقل الضمة إلى الحاء ، لأنه جبر . وإنما يجوز النقل إذا كان بمعنى المدح والتمني لأنه يشبه في جواز النقل بنعم وبئس ، وذلك أن الأصل فيها : نعم وبئس .. قل سهم يري حظلة الغنوى :

لم يمنع اللسان منى لما أردت ، وما أعطيهم ما أرادوا حسن ذَا أَدْبَا
أَيْ حسن هذا أَدْبَا ، فضعف ، ونقله «اللسان» في مادة حسن وقال ابن السكيت في إصلاح المنطق ص ١٤ : «يقال عظم بضم الظاء - البطن بطنك - وعظم يسكون الظاء - البطن بطنك بتخفيف الضمة ، ويقال عظم بضم العين وسكون الظاء - البطن بطنك ، يخففون ضمة الظاء ، وينقلونها إلى العين ، وإنما يكون النقل فيما يكون مدحا أو ذما ، فإذا لم يكن مدحا ولا ذما ، كان الضم والتخفيف ، ولم يكن النقل ، تقول : حسن الوجه - بضم السين - وجهك ، وحسن بفتح الحاء يسكون السين الوجه وجهك : وحسن بضم الحاء يسكون السين الوجه وجهك وقد حسن يسكون السين وجهك وفتح الحاء ، وحسن بضم السين وجهك قال : حسن على أن يكون على مذهب نعم وبئس ، نقل وسطه إلى أوله ، وما لم يحسن لم ينقل ، وقد حسن وجهك لا تنقل ضمة السين إلى الحاء وقد فصل هذا أيضا الثبريري في تهذيب إصلاح المنطق ص ٤٤ ط أولى ، ثم قال =

وقوله : نبذى محمداً (١) أى نسلبه ونُغلب عليه .

وقوله : نهوض الرّوايا . هى الإبل تحمل الماء واحداً منها : راوية ، والأسقية أيضاً يقال لها : روايا ، وأصل هذا الجمع : رَوَاوَى ثم يصير فى القياس : رَوَائِي مثل حوائل جمع : حول ، ولكنهم قلبوا الكسرة فتحة بعد ما قدموا الياء قبلها ، وصار وزنه : فوالع ، وإنما قلبوه كراهية اجتماع واوين ، واو فواعل ، الواو التى هى عين الفعل ، ووجه آخر ، وهو أن الواو الثانية قياسها أن تنقلب همزة فى الجمع لوقوع الألف بين واوين ، فلما انقلبت همزة قلبوها ياء ، كما فعلوا فى خطايا وبابه ، مما الهمزة فيه معترضة فى الجمع ، والصّلاصل . المزادات لها صلصلة بالماء (٢) ،

وفى قولها : غير ذَرَبٍ مواكل . وهو مخفف من ذَرَبٍ والذَرِبُ : اللسان الفاحش المنطقى ، والمواكل الذى لا يجد عنده فهو يكل أموره إلى غيره .

== فى شرح هذا البيت : د يريد أنه يقهر الناس ، فيمنعهم ما يريدون منه ، ولا يمنعونه ما يريد منهم لعزه ، وجعله أدبا حسنا ، وقال أبو العلاء فى معنى هذا البيت : كان ينكر على نفسه أن يعطيه الناس ، ولا يعطيهم ، وهو صواب ، وإذا فاعل حسن ، وأدبا منصوب على التمييز ، وأراد حسن ، فخفف ، ونقل ، لأن هذا مذهب التعجب

(١) فى السيرة والروض يبنى بالذال وهو خطأ والصواب نبزى أى نسلب ونُغلب عليه — كما شرح الحشنى وصاحب الروض — وقد رواه اللسان فى مادة : يبزى على البناء للفعول ورفع محمد . ونقل عن شمر أن معناه : يقهر ويستذل ، وأنه من باب ضررته وأضررت به . . وأراد : لا يبزى ، فحذف لام من جواب القسم ، وهى مرادة ، أى لا يقهر ، ولم نقاتل عنه وندافع (٢) فى شرح السيرة للحشنى : الصلاصل : جمع صلصلة . وهى بقية الماء .

وفيها قوله : ثَمَالُ الْيَتَامَى ، أَى : يَتَمُّهُمْ ، ويقوم بهم ، يقال : هو ثَمَالٌ .
مالٍ أَى يقوم به .

وفيها : قوله لِيُظْعِنَنَا فِي أَهْلِ شَاءٍ وَجَامِلٍ . الشَّاءُ وَالشَّوَى : اسم للجمع مثل
الْبَاقِرِ وَالْبَقِيرِ ، وَلَا وَاحِدَ لَشَاءٍ ، وَالشَّوَى مِنْ لَفْظِهِ ، وَإِذَا قَالُوا فِي الْوَاحِدِ :
شَاةٌ ، فَلَيْسَ مِنْ هَذَا ؛ لِأَنَّ لَامَ الْفِعْلِ فِي شَاةٍ هَاءٌ بِدَلِيلِ قَوْلِهِمْ فِي التَّصْغِيرِ :
شَوَيْهَةٌ ، وَفِي الْجَمْعِ شِيَاهٌ ، وَالْجَامِلُ ^(١) اسم جمع بمنزلة الْبَاقِرِ .

وقوله : وَكُنْتُمْ زَمَانًا ^(٢) حَطَبَ قِدْرٍِ : حَطَبٌ اسم للجمع مثل رَكْبٍ ،
وَلَيْسَ بِجَمْعٍ ، لِأَنَّكَ تَقُولُ فِي تَصْغِيرِهِ : حُطْبٌ وَرُكْيَبٌ .

وقوله : حِطَابُ أَقْدَرٍ : هُوَ جَمْعُ حَاطِبٍ فَلَا يُصَغَّرُ ، إِلَّا أَنْ تَرُدَّهُ
إِلَى الْوَاحِدِ ، فَتَقُولُ : حَوِيطَبُونَ ، وَمَعْنَى الْبَيْتِ : أَى : كُنْتُمْ مُتَّفِقِينَ لَا تَحْطَبُونَ
إِلَّا لِقَدْرٍِ وَاحِدَةٍ ، فَأَنْتُمْ الْآنَ بِخِلَافِ ذَلِكَ .

وفيها قوله : مِنَ الْأَرْضِ بَيْنَ أَخْشَبٍ ، فَمَجَادِلٍ . أَرَادَ الْأَخْشَبُ ، وَهِيَ
جِبَالُ مَكَّةَ ^(٣) ، وَجَاءَ بِهِ عَلَى أَخْشَبٍ ، لِأَنَّهُ فِي مَعْنَى أَجْبَلٍ ، مَعَ أَنَّ الْأَسْمَ

(١) فِي الْقَامُوسِ أَنَّ جَامِلَ جَمْعٍ جَمْلٌ .

(٢) فِي السَّيْرَةِ : وَكُنْتُمْ حَدِيثًا

(٣) هِيَ أَرْبَعَةُ أَخْشَبٍ ، فَأَخْشَبَا مَكَّةَ : جِبَلَاهَا ، وَأَخْشَبَا الْمَدِينَةَ : حَرَّتَاهَا
الْمُسَكَّنَتَانِ لَهَا ، وَهِيَ لَا بَتَاهَا ، وَأَخْشَبُ الصَّانِ فِي مَحَلَّةِ بَنِي تَيْمٍ ، وَيُرْوَى : أَخْشَبُ
-عَلَى أَنَّهَا مُفْرَدٌ-

قد يجمع على حذف الزوائد كما يصغرونه كذلك ، والمَجَادِلُ : جمع مجادل وهو : القصر ، كأنه يريد ما بين جبال مكة ، فقصور الشام أو العراق ، والقاء من قوله : فمجادل تعطى الاتصال بخلاف الواو ، كقوله بين الدَّخُولِ فَحَوَمل ، وتقول : مُطِرْنَا بين مكة فالمدينة إذا اتصل المطر من هذا إلى هذه ، ولو كانت الواو لم تعط هذا المعنى .

وقوله : أُولَى جَدَلٍ من الخُصُومِ المَسَاجِلِ يُروى بالجيم وبالحاء . فمن رواه بالجيم فهو من المُسَاجِلَةِ في القول ، وأصله في استقاء الماء بالسَّجَلِ ، وصَبَّه فسكَّأه جمع مَسَاجِلِ على تقدير حذف الألف الزائدة . من مفاعل ، أو جمع مِسْجَلٍ بكسر الميم ، وهو من نعت الخصوم ، ومن رواه المساحِلِ بالحاء ، فهو جمع مِسْجَلٍ وهو اللسان ، وليس بصفة لخصوم ، إنما هو مخفوض بالإضافة ، أى : خصماء الألسنة ، وقال ابن أحرر : مَنْ خَطِيبٌ إِذَا مَا انْحَلَّ مِسْجَلُهُ ^(١)

أى : لسانه وهو أيضاً من السَّجَلِ وهو الصَّبُّ ، ومنه حديث أيوب حين فرج عنه ، فجاءت سحابة فسَحَلَتْ في بَيْدَرِهِ ذهباً ، وجاءت أخرى فسَحَلَتْ في البيدرِ الآخرِ فضة ^(٢) .

(١) روايته في اللسان :

ومن خطيب إذا ما انساح مسجله مفرج القول ميسورا ومعسوراً .
ومن معانى مسجل أيضاً : الخطيب الماضي وغير هذا .

(٢) البيدر : الجرن أو القمع ونحوه بعد دياسه . ويقول الحافظ في الفتح =

فصل : وفيها :

لَقَدْ سَفَّهَتْ أَحْلَامُ قَوْمٍ تَبَالَوْا بَنِي خَلْفٍ قَيْضًا بَنًا وَالْغِيَا طِل

قَيْضًا أَى : معاوضة ، ومنه قول النبي عليه السلام لذي الجوشن (١) :
إِنْ شِئْتُ قَايَضْتُكَ بِهِ الْخِتَارَ مِنْ دُرُوعٍ بَدْرٍ ، فقال : مَا كُنْتُ لِأَقِيضَهُ

== ولم يثبت عند البخارى فى قصة أيوب شىء سوى : وبنينا أيوب يغتسل عريانا خر عليه رجل جراد من ذهب ، فجعل يحثى فى ثوبه ، فناداه ربه : يا أيوب ألم أكن أغنيك عما ترى ؟ قال : بلى يارب ، ولكن لاغنى لى عن بركتك ، . ومسألة السحابة عند ابن أبى حاتم وابن جريج وابن حبان والحاكم ، ولكنها لا تخلو من غرابة ونكارة ، أقول : ويجب أن نقف عند الذى ذكره القرآن ، وما صح صحة قوية عن رسول الله ص ، حتى لا نرجم بالغيب فى قصص النبيين التى وصلت زياداتها إلينا عن طريق أسفار اليهود ، وأسنة اليهود التى نافقت بكلمة الوحيد ، وخدع بها الكثير من ذوى القلوب الصافية

(١) أصل الجوشن : الصدر والدرع ، قال أبو السعادات ابن الأثير : يقال لأنه لقب ذا الجوشن ، لأنه دخل على كسرى ، فأعطاه جوشنا ، فلبسه فكان أول عربى لبسه ، وقال غيره : لأن صدره كان نائثا ، وفى القاموس مثله ، واختلف فى اسمه فقيل اسمه : أوس بن الأعور ، وقيل : شرحبيل - وهو الأشهر - بن الأعور بن عمرو ابن معاوية ، وينتهى إلى عامر بن صعصعة . وقيل : عثمان بن نوفل . وفى القاموس : شرحبيل بن قرط الأعور . ويقول ابن حجر فى الإصابة له حديث عند أبى داود من طريق أبى إسحاق عنه ، ويقال : لأنه لم يسمع منه ، وإنما سمعه من ولده شمر . وفى ذخائر المواريث أن حديثه هذا هو الذى ذكره السهيلي : وأثبت التنبى ص ، بعد أن مرغ من أهل بدر بأبن فرس لى يقال لها الترحاء ، وذكر أن أبا دارن رواه فى الجهاد عن مسدد .

اليوم بشيء يعنى : قرّسأ له ، يقال له : ابن القرّحاء . وقال أبو الشّيص (١) :

لاتنكرى صدّى ولا إعراضى ليس المقلّ عن الزمان براض
بدلت من بُردِ الشباب مُلاءةً خلّقا ، وبئس مَثُوبة المُمْتَنّاضِ

والغياطل : بنو سهم ، لأن أهمهم الغَيْطَلَةُ ، وقد تقدم نسبها ، وقيل :
إن بنى سهم سُموا بالغياطل ، لأن رجلا منهم قتل جانا طاف بالبيت سَبْعًا ، ثم
خرج من المسجد فقتله ، فأظلمت مكة ، حتى فزعوا من شدة الظلمة التي
أصابتهم (٢) ، والغَيْطَلَةُ : الظلمة الشديدة ، والغَيْطَلَةُ أيضا : الشجر الملتف ،
والغَيْطَلَةُ : اختلاط الأصوات ، والغيطلة : البقرة الوحشية ، والغيطلة : غلبة
النعاس ، وقوله : يُخَسُّ شعيرةً ، أى : ينقص ، والخُسيسُ : الناقص من كل
شئ ، ويروى في غير السيرة : يُخَصُّ بالصاد والحاء مهملةً من حصّ الشمر :

(١) هو محمد بن رزين ، أو ابن عبد الله بن رزين ، وأبو الشّيص : لقب غلب
عليه ، والشّيص : ردى التمر ، وكان من شعراء الرشيد ، فأخمل أبو نواس ومسلم
ابن الوليد ذكره ، ومن قصيدته هذه :

ولقد أقول لشيبة أبصرتها في مفرق ، فنحتما إعراضى
عنى إليك ، فليست منتها ، ولو عممت منك مفارقى بياض
هل لى سوى عشرين عاما قد مضت مع ستة فى إثرهن مواضى
ولقلنا أرتاع منك . ولانى فيما هويت وإن وزعت لماض
فعليك ما اسطعت الظهور بلمتى وعلى أن ألك بالمقراض

انظر ص ٣٢٧ سمط الآلى ، ونكت الهميان : « كان أبو الشّيص أعمى ،

وص ١٢٣ - ٣ ايان للجاحظ بتحقيق الأستاذ عبد السلام هارون

(٢) أسطورة

إذا أذهب^(١) . وقوله : من كل طِمْلٍ وخامِلٍ : الطِّمْلُ : اللص ، كذا وجدته في كتاب أبي بحر ، وفي العين : الطِّمْلُ الرجل الفاحش ، والطِّمْلُ والطِّمْلَالُ : الفقير ، والطِّمْلُ : الذئب^(٢) . وقوله : لِقِحَّةٌ غَيْرُ بَاهِلٍ : البَاهِلُ : الناقة التي لا صِرَارَ على أخلافها ، فهي مباحة أخلب يقال : ناقة مَصْرُورَة ، إذا كان على خلفها صِرار يمنع الفصيل من أن يرضع ، وليست المَصْرَأة من هذا المعنى ، إنما هي التي تُجمع لبنها في صَرْعِهَا ، فهو من الماء الصَّرَّى^(٣) ، وقد غلط أبو علي في البارع ، فجعل المَصْرَأة بمعنى المَصْرُورَة ، وله وجه بعيد ، وذلك أن يُحتَجَّجَ له بقلب إحدى الرايين ياءً مثل : قَصَّيْتُ أظفاري ، غير أنه بعيد في المعنى ، وقالت امرأة الغيرة تعاتب زوجها ، وتذكر أنها جاءت به كالناقة الباهلة التي لا صِرار على أخلافها : أطعمتُكَ مَأْدُومِي وَأَبْنَتُكَ مَسْكُومِي ، وجِئْتُكَ باهلاً غير ذاتِ صِرَارٍ ، وفي الحديث : لا تورد الإبل بهلاً [أو بهلاً] ، فإن الشياطين ترضعها ، أي : لا أصرّة عليها .

وفيها قوله : بُرَاءٌ إلينا من مَعَقَّةٍ خاذل . يقال قومٌ بُرَاءٌ [بالضم]^(٤)

(١) ويروى : لا يخيس : من قولهم : خاس بالعهد : إذا نقضه وأفسده .
والعائل هنا : الحائر ، الخشنى ص ٩١ .

(٢) وكذلك الطمل و بكسر الطاء والميم وتشديد اللام ، والطملال بكسر الطاء أما الفقير : فالطمل والطملال والطمليل بكسر الطاء في الجمع ، والطملول بضمها واللسان .

(٣) الذي طال مكثه .

(٤) الزيادة يقتضيها السياق وزيادة بهل من اللسان

وَبَرَّاءٌ بِالْفَتْحِ ، وَبِرَّاءٌ بِالْكَسْرِ ، فَأَمَّا بِرَّاءٌ بِالْكَسْرِ ، فَمَجْمَعٌ بِرِّاءٍ ، مِثْلُ كَرِيمٍ وَكَرَامٍ ، وَأَمَّا بِرَّاءٌ فَصَدْرٌ ، مِثْلُ سَلَامٍ وَالْهَمْزَةُ فِيهِ ، وَفِي الَّذِي قَبْلَهُ لَامُ الْفَعْلِ ، وَيُقَالُ : رَجُلٌ بِرَّاءٌ وَرَجُلَانِ بِرَّاءٌ ، وَإِذَا كَسَرْتَهَا أَوْ ضَمَّمْتَهَا لَمْ يَجْزِ إِلَّا فِي الْجَمْعِ ، وَأَمَّا بُرَّاءٌ بِضَمِّ الْبَاءِ ، فَلْأَصْلُ فِيهِ بُرَّاءٌ مِثْلُ كُرَّمَاءٍ فَاسْتَقْبَلُوا اجْتِمَاعَ الْهَمْزَتَيْنِ ، فَحَذَفُوا الْأَوَّلَى ، وَكَانَ وَزْنُهُ فُعَلَاءً ، فَلَمَّا حَذَفُوا الَّتِي هِيَ لَامُ الْفَعْلِ صَارَ وَزْنُهُ فُعَاءً ، وَانْصَرَفَ لِأَنَّهُ أَشْبَهَ فُعَالًا ، وَالنَّسَبُ (١) إِلَيْهِ إِذَا سُمِّيَتْ بِهِ : بُرَّاءُ ، وَالنَّسَبُ إِلَى الْآخِرِينَ بُرَّائِيُّ وَبِرَّائِيُّ ، وَزَعَمَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّ بُرَّاءَ بِضَمِّ أَوَّلِهِ مِنَ الْجَمْعِ الَّذِي جَاءَ عَلَى فُعَالٍ ، وَهِيَ ثَمَانِيَةُ أَلْفَاظٍ : فَرِيرٌ وَفَرَارٌ وَعَرْنٌ وَعُرْنٌ (٢) ، وَلَمْ يَصْنَعْ شَيْئًا ، وَقَالَ النُّجَاسُ : بُرَّاءٌ بِضَمِّ الْبَاءِ .

(١) حَكَمَى الْفَرَّاءُ فِي بَرَاءٍ أَنَّهُ غَيْرُ مَصْرُوفٍ عَلَى حَذْفِ أَحَدَى الْهَمْزَتَيْنِ . وَنَصَّ ابْنُ جَنَى عَلَى أَنَّ لِبَرِّاءٍ أَرْبَعَةَ جُمُوعٍ : بَرَّاءٌ مِثْلُ ظَرِيفٍ وَظَرَافٍ ، وَبِرَّاءٌ مِثْلُ : شَرِيفٍ وَشَرَافٍ ، وَأَبَرِّاءٌ مِثْلُ أَصْدِقَاءٍ ، وَبَرَّاءٌ مِثْلُ تَوَّامٍ وَرَبَّاءٌ بِضَمِّ الْأَوَّلِ فِيهِمَا جَمْعُ تَوَّامٍ ، وَرَبِّى .

(٢) فِي أَدَبِ السَّكَّابِ ص ٥٥٨ لابن قتيبة : « قَالَ الْفَرَّاءُ : الْفَرَّارُ بِضَمِّ الْفَاءِ وَلَدُ الْبَقَرَةِ الْوَحْشِيَّةِ قَالَ : وَيُقَالُ : فَرِيرٌ وَفَرَارٌ مِثْلُ طَوِيلٍ وَطَوَالٍ وَكَانَ غَيْرُهُ يَزَعُمُ أَنَّ فَرَّارًا : جَمْعُ فَرِيرٍ ، وَفِي الْقَامُوسِ : فَرِيرٌ بِنَفْتِخِ الْفَاءِ وَفَرَارٌ بِضَمِّ الْفَاءِ وَفَرُورٌ بِفَتْحِ الْفَاءِ الْخُ وَلَدُ النَّعْجَةِ وَالْمَاعِزِ وَالْبَقَرَةِ الْوَحْشِيَّةِ ، أَوْ هِيَ الْخُرْفَانُ وَالْحِلَّانُ ، وَجَمْعُهَا فَرَارٌ نَادِرٌ . وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ ، لَمْ يَأْتِ شَيْءٌ مِنَ الْجَمْعِ عَلَى فُعَالٍ إِلَّا أَحْرَفَ : هَذَا أَحَدُهَا . وَأَمَّا عَرَقٌ فَالْعَظَمُ أَكَلُ مَا عَلَيْهِ مِنَ اللَّحْمِ ، وَمِثْلُهُ عَرَقٌ بِضَمِّ الْعَيْنِ . وَيَقُولُ الْقَالِي فِي أَمَالِيهِ : لَمْ يَأْتِ مِنْ فُعَالٍ بِضَمِّ الْفَاءِ جَمْعًا إِلَّا أَحْرَفَ قَلِيلَةٌ جَدًّا مِثْلُ رَبَابٍ جَمْعُ رَبِّى بِضَمِّ الرَّاءِ وَتَشْدِيدِ الْبَاءِ مَعَ فَتْحِ وَهِيَ الْحَدِيثَةُ النَّتَاجُ وَنَعَمُ جَفَالُ : السَّكْثِيرَةُ الشَّعْرُ ، وَنَعَمُ كَبَابُ كَثِيرَةٌ ، وَفَرَارٌ جَمْعُ فَرِيرٍ وَهُوَ وَلَدُ الْبَقَرَةِ ، وَبَرَّاءٌ : جَمْعُ بِرِّاءٍ . وَعِنْدَ ابْنِ السَّكَيْتِ وَالسَّيْرَاءِ فِي أَنَّهَا تَوَّامٌ جَمْعٌ =

الاستسقاء :

فصل : وذكر حديث استسقاء رسول الله — صلى الله عليه وسلم —
بالمدينة ، وهو حديث مرّوى من طرق كثيرة ، وبألفاظ مختلفة .

وقوله : حتى أتاه أهل الضواحي يشكون العرق . الضواحي : جمع ضاحية ،
وهي الأرض البرّاز التي ليس فيها ما يُكِنُّ من المطر ، ولا منجاة من
السيول ، وقيل : ضاحية كل بلد : خارجه . وقوله عليه السلام : اللهم حوّاآئنا ،
ولا علينا ، كقوله في حديث آخر : اللهم منّأبت الشجر ، وبطون الأودية ،
وظهور الآكام ، فلم يقل : اللهم ارفعه عنا — هو من حسن الأدب في الدعاء ؛
لأنها رحمة الله ، ونعمته المطلوبة منه ، فكيف يطلب منه رفع نعمته ، وكشف
رحمته ، وإنما يُسْتَل سبجانه كشف البلاء ، والمزيد من النعماء ، ففيه تعليم
كيفية الاستسقاء . وقال : اللهم منّأبت الشجر ، ولم يقل : أضرفها إلى منابت
الشجر ؛ لأن الرب تعالى أعلم بوجه اللطف ، وطريق المصاحبة كان ذلك بمطرٍ

== توأم ، وشاة ربى وغنم رباب ، وظئر وظوار وعرق بنتج العين وعراق ورخل بكسر
الراء ورخال يفرير وفرار وكل الجمع بنعم الأول . وقال الزجاجي مثل قول لسيرافي . وقال
ابن خالويه في كتاب ليس : عرق وعراق ، ورخل من أولاد الضأن ورخال وشاة ربى
ورباب ، وتوأم وتوأم ، وفرير وفرار ولد الظبية ونذل ونذال ورذال وثنى
وثناء ، وهو الولد الذي بعد البكر ، وناقاة بسطأر بسط بنعم الباء أو كسرهما إذا
كانت غزيرة والجمع : بساط ، فتسكون ثلاث عشرة كلمة . وزاد الزمخشري : عرام بمعنى
عراق . ونظمها في أبيات وزاد السيوطي عنه : نذال هـ ص ٧٢ ، المزهر للسيوطي ج ٢

أو بِنْدَى أو طَلَّ ، أو كيف شاء ، وكذلك بطون الأودية ، والقدر الذى يحتاج إليه من ماءها .

فصل : فإن قيل : كيف قال أبو طالب :

وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِوَجْهِهِ

ولم يرَهُ قط استسقى ، وإنما كانت استسقاءاته عليه السلام بالمدينة . في سفر وحضر ، وفيها شوهدها ما كان من سرعة إجابة الله له .

فالجواب : أن أبا طالب قد شاهد من ذلك أيضاً في حياة عبد المطلب مادله على ما قال ، روى أبو سلمان محمد بن محمد بن إبراهيم [بن الخطاب الخطابي] البُسْتِي النيسابوري (١) ، أن رُقَيْقَةَ (٢) بنت أبي صَيْفِي بن هاشم قالت : تنابعت على قريش سُنُو جَدِّ قَدْ أَقْحَلَتْ الظَّلْفَ ، وَأَرْقَتْ الْعِظَامَ ، فَبَدَأْنَا رَاقِدَةَ اللَّهْم ، أَوْ مُهَدِّمَةً ، وَمَعَى صِنْوَى إِذْ أَنَا بِهَاتِفٍ صَيِّتٍ يَصْرُخُ بِصَوْتٍ حَيَلٍ يَقُولُ : يَا مَعْشَرَ قَرِيشَ إِنَّ هَذَا النَّبِيَّ الْمَبْعُوثَ مِنْكُمْ ، هَذَا إِبْرَاهُ

(١) هو صاحب معالم السنن توفي ببست سنة ٣٨٨ هـ كما في معجم الأدباء ، وفي وفيات الأعيان . وفي الباب لابن الأثير أنه توفي سنة ٣٥٤ . وبست مدينة . من بلاد كابل بين هراة وغزنة وقد سمع في اسمه : أحمد ، والأصح حد كما ذكر والزيادة الموضوعية بين قوسين من الباب لابن الأثير .

(٢) اسمها في نسب قريش : رقية ، ونص قوله عن أبي صيفي . وانقرض . إلا من بنته رقية ، ص ١٦ ولكنها رقيقة في كثير من الكتب . وفي الاشتقاق أن . أبا صيفي أحد من حضر من بنى هاشم حلف عبد المطلب وخزاعة . ص ٦٩ .

نُجُومِهِ ، فَحَيَّ هَالًا بِالْحَيَا وَالْخُصْب ، أَلَا فَانْظُرُوا مِنْكُمْ رَجُلًا طَوَّالًا عَظَامًا
أَبْيَضَ فُظًّا ، أَشَمَّ الْعَرَنِينَ ، لَهُ نَخْرٌ يَسْكُنُهُ (١) عَلَيْهِ . أَلَا فَلْيَخُصْصْهُ هُوَ وَوَلَدُهُ ،
وَلْيُدْفِنْهُ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ بَطْنٍ رَجُلٌ ، أَلَا فَلْيَسْتَنْوُوا مِنَ الْمَاءِ ، وَلْيَمْسُوا مِنْ
الطَّيْبِ ، وَلْيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ سَبْعًا ، أَلَا وَفِيهِمُ الطَّيِّبُ الطَّاهِرُ لَذَاتُهُ ، أَلَا فَلْيَدْعُ
الرَّجُلُ ، وَلْيُؤَمِّنِ الْقَوْمُ ، أَلَا فَغَسِّمُوا أَبْدَامًا عَشْتُمْ . قَالَتْ : فَأَصْبَحْتُ مَذْعُورَةٌ
قَدْ قَفَّ جِلْدِي ، وَوَلِيَ عَمَلِي ، فَأَقْتَصَصْتُ رُؤْيَايَ ، فَوَالْحَرَمَةِ وَالْحَرَمِ إِنْ بَقِيَ
أَبْطَحِي (٢) إِلَّا قَالَ : هَذَا شَيْبَةُ أَحْمَدٍ ، وَتَنَامَتْ عِنْدَهُ قَرِيشٌ ، وَانْغَضَ إِلَيْهِ
النَّاسُ مِنْ كُلِّ بَطْنٍ رَجُلٌ ، فَشَنُّوا وَمَسَّوْا وَاسْتَلَمُوا وَاطُوفُوا ، ثُمَّ انْزَعَوْا
أَبَا قُبَيْسٍ ، وَطَفِقَ الْقَوْمُ يَدْفُونَ حَوْلَهُ ، مَا إِنْ يَدْرِكُ سَعِيَهُمْ مُهَلَّةً ، حَتَّى قَرُّوا
بِذُرَّةِ الْجَبَلِ ، وَاسْتَسْكَنُوا جَنَابِيهِ ، فَقَامَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ ، فَأَعْتَصَدَ ابْنَ ابْنِهِ
مُحَمَّدًا — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — فَرَفَعَهُ عَلَى عَاتِقِهِ ، وَهُوَ يَوْمُئِذٍ غُلَامٌ قَدْ أُبْفِعَ ،
أَوْ قَدْ كَرَبَ ، ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ سَادَّ الْخَلَّةَ ، وَكَاشَفَ الْكُرْبَةَ أَنْتَ عَالِمُ غَيْرِ
مُعَلِّمٍ ، وَمَسْئُولُ غَيْرِ مُبْخَلٍّ ، وَهَذِهِ عِيْدَاؤُكَ ، وَإِمَاؤُكَ بِعَذِرَاتِ حَرَمِكَ
يَشْكُونَ إِلَيْكَ سَدَّتَهُمْ ، فَانْتَمِعَنَّ اللَّهُمَّ ، وَأَمْطِرَنَّ عَلَيْنَا غَيْثًا مَرِيحًا مُغْدِقًا ،
فَمَارَامُوا وَالْبَيْتَ ، حَتَّى انْفَجَرَتِ السَّمَاءُ بِمَائِهَا ، وَكَظَّ الْوَادِي بِشَجِيحِهِ . رَوَاهُ
أَبُو سَلِيحَانَ عَنْ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ . قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْبُخْتَرِيِّ ، نَا
يَعْقُوبُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عِيسَى بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، بْنُ حَمِيدٍ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يُونُسَ ،

(١) لَا يَبْدُ بِهِ وَلَا يَظْهَرُ .

(٢) فِي رِوَايَةٍ دَفَعْتُ فِي شُعَابِ مَكَّةَ فَبَقِيَ بِهَا أَبْطَحِي الْخَ ،

نا عبد العزيز بن عمران ، عن ابن حُوَيْصَةَ ، قال يحدث مُحَرَّمَةُ بن نَفِيل عن أمه رُقَيْقَةَ بنت أبي صَيْفِيٍّ .

وذكر الحديث ، ورواه بإسناد آخر إلى رُقَيْقَةَ ، وفيه : ألا فانظروا منكم رجلاً وسيطاً عظاماً جُساماً أو طَفَّ الأهداب ، وأن عبد المطلب قام معه رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قد أَيْقَعَ أو كَرَبَ ، وذكر القصة ^(١) .

(١) ذات الأحاديث الصحيحة على مشروعية صلاة الاستسقاء ، وبذلك قال جمهور العلماء من السلف والخلف ، ولم يخالف في ذلك إلا أبو حنيفة مستدلاً بأحاديث الاستسقاء التي ليس فيها صلاة ، وقد وقع الإجماع من المثبتين للصلاة على أنها ركعتان ، ووقع الاتفاق على أنها سنة غير واجبة . وفي كيفية خلاف فارجع إليها في كتب السنة والفقهاء . أقول : إذا كان المعتمد هنا هو الحديث ، فلم لا نقول إنها تجوز بصلاة فيها دعاء ، وتجوز بالدعاء من غير صلاة ؟

هذا وليس في البخاري ما رواه ابن هشام إنما فيه ما رواه بسنده عن عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار عن أبيه قال : سمعت ابن عمر يمثّل بشعر أبي طالب « وأبيض الخ » ، وروى أيضاً من حديث سالم عن أبيه : ربما ذكرت قول الشاعر وأنا أنظر إلى وجه النبي يستسقى . فما ينزل حتى يجيش كل ميزاب : « وأبيض الخ » ، أما القول المنسوب إلى الرسول « ص » ، في السيرة : لو كان أبو طالب الخ فلم يروه أحد من أصحاب الصحيح كالحديث الذي ذكر في الروض . وأحب أن أذكر هنا بما رواه الخمسة عن أنس رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو يخطب يوم الجمعة ، فقال : يا رسول الله هلكت المواشي ، وانقطعت السبل ، فادع الله ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفي رواية : « فرفع يديه — ثم قال : اللهم أغثنا ، اللهم أغثنا ، اللهم أغثنا ، فطروا من جمعة —

ابن الأُسَلْت وقصته

فصل : وذكر ابنُ هشام^(١) كل من سماه أبو طالب في قصيدته ،

إلى الجمعة ، فجاء رجل ، فقال : يا رسول الله تهدمت البيوت ، وتقطعت السبل ، وهلكت المواشي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم على رؤوس الجبال والآكام وبطون الأودية ومنابت الشجر ، وفي رواية : اللهم حوالينا ، ولا علينا ، فانجيات عن المدينة انجيات الثوب ، فجعلت تمطر حولها ، لا تمطر بها قطرة ، فنظرت إلى المدينة وإنها لفي مثل الإكليل رواه الخمسة إلا الترمذي . وفي الحديث المتفق عليه أنه «ص» خرج بالناس إلى المصلى يستسقي ، فصلى بهم ركعتين جهر فيهما بالقراءة ، واستقبل القبلة يدعو ، ورفع يديه ، فما حول رداءه حين استقبل القبلة . وكان إذا رأى المطر يقول : اللهم صيبا نافعا ، وروى عنه أنه كان يخرج متبذلا متواضعا متخشعا متضرعا . الترمذي والنسائي وأبو داود وابن ماجه .

ومن الأحاديث الصحيحة ، تؤمن أن الاستسقاء النبوي إنما هو إلى الله ضراعة وإبتال في صلاة أو في غير صلاة ، وأن التوسل بذات فلان أو وجهه أو جاهه ليس من هدى الرسول «ص» ولا سنته ، فلنحذر نوعة الشرك ، ولم يخرج قصة عبد المطلب أحد من أصحاب الصحيح ، وإنما هي عند ابن عساكر وابن أبي الدنيا وابن سعد والبيهقي والطبراني . ورواية الحديث بهذه الصورة لا توحى بالافتداء فإنه عمل عبد المطلب ، وهي لا تثبت جواز الاستسقاء بالوجوه أو بالذوات ، فالرواية تستند إلى عبد المطلب أنه دعا الله ، ولم يدعه بوجه أحد أو ذات أحد .

ولم تستند إليه الرواية أنه حمل حملا معه ليستسقى بوجهه أو بذاته . وحمل عبد المطلب ابن ابنه في مثل هذا أمر تفرضه عاطفة رجل شيخ ، فقد أبنه ، فهو يحبه مرتين في هذا الحفيد العظيم .

(١) ذكر ابن هشام حديث الأخنس ، وهو صحابي من سلسلة الفتح شهد حنيننا ومات أول خلافة عمر

أو أشار إليه ، وعرف بهم تعريفاً مُستغنياً عن المزيد . وذكر قصيدة أبي قيس صَيْفِي بن الأَسَلَت ، واسمُ الأَسَلَت : عامرٌ ، والأَسَلَتُ : هو الشديد الفَطَسِ يقال : سَلَتَ اللهُ أنْفَه ، ومن اسَلَت حديث بشر بن عاصم حين أراد عمر أن يستعمله ، فلما كتب له عهدَه أبي أن يقبله ، وقال : لا حاجة لي به . إني سمعت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يقول : إن الولاةَ يُجاءُ بهم يوم القيامة ، فيقفون على جِسْرِ جَهَنَّمَ ، فمن كان مُطاوِعاً لله تناوله بيمينه حتى ينجيه ، ومن كان عاصياً لله انخرق به الجسر إلى وادٍ من نارٍ تنهب التهايا ، قال : فأرسل عمرُ إلى أبي ذَرٍّ ، وإلى سَلَمَانَ ، فقال لأبي ذَرٍّ : أنت سمعت هذا من رسول الله -- صلى الله عليه وسلم -- قال : نعم والله ، وبعد الوادي وادٍ آخر من نارٍ . قال : وسأل سَلَمَانَ ، فسكروه أن يخبره بشيء ، فقال عمر : من يأخذها بما فيها (١) ؟ فقال أبو ذر . من سَلَتَ اللهُ أنْفَه وعينيه ، وأَضْرَعَ خَدَه إلى الأرض ذكره ابن شبيمة .

وأول القصيدة : يارا كبا إماماً عَرَضْتَ فَبَلَّغْنِ . البيت . الْمُغْلَغَلَةُ : الداخلة إلى أقصى ما يرادُ بلوغه منها (٢) ، ومنه تغلغل في البلاد : إذا بالغ في الدخول فيها ، وأصله : تَغَلَّلَ وَمُغْلَلَةٌ ، وَلَسكن قلبوا إحدى اللامين غينا ، كما فعلوا في كثير من المضاعف ، وأصله من الغَلَل والغِلَالَةِ ، فأما الغَلَلُ فلما يستره النباتُ والشجرُ ، وأما الغِلَالَةُ فسائرة لما تحتها وفيها . نُبِيتُكُمْ شَرَّ جَيْنِ . أي : فريقيْن مُختلفين ، وَنُبِيتُكُمْ لفظٌ مُشكَلٌ .

(١) بمعنى الخلافة .

(٢) المغلغلة : الرسالة .

وفى حاشية الشيخ : نبئتكم شرّ جن^(١) ، وهو بين في المعنى ، وفيه زحاف خرم ،
ولكن لا يعاب المعنى بذلك ، وأما لفظ التَّبَيُّت في هذا البيت ، فبمعيد من
معناه ، وَالْأَزْمَلُ : الصوت ، وَالْمَذْكِي : الذي يوقد النار ، وَالْحَاطِبُ :
الذي يَحْطِبُ لها ، ضُرِبَ هذا مثلاً لنار الحرب ، كما قال الآخر :

أرى خَلَلَ الرَّمَادِ وَمَيْضَ جَحْرِ وَيُوشِكُ أَنْ يَكُونَ لَهَا ضِرَامُ
فإن النارَ بِالْعُودِينَ تُذْكَى وإن الحربَ أُولُهَا الْكَلَامُ^(٢)

وقوله : هي الغول للأدنى^(٣) ، أى : هي الهلاك ، يقال : الغضبُ : غول
الحلم ، أى يهلكه ، وَالْعَوْلُ بفتح الغين : وَجَعُ البطن ، قاله البخارى في تفسير
قوله : ﴿ لَا فِيهَا غَوْلٌ ﴾ . وقوله : وإحلالُ إحرامِ الظباءِ الشَّوَارِبِ^(٤) .
أى : إن بلدكم بلدٌ حَرَامٌ تَأْمَنُ فيه الظباءُ الشَّوَارِبُ التى تأتية من بُعدٍ ، لتَأْمَنَ

(١) والذي في السيرة : نبئتكم .

(٢) من أبيات ضمنها نصر بن سيار والى خراسان في آخر أيام بني أمية - كتابه
الى مروان بن محمد حينما وجد أمر أبى مسلم الخراسانى يشتد في الدعوة
الى آل العباس . ومنها :

أقول من التعجب : ليت شعرى أيقاظ أمية أم نيام
فإن يك قومنا أضحووا نياما فقل : قوموا . عند حان القيام
فقرى عن رحالك ، ثم فولى على الإسلام والعرب السلام

ص ٢٥٦ - ٣٠٠ مروح الذهب .

(٣) في السيرة : الأفضين .

(٤) التى يحرم صيدها في الحرم . الحشنى ،

فيه ، فهي شازِبة أى : ضامرة من بعد المسافة ، وإذا لم تَحِلُّوا بالظباء فيه ،
فَأَحْرَى ألا تَحِلُّوا بدمائكم ، وإحرامُ الظباء : كونها في الحرم ، يقال لمن
دخل في الشهر الحرام ، أو في البلد الحرام : مُحْرَمٌ . والأَنْحَمِيَّةُ : ثياب رِقاق
تصنع بالين ، والشليل : دِرْعٌ قصيرة^(١) ، والأَصْدَاءُ : جمع صَدَأ الحديد ،
والقَتِير : حَلَقُ الدَّرْعِ^(٢) شبهها بعيون الجراد ، وأخذ هذا المعنى التَّنَوُّحُ .
فقال :

كأَنوابِ الأراقِمِ مَزَقَها نَخاطَها بأعينها الجرادُ
وقوله في وصف الحرب :

تَزَيَّنَ الأفوامُ ، ثم يَرَوْنَهَا بعاقبةٍ إِذْ بَيَّتَتْ أُمُّ صَاحِبِ
هو كقول عمرو بن معدى كرب :

الحربُ أولُ ما تَكُونُ فَتِيَّةٌ تسمى بِبَزَمَها لِسَكلِ جُهولِ
حتى إِذا اشتمَلَتْ وشَبَّ ضِرَامُها وَلَّتْ عَجُوزاً غَيْرَ ذاتِ خَليلِ
سَمَطاءَ جَزَتْ رَأْسَها ، فتَنَكَّرَتْ مَكْرُوهَةً لِلشَّمِّ والتَّقْيِيلِ

(١) أو هي ثياب تلبس تحت الدروع .

(٢) في اللسان : الصدا مهموز مقصور : الطبع والدنس يركب الحديد ،
وصدا الحديد : وسخه . وفي شرح الخشني : أصداء : يعني دروعا متغيرة .
بالصدا . وفي الخشني أيضاً : أن القتير : مسامير حلق الدروع

فَقَوْلُهُ : أُمُّ صَاحِبٍ ، أَيْ : عَجُوزًا كَأُمِّ صَاحِبٍ لَكَ ، إِذْ لَا يَصْحَبُ الرَّجُلَ إِلَّا رَجُلٌ فِي سَنِهِ ، وَفِي جَامِعِ الْبُخَارِيِّ : كَانُوا إِذَا وَقَعَتِ الْحَرْبُ بِأَمْرِهِمْ بِحِفْظِ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ ، يَعْنِي : أَبْيَاتَ عَمْرِو الْمُتَقَدِّمَةِ . وَقَوْلُهُ : أَلَمْ تَعْلَمُوا مَا كَانَ فِي حَرْبِ دَاخِسٍ . يُذَكِّرُ مَعْنَى دَاخِسٍ إِذَا ذَكَرَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ بَعْدَ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ إِنَّ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وَقَوْلُهُ فِيهَا : وَلِيَ امْرَأَةً فَاخْتَارَ دِينًا فَإِنَّمَا (١) . أَيْ : هُوَ وَلِيَ امْرَأَةً اخْتَارَ دِينًا ، وَالْفَاءُ زَائِدَةٌ عَلَى أَصْلِ أَبِي الْحَسَنِ ، قَالَ فِي قَوْلِهِمْ : زَيْدًا فَاضْرِبْ : الْفَاءُ مُعَلِّقَةٌ أَيْ : زَائِدَةٌ ، وَمَنْ لَا يَقُولُ بِهَذَا الْقَوْلِ يَجْعَلُ الْفَاءَ عَاطِفَةً عَلَى فِعْلِ مَضْمَرٍ ، كَأَنَّهُ قَالَ : وَلِيَ امْرَأَةً تَدِينٌ ، فَاخْتَارَ دِينًا ، أَوْ نَحْوَ هَذَا ، وَقَدْ تَقَدَّمَ شَرْحُ بَاقِي الْقَصِيدَةِ فِي آخِرِ قِصَّةِ الْحَبْشَةِ .

وَقَالَ فِيهَا : كَرِيمَ الْمَضَارِبِ ، وَفِي حَاشِيَةِ كِتَابِ الشَّيْخِ : لَعَلَّهُ الضَّرَائِبُ ، يَرِيدُ : جَمْعَ ضَرْبَةٍ ، وَلَا يَبْعُدُ أَيْضًا أَنْ يَكُونَ قَالَ : الْمَضَارِبُ . يَرِيدُ أَنْ مَضَارِبَ سَيُوفِهِ غَيْرَ مَذْمُومَةٍ ، وَلَا رَاجِعَةٍ عَلَيْهِ إِلَّا بِالْتَّنَاءِ وَالْحَمْدِ وَالْوَصْفِ بِالْمَسْكَارِمِ .

وَفِيهَا قَوْلُهُ : وَمَاءُ هُرَيْقٍ فِي الضَّلَالِ . وَيُرْوَى : فِي الضَّلَالِ جَمْعُ صَلَةٍ ، وَهِيَ الْأَرْضُ الَّتِي لَا تَمْسُكُ الْمَاءَ . أَيْ رُبَّ مَاءٍ هُرَيْقٍ فِي الضَّلَالِ مِنْ أَجْلِ السَّرَابِ ، لِأَنَّهُ لَا يُهْرِيْقُ مَاءً مِنْ أَجْلِ السَّرَابِ إِلَّا ضَالٌّ غَيْرٌ مُبَيَّنٌ بِمَوَاضِعِ

(١) فِي السَّيْرَةِ : فَلَا يَكُنْ إِلَّا مِنْ « فَإِنَّمَا »

الماء ، وأذاعت به ، أى : بددته ، فلم ينتفع به ، وهذا مثل ضربه للنظر فى عواقب الأمور ، ويروى : وما أهريق فى أسر ، ومعناه : والذي أهريق فى أسر الضلال ، فوصل ألف القطع ضرورة ، ويقال : أريق الماء ، وأهريق بالجمع بين الهمزة والهاء ، وهى أقلها ، ولتعليقها موضع غير هذا .

وقوله فيها : بين سافٍ وحاصب : السافى : الذى يرمى بالتراب ، والحاصب الذى يقذف بالحصى .

وفى ذكر الجباجب ، وهى منازل منى . كذا قال ابن إسحاق ، وقال البرقي : هى حفر بمنى ، يجمع فيها دم البدن ، والهدايا ، والعرب تعظمها وتفخر بها ، وقيل : الجباجب : الكروش . يقال للكرش : جبجة بفتح الجيم ، والذي تقدم واحده : جبجة بالضم (١) .

حرب داحس :

فصل : و ذكر حديث حرب داحس مختصراً ، وداحس : اسم فارس كان لقيس بن أبى زهير ، ومعنى داحس : مدحوس كما قيل : ماء دافق ، أى : مدفوق ، والدحس : إدخال اليد بقوة فى ضيق ، كما روى ن رسول الله صلى الله عليه وسلم - مر بغلام يسلم شاة ، فأمره أن يتنحى ليريه ، ثم دحس (٢)

(١) المراد : الجبجة بالضم : ماء معروف بنواحي اليمامة . والجبا جب والأخاشب : جبال مكة .

(٢) أدخلها بين جلدها ولحمها ليسلمها ، وفى الاصل عن الإبط التى ستأتى : الاربط : والتصويب من اللسان والنهاية لابن الأثير

عليه السلام بيده بين الجلد واللحم ، حتى بلغ الإبط ثم صلى ، ولم يتوضأ .
فَدَا حَسَّ سَمَى بهذا الاسم ؛ لأن أمه كانت لرجل من بني تميم ، ثم من بني
يَرْبُوع اسمه : قُرَواش بن عَوْف ، وكان اسم الفرس : جَلَوَى ، وكان ذو الْعُقَالِ
فرساً عتيقاً لِحَوْطِ بن جابر ، فخرجت به فتانان له ، لتسقياه ، فبصر بجَلَوَى ،
فَأَدَلَى حين (١) رآها ، فَضَحِكَ غِلْمَةً كانوا هنالك ، فاستحيت الفتانان ،
ونسكستا رأسيهما ، فأفلت ذو الْعُقَالِ حتى نَزَّ أَعْلَى جَلَوَى ، وقيل ذلك لِحَوْطِ
فَأَقْبَلَ مَغْضَباً ، وهو يسعى حتى ضرب بيده في التراب ، ثم دَحَسَهَا فِي رَحِمِ
الفرس ، فسطأعليها ، فأخرج ماء الفحل منها ، واشتملت الرحمُ على بقية
الماء ، وحملت بمهر فَسَمَّوْهُ : دَا حِيساً ، وأظهر ما فيه أن يكون مِثْلَ : لَابِنِ
وتامِرِ ، وأن لا يكون فاعِلاً بمعنى مفعول ، فهو داحس بن ذى الْعُقَالِ بن
أَعْوَجَ الذى تُنسَبُ إليه الخليل الْأَعْوَجِيَّةُ (٢) في قول بعضهم ، وقد تقدم غير
هذا القول - ابن سَبِيلِ (٣) ، وكان لغنى بن يَعْقُصِرَ ، وفيه يقال :

- (١) أدلى الفرس وغيره أخرج جردانه ليول ، أو يضرب .
(٢) أعوج : فرس لبني هلال تنسب إليه الأعوجيات كان لسكنة ، فأخذته
سليم ، ثم صار إلى بني هلال ، أو صار إليهم من بني آكل المرار ، وفرس لغنى
ابن أعصر أو يعصر كما في الروض
(٣) في اللسان عن الأصمعي أن سبيل هي أم أعوج وكانت لغنى ، وأعوج
لبني آكل المرار ، ثم صار لبني هلال بن عامر
(م ٨ - الروض ألف ٣)

إن الجواد بن الجواد بن سبيل إن ديموا جاد ، وإن جاد وبَل (١)
وفي ذى العقَّال يقول جرير :

تمسى جياذ الخيل حول بيوتنا من آل أعوج ، أو لذي العقَّال (٢)
وأشدد :

أَقْبَعْدَ مَقْتَلِ مَالِكِ بْنِ زُهَيْرٍ تَرْجُو النِّسَاءَ عَوَاقِبَ الْإِطْمَارِ (٣)
وفيه إقواء ، وهو حذف نصف سبب من القسم الأول ، وقد تكلمنا
على معنى الإقواء قبل ، وأما اختلاف القوافي فيسمى : اكتفاء ، وإقواء أيضاً
لأنه من الكُفَاء ، فكأنه جعل الرفع كفتاً للخفض ، فسوى بينهما ،
وفيها قوله :

(١) قال ابن بري : الشعر لجهم بن شبل ، وقال أبو زياد السكابي : وهو
من بني كعب بن بكر . . قال وقد أدركته برعد رأسه ، وهو يقول :

أنا الجواد بن الجواد بن سبيل إن ديموا جاد ، وإن جادوا وبَل .
قال ابن بري : فثبت بهذا أن سبيل اسم رجل وليس باسم فرس . هذا ما ذكره
اللسان في مادة سبيل ، وفي مادة : دوم رواه : وهو الجواد الخ .

(٢) وفي النقااض : إن الجياذ بيتن حول قباينا

(٣) القصيدة للربيع بن زياد بن عبد الله بن سفيان بن قارب العبدي .
وقد ذكر ابن هشام نسبه مختصراً وأول قصيدته :

نام الخلى ، وما أغمض حار من سيء النبا الجليل الساري .
ص ٨١ وما بعدها : ١ النقااض بين جرير والفرزدق لأبي عبيدة معمر
ابن المنثري ط ١٢٥٣ هـ ص ١٥١ : ١ أمالي المراتضى

ترجو النساء عواقب الاطهار . كقول الاخطل :

قوم إذا حاربوا شدوا مآزرهم دون النساء ولو باتت بأطهار

فيقال : إن حرب داحس دامت أربعين سنة ، لم تحمل فيها أنثى ، لأنهم كانوا لا يقربون النساء ما داموا محاربين ، وذكر الأصبهاني أن حرب داحس كانت بعد يوم جيلة بأربعين سنة ، وقد تقدم يوم جيلة ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد في تلك الأيام ، وقال لبيد :

وَغَنِيْتُ حَرَسًا قَبْلَ مَجْرَى دَاحِسٍ
لَوْ كَانَ لِلنَّفْسِ اللَّجُوجِ خُلُودٌ

وكان لبيد في حرب جيلة ابن عشر سنين ، وقوله : حرساً أي : وقتاً من الدهر ، ويروى سبتاً والمعنى واحد ، وكان إجراء داحس والفراء على ذات الإصايد موضع في بلاد فزارة ، وكان آخر أيام حرب داحس بقله من أرض قيس ، وهناك اصطاحت عبس ومنولة : وهى أم بنى فزارة : شمع وعدي ومازن ، فيقال لهذا الموضع : قلله ، وأما قلله فموضع بالحجاز ، وفيه اعتزل سعد بن أبي وقاص حين قتل عثمان ، وأمر ألا يحدث بشيء من أخبار

(١) في اللسان في مادة سبت وجرى رواء :

وغنيت سبتاً قبل مجرى داحس . وفي الأصل : مجراء

(٢) في المراد : الإصايد : اسم الماء الذى لطم عليه داحس ، وكانت الحرب المشهورة بسببها ، وذات الإصايد . ردة في ديار بنى عبس وسط هضبة القليب

ذكرى مآلقيه رسول الله صلى عليه وسلم من قومه

مفتريات قريش وإيذاؤهم للرسول (ص) :

قال ابن إسحاق : ثم إن قريشا اشتد أمرهم للشتاء الذي أصابهم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن أسلم معه منهم ، فأغروا برسول الله صلى الله عليه وسلم : سفهاءهم ، فكذبوه ، وآذوه ، ورموه بالشعر والسحر والكهانة والجنون ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم مظهر لأمر الله لا يستخفى به ، مبأد لهم بما يكرهون من غيب دينهم ، واعتزال أوثانهم ، وفراقه إياهم على كفرهم .

الناس ، وألا يسمع منها شيئاً ، حتى يصطلحوا ، ويقال : إن الحنفاء كانت فرس حذيفة^(١) ، وأنها أجريت مع الغبراء ذلك اليوم ، قال الشاعر :

إذا كان غير الله للمرء عُدَّةً أنته الرزايا من وجوه الفوائد
فقد جرّت الحنفاء حتف حذيفة وكان يراها عُدَّةً للشدائد^(٢)
وأما حرب حاطب الذي ذكرها ، فهي حرب كانت على يد حاطب بن الحارث بن قيس بن هنيشة بن الأوس ، فنسبت إليه ، وكانت بين الأوس والخزرج .

(١) في اللسان أن الحنفاء أخت داحس لأبيه من ولد العقال ، والغبراء : خالة داحس ، وأخته لأبيه ١١ والحنفاء : فرس حजर بن معاوية .

(٢) فصل القول في حرب داحس كتاب النقائض بين جرير والفرزدق
لابي عبدة ص ٧٦ > ١

قال ابن إسحاق : فحدثني يحيى بن عروة بن الزبير ، عن أبيه عروة
ابن الزبير ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال : قلت له : ما أكثر
ما رأيت قريشا أصابوا من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيما كانوا يُظهرون من
عداوته ؟ قال : حضرتهم ، وقد اجتمع أشرافهم يوما في الحجر ، فذكروا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : ما رأينا مثل ماصبرنا عليه من أمر هذا
الرجل قط : سفه أحلامنا ، وشتم آباءنا ، وعابد بنينا ، وفرق جماعتنا ، وسب
آلهتنا ، لقد صبرنا منه على أمر عظيم ، أو كما قالوا ، فبيناهم في ذلك إذ طلع
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأقبل يمشي حتى استلم الركن ، ثم مرّ بهم
طائفا بالبيت ، فلما مرّ بهم غمزوه ، ببعض القول ، قال : فعرفت ذلك في وجه
رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : ثم مضى ، فلما مرّ بهم الثانية غمزوه
بمثلها ، فعرفت ذلك في وجه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم مرّ بهم
الثالثة فغمزوه بمثلها ، فوقف ، ثم قال : أسمعون يا معشر قريش ! أما والذي
نفسى بيده ، لقد جئتكم بالذبح . قال : فأخذت القوم كلمته حتى ما منهم
رجل إلا كأنما على رأسه طائرٌ واقع ، حتى إن أشدهم فيه وصاة قبل ذلك
ليزفوه بأحسن ما يجد من القول ، حتى إنه ليقول : انصرف يا أبا القاسم ،
فوالله ما كنت جهولا . قال فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى
إذا كان الغد اجتمعوا في الحجر وأنا معهم ، فقال بعضهم لبعض : ذكرتم
ما بلغ منكم ، وما بلغكم عنه ، حتى إذا بادا كم بما تكرهون تركتموه .
فبيناهم في ذلك طلع عليهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فوثبوا إليه وثبة

رجلٍ واحد، وأحاطوا به، يقولون : أنت الذى تقول كذا وكذا ، لما كان يقول من عيب آلهتهم ودينهم؟! فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم أنا الذى أقول ذلك ، قال : فلقد رأيت رجلا منهم أخذ بمجمع رداءه . قال : فقام أبو بكر رضى الله عنه دونه ، وهو يبكي ويقول : أقتلون رجلا أن يقول ربي الله؟! ثم انصرفوا عنه ، فإن ذلك لأشد ما رأيت قريشا نالوا منه قط .

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض آل أمّ كلثوم ابنة أبي بكر ، أنها قالت : رجع أبو بكر يومئذٍ وقد صدّعا فرق رأسه ، ممّا جَبَذُوهُ بِلَحِيَّتِهِ ، وكان رجلاً كثير الشعر .

قال ابن هشام : حدثني بعض أهل العلم : أن أشد ما لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش أنه خرج يوماً فلم يلقه أحد من الناس إلا كذبه وآذاه ، لا حرّاً ولا عبداً ، فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى منزله ، فتدثّر من شدّة ما أصابه ، فأنزل الله تعالى عليه : « يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ، قُمْ فَأَنْذِرْ » المدثر : ٢١ ،

إسلام حمزة رضى الله عنه

قال ابن إسحاق : حدثني رجل من أسلم ، كان واعية : أن أبا جهل مرّ برسول الله صلى الله عليه وسلم عند الصفا فأذاه وشتمه ، ونال منه بعض ما يكره من العيب لدينه ، والتضعيف لأمره ، فلم يكلمه رسول الله - صلى الله

عليه وسلم ، ومَوْلَاةٌ لعبد الله بن جُدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم ابن مُرّة في مَسْكَن لها تسمع ذلك ، ثم انصرف عنه ، فَمَعَد إلى ناد من قريش عند الكعبة ، فجلس معهم ، فلم يلبث حمزةُ بن عبد المطلب رضى الله عنه أن أَقْبَلَ مُتَوَشِّحًا قَوْسَهُ ، راجعًا من قَنَصٍ له ، وكان صاحبَ قَنَصٍ يَرْمِيهِ ، ويخرج له ، وكان إذا رجع من قَنَصِهِ لم يصل إلى أهله ، حتى يطوف بالكعبة ، وكان إذا فعل ذلك لم يمر على ناد من قريش إلا وقف ، وسلم ، وتحدث معهم ، وكان أعزّ فتى في قريش ، وأشدّ شَكِيمَةً ، فلما مرّ بالمَوْلَاةِ ، وقد رجع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى بيته قالت له : يا أبا عُمارة ، لو رأيتَ ما اتى ابنُ أخيك محمدٌ آنفاً من أبي الحَكَم بن هشام : وَجَدَهُ هَاهُنَا جالسا ، فَأَذَاهُ وَسَبَّهُ وبلغ منه ما يكره ، ثم انصرف عنه ، ولم يكلمه محمدٌ صلى الله عليه وسلم .

فاحتمل حمزةُ الغضبُ لِمَا أَرَادَ اللهُ به من كرامته ، فخرج يسعى ، ولم يَقِفْ على أحد ، مُعِدًّا لأبى جهل إذا لَقِيَهُ أن يُوقِعَ به ، فلما دخل المسجد نظر إليه جالسا في القوم فأقبل نحوه ، حتى إذا قام على رأسه ، رفع القوس ، فضربه بها ، فشجّه شَجَّةً مُنْكَرَةً ، ثم قال : أَتَشْتُمُهُ ، فأنا على دينه أفول ما يقول ؟! فَرُدَّ ذلك على إِنْ اسْتَطَعْتَ . فقامت رجالٌ من بني مخزوم إلى حمزة ، لينصروا أبا جهل ، فقال أبو جهل : دَعُوا أَبَا عُمارة ، فإنى والله قد سَبَّيْتُ ابن أخيه سَبًّا قَبِيحًا ، وَتَمَّ حمزةُ رضى الله عنه على إسلامه ، وعلى ما تابع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من قومه . فلما أسلم حمزةُ عرفت قريش

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عزّ وأمتنع ، وأنّ حمزة سيمنعه ،
فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه .

عتبة بن ربيعة يذهب إلى الرسول (ص)

قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن زياد ، عن محمد بن كعب القرظي ، قال :
حدثت أن عتبة بن ربيعة - وكان سيّداً - قال يوما وهو جالس في نادى قريش .
ورسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - جالس في المسجد وحده : يا معشر قريش ،
ألا أقوم إلى محمد فأكلّمه ، وأعرضَ عليه أموراً لعلّه يقبل بعضها ، فنعطيه .
أيّها شاء ، وبكفت عناً ؟ وذلك حين أسلم حمزة ، ورأوا أصحاب رسول الله .
— صلى الله عليه وسلم — يزيدون ويكثرّون ؛ فقالوا : بلى يا أبا الوليد ، قم
إليه ، فكلّمه ، فقام إليه عتبة حتى جلس إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم —
فقال : يا بن أخي ، إنك منّا حيث قد علمت من السّطة في العشيرة ، والمساكن
في النّسب ، وإنك قد أنيت قومك بأمر عظيم ، فرّقتَ به جماعتهم ، وسفّيتَ به
أحلامهم ، وعيّبتَ به آلهتهم ودينهم ، وكفّرتَ به من مضى من آبائهم ، فاسمع
منّي أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها . قال : فقال له .
رسول الله - صلى الله عليه وسلم : قل يا أبا الوليد ، أسمع ، قال : يا بن أخي .
إن كنت إنما تريد بما جئتَ به من هذا الأمر مالا ، جمعنا لك من أموالنا ،
حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت تريد به شرفا سودناك علينا ، حتى
لا تقطع أمراً دونك ، وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا ، وإن كان

هذا الذى يأتىك رثياً تراه لا تستطيع ردّه عن نفسك ، طلبنا لك الطبّ ، وبذلنا فيه أموالنا حتى نُبرك منه ، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يُدأوى منه ، أو كما قال له ، حتى إذا فرغ عتبة ، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - يستمع منه ، قال : أقدر فرغت يا أبا الوليد ؟ قال : نعم ، قال : فاستمع منى ، قال : أفعل ، فقال : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . حَمْدٌ . تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ . بَشِيرًا وَنَذِيرًا ، فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ ، فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ، وَقَالُوا : قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ ﴾ . فصلت : ١ - ٥ . ثم مضى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيها يقرؤها عليه ، فلما سمعها منه عتبة أنصت لها ، وألقى يديه خلف ظهره معتمدا عليهما ، يسمع منه ، ثم انتهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى السجدة منها ، فسجد ثم قال : قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت ، فأنت وذاك .

فقام عتبة إلى أصحابه ، فقال بعضهم لبعض : نحاف بالله : لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذى ذهب به . فلما جلس إليهم قالوا : ما وراءك يا أبا الوليد ؟ قال : ورأى أنى قد سمعتُ قولاً والله ما سمعت مثله قط ، والله ما هو بالشعر ، ولا بالسحر ، ولا بالكهانة . يا معشر قريش ! أطيعونى واجملوها بى ، واخلوا بين هذا الرجل ، وبين ما هو فيه ، فاعتزلوه ، فوالله ليكون لقوله الذى سمعتُ منه نبأً عظيم ، فإن تُصِبه العربُ فقد كُفِيتُموه بغيركم ، وإن يَظْهَرُ على العرب ، فذلكم مُلْكُكم ، وعزه عزُّكم ، وكنتم أسعد الناس به ، قولوا : سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه ، قال : هذا رأى فيه ، فاصنعوا ما بدا لكم .

بين النبي (ص) وبين قريش

قال ابن إسحاق : ثم إن الإسلام جعل يَفْشُو بِمَكَّةَ في قبائل قريش في الرجال والنساء ، وقُريش تحبّس مَنْ قَدَرَتْ على خَبْسه ، وتَفْتَن من استطاعت فِتْنَتَه من المسلمين ، ثم إن أشراف قُريش من كل قَبيلة - كما حدثني بعض أهل العلم عن سَعِيد بن جبير ، وعن عِكْرِمَةَ مولى ابن عباس ، عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال :

اجتمع عُتْمَةُ بن ربيعة ، وشَيْبَةُ بن ربيعة ، وأبو سُفْيَان بن حَرْب ، والنَّضْر بن الحارث ، أخو بني عبد الدَّار ، وأبو الْبَخْتَرِيِّ بن هشام ، والأسود بن النُّظَلْب بن أسد ، وزَمْعَةُ بن الأسود ، والوليد بن المغيرة ، وأبو جهل بن هشام - لعنه الله - وعبد الله بن أبي أمية ، والعاصم بن وائل ، ونُبَيْهة ومُنَبِّه ابنا الْحِجَّاج السَّهْمِيَّان ، وأمّية بن خلف ، أو من اجتمع منهم . قال : اجتمعوا بعد غروب الشمس عند ظَهَر الكعبة ، ثم قال بعضهم لبعض : ابعدوا إلى محمد فكلّموه وخاصموه حتى تَعُذِرُوا فيه ، فبعثوا إليه : إن أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلّموك ، فاتّهم ، فجاءهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سريعا ، وهو يظنّ أن قد بدا لهم فيما كلّمهم فيه بداء ، وكان عليهم حرصا يجب رشدّهم ، ويعزّ عليه عنّهم ، حتى جلس إليهم ، فقالوا له يا محمد ، إنا قد بعثنا إليك ؛ لنكلّمك ، وإنا والله ما نعلم رجلا من العرب أدخل على قومه مثل ما أدخلت على قومك ، لقد شتمت الآباء ، وشِئت

الدين ، وشتمت الآلهة ، وسفّهت الأحلام ، وفرت الجماعة ، فابقي أمره قبيحاً إلا قد جثته فيما بيننا وبينك - أو كما قالوا له - فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب به مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت إنما تطالب به الشرف فينا ، فنحن نُسودك علينا ، وإن كنت تريد به مملكا مملكا علينا ، وإن كان هذا الذي يأتيك رثياً تراه قد غلب عليك - وكانوا يسمون التابع من الجن رثياً - فربما كان ذلك ، بذلنا لك أموالنا في طلب الطب لك حتى نُبرئك منه ، أو نُعذر فيك ، فقال لهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم : ما بي ما تقولون ، ما جئت بما جثتكم به أطلب أموالكم ، ولا الشرف فيكم ، ولا المُلْك عليكم . ولكن الله بعثني إليكم رسولا ، وأنزل علي كتابا ، وأمرني أن أكون لكم بشيراً ونذيراً ، فبأمتكم رسالات ربي ، ونصحت لكم ، فإن تقبلوا مني ما جثتكم به ، فهو حظكم في الدنيا والآخرة ، وإن تردوه عليّ أُصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم ، أو كما قال - صلى الله عليه وسلم - قالوا : يا محمد ، فإن كنت غير قابل منا شيئاً مما عرَضناه عليك ، فإنك قد علمت أنه ليس من الناس أحدٌ أضيق ببلاداً ، ولا أقل ماء ، ولا أشدّ عيشاً منا ، فسَلْ لنا ربك الذي بعثك بمابعثك به ، فليُسيّر عنا هذه الجبال التي قد ضيّقت علينا ، وليبسط لنا بلادنا ، وليفجر لنا فيها أنهاراً كأنهار الشام والعراق ، وليبعث لنا من مضي من آبائنا ، وليكن فيمن يُبعث لنا منهم : قُصيّ بن كلاب ، فإنه كان شيخاً صدق ، ففسألهم عما تقول : أحقّ هو أم باطل ، فإن صدقوك ، وصنعت ما سألتك ، صدّقناك ، وعرفنا به منزلتك

من الله ، وأنه بعثك رسولا — كما تقول — فقال لهم صلوات الله وسلامه عليه :
 ما بهذا بُعِثْتُ إِلَيْكُمْ ، إِنَّمَا جِئْتُكُمْ مِنْ اللَّهِ بِمَا بَعَثَنِي بِهِ ، وَقَدْ بَلَّغْتُكُمْ
 مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ ، فَإِنْ تَقْبَلُوهُ ، فَهُوَ حُطُّكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَإِنْ تَرُدُّوهُ
 عَلَى أَصْبِرْ لِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى ، حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَكُمْ ، قَالُوا : فَإِذَا لَمْ تَفْعَلْ
 هَذَا لَنَا ، نَخَذْ لِنَفْسِكَ ، سَلْ رَبَّكَ أَنْ يَبْعَثَ مَعَكَ مَلَكًا يَصَدِّقُكَ بِمَا تَقُولُ ،
 وَيَرَاغِبُنَا عَنْكَ وَسَلَّهُ ، فَلْيَجْعَلْ لَكَ جَنَانًا وَقُصُورًا وَكُنُوزًا مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ
 يُغْنِيكَ بِهَا عَمَّا نَرَاكَ تَبْتَغِي ، فَإِنَّكَ تَقُومُ بِالْأَسْوَاقِ كَمَا نَقُومُ ، وَتَلْتَمِسُ الْمَعَاشَ
 كَمَا نَلْتَمِسُهُ ، حَتَّى نَعْرِفَ فَضْلَكَ وَمَنْزِلَتَكَ مِنْ رَبِّكَ إِنِّي كُنْتُ رَسُولًا
 كَمَا تَزْعُمُ ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَا أَنَا بِفَاعِلٍ ، وَمَا أَنَا
 بِالَّذِي يَسْأَلُ رَبَّهُ هَذَا ، وَمَا بُعِثْتُ إِلَيْكُمْ بِهَذَا ، وَلَكِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي بِشِيرَاءٍ
 وَنَذِيرٍ — أَوْ كَمَا قَالَ — فَإِنْ تَقْبَلُوا مَا جِئْتُكُمْ بِهِ ، فَهُوَ حُطُّكُمْ فِي الدُّنْيَا
 وَالْآخِرَةِ ، وَإِنْ تَرُدُّوهُ عَلَى أَصْبِرْ لِأَمْرِ اللَّهِ ، حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَكُمْ ، قَالُوا :
 فَاسْقُطِ السَّمَاءَ عَلَيْنَا كِسْفًا كَمَا زَعَمْتَ أَنْ رَبَّكَ لَوْ شَاءَ فَعَلَ ، فَإِنَّا لَا نُؤْمِنُ لَكَ إِلَّا أَنْ
 تَفْعَلَ ، قَالَ : فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ذَلِكَ إِلَى اللَّهِ ، إِنْ
 شَاءَ أَنْ يَفْعَلَهُ بِكُمْ فَعَلَ ، قَالُوا : يَا مُحَمَّدُ ، أَفَمَا عَلِمَ رَبُّكَ أَنَّا سَنَجَاسُ مَعَكَ ،
 وَنَسْأَلُكَ عَمَّا سَأَلْنَاكَ عَنْهُ ، وَنَطْلُبُ مِنْكَ مَا نَطْلُبُ ، فَيَتَقَدَّمَ إِلَيْكَ فَيُفْعَلُكَ
 مَا تَرَاغِبُنَا بِهِ ، وَيُخْبِرُكَ مَا هُوَ صَانِعٌ فِي ذَلِكَ بِنَا ، إِذَا لَمْ نَقْبَلْ مِنْكَ مَا جِئْتُنَا بِهِ !
 إِنَّهُ قَدْ بَلَّغْنَا أَنَّكَ إِنَّمَا يَعْلَمُكَ هَذَا رَجُلٌ بِالْإِيمَانَةِ يُقَالُ لَهُ : الرَّحْمَنُ ، وَإِنَّا وَاللَّهِ
 لَا نُؤْمِنُ بِالرَّحْمَنِ أَبَدًا ، فَقَدْ أَغْذَرْنَا إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ ، وَإِنَّا وَاللَّهِ لَا نَتْرُكُكَ

وما بلغت منّا حتى نهلكك ، أو تهلكنا . وقال قائلهم : نحن نعبد الملائكة
وهي بنات الله . وقال : قائلهم : لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة
قبيلا .

فلما قالوا ذلك لرسول الله — صلى الله عليه وسلم — ، قام عنهم ، وقام معه
عبدُ الله بن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم — وهو ابن عمته
فهو لعائكة بنت عبد المطلب — فقال له : يا محمد ، عَرَضَ عليك قومك
ما عَرَضُوا فلم تقبله منهم ، ثم سألوك لأنفسهم أموراً ، ليعرفوا بها منزلتك من
الله كما تقول ، ويصدّقوك ويتبعوك فلم تفعل ، ثم سألوك أن تأخذَ لنفسك
ما يعرفون به فضلَكَ عليهم ، ومنزلتَكَ من الله ، فلم تفعل ، ثم سألوك أن
تعجلَ لهم بعض ما تخوفهم به من العذاب ، فلم تفعل — أو كما قال له — فوالله
لا أؤمن بك أبداً حتى تتخذَ إلى السماء سلماً ، ثم رَئَى فيه ، وأنا أنظر إليك
حتى تأتيها ، ثم تأتي معك أربعةٌ من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول .
وانيم الله أن لو فعلتَ ذلك ما ظننتُ أني أصدقك ، ثم انصرف عن رسول الله
— صلى الله عليه وسلم — وانصرف رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — إلى أهله
حزينا أسفا لما فاته مما كان يطمع به من قومه حين دَعَوْه ، ولما رأى من
مُباذلتهم إياه .

فلما قام عنهم رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — قال أبو جهل : يا معشرَ
قريش ، إن محمداً قد أبى إلّا ما رَوَى من عيبِ ديننا ، وشتمِ آبائنا ، وتسفيهِ
أحلامنا ، وشتمِ آلهتنا ، وإنّي أعاهد الله لأجاسنَّ له غداً بحجرٍ ما أطيق حمله

- أو كما قال - فإذا سجد في صلاته ، فَضَخْتُ به رأسه ، فأسلموني عند ذلك ،
أو امنعوني ، فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدأ لهم ، قالوا : والله
لا نُسلمك لشيء أبداً ، فامض لما تريد .

فلما أصبح أبو جهل ، أخذ حجراً كما وصف ، ثم جلس لرسول الله - صلى
الله عليه وسلم - ينتظره ، وغدا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كما كان يفتدو ،
وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بمسكته وقبائله إلى الشام ، فكان إذا صلى
صلى بين الركن اليماني والحجر الأسود ، وجعل الكعبة بينه وبين الشام .
فقام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يصلي وقد غدت قُرَيْش ، فجلسوا في أنديةهم
يَنظُرُونَ ما أبو جهل فاعل . فلما سجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
احتمل أبو جهل الحجر ، ثم أقبل نحوه ، حتى إذا دنا منه رجع منهزماً . مُتَتَقِعاً
لونه مرعوباً . قد يَدِسْتُ يده على حَجَرِهِ . حتى قَذَفَ الحَجَرَ من يده . وقامت
إليه رجال قُرَيْش . فقالوا له : مالك يا أبا الحكم ؟ قال : قَتُّ إِيَّاهِ لِأَنعَلَ بِهِ
مَا قُلْتُ لَكُمْ الْبَارِحَةَ ، فلما دنوتُ منه عَرَضَ لِي دُونَهُ فَخَلَّ مِنْ الْإِبِلِ ، لَا
وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ مِثْلَ هَامَتِهِ ، وَلَا مِثْلَ قَصَرِنِهِ ، وَلَا أَنْيَابَهُ لَفَخْلٍ قَطُّ . فَهَمَّ بِي
أَنْ يَأْكُلَنِي .

قال بن إسحاق : فَذُكِرَ لِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ :
ذَلِكَ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : لَوْ دَنَا لَأَخَذَهُ .

فلما قال لهم ذلك أبو جهل . قام النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ كَلْدَةَ بْنِ عَنُقَمَةَ
ابن عبد مناف بن عبد الدار بن قُصَيٍّ .

قال ابن هشام : ويقال : النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدانة بن عبد مناف .

قال ابن إسحاق : فقال : يا معشر قريش . إنه والله قد نزل بكم أمر ما أنتم له بحيلة بعد ، قد كان محمد فيكم غلاما حدثا ، أرضاكم فيكم . وأصدقكم حديثا . وأعظمكم أمانة . حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب ، وجاءكم بما جاءكم به . قلتم : ساحر ، لا والله ما هو بساحر . لقد رأينا السجرة ونفخهم وعقدهم ، وقلتم : كاهن . لا والله ما هو بكاهن ؛ قد رأينا الكهنة ، وتخالجهم وسمعنا سجعهم ، وقلتم : شاعر ، لا والله ما هو بشاعر ؛ قد رأينا الشمر ، وسمعنا أصنافه كلها : هزجه ورجزه ، وقلتم : مجنون ، لا والله ما هو بمجنون ، لقد رأينا الجنون ، فما هو بخنقه ، ولا وسوسته ، ولا تخليطه ، يا معشر قريش ، فانظروا في شأنكم ، فإنه والله لقد نزل بكم أمر عظيم .

وكان النضر بن الحارث من شياطين قريش ، ومن كان يؤذي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وينصب له العداوة ، وكان قد قدم الحيرة ، وتعلم بها أحاديث ملوك الفرس ، وأحاديث رؤسهم واسبنديار ، فكان إذا جلس رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مجلسا فذكر فيه بالله ، وحذر قومه ما أصاب من قبلهم من الأمم من نقمة الله ، خلفه في مجلسه إذا قام ، ثم قال : أنا والله يا معشر قريش ، أحسن حديثا منه ، فلهم إلى ، فأنا أحدثكم أحسن من حديثه ، ثم يحدثهم عن ملوك فارس ورؤسهم واسبنديار . ثم يقول : بماذا محمد أحسن حديثا مني ؟

قال ابن هشام : وهو الذى قال فيما بلغنى : سأُنزل مثْلَ ما أُنزل الله .

قال ابن إسحاق : وكان ابن عباس رضى الله عنهما يقول - فيما بلغنى : نزل فيه ثمان آيات من القرآن : قولُ الله عزَّ وجلَّ : ﴿ إِذَا تُلِّيَ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ . القلم : ١٥ وكلَّ ما ذكر فيه من الأساطير من القرآن .

فلما قال لهم ذلك النضر بن الحارث بعثوه ، وبعثوا معه عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ إلى أحبار يهود بالمدينة ، وقالوا لها : سلام عن محمد ، وصفا لهم صِفَتَهُ ، وأخبراهم بقوله ، فإنهم أهلُ الكتاب الأول ، وعندهم عِلْمٌ ليس عندنا من علم الأنبياء ، فخرجا حتى قدما المدينة ، فسألا أحبار يهود عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ووَصَفَا لهم أمره . وأخبراهم ببعض قوله . وقالوا لهم : إنكم أهلُ التَّوراة . وقد جئناكم لتُخْبِرُونَا عن صاحبنا هذا . فقالت لها أحبار يهود : سألوه عن ثلاث نَأْمُرُكم بهنَّ . فإن أخبركم بهنَّ ، فهونَى مُرْسَلٌ . وإن لم يفعل فالرجل مُتَقَوِّلٌ . فَرَوَا فيه رأيكم . سألوه عن فِتْيَةٍ ذَهَبُوا فى الدَّهْرِ الْأَوَّلِ ما كان أمرهم ، فإنه قد كان لهم حديثٌ عجب ، وسألوه عن رجل طَوَّافٍ قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤُهُ ، وسألوه عن الرُّوحِ ما هى ؟ فإن أخبركم بذلك فاتَّبِعُوهُ ، فإنه نَبِىٌّ . وإن لم يفعل ، فهو رجلٌ مُتَقَوِّلٌ . فاصنعوا فى أمره ما بدا لَكُمْ . فأقبل النَّضْرُ بن الحارث ، وعُقْبَةُ بن أبي مُعَيْطٍ بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قُصَيٍّ حتى قدما مَكَّةَ على قُرَيْشٍ . فقالا : يا معشر قُرَيْشٍ ، قد جئناكم بِفَضْلِ ما بينكم وبين محمدٍ . قد أخبرنا أحبار يهود أن

نَسَّأَلَهُ عَنْ أَشْيَاءَ أَمَرُونَا بِهَا ، فَإِنْ أَخْبِرَكُمْ عَنْهَا فَهُوَ نَبِيٌّ ، وَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ فَالْجُلُّ مُتَقَوِّلٌ . فَرَوَا فِيهِ رَأْيَكُمْ .

فَجَاءُوا رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالُوا : يَا مُحَمَّدُ ، أَخْبِرْنَا عَنْ فِتْنَةٍ ذَهَبُوا فِي الدَّهْرِ الْأَوَّلِ قَدْ كَانَتْ لَهُمْ قِصَّةٌ عَجَبٌ ، وَعَنْ رَجُلٍ كَانَ طَوَافًا قَدْ بَلَغَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا . وَأَخْبِرْنَا عَنِ الرُّوحِ مَا هِيَ ؟ قَالَ : فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَخْبِرْكُمْ بِمَا سَأَلْتُمْ عَنْهُ غَدًا ، وَلَمْ يَسْتَنْ ، فَانْصَرَفُوا عَنْهُ ، فَكَثَرَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِيمَا يَذْكُرُونَ - خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً لَا يُحَدِّثُ اللَّهُ إِلَيْهِ فِي ذَلِكَ وَخَيَا ، وَلَا يَأْتِيهِ جِبْرِيلُ ، حَتَّى أَزْجِفَ أَهْلُ مَكَّةَ . وَقَالُوا : وَعَدْنَا مُحَمَّدٌ غَدًا ، وَالْيَوْمَ خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً . قَدْ أَصْبَحْنَا مِنْهَا لَا يَخْبِرُنَا بِشَيْءٍ ، مِمَّا سَأَلْنَاهُ عَنْهُ ، وَحَتَّى أَحْزَنَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مُكْثُ الْوَحْيِ عَنْهُ ، وَشَقَّ عَلَيْهِ مَا يَتَكَلَّمُ بِهِ أَهْلُ مَكَّةَ ، ثُمَّ جَاءَهُ جِبْرِيلُ مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِسُورَةِ أَصْحَابِ الْكَهْفِ ، فِيهَا مَعَاتِبُهُ إِيَّاهُ عَلَى حُزْنِهِ عَلَيْهِمْ ، وَخَبَرُ مَا سَأَلُوهُ عَنْهُ مِنْ أَمْرِ الْفِتْنَةِ ، وَالرَّجُلِ الطَّوَّافِ ، وَالرُّوحِ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : فَذُكِرَ لِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ لَجِبْرِيلَ حِينَ جَاءَهُ : لَقَدْ احْتَبَسْتَ عَنِّي يَا جِبْرِيلُ حَتَّى سُوْتُ ظُلْمًا ، فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ : « وَمَا نَنْزَلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ، لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا ، وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ ، وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا » مَرِيَمَ : ٦٤ فَافْتَتَحَ السُّورَةَ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - بِحَمْدِهِ وَذَكَرَ نُبُوَّةَ رَسُولِهِ ، لِمَا أَنْكَرُوهُ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ ﴾ الْكَهْفِ : ١ : ٢٦ . يَعْنِي : مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،

إنك رسول منى : أى تحقيق لما سألوه عنه من نبوتك . ﴿ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا قَيِّمًا ﴾ : أى : معتدلاً ، لا اختلاف فيه . ﴿ لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ ﴾ : أى عاجل عقوبته فى الدنيا ، وَعَذَابًا أَلِيمًا فِي الْآخِرَةِ من عند ربك الذى بعثك رسولا . ﴿ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ، مَا كَثِيرٌ فِيهِ أَرْبَابٌ ﴾ : أى دار الخلد لا يموتون فيها الذين صدقوك بما جئت به مما كذبتك به غيرهم ، وعملوا بما أمرتهم به من الأعمال . ﴿ وَنُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا : اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴾ يعنى : قرىشا فى قولهم : إنا نعبد الملائكة ، وهى بنات الله . ﴿ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِابْنِهِمْ ﴾ الذين أعظموا فراقهم وعَيب دينهم . ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ﴾ أى : لقولهم : إن الملائكة بناتُ الله . ﴿ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ، فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ ﴾ يا محمد ﴿ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ أى : لحزنه عليهم حين فاته ما كان يرجو منهم ، أى : لا تفعل .

قال ابن هشام : باخِعٌ نَفْسَكَ ، أى : مُهْلِكَ نَفْسَكَ ، فيما حدثنى أبو عبيدة .
قال ذو الرُّمَّة :

أَلَا أَيُّهَا الْبَاخِعُ الْوَجْدُ نَفْسَهُ لَشَيْءٍ نَحْتَهُ عَنْ يَدَيْهِ الْمَقَادِرُ

وجمه : باخعون وبخعة . وهذا البيت فى قصيدة له . وتقول العرب : قد بخعت له نَفْسِي ونَفْسِي ، أى جَهدت له . ﴿ إنا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ .

قال ابن إسحاق : أى : أيهم أتبع لأمرى ، وأعمل بطاعتي . ﴿وإننا
لجاعلون ما علمينا صعيداً جزوا﴾ : أى : الأرض ، وإن ما عليها لقان وزائل ،
وإن المرجع إلى ، فأجزى كلاً بعمله ، فلا تأس ، ولا يحزنك ما نسمع
وترى فيها .

قال ابن هشام : الصعيد : الأرض ، وجمعه : صُعد . قال ذو الرِّثمة : يصف
ظبياً صغيراً :

كَأَنَّهُ بِالضَّحَى تَرْمِي الصَّعِيدَ بِهِ دَبَّابَةٌ فِي عِظَامِ الرَّأْسِ خُرْطُومُ

وهذا البيت في قصيدة له . والصعيد أيضاً : الطريق . وقد جاء في الحديث :
« إياكم والقعود على الصُّعَدَاتِ » يريد الطرق . والجزز : الأرض التي لا تنبت
شيئاً ، وجمعها : أجزاز . ويقال : سَنَةُ جُرْز ، وسنون أجزاز ، وهى التي
لا يكون فيها مطر ، وتسكون فيها جدوبة ويُبْس وشدة . قال ذو الرِّثمة
يضف إبلا :

ضوى النَّخْزُ والأجزاء ما في بَطُونِهَا فما بقيت إلا الضَّلُوعُ الجَرَّاشُ

وهذا البيت في قصيدة له :

حول سورة الكهف

قال ابن إسحاق : ثم استقبل قصة الخبر فيما سأله عنه من شأن الغفية ،
فقال : ﴿إِذْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ :

أى : قد كان من آياتي فيما وضعت على العباد من حُجَجِي ما هو أعجب من ذلك .
قال ابن هشام : والرقيم : الكتاب الذى رُقِمَ فيه بخبرهم ، وجمعه : رُقِمَ .
قال العجاج :

وَمُسْتَقَرُّ الْمُصْحَفِ الْمُرْقَمِ

وهذا البيت فى أرجوة له .

قال ابن إسحاق : ثم قال تعالى : ﴿ إِذْ أَوْى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا : رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً ، وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ، فَضَرْبَنَا عَلَى أَذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا . ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ : لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ﴾ . ثم قال تعالى : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ ﴾ : أى : بصدق الخبر عنهم : ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ ، وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ، وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا ، فَقَالُوا : رَبَّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا ، لَقَدْ قُنَّا إِذْ شَطَطًا ﴾ : أى لم يشركوا بى كما أشركتم بى ما ليس لىكم به علم .

قال ابن هشام : والشطط : الغلو ومجاورة الحق . قال أعشى بنى قيس ابن ثعلبة :

لَا يَنْتَهَوْنَ ، وَلَا يَنْتَهَى ذَوَى شَطَطِ كَالطَّمَنِ يَذْهَبُ فِيهِ الزَيْتُ وَالْفُتُلُ
وهذا البيت فى قصيدة له .

﴿ هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ لَوْلَا يُنْفُونَ عَنْهُمْ سُلْطَانِ
بَيْنَ ۝ .

قول ابن إسحاق : أى بحجة بالغة .

﴿ فَتَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا . وَإِذَا اِغْتَرَلْتُمْوهُمْ ،
وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ، فَأَوُوا إِلَى السَّكَنِ ، يَنْشُرُكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ
رَحْمَتِهِ ، وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْقًا . وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ
تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ ، وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرِّضُهُمْ ذَاتَ الشَّمَالِ ،
وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ۝ .

قال ابن هشام : تزاور : تميل ، وهو من الزَّوَر : وقال امرؤ القيس بن حُجْر :

وَإِنِّي زَعِيمٌ إِنْ رَجَعْتُ مُمَّا كَا بَسِيرٌ تَرَى مِنْهُ الْفُرَاقَ أَرْوَا

وهذا البيت في قصيدة له . وقال أبو الزَّحَف الكَلْبِيُّ يصف بلدًا :

جَابُ الْمُنْدَى عَنْ هَوَانَا أَرْوُ يُنْفِضِي الْمَطَايَا خِمْسَهُ الْعَشْرُ

وهذان البيتان في أرجوزة له . و « تَقَرِّضُهُمْ ذَاتَ الشَّمَالِ » :

تجاوزهم وتتركهم عن شمالها . قال ذو الرمة :

إِلَى طَعْنٍ يَقْرِضُنْ أَفْوَازَ مُشْرِفٍ شِمَالًا وَعَنْ أَيْمَانِهِنَّ الْفَوَارِسُ

وهذا البيت في قصيدة له . والفجوة : السَّعة ، وجمعها : الفجاء

قال الشاعر :

الْبَسْتَ قَوْمَكَ نَحْزَاءَ وَمَنْقَصَةً حَتَّى أُبَيِّحُوا ، وَخَافُوا فُجُوءَ الدَّارِ

« ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ » أَى فِي الْحُجَّةِ عَلَى مَنْ عَرَفَ ذَلِكَ مِنْ أُمُورِهِمْ
 مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ، مِمَّنْ أَمَرَهُوْلَاءُ بِمَسْأَلَتِكَ عَنْهُمْ فِي صِدْقِ نَبَوَّتِكَ بِتَحْقِيقِ
 الْخَبَرِ عَنْهُمْ . ﴿ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ، وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ
 وَلِيًّا مُرِيدًا . وَتَحْسِبُهُمْ أَيْقَاطًا وَهُمْ رُقُودٌ ، وَنَقَلْهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ ، وَذَاتَ
 الشَّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ » .

قال ابن هشام : الوصيد : الباب . قال القسبي ، واسمه : عُبَيْدُ بْنُ وَهْبٍ :

بَارِضٍ فَلَاةٍ لَا يُبَدُّ وَصِيدُهَا عَلَيَّ ، وَمَعْرُوفِي بِهَا غَيْرُ مُنْكَرٍ

وهذا البيت في أبيات له . والوصيد أيضا : الفِداء ، وجمعه : وصائد ،
 بـوـوـصـد ، ووـصـدان ، وأـصـد ، وأـصـدان .

﴿ لَوِ اطَاعَتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتُ مِنْهُمْ فِرَارًا ، وَلَمَلَمْتُ مِنْهُمْ رُغْبًا ﴾
 . . . إلى قوله : ﴿ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ ﴾ أهل السلطان والملك
 منهم : ﴿ لَفَتَخِذْنَ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا سَيَقُولُونَ ﴾ يعنى : أحبار يهود الذين أمروهم
 بالمسألة عنهم : ﴿ ثَلَاثَةٌ رَأَاهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ
 رَجْمًا بِالْغَيْبِ ﴾ أَى : لاعلم لهم (وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّى أَعْلَمُ
 بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَائِلٌ ، فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءَ ظَاهِرٍ ﴾ :
 أَى : لاتسكابروهم ، ﴿ وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ فإيهم لاعلم لهم بهم .
 ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ : إِنِّى فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ، وَاذْكُرْ

رَبِّكَ إِذَا نَسِيتَ ، وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي لِاقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا ﴿١٠﴾
 أَيْ : وَلَا تَقُولَنَّ لشيءٍ سَأَلْتُكَ عَنْهُ كَمَا قُلْتَ فِي هَذَا : إِنِّي أَخْبَرْتُكَ غَدًا . وَاسْتَشْنِ
 مَسِيئَةَ اللَّهِ ، وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ، وَقُلْ : عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي لِخَيْرِ مَا
 سَأَلْتُكَ عَنْهُ رَشَدًا ، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَنَا صَانِعٌ فِي ذَلِكَ . ﴿١١﴾ وَلَمِثُوا
 فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تَسْعًا ﴿١٢﴾ أَيْ : سَيَقُولُونَ ذَلِكَ .
 ﴿١٣﴾ قُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَمِثُوا ، لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ
 وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ ، وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴿١٤﴾ أَيْ
 لَمْ يَخَفْ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِمَّا سَأَلْتُكَ عَنْهُ .

وَقَالَ فِيمَا سَأَلُوهُ عَنْهُ مِنْ أَمْرِ الرَّجُلِ الطَّوَّافِ : ﴿١٥﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي
 الْقَرْنَيْنِ قُلْ : سَأَلْتُكُمْ عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا . إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ
 وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا فَاتَّبَعِ سَبِيلَ السَّكْفِ : ٨٣ حَتَّى انْتَهَى إِلَى آخِرِ
 قِصَّةِ خَبْرِهِ .

وَكَانَ مِنْ خَبَرِ ذِي الْقَرْنَيْنِ أَنَّهُ أَوْتَى مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدٌ غَيْرُهُ فُتِدَتْ لَهُ
 الْأَسْبَابُ ، حَتَّى انْتَهَى مِنَ الْبِلَادِ إِلَى مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا ، لَا يَطَأُ أَرْضًا إِلَّا
 سُلِطَ عَلَى أَهْلِهَا ، حَتَّى انْتَهَى مِنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِلَى مَا لَيْسَ وَرَاءَهُ شَيْءٌ
 مِنَ الْخَلْقِ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : حَدَّثَنِي مِنْ يَسُوقِ الْأَحَادِيثِ عَنِ الْأَعَاجِمِ ، فِيمَا تَوَارَثُوا
 مِنْ عِلْمِهِ : أَنَّ ذَا الْقَرْنَيْنِ كَانَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ مِصْرَ ، اسْمُهُ : مَرْزُبَانُ بْنُ مَرْزُوبَةَ .
 الْيُونَانِيُّ ، مِنْ وَلَدِ يُونَانَ بْنِ يَافَثَ بْنِ نُوحَ .

قال ابن هشام : واسمه : الإسكندر ، وهو الذى بنى الإسكندرية ،
فنسبت إليه .

قال ابن إسحاق : وقد حدثني ثور بن يزيد عن خالد بن معدان السكلاعي
وكان رجلاً قد أدرك أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سُئِلَ عن ذى
القرنين ، فقال : مَلِكٌ مَسَحَ الأرضَ من تحتها بالأسباب .

وقال خالد : سمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه رجلاً يقول : يا ذا القرنين ،
فقال عمر : اللهم غَفَرًا ، أما رَضِيتُمْ أن تَسْمَوْا بالأنبياء حتى تَسْمَيَتم بالملائكة؟!
قال ابن إسحاق : والله أعلم أى ذلك كان ، أقال ذلك رسولُ الله - صلى
الله عليه وسلم - ، أم لا ؟ فإن كان قاله ، فالحق ما قال .

أسباب تَرْوُل بعض الآيات وعن الروح :

وقال تعالى فيما سأله عنه من أمر الروح : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ،
قُلِ : الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ، وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ الإسراء : ٨٥ .

قال ابن إسحاق : وحدثت عن ابن عباس ، أنه قال : لما قدم رسولُ الله
- صلى الله عليه وسلم - المدينة ، قالت أختبارُ يهود : يا محمد ، أرايتَ قولَكَ :
﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ إيانا تريد ، أم قومك ؟ قال : كُلاً ، قالوا :
فإنك تملو فيما جاءك : أنا قد أوتينا التَّوراةَ فيها بيان كُلِّ شَيْءٍ . فقال رسولُ
الله - صلى الله عليه وسلم - : إنها في علم الله قليل ، وعندكم في ذلك ما يكفيكم

لَوْ أَقْتَمْتُمُوهُ . قَالَ : فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ فِيمَا سَأَلُوهُ عَنْهُ مِنْ ذَلِكَ : ﴿ وَلَوْ أَنْ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ ، وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ لقمان : ٢٧ : أَيْ : إِنْ التُّورَةَ فِي هَذَا مِنْ عِلْمِ اللَّهِ قَائِلٌ .

عن تسيير الجبال وبعث الموتى :

قَالَ : وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ فِيمَا سَأَلَهُ قَوْمُهُ لَأَنْفُسِهِمْ مِنَ تَسْيِيرِ الْجِبَالِ ، وَتَقْطِيعِ الْأَرْضِ ، وَبَعَثَ مَنْ مَضَى مِنْ آبَائِهِمْ مِنَ الْمَوْتِ : ﴿ وَلَوْ أَنْ قُرْآنَا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ ، أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ ، أَوْ كُلُّنَا بِأَلَمٍ مَوْتٍ ، بَلِ اللَّهُ الْأَمْرُ جَمِيعًا ﴾ أَيْ : لَا أَصْنَعُ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا مَا شِئْتُ .

وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ فِي قَوْلِهِمْ : خُذْ أَنْفُسَكَ ، مَا سَأَلُوهُ أَنْ يَأْخُذَ لِنَفْسِهِ ، أَنْ يَجْعَلَ لَهُ جَنَانًا وَقُصُورًا وَكُنُوزًا ، وَيَبْعَثَ مَعَهُ مَلَكَ يَصْدَقُهُ بِمَا يَقُولُ ، وَيَرُدُّ عَنْهُ : ﴿ وَقَالُوا : مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ ، وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ ؟ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا ، أَوْ يُلْقَى إِلَيْنَا كَنزٌ ، أَوْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ، وَقَالَ الظَّالِمُونَ : إِنْ تَتَذَكَّرُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْجُورًا انْظُرْ : كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ ، فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ، تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ ﴾ : أَيْ مِنْ أَنْ تَمْشِيَ فِي الْأَسْوَاقِ وَتَلْتَمِسَ الْمَعَاشَ ﴿ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ، وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا ﴾ الفرقان ٧ : ١٠ .

وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِمْ : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ ، وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ ، وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً ، أَنْ تَنْصَبُوا ، وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ الفرقان : ٢٠ أى جعلت بعضكم لبعض بلاء ، لتصبروا ، ولوشئت أن أجعل الدنيا مع رُسلى فلا يخالفوا لفعلت .

وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِيمَا قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمِيَّةٍ : ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا : أَوْ تَكُونَ لَكَ جِدَّةٌ مِنْ تَحْتِهَا نَخِيلٌ وَعِنَبٌ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيرًا . أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا كِسْفًا ، أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا . أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرَفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ ، وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ . حَتَّى تُنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُوهُ . قُلْ : سُبْحَانَ رَبِّي . هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ . الإسراء : ٩٠ - ٩٥ .

قال ابن هشام : ينبوع : مانع من الماء من الأرض وغيرها . وجمعه ينابيع . قال ابن هرمة . واسمه : إبراهيم بن عبد الله الفهري .

وَإِذَا هَرَقْتَ بِكُلِّ دَارٍ عَبْرَةً تُزِفُ الشُّنُونَ . وَدَمْعُكَ الْيَنْبُوعُ

وهذا البيت في قصيدة له . وَالْكِسْفُ الْقِطْعُ مِنَ الْعَذَابِ . وواحدته : كِسْفَةٌ . مثل سِدْرَةٍ وَسِدْرٍ . وهى أيضا : واحدة الكِسْفِ . والقَبِيلُ : يكون مقابلة ومعاينة . وهو كقوله تعالى : ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا﴾ : أى : عيانا . وَأَنْشَدَنِي أَبُو عُبَيْدَةَ لَأَعَشَى بَنِي قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ :

أَصْلَحَكُمْ ، حَتَّى تَبُوءُوا بِمِثْلِهَا كَصَرْخَةِ حُبْلَى يَسَرُّهَا قَبِيلُهَا

يعنى : القابلة ؛ لأنها تُقابلها ، وتقبل ولدها . وهذا البيت فى قصيدة له . ويقال
 القَبِيل : جمعه قُبُل ، وهى الجماعات ، وفى كتاب الله تعالى : ﴿ وَحَسَرْنَا عَلَيْهِمْ
 كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا ﴾ . الأنعام : ١١١ قُبُل : جمع قَبِيل ، مثل سُبُل : جمع سَبِيل
 وسُرُر : جمع سرير ، وقُصص : جمع قصص . والقَبِيل أيضا : فى مَثَل من الأمثال
 وهو قولهم : ما يعرف قَبِيلًا من دَبِير : أى : لا يعرف ما أقبل مما أدبر ، قال
 : الكميت بن زيد :

تَفَرَّقَتِ الْأُمُورُ بِوُجْهِتِهِمْ فَمَا عَرَفُوا الدَّيْرَ مِنَ الْقَبِيلِ

وهذا البيت فى قصيدة له ، ويقال : إنما أريد بهذا : القتل ، فما قُتِل إلى
 الذراع فهو القَبِيل ، وما قُتِل إلى أطراف الأصابع فهو الدَّيْر ، وهو من الإقبال
 والإدبار الذى ذكرتُ . ويقال : قَتَلُ المِغْزَل . فإذا قُتِل إلى الركبة فهو القَبِيل ،
 وإذا قُتِل إلى الورك فهو الدَّيْر . والقَبِيل أيضا : قومُ الرجل . والزخرف :
 الذهب . والمزخرف : المزين بالذهب . قال العجاج :

مِنْ طَلَلِ أُمْسَى تَخَالِ الْمُصْحَفَا رُسُومَهُ وَالْمُذْهَبَ الْمُزْخَرَفَا

وهذان البيتان فى أرجوزة له ، ويقال أيضا لكل مُزَيَّنٍ : مُزْخَرَف .

قال ابن إسحاق : وأنزل عليه فى قولهم : إنا قد بلغنا أنك إنما يُعَلِّمُك
 رجل باليمامة . يقال له : الرحمن . ولن نؤمن به أبداً : ﴿ كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فى
 أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لَتَتَلَوَّ عَلَيْهِمُ الَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ . وَهُمْ

يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ . قُلْ : هُوَ رَبِّي . لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ .
وإليه متاب ﴿٣٠﴾ . الرعد : ٣٠ .

وأنزل عليه فيما قال أبو جهل بن هشام - لعنه الله - وما هم به : ﴿أرأيتَ
الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى ، أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ أَوْ أَمَرَ بِالْعَمَلِ ، أَرَأَيْتَ
إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ، أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ، كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ
لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ، نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ، فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ، سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ،
كَلَّا لَا تَطْفُئُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴾ سورة العلق .

قال ابن هشام : كنسفعاً : لنجذب ، ولماخذن . قال الشاعر :

قومٌ إذا سمِعوا الصُّرَاخَ رأيتهم من بين مُلْجِمٍ مُهْرِهِ أَوْ سَافِعٍ

والنادي : المجلس الذي يجتمع فيه القوم ، ويقصّون فيه أمورهم ،
وفي كتاب الله تعالى : ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ﴾ العنكبوت : ٢٩
وهو الندى . قال عبيد بن الأبرص :

اذهب إليك فإني من بني أسد أهل الندى ، وأهل الجرد والنادي

وفي كتاب الله تعالى : ﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ مريم . ٧٣ . وجمعه : أنديّة . يقول :
فلْيَدْعُ أَهْلَ نَادِيهِ . كما قال تعالى : ﴿وَاسْتَلِ الْقَرْيَةَ﴾ يوسف : ٨٢ يريد
أهل القرية . قال سلامة بن جندل ، أحد بني سعد بن زيد مناة بن تميم :

يومان : يومٌ مقامات ، وأنديّة ويومٌ سيرٍ إلى الأعداء تأويب

وهذا البيت في قصيدة له . وقال السكيت بن زيد :

لا مَهَازِيرَ فِي النَّدَى مَكَائِرَ وَلَا مُصْمِتِينَ بِالْإِفْحَامِ

وهذا البيت في قصيدة له . ويقال : النّادى : الجمساء . والزبانية : الغلاظ
الشّداد ، وهم في هذا الموضع : خَزَنَةُ النَّارِ . والزبانية أيضاً في الدنيا : أعوانُ
الرجل الذين يخدمونه ويعينونه ، والواحد : زَبْدِيَّة . قال ابن الزّبَعْرَى
في ذلك :

مَطَاعِيمُ فِي الْمَتَرَى ، مَطَاعِينُ فِي الْوَعَى

زَبَانِيَّةٌ غُفْبٌ ، عِظَامٌ حُلُومُهَا

يقول : شِدَادٌ . وهذا البيت في أبيات له . وقال صَخْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ
الْمُذَلِّي ، وهو صَخْرُ الْغَيِّ :

وَمِنْ كَبِيرٍ نَفَرْتُ زَبَانِيَّةً

وهذا البيت في أبيات له .

قال ابن إسحاق : وأنزل الله تعالى عليه فيما عَرَضُوا عَلَيْهِ مِنْ أَمْوَالِهِمْ :
﴿ قُلْ : مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ، إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ، وَهُوَ
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ . سَبَأُ : ٤٧ ﴾ .

فلما جاءهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بما عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ، وَعَرَفُوا
صِدْقَهُ فِيمَا حَدَّثَ ، وَمَوْقِعَ نُبُوَّتِهِ فِيمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمِ الْغُيُوبِ حِينَ سَأَلُوهُ عَمَّا

سألوأ عنه ، حال الحسد منهم له بينهم وبين أتباعه وتصديقه فمَتَّوْا على الله . وتركوا أمره عيانا ، وِجَلَّوْا فيما هم عليه من الكُفْر ، فقال قائلهم : لا تَسْمَعُوا لهذا القرآن والغَوَا فيه لعلكم تغلبون ، أى : اجعلوه لغوا وباطلا ، واتخذوه هُزُواً لعلكم تغلبونه بذلك ، فإنكم إن ناظرتموه أو خاصمتموه يوما غلبكم .

فقال أبو جهل يوما — وهو يهزأ برسول الله صلى الله عليه وسلم وما جاء به من الحق : يا معشر قريش ، يزعمُ محمدٌ أنَّ جنود الله الذين يعذبونكم في النار ، ويحبسونكم فيها تسعةَ عشر ، وأنتم أكثر الناس عدداً ، وكثرةً ، أقيمِ عِزُّ كلِّ مائة رجلٍ منكم عن رجلٍ منهم ؟ فأُنزل الله تعالى عليه في ذلك من قوله : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً ، وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ . المدثر : ٣١ إلى آخر القصة ، فلما قال ذلك بمضغهم لبعض ، جعلوا إذا جهر رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - بالقرآن وهو يصلى ، يتفرقون عنه ، ويأبون أن يَستمعوا له ، فكان الرجلُ منهم إذا أراد أن يَستمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض ما يتلو من القرآن ، وهو يُصلى ، استرق السمعَ دونهم فرَقا منهم ، فإن رأى أنهم قد عرفوا أنه يَستمع منه ذهب خَشْيَةُ أذاهم ، فلم يَستمع ، وإن خَفَضَ رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - صوته ، فظن الذى يَستمع أنهم لا يَستمعون شيئاً من قراءته ، وسمع هو شيئاً دونهم أصاح له يَستمع منه .

قال ابن إسحاق : حدثني داود بن الحصين ، مولى عمرو بن عثمان ، أن عِكْرَمَةَ مولى ابن عباس حدثهم أن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما حدثهم :

إِنَّمَا أَنْزَلْتُ هَذِهِ الْآيَةَ : ﴿ وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴾ الإسراء : ١١٠ . من أجل أولئك النفرة . يقول : لا تجهر بصلواتك فيتفرقوا عنك ، ولا تخافت بها ، فلا يسمعها من يحب أن يسمعها ممن يشترق ذلك دونهم ، لعلهم يرغوى إلى بعض ما يسمع ، فينتفع به .

أول صحابي جهر بالقرآن :

قال ابن إسحاق : وحدثني يحيى بن عروة بن الزبير ، عن أبيه ، قال : كان أول من جهر بالقرآن بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بمكة عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ، قال : اجتمع يوما أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالوا : والله ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر لها به قط ، فمن رجل يسمعهموه ؟ فقال عبد الله بن مسعود : أنا ، قلوا : إنا نخشاهم عليك ، إنما نريد رجلاً له عشيرة يمنعونه من القوم إن أرادوه ، قال : دعوني فإن الله سيمنعني . قال : فغدا ابن مسعود حتى أتى المقام في الضحى ، وقريش في أنديتها حتى قام عند المقام ثم قرأ : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ رافعا بها صوته ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴾ قال : ثم استقبلها يقرأها . قال : فتأملوه فجعلوا يقولون . ماذا قال ابن أم عبد ؟ قال : ثم قالوا : ليتلو بعض ما جاء به محمد ، فقاموا إليه ، فجعلوا يضربون في وجهه ، وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ . ثم انصرف إلى أصحابه ، وقد أثروا في وجهه ، فقالوا له : هذا الذي خشنا عليك فقال : ما كان أعداء الله أهون على منهم الآن ، ولئن شئتم لأغادينهم بمثلها غداً ، قالوا : لا ، حسبك ، قد أسمعتمهم ما يكرهون .

والففى رسول الله (ص) من قومه :

فصل : فيما لقي رسول الله صلى عليه وسلم من قومه ، ذكر ابن إسحاق والواقدي والتيمي ، وابن عقيبة وغيرهم فى هذا الباب أموراً كثيرة تتقارب ألفاظها ومعانيها ، وبعضهم يزيد على بعض ، فمنها حَتَّوْ سَفْهَانَهُم التراب على رأسه ، ومنها أنهم كانوا يَنْضِدُونَ^(١) الْفَرثَ والأَفْحَاثَ والدماء على بابه ، ويطرحون رحم الشاة فى بُرْمَتِهِ ، ومنها : بَصَقُ أُمَيَّةَ بن خلف فى وجهه ، ومنها : وطء عقبة بن أبى مُعَيْط^(٢) على رقبته ، وهو ساجد عند الكعبة حتى كادت عيناه تبرزان ، ومنها أخذُهُم بِمُخْتَمِّهِ حين اجتمعوا له عند الحِجْر ، وقد ذكره ابن إسحاق ، وزاد غيره الخبر أنهم خنقوه خنقاً شديداً وقام أبو بكر دونه فَجَبَذُوا

(١) يَنْضِدُونَ : يضعون بعضه فوق بعض ، والألحاث جمع الفحث — بسكون الحاء وكسرهما — شئ متصل بالكركش ذو أطباق وأجواف ، والفرت ما فى داخل الكركش

(٢) قتل بمد بدر ، وقيل : قتل صبرا مع النصر فى بدر وقد روى البخارى فى كتاب خلع أفعال العباد . وأبو يعلى وابن حبان عن عمرو بن العاصى : هـ ما رأيت قريشاً أرادوا قتل النبى - صلى الله عليه وسلم - إلا يوم أغروا به وعم فى ظل الكعبة جلوس ، وهو يصلى عند المقام ، فقام إليه عقبة ، فجعل رداه فى عنقه ، ثم جذبه ، حتى وجب لركبته ، وتصايح الناس ، وأقبل أبو بكر يشتد حتى أخذ بضبع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من ورائه ، وهو يقول : أقتلوا رجلاً أن يقول : ربى الله ، ثم انصرفوا عنه ، فلما قضى صلاته ، مر بهم ، فقال : والذى نفسى بيده ما أرسلت إليكم إلا بالذبح ، فقال له أبو جهل : يا محمد ما كنت جهولاً ، فقال : أنت منهم .

رأسه ولحيته حتى سقط أكثر شعره ، وأما السبُّ والهَجْوُ والتأنيب وتعذيب أصحابه وأحبائه ، وهو ينفّر . فند ذكر من ذلك ابن إسحاق ما في الكتاب ، وقد قال أبو جهل السُمَيَّةُ أمَّ عَمَّار بن ياسر : ما آمنتُ بِمَعْدِ إِلَّا لَأَنَّكَ عَشِيقَتُهُ لِحَالِهِ ، ثم طعنوا بالحربة في قُبُلِهِم حتى قتلها ، والأخبار في هذا المعنى كثيرة .

السبب في تلقيبه بالمدثر والنذر العريانه :

وذكر ابن إسحاق قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم : « دَثَرُونِي وَدَثَرُونِي » فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَدَثَرُ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴾ ^(١) قال بعض أهل العلم : في تسميته إياه

(١) ذكر في أسباب نزول هذه الآيات — روايتان . أما الأولى : فعن يحيى قال : سألت أبا سلة رضى الله عنه : أى القرآن أنزل أول ؟ فقال : يا أيها المدثر . قلت : أنبئت : أنه اقرأ باسم ربك ، فقال : لا أخبرك إلا بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : جاورت في حراء ، فلما قضيت جوارى هبطت ، فاستبطنت الوادى ، فنوديت ، فنظرت أمامى وخلفى وعن يمينى ، وعن شمالى فإذا هو جالس على عرش بين السماء والأرض ، فأنتيت خديجة ، فقلت : دثرونى . وصبوا على ماء باردا ، ففعلوا ، وأنزل على : يا أيها المدثر ، قم فأنذر ، وربك فكبر ، رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى .

أما الرواية الأخرى فعن الزهري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن جابر ابن عبد الله رضى الله عنهما قال : سمعت النبى - صلى الله عليه وسلم - وهو يحدث عن فترة الوحى ، فقال فى حديثه : « فبينما أنا أمشى إذ سمعت صوتا من السماء ، فرفعت رأسى ، فإذا الملك الذى جاءنى بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض ، فجلست منه رجبا ، فرجعت . فقلت : زملونى ، فدثرونى ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : يَا أَيُّهَا الْمَدَثَرُ — إلى — والرجز فاهجر قبل أن تفرض الصلاة . البخارى ومسلم والإمام أحمد . والروايتان عن جابر بن عبد الله .

وذكر الطبرانى رواية ثالثة يسند ضعيف عن ابن عباس قال : إن الوليد ابن المغيرة صنع لقريش طعاما ، فلما أكلوا منه قال : ما تقولون فى هذا الرجل ؟

بالمُدَّثِّرِ في هذا المقام مُلَاطَفَةٌ وتَأْنِيسٌ ، ومن عادة العرب إذا قصدت المِلاطفة أن تسمى الخاطَبَ باسم مُشْتَقٍّ من الحالة التي هو فيها ، كقوله عليه السلام لحذيفة: قم يا نَوْمان ، وقوله لعلي بن أبي طالب - وقد تَرَبَّجْنِيهِ: قم أبا تُرَّابٍ (١) فلو ناداه سبحانه، وهو في تلك الحال من السكر باسمه، أو بالأمر المجرد من هذه المِلاطفة لَهَلَّ ذلك ، ولكن لما بدى، بيأىها المدثر أنيس ، وعلم أن ربه راض عنه ، ألا تراه كيف قال عندما لقي من أهل الطائف من شدة البلاء والسكر ما لقي : رَبِّ إِنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ غَضَبٌ عَلَيَّ فَلَا أُبَالِي (٢) إلى آخر الدعاء ، فكان مطلوبه رضا ربه ، وبه كانت تهون عليه الشدائد. فإن قيل : كيف ينتظم بآيها المدثر مع قوله : قم فأنذر ، وما الرابط بين المعنيين ، حتى يلتئم في قانون البلاغة ، ويتشاكل في حكم الفصاحة ؟ قلنا : من صفته عليه السلام ما وصَّفَ به نفسه حين قال : أنا النذير العُرْيَان ، وهو مَثَلٌ معروف عند العرب ، يقال لمن أُنْذِرَ بقرب

== فقال بعضهم : ساحر . وقال بعضهم : ليس بساحر ، وقال بعضهم : كاهن ، وقال بعضهم : ليس بكاهن ، وقال بعضهم : شاعر ، وقال بعضهم : ليس بشاعر ، وقال بعضهم : بل سحر يؤثر ، فأجمع رأيهم على أنه سحر يؤثر ، فبلغ ذلك النبي - صلى الله عليه وسلم - فخرن ، وقنع رأسه ، وقد ثر ، فأنزل الله تعالى : (يا أيها المدثر قم فأنذر ، وربك فكبر ، وثيابك فطهر والرجز فاهجر ، ولا تمنن تستكثر ، ولربك فاصبر) وأخرجه البزار بنحوه عن جابر .

(١) كان على رضى الله عنه قد غاضب فاطمة ، فلما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم منزل فاطمة ، وعلم بهذا ، أرسل من يبحث عنه ، فجاء ، فأخبره أنه في المسجد ، فجاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو مضطجع قد سقط رداؤه عن شقه وأصابه تراب . فجعل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يمسحه عنه ، ويقول : قم أبا التراب ، قم أبا التراب .. مختصر من حديث رواه الشيخان .

(٢) من حديث رواه الطبراني في الكبير عن عبد الله بن جعفر .

العدو ، وبالغ في الإنذار ، وهو النذير العُريَان^(١) ، وذلك أن النذير الجادَّ مُجرَّد ثوبه ، ويُشير به إذا خاف أن يسبق العدوُّ صوته ، وقد قيل : إن أصل المثل لرجل من حَقَم سلبه العدوُّ ثوبه ، وقطعوا يده ، فانطلق إلى قومه نذيراً على تلك الحال ، فقوله عليه السلام : أنا النذير العريان أى : مثلى مثل ذلك ، والتندر بالثياب مُضادٌّ للتَّعَرَّى ، فسكان في قوله : (يا أيها المدثر) مع قوله : (قم فأنذر) والنذيرُ الجادُّ يسمى : العُريَان : تشاكُلَ بَيْنَ ، والثام بديعٌ وسماقة في المعنى ، وجَزَّالة في اللفظ .

تقديم المفعول على الفعل :

وقوله بعد هذا : (وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ) أى : ربك كبير ، لا غيره لا يَكْبُرُ عليك شيء من أمر الخلق ، وفي تقديم المفعول على فعل الأمر إخلاصٌ ، ومثله قوله : إِيَّاكَ نَعْبُدُ [وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ] أى : لا نعبد غيرك [ولا نستعين إلا بك]^(٢) ، ولم يقل : نعبدك ونستعينك ، وفي الحديث : إذا قال العبد : إِيَّاكَ نعبد ، وإِيَّاكَ نستعين ، يقول الله تعالى : أخلص لي عبدي العبادة ، واستعانني عليها ، فهذه بيني وبين عبدي^(٣) .

(١) روى الصحيحان قول النبي « ص : » : « إنما مثلى ، ومثل ما بعثنى الله كمثلى رجل أتى قومه ، فقال : يا قوم : إني رأيت الجيش بعينى ، وإني أنا النذير العريان ، فالنجاء النجاء ، فأطاعته طائفة من قومه ، فأدلجوا ، وانطلقوا على مهلهم ، فنجوا ، وكذبت طائفة منهم ، فأصبحوا مكاثرهم ، فصباحهم الجيش ، فأهلكهم ، واجتاحهم ، فذلك مثل من أطاعنى ، واتبع ما جئت به ، ومثل من عصانى ، وكذب ما جئت به من الحق ، وانظر بجمع الامثال

(٢) الزيادة يقتضيها سياق الكلام .

(٣) في رواية مسلم : « وإذا قال : إِيَّاكَ نعبد ، وإِيَّاكَ نستعين ، قال : هذا بيني وبين عبدي ، ولعبدي ما سأل ،

عتبة بن ربيعة والرئي :

فصل : وذكر قول عتبة : إن كان هذا رئيًا تراء . وافتة بنى تميم : رئي بكسر الراء ، وكذلك يقولون في كل فاعيل عين الفعل منه همزة ، أو غيرها من حروف الخلق ، يكسرون أوله ، مثل : رحيم وشهيد والرئي : فاعيل بمعنى مفعول ^(١) ، ولا يكون إلا من الجن ، ولا يكون فاعيل بمعنى مفعول في غير الجن . إلا أن يؤثر فيه الفعل نحو : جريح وقتيل وذبيح وضحين ، ولا يقال من الشكر : شكير ، ولا ذكرته فهو ذكير ، ولا فيعن لطم : لطم إلا أن تغير منه اللطمة ، كما قالوا : لطم الشيطان . قال ابن الزبير حين قتل عمرو بن سعيد الأشدق [ابن العاص] ^(٢) : ألا إن أباذيان قتل لطم الشيطان : كذلك نوى بعض الظالمين بعضًا بما كانوا يكسبون الأنعام : ٢٩ . وقالوا من الحمد : حميد . ذهبوا به مذهب كريم ، وكذلك قالوا في الجن : رئي ، وإن كانت الرؤيا لا تؤثر في المرئي : لأنهم ذهبوا به مذهب قرين ونجى .

(١) وعن اللحياني : رئي بكسر الراء — إذا كان يحبه ويؤلفه ، وفي اللسان كذلك : هو فاعيل أو فاعول سمي به لأنه يترامى لمتبوعه ، أو هو من الرأى من قولهم : فلان رئي قومه بنتج الراى وكسر الهمزة وتضعيف الياء ، إذا كان صاحب رأي . وحروف الخلق هي حروف الهجاء التي تخرج من الخلق عند النطق . وهي الهمزة والحاء والخاء والعين والغين والهاء .

(٢) الذي قتله عبد الملك بن مروان ، وكان الأشدق يلقب بلطم الشيطان فلما بلغ ابن الزبير مقتله ، وهو بمكة صعد المنيرة وقال ما ذكره السهيلي ، وأبو ذبيان يكسر الدال وتشديد الباء مع فتح كنية لعبد الملك بن مروان . وقد كنى بها لشدة بخره ، وموت الذبان إذا دنت من فيه (ص ٧٩ الاشتقاق لابن دريد وتعليقاته للأستاذ عبد السلام هارون ،

(٣) عن قصة عتبة روى عبد ابن حميد في مسنده عن ابن أبي شيبة بسنده عن

جابر وأبو يعلى أيضا بسنده عن جابر : (اجتمع قريش يوما ، فقالوا : انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر ، فليات هذا الرجل الذى قد فرق جماعتنا ، وشتت أمرنا ، وعاب ديننا ، فليكنه ولننظر ماذا يرد عليه ، فقالوا : ما نعظم أحدا غير عتبة بن ربيعة ، فقالوا : أنت يا أبا الوليد ، فأتاه عتبة . فقال : يا محمد أنت خير أم عبد الله ؟ فسكت رسول الله ﷺ . فقال : أنت خير أم عبد المطلب ؟ فسكت رسول الله ﷺ . فقال : إن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك ، فقد عبدوا الآلهة التى عبت ، وإن كنت تزعم أنك خير منهم ، فتكلم حتى نسمع قولك ، وإنا والله ما رأينا سخلة قط أشأم على قومك منك ، فرقت جماعتنا ، وشتت أمرنا ، وعبت ديننا ، وفضحتنا فى العرب حتى لقد طار فيهم أن فى قريش ساحرا وأن فى قريش كاهنا ، والله ما تنتظر إلا مثل عبيحة الحبلى أن يقوم بعضنا إلى بعض بالسيوف حتى نتفانى . أيها الرجل ، إن كان إنما بك الحاجة جمعنا لك حتى تكون أغنى قريش رجلا ، وأخذا ، وإن كان إنما بك من البائة ، فاختر أى نساء قريش شئت ، فلنزوجك عشرا ، فقال رسول الله ﷺ . ص ، فرغت ؟ قال : نعم ، فقرأ رسول الله ﷺ . ص ، من أول سورة فصلت إلى قوله سبحانه : (فإن أعرضوا فقل : أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) فقال عتبة : حسبك حسبك ما عندك غير هذا ؟ فقال رسول الله ﷺ . ص ، لا . فرجع إلى قريش ، قالوا : ما وراءك . قال : ما تركت شيئا أرى أنكم تسلكمون به إلا كلمته قالوا : فهل أجابك ؟ قال : نعم والذى نصبها بنية ما فهمت شيئا مما قاله ، غير أنه أنذركم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود . قالوا : ويملك يكلمك الرجل بالعربية لاتدرى ما قال ؟! قال : لا والله ما فهمت شيئا مما قال غير ذكر الصاعقة ، وقد ساقه البغوى بسنده عن محمد بن فضيل عن الأجلح وهو ابن عبد الله الكندى السكونى ، وقد ضعف بعض الشيء عن الزبال بن حردلة عن جابر ، فذكر الحديث إلى قوله (فإن أعرضوا ، فأمسك عتبة على فيه ، وناشده بالرحم ، ورجع إلى أهله ، ولم يخرج إلى قريش ، واحتبس عنهم ، فقال أبو جهل : يا معشر قريش والله ما نرى عتبة إلا قد صبا إلى محمد ، وأعجبه ما قامه ، وما ذاك إلا من حاجة ==

إسلام حمزة :

فصل : وذكر إسلام حمزة ، وأُمُّه : هالة بنت أَهْيَب بن عبد مناف بن زُهره ،
وَأَهْيَبُ : عمُّ آمنه بنت وهب تزوجها عبدُ المطلب ، وتزوج ابنه عبدُ الله
آمنة في ساعة واحدة ، فولدت هالة لعبد المطلب حمزة . وولدت آمنة لعبد الله
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم أرضعتها ثؤيبَةُ كما تقدم ، وزاد غير

== أصابته ، فانطلقوا بنا إليه ، فانطلقوا إليه ، فقال أبو جهل : يا عتبة ما حبسك
عنا إلا أنك صبأت إلى محمد ، وأعجبك طعامه ، فإن كانت بك حاجة جمعنا لك
من أموالنا ما يغنيك عن طعام محمد ، فنضب عتبة ، وأقسم ألا يكلم محمدا أبداً .
وقال : والله لقد علمت أني من أكثر قريش مالا ، ولكنني أتيت ، وقصصت عليه
القصة ، فأجابني بشيء والله ما هو بشعر ، ولا كهانة ، ولا سحر . وقرأ السورة
إلى قوله تعالى : (فإن أعرضوا . .) فأمسكت بفيه ، وناشدته بالرحم أن يكف ،
وقد علمت أن محمدا إذا قال شيئا لم يكذب ، خشيت أن ينزل بكم العذاب ،
وسياق ابن إسحاق أشبه .

(١) حمزة هو أخو النبي «ص» من الرضاعة أرضعتها - كما سيذكر السهيلي -
ثؤيبه مولاة أبي لهب ، وقد ثبت هذا في الصحيحين . وقد أسلم حمزة في الثانية
أو الثالثة - كما في الإصابة والاستيعاب - أو في السادسة كما ذكر ابن الجوزي .

(١) في الإصابة أنه ولد قبل النبي بأربع ، ولا يشك هذا مع حديث الأخوة
من الرضاعة إذ يمكن القول بأنها أرضعتها في زمنين مختلفين . وكنيته : أبو عماره
بإبن له من امرأة من بني النجار ، وقيل : هي بنت له ، وقيل : كنيته
أبو يعلى الذي قيل إنه لم يعيش له ولد سواه . وفي ابن هشام أن التي كلمته هي
مولاة عبد الله بن جدعان . وعند غيره أن صفية أخته هي التي كلمته . ولا منافاة
فحسب ابن أبي حاتم : أخبرته امرأتان .

ابن إسحاق في إسلام حمزة أنه قال : لما احتملني الغضب ، وقلت : أنا على قوله ، أدركني الندم على فراق دين آبائي وقومي ، وبت من الشك في أمر عظيم لا أكتحل بنوم ، ثم أتيت السكبة ، وتضرعت إلى الله سبحانه أن يشرح صدري للحق ، ويذهب عني الريب (١) فما استتممت دعائي حتى زاح عني الباطل ، وامتلأ قلبي يقينا — أوكما قال — فغدوت إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم فأخبرته بما كان من أمري ، فدعاني بأن يُثبَّتني الله ، وقال حمزة بن عبد المطلب حين أسلم :

حَدَّثَ اللَّهُ حِينَ هَدَى فُؤَادِي	إِلَى الْإِسْلَامِ وَالِدِينَ الْخَنِيفِ
لِدِينٍ جَاءَ مِنْ رَبِّ عَزِيزٍ	خَيْرٍ بِالْعِبَادِ بِهِمْ لَطِيفٍ
إِذَا تُبْدِيتُ رِسَالَهُ عَلَيْنَا	تَحْدَرُ دَمْعُ ذِي اللَّبِّ الْخَصِيفِ
رِسَائِلُ جَاءَ أَحَدٌ مِنْ هَدَاها	بِآيَاتٍ مُبَيِّنَةٍ الْحُرُوفِ
وَأَحْمَدُ مُصْطَفَى فِينَا (٢) مَطَاعٌ	فَلَا تَغْشَوْهُ بِالْقَوْلِ الْعَنِيفِ
فَلَا وَاللَّهِ نُسَلِّهِ لِقَوْمٍ	وَلَمَّا نَقُضَ فِيهِمُ بِالسَّيُوفِ
وَنَتْرِكُ مِنْهُمْ قَتْلَى بِقَاعٍ	عَلَيْهَا الطَّيْرُ كَالْوَرْدِ الْعَكُوفِ

(١) وعند يونس بن بكير عن ابن إسحاق أنه قال لنفسه بعد رجوعه من شج أبي جهل : أنت سيد قریش اتبعت هذا الصابي ، وتركت دين آبائك . الموت خير لك مما صنعت . ثم قال : اللهم إن كان هذا رشدا ، فاجعل تصديقه في قلبي ، وإلا فاجعل لي بما وقعت فيه مخرجا . ثم غدا إلى رسول الله يطلب نصيحته ، فوعظه حتى ثبت إيمانه .

(٢) في الاصل : فينا مصطفي وهو خطأ يكسر البيت .

وقد خُبِّرَتْ ما صنعت ثَقِيفُ به ، فجزى القِبائِلَ من ثَقِيفِ
إِلَهَ النَّاسِ شَرَّ جَزَاءٍ قَوْمٍ وَلَا أَسْقَاهُمْ صَوْبَ الْخَرِيفِ

طلب الآيات :

فصل : وذكر مأسأله قومه من الآيات وإزالة الجبال عنهم ، وإزالة
الملائكة عليه ، وغير ذلك ، جهلا منهم بحكمة الله تعالى في امتحانه الخلق ، وتَعَبُّدِهِمْ
بتصديق الرسل ، وأن يكون إيمانهم عن نظر وفكر في الأدلة ، فيقع الثواب
على حسب ذلك ، ولو كشف الغطاء ، وحصل لهم العلم الضروري ، بَطَلَتْ
الحكمة التي من أجابا يكون الثواب والعقاب ، إذ لا يُوجَرُ الإنسان على ما ليس
من كسبه ، كما لا يُوجَرُ على ما خلق فيه من لون وشعر ونحو ذلك ، وإنما أعطاهم
من الدلائل ما يقتضى النظر فيه العلم الكسبي ، وذلك لا يحصل إلا بفعل من
أفعال القلب ، وهو النظر في الدليل ، وفي وجه دلالة المعجزة على صدق
الرسول ، وإلا فقد كان قادرا سبحانه أن يأمرهم بكلام يسمعون ، ويفقهون عن
إرسال الرسل إليهم ، ولكنه سبحانه قسم الأمر بين الدارين ، فجعل الأمر
يُعلم في الدنيا بنظر واستدلال وتفكير واعتبار ؛ لأنها دار تعبد واختبار ،
وجعل الأمر يُعلم في الآخرة بمعاينة واضطرار ، لا يُستَحَقُّ به ثواب ولا جزاء ،
وإنما يكون الجزاء فيها على ما سبق في الدار الأولى ، حكمة دبرها ، وقضية
أحكامها ، وقد قال الله تعالى : ﴿ وَمَا مَنَعْنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا
الْأَوَّلُونَ ﴾ الإسراء : ٥٩ . يريد - فيما قال أهل التأويل - إن التكذيب
بالآيات ، نحو منسأله من إزالة الجبال عنهم وإزالة الملائكة يوجب في حكم

الله ، أَلَّا يُبَلِّثَ الْكَافِرِينَ بِهَا ، وَأَنْ يَعَاجِلَهُمْ بِالنَّقْمَةِ ، كَمَا فَعَلَ بِقَوْمِ صَالِحٍ وَبِأَلِ فِرْعَوْنَ ، فَهُوَ أُعْطِيَ قُرَيْشٌ مَاسْأَلُوهُ مِنَ الْآيَاتِ ، وَجَاءَهُمْ بِمَا اقْتَرَحُوا ثُمَّ كَذَبُوا لَمْ يَلْبَثُوا ، وَلَسَكُنَ اللهُ أَكْرَمَ مُحَمَّدًا فِي الْأُمَّةِ الَّتِي أَرْسَلَهُ إِلَيْهِمْ ؛ إِذْ قَدْ سَبَقَ فِي عِلْمِهِ أَنْ يَكْذَّبَ بِهِ مَنْ يَكْذِبُ ، وَيَصْدُقَ بِهِ مَنْ يَصْدُقُ ، وَابْتَعَثَهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ بَرٍّ (١) وَفَاجِرٍ ، أَمَّا الْبَرُّ فَرَحِمَتُهُ إِيَّاهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَأَمَّا الْفَاجِرُ ، فَانْهَمُ أَمْنُوا مِنَ الْخُتْفِ وَالْفِرَاقِ وَإِرْسَالِ حِاصِبٍ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ . كَذَلِكَ قَالَ بَعْضُ أَهْلِ التَّفْسِيرِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ الْأَنْبِيَاءُ : ١٠٧ مع أَنَّهُمْ لَمْ يَسْأَلُوا مَاسْأَلُوا مِنَ الْآيَاتِ إِلَّا تَعَفُّتًا وَاسْتِهْزَاءً ، لَا عَلَى جَهَةِ الْاِسْتِشَادِ ، وَدَفْعِ الشُّكِّ ، فَقَدْ كَانُوا رَأَوْا مِنْ دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ مَا فِيهِ شَفَاءٌ لِمَنْ أَنْصَفَ ، قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ : ﴿ أَوْ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ ﴾ الْعَنْكَبُوتِ ٥١ آيَةً ، وَفِي هَذَا الْمَعْنَى قِيلَ :

لَوْ لَمْ تَكُنْ فِيهِ آيَاتٌ مُّبَيِّنَةٌ كَانَتْ بَدَاهَتُهُ مُنْتَبِيكَ بِالْخَبَرِ

وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي غَيْرِ هَذِهِ الرِّوَايَةِ أَنَّهُمْ سَأَلُوا أَنْ يُجْعَلَ لَهُمُ الصِّفَا

(١) يَقُولُ ابْنُ كَثِيرٍ عَنْ مَجْلِسِ الْمُشْرِكِينَ وَسُؤَالِهِمْ مَا سَأَلُوا : « وَهَذَا الْمَجْلِسُ الَّذِي اجْتَمَعَ هَؤُلَاءِ لَهُ ، لَوْ عَلِمَ اللهُ مِنْهُمْ أَنَّهُمْ لَانْمَا يَسْأَلُونَ ذَلِكَ اسْتِشَادًا لِاجْتِبَاؤِهِ إِلَيْهِ ، وَلَكِنْ عَلِمَ أَنَّهُمْ لَانْمَا يَطْلُبُونَ ذَلِكَ كُفْرًا وَعِنَادًا فَقِيلَ لِرَسُولِ اللهِ « ص » : إِنْ شِئْتَ أُعْطِينَاهُمْ مَاسْأَلُوا ، فَإِنْ كَفَرُوا عَذَبْتَهُمْ عَذَابًا لَا أَعْذِبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ، وَإِنْ شِئْتَ فَتَحْتُ عَلَيْهِمْ بَابَ التَّوْبَةِ وَالرَّحْمَةِ . فَقَالَ : بَلْ تَفْتَحُ عَلَيْهِمْ بَابَ التَّوْبَةِ وَالرَّحْمَةِ ، وَخَتَامَ كَلَامِ ابْنِ كَثِيرٍ وَرَدَّ فِي حَدِيثِ رَوَاهُ أَحْمَدُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ .

ذهبا ، قَمَّ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - أن يدعو الله لهم ، فنزل جبريل ، فقال لهم : ما شئتم إن شئتم ففعلت ما سألتكم ، ثم لا نُلْبِثُكُمْ إن كذبتكم بعد معاينة الآية ، فقالوا : لا حاجة لنا بها^(١) .

عبد الله بن أبي أمية :

فصل : وذكر قول عبد الله بن أبي أمية له ، واسم أبي أمية : حُذَيْفَةُ : والله لا أؤمن بك حتى تتخذَ سَأَمًا^(٢) إلى آخر الكلام ، وقد أسلم عبد الله بن أبي أمية قبل فتح مكة ، وسيأتي ذكر إسلامه .

هم أبي جهل بإلقاء الحجر :

وذكر خبر أبي جهل ، وما هم به من إلقاء الحجر على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو ساجد ، وقد رواه النَّسَوِيُّ بإسناد إلى أبي هريرة قال : قال أبو جهل ، وذكر الحديث إلى قوله : فنكص أبو جهل على عقبيه ، فقالوا : مالك ؟ فقال : إن بيني وبينه تخندقًا من نار ، وهو لَأَ وَأُجْنَحَةٌ ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لودنا لاختطفته الملائكة عُضُوا أَعْضُوا ، وخرَّجه أيضا مسلم^(٣) وذكر النَّسَوِيُّ أيضا بإسناده إلى ابن عباس أن أبا جهل قال له :

(١) روى أحمد قريبا منه

(٢) في ابن كثير بعد حديثه في السيرة : حتى تأتيا : وتأتى معك بصحيفة منشورة ، ومعك أربعة : الخ ،

(٣) وابن حنبل والنسائي وابن جرير وابن أبي حاتم ، وسيأتي نص الأحاديث التي ذكرت حول هذا في الصفحة الآتية .

أَلَمْ أَتُكُمْ؟ فَوَاللَّهِ مَا بِمَكَّةَ نَادٍ أَعَزُّ مِنْ نَادِيٍّ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ، سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾^(١) العلق .

(١) روى البخاري عن ابن عباس قال : قال أبو جهل : لئن رأيت محمدا يصلي عند الكعبة لأطأن على عنقه ، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم - فقال : لئن فعل ، لأخذه الملائكة ، وكذا رواه الترمذي والنسائي في تفسيرهما ، وهكذا رواه ابن جرير .

وروى أحمد والترمذي والنسائي وابن جرير — وهذا لفظه من طريق داود ابن أبي هند — عن عكرمة عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي عند المقام ، فربه أبو جهل بن هشام ، فقال : يا محمد ! ألم أتكم عن هذا ؟ وتوعده ، فأغظ له رسول الله - صلى الله عليه وسلم ، وانتهره ، فقال : يا محمد بأي شيء تهددني ؟ أما والله إني لأكثر هذا الوادي ناديا . فَأَنْزَلَ اللَّهُ : (فليدع ناديه ، سندع الزبانية) وقال ابن عباس : لو دعا ناديه لأخذه ملائكة العذاب من ساعته ، وقال الترمذي : حسن صحيح . وعن أبي هريرة قال : قال أبو جهل : هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم ؟ قالوا : نعم ، قال : فقال : واللآلئ والعزى لئن رأيته يصلي كذلك لأطأن على رقبته ولأعفرن وجهه في التراب ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم - وهو يصلي ليظا على رقبته ، قال : فما جأهم إلا وهو ينكص على عقبيه ، ويتقي يديه ، قال : فتقبل له : مالك ؟ فقال إن بيني وبينه خندقا من نار وهولا وأجنحة . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو دنا مني لأخطفته الملائكة عضوا عضوا ، قال : وأنزل الله لا أدري في حديث أبي هريرة أم لا : (كلا إن الإنسان ليطغى) إلى آخر السورة ، رواه مسلم وابن حنبل والنسائي وابن جرير وابن أبي حاتم ، وهكذا تؤكد هذه الأحاديث فرضية الصلاة قبل الإسراء .

تفسير أُرأيت:

قال محمد بن يزيد: في الكلام حذف، تقديره: أُرأيت الذي ينهى عبداً إذا صلى، أمصيب هو أو مخطي؟ وكذلك في قوله: ﴿أُرأيت إن كان على الهدى﴾ العلق كأنه قال: أليس من ينهاه بضال؟ وقوله ﴿لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾ العلق أى لناخذنَّ بها إلى النار، وقيل معنى السَّفْع ههنا: إزالته وقهره، والنادى والنَدَى والمُنْتَدَى بمعنى واحد، وهو: مجلسُ القوم الذين يَتَنَادَوْنَ إليه، وقال أهل التفسير فيه أقوالاً متقاربة، قال بعضهم: فَلْيَدْعُ حَيَّه، وقال بعضهم: عَشِيرَتَه، وقال بعضهم: مجلسه، وفي أُرأيت معنى: أخبرنى، ولذلك قال سيديويه: لم يجز إلغاؤها، كما تُلغى: علمت إذا قلت: علمت أُرأيت عندك أم عمرو، ولا يجوز هذا في: أُرأيت، ولا بُدَّ من النَّصْب إذا قلت: أُرأيت زيدا، أبوء من هو؟ قال سيديويه: لأن دخول معنى أخبرنى فيها لا يجعلها بمنزلة: أخبرنى في جميع أحوالها، قال المؤلف: وظاهر القرآن يقضى بخلاف ما قال سيديويه إلا بعد البيان، وذلك أنها في القرآن مُلغاة؛ لأن الاستفهام هو مطلوبها، وعليه وقعت في قوله: ﴿أُرأيت﴾، إن كَذَّبَ وتولى، أَلَمْ يَعْلَمْ؟ العلق: فقوله: أَلَمْ يَعْلَمْ: استفهام، وعليه وقعت: أُرأيت، وكذلك: أُرأيتُم، وأُرأيتُكُم في الأنعام، فإن الاستفهام واقع بعدها نحو: ﴿هَلْ يَهْدِيكُمْ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ﴾ الأنعام ٤٧. وهذا هو الذى منع سيديويه في: أُرأيت وأُرأيتك أبومن أنت؟ وأما البيان فالذى قاله سيديويه صحيح، ولكن إذا ولى الاستفهام: أُرأيت، ولم يكن لها مَنْوُولٌ سوى الجملة، وأما في هذه المواضع التى فى التنزيل، فليست الجملةُ السَّفْعُ عنها هى مَفْعُول: أُرأيت، إنما مَفْعُولُهَا محذوف يدل عليه

الشرط ، ولا بد من الشرط بعدها في هذه الصور ؛ لأن المعنى : أرأيتم صنيعكم إن كان كذا ، وكذا ، كما يقول القائل : أرأيتم إن لقيت العدو أنقاتله أم لا ؟ تقدير الكلام : أرأيتم رأيك أو صنيعك إن لقيت العدو فخرف الشرط ، وهو : إن ، دلت على ذلك المحذوف ، ومربط به ، والجملة المستفهم عنها كلامٌ مُستأنف منقطع ، إلا أن فيه زيادةً بيان لما يستفهم عنه ، ولو زال الشرط ، وولها الاستفهام لَتَبَحَ كما قال سيديويه ، ويحسن في : عامت ، وهل علمت وهل رأيت ، وإنما قُبِحه مع رأيته خاصة ، وهي التي دخلها معنى : أخبرني فتدبره .

الأساطير وسمى عن الفرس :

فصل : وذكر حديث النضر بن الحارث ، وما نزل فيه من قول الله تعالى : ﴿ قَالُوا : أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ واحد الأساطير : أسطورة كالأخدوة وأحاديث ، وهو ما سطره الأوّلون ، وقيل : أساطير : جمع أسطار ، وأسطار جمع سطر بفتح الطاء ، وأما سطر بسكون الطاء ، فجمعه : أسطر ، وجمع الجمع : أساطير بغير ياء ، وذكر أن النضر بن الحارث كان يحدث قريشا بأحاديث رستم وأسفندياذ ، وما تعلم في بلاد الفرس من أخبارهم ، وذكر ما أنزل الله في ذلك من قوله ، وقد قيل فيه نزلت : ﴿ وَمَنْ قَالَ : سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾ الأنعام : ٩٣ . وأما أحاديث رستم ، ففي تاريخ الطبري أن رستم بن ريسان (١) كان يحارب كى يستاسب بن كى لهراسب ، بعد ما قتل أباه لهراسب ابن كى اجو . وكى

(١) في الطبري ص ٥٠٤ ج ١ رستم الشديد بن دستان بن بريمان ،

في أوائل هذه الأسماء عبارة عن البهاء ، ويقال : عبارة عن إدراك الثأر ،
ويقال لهؤلاء الملوك : السكينية من أجل هذا ، وكان رُسْتَمُ الذي يقال له : رُسْتَمُ
سَيِّدُ بنى ريسان من ملوك الترك ، وكان كى يستاسب قد غضب على ابنه ،
فسجنه حسداً له على مآظهم من وقائمه فى الترك ، حتى صار الذكر له ، فعندها
ظهرت الترك على بلاد فارس ، وسبوا بنين : ليستاسب ، اسم إحداهما : خثانة ،
أو نحو هذا ، فلما رأى يستاسب الأيديّن له يقتلهم أطلق ابنه من السجن ،
وهو اسفندياز ، ورضى عنه وولاه أمر الجيوش ، فنهذ إلى رستم ، وكانت بينهما
ملاحم يطول ذكرها ، ولكنه قتل رستم ، واستباح عساكره ، ودوخ فى بلاد
الترك ، واستخرج أختيه من أيديهم ، ثم مات اسفندياز قبل أبيه ، وكان ملك
أبيه نحواً من مائة عام ، ثم عهد إلى بهمن بن اسفندياز ، فولاه الأمر بعد موته
وبهمن بلغتهم : الحسن النية ، ودام ملكه نيفاً على مائة عام ، وكان له ابنان :
ساسان ودارا ، وقد أملينا فى أول الكتاب طرفاً من حديث ساسان وبنيه ،
وهم الساسانية الذين قام عليهم الإسلام ، ورُسْتَمُ آخرُ مذكور أيضاً قبل هذا
فى أحاديث كى قباز ، وكان قبل عهد سليمان ، ثم كان رستم وزيراً بعد كى قباز
لابنه كى قاووس ، وكانت الجن قد سُخِّرَتْ له . يقال إن سليمان أمرهم بذلك ،
فبلغ ملكه من العجائب ما لا يكاد أن يصدق ذوو العقول لخروجها عن الاعتقاد
لكن محمد بن جرير الطبرى ذكر منها أخباراً عجيبية (١) .

(١) إنما سخر الجن بأمر الله لسليمان ، لا بأمر سليمان . وانظر ماقصه
السهيل فى الطبرى ج ١ من ص ٥٠٤ ط المعارف ، وفيه : سياوخش بدلا من
شاوخش ، وفيه بعض ما يخالف ما هنا ، ففى ص ٥٦٤ ج ١ يذكر الطبرى أن —

وذكر أنه هم بما هم به عمروذ من الصعود إلى السماء ، فطرحته الريح ،
وضَعَضَتْ أركانَه ، وهدمت بنيانه^(۱) ، ثم تاب إليه بعض جنوده ، فصار كسائر
الملوك يفلب تارة ، ويُفلب بخلاف ما كان قبل ذلك ، وسار بجنوده إلى اليمن
فنهَدَ إليه عمرو ذو الأذعار ، فهزمه عمرو ، وأخذهُ أسيرا ، وحبسَه في مخبئ حتى
جاء رُسْتَم ، وكان صاحب أمره ، فاستنقذه من عمرو ، إِمَّا بَطْوَج ، وإِمَّا بِإِكْرَاه ،
ورده إلى بلاد فارس . ولابنه شاوخش مع قراسيات ملك الترك خبر عجيب ،
وكان رستم هو القيم على شاوخش والكافل له في صفره ، وكان آخر أمر
شاوخش بعد عجب أن قتله قراسيات ، وقام ابنه كي خسرو يطلب بثأره ،
فدارت بينه وبين الترك وقائع لم يسمع بمثلها ، وكان الظفر له ، فلما ظفروا رأى
أمله في أعدائه ماملأ عينه قُرَّة ، وقلبه سرورا زهد في الدنيا ، وأراد السباحة
في الأرض ، فَتَعَاتَ به أبناء فارس ، وحذرتَه من شَتَات السَّحْلِ بعده ، وشماتة
العدو ، فاستخاف عليهم : كي لهراسب ، بن كي اجو ، بن كي كينة ، بن كي
قاووس المتقدم ذكره^(۲) ، ولا أدري : هل رستم الذي قتله أسفندياذ هو رستم

مقتل اسفنديار كان على يد رستم ، وأما الذي قتل رستم وأباه دستان فهو أزدشير
بهمن ابن بشتاسب ص ۵۶۸ .

(۱) في الطبری ص ۵۰۷ ج ۱ ويذكر الطبری عن كي قارسي : «أن الله أعطاه قوة
ارتفع بها ، ومن معه في الهواء ، حتى انتهوا إلى السحاب ، ثم إن الله سلبهم تلك ،
القوة ، فسقطوا ، فهلكوا ، وأفلت كي قارس بنفسه ، أكانت لديهم معرفة
بغزو الفضاء ؟ وقد ظهر الترك على بلاد فارس في عهد ملك الترك خراسف . واسم
ابنة ليستنسب الاخرى : باذفراه

(۲) نسبه في الطبری هكذا : كيلهراسب بن كيوجي بن كيمنوش بن كيافوشين
ابن كيبيه بن كيغباذ الاكبر ص ۵۱۵ ، وتستطيع فصل كي عن كل اسم مما سبق .

صاحب كى قاووس ، أم غيره ، والظاهر أنه ليس به ، لأن مدة ماين كى قاووس وكى يستاسب بعيدة جدا ، وأحسبه كما قدمنا أنه كان من الترك ، وهذا كله كان فى مدة الكينية ، وعند اشتغالهم بقتال الترك استعملوا بُخْت نَصْرَ البابلى على العراق ، فكان من أموره مع بنى إسرائيل وإيثاره فيهم ، وعلمه لميت القدس وإحراقه للتوراة وقتله لأولاد الأنبياء ، واسترقاقه للنساء منوكمهم ولذرائهم مع عيشه فى بلاد العرب حين جاس خلال ديارهم ، ماهو مشهور فى كتب التفاسير ، ومعلوم عند أصحاب التواريخ (١) .

فهذه جملة مختصرة تشرح لك ماوقع فى كتاب ابن إسحاق من ذكر رسمهم واسفندياذ ، وكانت الكينية قبل مدة عيسى بن مريم ، أولهم فى عهد أفريديون قبل موسى عليه السلام بمئتين من السنين ، وآخرهم فى مدة الاسكندر

(١) أخبار بختنصر فى الجزء الاول من تاريخ الطبرى ص ٥٢٨ . وكان فى أيام لهراسب أحد ملوك الفرس ، ويذكر الطبرى أن بختنصر وجد فى سجن بنى إسرائيل إرميا النبى ، فسأله : ما خطبك : فأخبره أن الله بعثه إلى قومه — بنى إسرائيل ؛ ليحذرهم الذى حل بهم — يعنى : من بختنصر — فكذبوه ، وحبسوه ، فقال بختنصر : يئس القوم قوم عصوا رسول ربهم . ثم أطلق سراحه ، وأحسن إليه ص ٥٢٨ ج ١ وفى سفر أرميا لأصحاح ٢٦ أن بنى إسرائيل هموا بقتل آرميا لأنه قال لهم : د ارجعوا كل واحد عن طريقه الردىء وعن شر أعمالكم . . ولا تسلكوا وراء آلهة أخرى لتعبدوها وتسجدوا لها ، لأصحاح ٢٥ ، وفيه أيضاً أنه حذرهم من د نبوخذ راصر ، أى : بختنصر فإن الله سيسلطه عليهم إن لم يرجعوا . ويوقع سفر أرميا هذا فى أكثر من ستين صفحة ، وكله حول هذا . وبعده سفر آخر اسمه : مراثى أرميا ، وهى منسوبة إليه فى رثاء أو رشليم بعد تخريب بختنصر لها .

ابن قليس^(١) والإسكندر هو الذى سلب ملكهم ، وقتل دارا بن دارا ، وهو آخرهم ، ثم كانت الأشغانية مع ملوك الطوائف أربعاً وثمانين عاماً ، وقيل : أقل من ذلك فى قول الطبرى ، وقول المسعودى : خمساً وعشرين سنين فى خلال أمرهم بعث عيسى بن مريم ، ثم كانت الساسانية نحواً عن ثلاثين ملكاً حتى قام الإسلام ، ففُضَّ خَدَمَتُهُمْ . وَخَصَّدَ شَوْكَتَهُمْ ، وَهَدَمَ هَيْأَتَهُمْ ، وَأَطْفَأَ نِيرَانَهُمُ الَّتِي كَانُوا يَعْبُدُونَ ، وَذَلِكَ كَأَنَّهُ فِي خِلَافَةِ عَمْرٍ .

عن سورى الكهف والفرقان - سبب نزول الكهف :

فصل : وذكر ابن إسحاق لإرسال قُرَيْشٍ النَّضَرَ بن الحارث وعُقْبَةَ بن أبى معيط إلى يهود ، وما رجعا به من عندهم من الفصل بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم ، فسألوه عن الأمور الثلاثة التى قالت اليهود : إن أخبركم بها فهو نبي وإلا فهو مُتَقَوِّلٌ ، فقال لهم : سأخبركم غداً ، ولم يقل : إن شاء الله ، فأبطأ عنه الوحى فى قول ابن إسحاق خمسة عشر يوماً^(٢) ، وفى سير التيمي وموسى بن عُقْبَةَ

(١) يعنى اسكندر المقدونى بن فليبس .

(٢) جاء فى حديث روى بعضه فى كتب الصحاح ما يخالف ما ذهب إليه ابن إسحاق فى شأن إرسال النضر وعقبة ، وإليك ما روى فى هذا الشأن .

روى البخارى ومسلم وأحمد والترمذى وقال : إنه صحيح . عن ابن مسعود : كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حرت المدينة ، وهو متوكئ على عسيب ، فرى بقوم من اليهود ، فقال بعضهم لبعض : سلوه عن الروح ، وقال بعضهم : لا تسألوه ، قال : فسألوه عن الروح ، فقالوا : يا محمد : ما الروح ؟ فما زال متوكئاً على العسيب ، قال : فظننت أنه

أن الوحي إنما أبطل عنه ثلاثة أيام ، ثم جاء جبريل بسورة الكهف .
لم قدم الحمد على الكتاب ؟ !

وذكر افتتاح الرب سبحانه بحمد نفسه ، وذكر نبوة نبيه . حمده لنفسه تعالى .
خير باطنه الأمر والتعلم لعبده كيف يحمده ، إذ لولا ذلك لاقتضت الحال .
الوقوف عن تسميته ، والعبارات عن جلاله ، لقصور كل عبارة عما هنالك من .
الجلال ، وأوصاف الكمال ، ولما كان الحمد واجبا على العبد قدّم في هذه الآية ليقترن .
في اللفظ بالحمد الذي هو واجب عليه ، وليستشعر العبد وجوب الحمد عليه ،
وفي سورة الفرقان قال : « تبارك الذي أنزل الفرقان على عبده » وبدأ بذكر
الفرقان الذي هو الكتاب المبارك . قال الله سبحانه : ﴿ وهذا كتاب أنزلناه ﴾ (١)

== يوحى إليه ، فقال : (ويسألونك عن الروح . قل : الروح من أمر ربي ، وما أوتيتم
من العلم إلا قليلا) قال : فقال بعضهم لبعض : قد قلنا لكم : لا تسألوه .
وفي رواية البخاري : فلم يرد عليهم شيئا ، فعلت أنه يوحى إليه ، فقامت مقامى .
فلما نزل الوحي ، قال : (ويسألونك عن الروح قل : الروح من أمر ربي) .
والمشكل هنا أن سورة الإسراء : مكية وظاهر القصة يوحى بأن الآية مدنية .
ولو كان الأمر قاصرا على الرواية الأولى : وفطننت أنه يوحى إليه ، لقلنا إن .
الرسول إنما سكنت ليتذكر الآية التي يرد بها عليهم ، فظن ابن مسعود أنه يوحى
إليه ، إما ابن كثير فيقول : وقد يجاب عن هذا بأنه قد تكون نزلت عليه
بالمدينة مرة ثانية ، كما نزلت عليه بمكة قبل ذلك ، أو أنه نزل عليه الوحي بأنه
يجيبهم عما سألوهم بالآية المتقدم إنزالها عليه . والذي يدل على نزول هذه الآية
بمكة ما رواه أحمد أن قريشا قالت لليهود : أعطونا شيئا نسأل عنه هذا الرجل ،
فقالوا : سلوه عن الروح ، فنزلت الآية ، وإجابة ابن كثير غير ممتعة والعيب :
عصن من جريد النخلة .

(١) هذا جزء من آية رقم ٩٢ و ١٥٥ من سورة الانعام . والذي ذكره ==

مُبَارَكٌ ۞ فلما افتتح السورة بتبارك الذى ، بدأ بذكر الفرقان ، وهو الكتاب المبارك ، ثم قال : على عبده ، فانظر إلى تقديم ذكر عبده على الكتاب ، وتقديم ذكر الكتاب عليه فى سورة الفرقان ، وما فى ذلك من تشاكل اللفظ والتثام الكلام نرى الإعجازَ ظاهراً ، والحكمة باهرةً ، والبرهان واضحاً ، وأنشد لذى الرثمة .

شرح شواهد شعرية :

كانه بالضحى ترمى الصميد به دَبَابَةٌ فى عظام الرأس خرطومُ
يصف ولده الظبية : والخرطومُ : من أسماء الخمر ، أى : كأنه من نشاطه
دَبَّتِ الخمرُ فى رأسه . وأنشد له أيضاً :
طوى الفخز والأجزاء البيت . والنخزُ : النخسُ ، والنخازُ : داء يأخذ الإبل
والنخيزة : الفريزة ، والنخيزة (١) : نسيجة كالخزام : والضلوعُ الجراسعُ . هو
جمع جرشع . قال صاحب العين . الجرشعُ : العظيم الصدر ، فعتاه إذاً فى البيت
على هذا : الضلوعُ من الهزال قد نثأت ، وبرزت كالصدر البارز .

== ابن إسحاق فى أسباب نزوله وما تنزل إلا بأمر ربك ، روى فيه الإمام أحمد بسنده
عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ ، لجبرائيل : ما يملكك أن تزورنا أكثر
ما تزورنا ١٩ قال : فنزلت هذه الآية ، انفرد بإخراج البخارى فرواه عند تفسير
هذه الآية عن أبى نعيم عن عمر بن ذر

(١) فى اللسان أيضاً : النخز : الضرب والدفع والسعال عامة ، والنخاز : داء
يأخذ الإبل والدواب ، والنخيزة : الطريق بعينه . وشيء ينسج أعرض من
الخزام يخاط على طرف شقة البيت ، وفى القاموس : تكون على الفساطيط
والبيوت ، والأجزاء : جميع جرز : السنة أو الأرض المجدة .

الرقيم وأهل الكهف :

فصل : وذكر الرقيم وفيه سوى ما قاله أقوال . روى عن أنس أنه قال : الرقيم : الكلب ، وعن كعب أنه قال : هو اسم القرية التي خرجوا منها ، وقيل : هو اسم الوادي وقيل : هو صخرة ، ويقال : لوح كتب فيه أسماءهم ودينهم وقصتهم ، وقال ابن عباس : كل القرآن أعلم إلا الرقيم والغسلين وحناناً والأواه (١) ، وقد ذكرت أسماءهم على الاختلاف في بعض ألفاظها وهي : مليخا ، كسلما ، سرطوش ابن أنس ، اريطانس ، أيونس ، شاطيطوش (٢) . وقيل في اسم مدينتهم : أفوس ، واختلف في بقائهم إلى الآن ، فروى عن ابن عباس أنه أنكر أن يكون بقي شيء منهم ، بل صاروا تراباً قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال بعض أصحاب الأخبار غير هذا ، وأن الأرض لم تأكلهم ، ولم تغيرهم ، وأنهم على مقربة من القسطنطينية ، فالله أعلم . روى أنهم سيحجون البيت إذا نزل عيسى بن مريم . ألفت هذا الخبر في كتاب البدء لابن أبي خيثمة (٣) .

إعراب أمهى :

وذكر قول الله تعالى : ﴿ لَنَعْلَمَ أَىَّ الْحَزَنَيْنِ أَحْصَى لَمَّا لَبَثُوا أَمْدًا ﴾ الكهف : ١٢ قد أملينا في إعراب هذه الآية نحواً من كراسة . وذكرنا ما وهم فيه الزجاج من إعرابها ؛ حيث جعل أمهى اسماً في موضع رفع على خبر المبتدأ ، وأندأ : تمييز وهذا لا يصح ؛ لأن التمييز هو الفاعل في المعنى ، فإذا قلت : أيهم أعلم أباً ، فالأب هو العالم ، وكذلك إذا قلت أيهم أقره عبداً ، فالعبد هو الفارة ،

(١) لاشك في أنه نقل غير صحيح عن ابن عباس يراد به غرض خبيث .

(٢) رجم بالغيب فالسند في معرفتها ضعيف جداً

(٣) الحق فيما نقل عن ابن عباس ، وما قيل بعده فأساطير .

فيلزم على قوله إذا أن يكون الأمدُ فاعلاً بالإحصاء ، وهذا محال ، بل هو مفعول ، وأحصى : فعل ماضٍ ، وهو الناصب له ، وذكرنا في ذلك الإملاء أن أيهم ، قد يجوز فيه النصبُ بما قبله إذا جعلته خبراً ، وذلك على شروط بينها هنالك لمن أراد الوقوف على حقيقتها ، أى : ومواقعها ، وكشفنا أسرارها .

عن الضرب وزاوير الشمس وفائدة القصة :

وقوله سبحانه : ﴿ فَنَضْرِبُهَا عَلَى آذَانِهِمْ ﴾ أى : أعمناهم ، وإنما قيل في النائم : ضُرب على أذنه ؛ لأن النائم ينتبه من جهة السَّمْع ، والضربُ هنا مُستعار من ضربت القفلَ على الباب ، وذكر قوله تعالى : ﴿ تَرَاوَرُّ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ ﴾ الآية . وقيل في تَقْرِضُهُمْ : تحاذيهم ، وقيل : تتجاوزهم شيئاً شيناً من القرض ، وهو القطع ، أى : تقطع ما هنالك من الأرض ، وهذا كله شرح اللفظ ، وأما فائدة المعنى ، فإنه يبين أنهم في مَقْنُوقٍ من الأرض ، لا تدخل عليهم الشمس ، فتحرقهم ، وتبلى ثيابهم ، ويقلبون ذات اليمين وذات الشمال . لنلا تأكلهم الأرض ، والفائدة العظمى في هذه الصفة بيان كيفية حالهم في الكهف ، وحال كلهم ، وأين هو من الكهف ، وأنه بالوَصِيدِ منه ، وأن باب الكهف إلى جهة الشمال للحكمة التي تقدمت ، وأن هذا البيان لا يكاد يعرفه من رآهم ، فإن المطلع عليهم يُملأ منهم رُعباً ، فلا يمكنه تأمل هذه الدقائق من أحوالهم ، والنبي عليه السلام لم يرم قط ، ولا سمع بهم ، ولا قرأ كتاباً فيه صفتهم ؛ لأنه أُمِّيٌّ في أمة أمية ، وقد جاءكم ببيان لا يأتي به من وصل إليهم حتى إن كلهم قد ذكر ، وذكر موضعه وبسطه ذراعيه بالوَصِيدِ ، وهم في

الفجوة، وفي هذا كله برهانٌ عظيم على نبوته، ودليلٌ واضح على صدقه، وأنه غير مُتَقَوِّلٍ، كما زعموا، فقفْ بقلبك على مضمون هذه الأوصاف، والمراد بها تَعْصَمُ إن شاء الله مما وقعت فيه المُدْجِدَةُ من الاستخفاف بهذه الآية من كتاب الله، وقولهم: أى فائدة في أن تكون الشمسُ تَزَاوَرُ عن كُفْهِم، وهكذا هو كل بيت يكون في مَقْنُوَةٍ، أى: بابه لجهة الشمال، فنبه أهل المعاني على الفائدة الأولى المنبئة عن لطف الله بهم، حيث جعلهم في مَقْنُوَةٍ تزاور عنهم الشمسُ فلا تؤذيهم، فيقال: لمن اقتصر من أهل التأويل على هذا: فما في ذكر السكب وبسط ذراعيه من الفائدة، وما فيه من معنى اللطف بهم؟ فالجواب: ما قدمناه من أن الله سبحانه لم يترك من بيان حالهم شيئاً، حتى ذكر حال كلهم مع أن تأملهم متعذر على من اطلع عليهم من أجل الرعب، فكيف من لم يرههم، ولا سمع بهم، لولا الوحي الذي جاءه من الله سبحانه بالبيان الواضح الشافي، والبرهان السكافي، والرعب الذي كان يلحق المُطَّلِعَ عليهم، قيل: كان مما طالت شعورهم وأظفارهم. ومن الآيات في هذه القصة قوله سبحانه: ﴿فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ﴾ أى: في فضاء، ومع أنهم في فضاء منه، فلا تصيبهم الشمس. قال ابن سلام: فهذه آية. قال: وكانوا يَتَّقِيُونَ في السنة مرتين^(١)، ومن فوائد الآية: أنه أخرج السكب عن التقلب، فقال: باسط ذراعيه، ومع أنه كان لا يَقْلَبُ لم تأكله الأرض؛ لأن التقلب كان من فعل الملائكة بهم، والملائكة أولياء المؤمنين في الحياة الدنيا وفي الآخرة، والسكب خارجٌ من هذه الآية. ألا تراه

(١) قوله: مرتين رجم بالغيب أيضاً، واللفظ يفيد أكثر من مرتين.

كيف قال : بالوصيد ، أى : بقناء الغار لاداخلا معهم ؛ لأن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه كلب (١) فهذه فوائد جمة قد اشتمل عليها هذا الكلام . قال ابن سلام : وإنما كانوا يقلّبون فى الرقدة الأولى قبل أن يبعثوا .

المنار عوده فى امرهم :

فصل : وذكر قول الله سبحانه : (قال الذين غلبوا على أمرهم لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِداً) الكهف : ٢١ وقال : يعنى أصحاب السلطان ، فاستدل ببعض أهل العلم على أنهم كانوا مسلمين بقوله : لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِداً (٢) . وذكر الطبري أن أهل

(١) البخارى ومسلم والترمذى وأحمد والنسائى وابن ماجه . ولكن الله لم يذكر كلب أهل الكهف بما يفيد لعنه ، وقد أباح الله فى القرآن لنا تربية الجوارح ، وأكل ما صادته ، يقول ابن كثير فى تفسير قوله تعالى : (وما علمتم من الجوارح) : « وأحل لكم ما صدتموه بالجوارح وهى من السكالب والفهود والصقور وأشباهاها ، كما هو مذهب الجمهور من الصحابة والتابعين والأئمة . وقد ثبت فى الصحيحين عن عدى بن حاتم قال : قلت : يا رسول الله إني أرسل السكالب المعلبة ، وأذكر اسم الله ، فقال : إذا أرسلت كلبك المعلم ، وذكرت اسم الله ، فكل ما أمسك عليك قلت : وإن قتلن ؟ قال : وإن قتلن ، ما لم يشركها كلب ليس منها ، فذلك إنما سميت على كلبك ، ولم تسم على غيره فأصيب . قلت له : فإنى أرمى بالمعراض الصيد ، فقال : إذا رميت بالمعراض فخرق فسكه ، وإن أصابه بعرض ، فإنه وقيد ، فلا تأكله ، خرق السهم وخسق : إذا أصاب الرمية ونفذ فيها . والمعراض بالكسر : سهم بلا ريش ولا نصل ، وإنما يصيب بعرضه دون حده ، وشاة وقيد : قتلت بالخشب . فلعل المراد : كلب الزبنة لا كلب الصيد والحريث .

(٢) ذكرت مراراً أن دين رسل الله جميعاً من لدن نوح إلى محمد صلوات الله وسلامه عليهم - هو دين الإسلام . ويقال عن أتباعهم إنهم مسلمون ، والدين =

تلك المدينة تنازعوا قبل مبعثهم في الأجساد والأرواح: كيف تكون إعادتها يوم القيامة ، فقال قوم : تعاد الأجساد كما كانت بأرواحها ، كما يقوله أهل الإسلام ، وخالفهم آخرون ، وقالوا : تبعث الأرواح دون الأجساد ، كما يقوله النصارى ، وشرى بينهم الشر ، واشتد الخلاف ، واشتد على ملىكم ما نزل بقومه من ذلك ، فلبس المسوح ، وافتش الرماد ، وأقبل على البكاء والتضرع إلى الله أن يريه الفصل فيما اختلفوا فيه ، فأحيا الله أصحاب السكف عند ذلك ، فكان من حديثهم ما عرف وشهر ، فقال الملك لقومه : هذه آية أظهرها الله لكم لتتفقوا ، وتعلموا أن الله عز وجل كما أحياء هؤلاء ، وأعاد أرواحهم إلى أجسادهم ، فكذلك يعيد الخلق يوم القيامة كما بدأهم ، فرجع الكل إلى ما قاله الملك ، وعلموا أنه الحق .

== تنازعوا في أمر الفتية طائفتان . إحداهما قالت ما يقوله المسلم الذي بكل الأمر إلى الله ، ولا يعدو على الغيب . إذ قالت : « ابنوا عليهم بنياناً ، وعلمت الأمر بكلمة مؤمنة ، لا تصدر إلا عن مؤمن ، وهى قولهم : « ربهم أعلم بهم . وفى كل لفظة هنا إشارة من نور الإيمان القوى بالله . أما الآخرون ، فقد وصفوا بغير ما يوصف به المؤمن التقي الخاشع ، إذ وصفوا بأنهم : « غلبوا على أمرهم ، فهم إذا أخذوا الأمر بالقهر والغلبة دون ترو أو نزوع إلى معرفة أمر الله ، أو انعطاف إلى خشوع . ثم اقترحوا مصممين على ما اقترحوا : « لنتخذن عليهم مسجداً ، هكذا بالتوكيد والقهر المستعلى . ووازن بين اقتراح الأولين وهو بناء بنيان عليهم ، أى : سد باب السكف تجده عملاً إسلامياً ، وبين اقتراح الآخرين ، وهو اتخاذ مسجداً واتخاذ المساجد على العبور أمر لعنه الله ورسوله ، وهو أشمل من إقامة مسجد

عن واو الثمانية :

فصل : وذكر قول الله سبحانه ﴿ ويقولون : سبعة وثامنهم كلبهم ﴾ قد أفردنا للكلام على هذه الواو التي يسميها بعض الناس : واو الثمانية (١) بأنها

(١) أى الواو التي تأتي بعد استيفاء سبعة أشياء ، ثم تذكر قبل الثامن ، وقد استشهد أصحابها بقوله سبحانه : « التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر ، التوبة : ١١٢ . فقالوا : إن الواو جاءت بعد استيفاء الأوصاف السبعة . واستدلوا أيضاً بقوله سبحانه : (عسى ربّه إن طلقك أن يبدله أزواجاً خيراً منك من مسلمات مؤمنات قانتات تائبات ، عابدات ، سائحات ثيبات وأبكاراً) التحريم : ٥ فجاءت بعد استيفاء الأوصاف السبعة . واستشهدوا أيضاً بقوله سبحانه : (وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة . وثامنهم ، . واستشهدوا أيضاً بقوله سبحانه : (وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة . زمرا ، حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها ، الزمر : ٣ - ٧ . فأتى بالواو لما كانت أبواب الجنة ثمانية . وقال في النار : « حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها ، لما كانت سبعة . وقد رد الإمام ابن القيم على هذا رداً طيباً . فقال عن آية التوبة باختصار : إن كل صفة لم تعطف على ما قبلها فيها كان فيه تنبيه على أنهما في اجتماعهما كالوصف الواحد لموصوف واحد ، فلم يحتج إلى عطف . فلما ذكر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهما متلازمان مستمدان من مادة واحدة ، حسن العطف ليتين أن كل وصف منهما قائم على حدته . مطلوب تعيينه ، لا يكتفى فيه حصول الوصف الآخر ، بل لابد أن يظهر أمره بالمعروف بصريحه ، ونهيه عن المنكر بصريحه ، وأيضاً لحسن العطف ههنا ما تقدم من التضاد ، فلما كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ضدّين أحدهما : طلب الإيجاد ، والآخر : طلب الإعدام ، كانا كالنوعين المتغايرين المتضادين . وقال : عن آية التحريم : إن دخول الواو قبل أبكار متعين ؛ لأن الأوصاف التي قبلها المراد اجتماعها في النساء . وأما وصفا البكارة والثبوبة ، فلا يمكن اجتماعهما ، فتعين العطف ؛ لأن المقصود أنه يزوجه بالنوعين : للثيبات والأبكار ، وسيأتى الكلام عن آية المكف . أما آية الزمر عن الجنة والنار ، فقال : لادلالة في اللفظ على الثمانية حتى تدخل الواو لأجلها ، بل هذا من باب حذف —

طويلا ، والذي يليق بهذا الموضع أن تعلم : أن هذا الواو تدل على تصديق القائلين لأنها عاطفة على كلام مُضْمَر ، تقديره : نعم ، وثامنهم كلهم ، وذلك أن قائلا لو قال : إن زيدا شاعرٌ ، فقلت له : وفقه ، كنت قد صدقته ، كأنك قلت : نعم هو كذلك ، وفقه أيضا ، وفي الحديث : سُمِّلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم : أيتوضأ بما أفضلت الخمر ، فقال : وبما أفضلت السباع . يريد : نعم ، وبما أفضلت السباع . خرجه الدارقطني . وفي التنزيل : (وارزق أهله من الثمرات مَنْ آمَنَ منهم بالله واليوم الآخر ، قال : وَمَنْ كَفَرَ) البقرة : ١٢٦ هو من هذا الباب . فكذلك ما أخبره عنهم من قولهم : ويقولون : سبعة ، فقال سبحانه : « وثامنهم كلهم » وإيس كذلك : سادسهم كلهم ، ورابعهم كلهم ؛ لأنه في موضع النعت لما

== الجواب انكنت بديعة ، وهي أن تفتح أبواب النار كان حال موافاة أهلها ، ففتحت في وجوههم ؛ لأنه أبلغ في مفاجأة المكروه ، وأما الجنة فلما كانت ذات الكرامة ، وهي مأددة الله ، وكان الكريم إذا دعا أضيافه إلى داره ، شرع لهم أبوابها ، ثم استدعاهم إليها مفتحة الأبواب ، أتى بالواو العاطفة هكذا ، الدالة على أنهم جاءوها بعد ما فتحت أبوابها ، وحذف الجواب تفخيما لشأنه ، وتعظيما لقدره كعادتهم في حذف الأجوبة ، ويقول عن دعوى واو الثمانية في مسألة أبواب الجنة في مكان آخر : « إن هذا لو صح ، فإنما يكون إذا كانت الثمانية منسوقة في اللفظ واحدا بعد واحد ، فينتهون إلى السبعة ، ثم يستأنفون العدد من الثمانية بالواو ، وهنا لا ذكر للفظ الثمانية في الآية ولا عدها ، انظر ص ٥٢ وما بعدها ٣ بدائع الفوائد ص ١٧٤ ج ٢ من نفس الكتاب وفيه قال : « على أن في كون الواو تجمي للثمانية كلاما آخر قد ذكرناه في الفتح المبكي ، وبيننا المواضع التي ادعى فيها أن الواو للثمانية ، وأين يمكن دعوى ذلك ، وأين يستحيل » .

قبله ، فهو داخل تحت قوله سبحانه : (رَجَاءً بِالْغَيْبِ) ولم يقل ذلك في آخر القصة (١) .

آية الاستثناء :

فصل : وذكر قول الله تعالى (وَلَا تَقُولَنَّ لشيءٍ) وفسره ، فقال : أى استثنى شيئة الله . الشيئة : مصدر شاء يشاء ، كما أن الخليفة مصدر خاف يخاف ، ولكن هذا التفسير ، وإن كان صحيح المعنى ، فلفظ الآية مُشْكِلٌ جداً ؛ لأن قوله : (لَا تَقُولَنَّ لشيءٍ) إني فاعل ذلك غداً) الكهف : ٢٣ نهى عن أن يقول هذا الكلام ، ولم ينه عن أن يصله بالإلا أن يشاء الله ، فيكون العبد المنهى عن هذا القول منهيًا أيضاً عن أن يصله بقوله إلا أن يشاء الله . هذا محال : فقوله إذاً : إلا أن يشاء الله استثناء من الله ، راجعٌ إلى أول الكلام ، وهذا أيضاً إذا تأملته نقضٌ لعزيمة النهى ، وإبطالٌ لحكمه ، فإن السيد إذا قال لعبده : لا تقم إلا أن يشاء الله أن تقوم ، فقد حل عقدة النهى ؛ لأن مشيئة الله للفعل لا تعلم إلا بالفعل ، فالعبد إذاً أن يقوم ، ويقول : قد شاء الله أن تقوم ، فلا يكون للنهى معنى على هذا ، فإذا لم يكن رد حرف الاستثناء إلى النهى ، ولا هو من

(١) يقول الإمام ابن القيم عن كلام السهيلي هذا « واستنباطه حسن ، غير أنه لما يفيد . يعني أن الواو تقتضى تقرير الجملة الأولى ، إذا كان المعطوف بالواو ليس داخلًا في جملة قولهم : بل يكون قد حكى سبحانه أنهم قالوا : سبعة ، ثم أخبر تعالى أن ثامنهم الكلب ، حينئذ يكون ذلك تقريرًا لما قالوه ، وإخبارًا بكون الكلب ثامنًا ، وأما إذا كان الإخبار عن الكلب من جملة قولهم ، وأنهم قالوا هذا ، وهذا ، لم يظهر ما قاله ، ولا تقتضى الواو في ذلك تقريرًا ولا تصديقًا فتأمل » ص ١٧٦ ج ٢ بدائع الفوائد . وانظر أيضاً ج ٣ ص ٥٤ .

الكلام الذى نهى العبد عنه ، فقد تبين إشكاله ، والجواب : أن فى الكلام حذفاً وإضماراً تقديره : ولا تقولن : إنى فاعل ذلك غداً إلا ذا كراً إلا أن يشاء الله ، أو ناطقاً بأن يشاء الله ، ومعناه : إلا ذا كراً شئنا الله ، كما قال ابن إسحاق : لأن الشئنة مصدر ، وأن مع الفعل ، فى تأويل المصدر ، وإعراب ذلك المصدر مفعول بالقول المضمر ، والعرب تحذف القول ، وتكتفى بالمقول. ففى التنزيل : (فأما الذين اسودَّتْ وجوههمُ أَكْفَرْتُمْ) آل عمران : ١٠٦ أى : يقال لهم : أَكْفَرْتُمْ ، حذف القول ، وبقى الكلام المقول ، وكذلك قوله تعالى : ﴿يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ : سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ الرعد : ٢٤ أى يقولون : سلام عليكم ، وهو كثير ، وكذلك إذا قوله ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ هى من كلام الناهى له سبحانه ، ثم أضمر اقول ، وهو الذكر الذى قدمناه ، وبقى المقول ، وهو : أن يشاء الله ، وهذا القدر يكفى فى هذا المقام ، وإن كان فى الآية من البسط والتفتيش ما هو أكثر من هذا .

ولبثوا فى كفرهم :

فصل : وقد فسر قوله تعالى : ﴿ولبثوا فى كفرهم﴾ فقال : معناه أى : سيقولون ذلك ، وهو أحد التأويلات فيها ، وعلى هذا القول قرأه ابن مسعود : وقالوا : لبثوا ، بزيادة قالوا . ثم قال ابن إسحاق : قل : ربى أعلم بما لبثوا ، وهو وهم من المؤلف أو غيره ، وإنما التلاوة : ﴿قُلْ : اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾ (١) .

(١) فى النسخة التى معى : هى كما فى المصحف . وتأويل ابن هشام قوله تعالى : «ولبثوا فى كفرهم» ، تأويل رائع ، إذ يجعل هذا القول من قول أهل الكتاب ، وبهذا يستقيم فهمنا للآية . ويتفق هذا مع ما بعده ، وهو قوله سبحانه : (قل الله أعلم بما لبثوا) =

وقد قيل : إنه إخبار من الله تعالى عن مقدار كُتُبِهِمْ ، ولكن لما علم استبعاد قریش وغيرهم من الكفار لهذا المقدار ، وعُلم أن فيه تنازعا بين الناس ، فمن ثمَّ قال : ﴿ قل : الله أعلم بما لبثوا ﴾ وقوله : ﴿ ثلاثمائة سنين ، وازدادوا تسعا ﴾ أى : إنها ثلاثمائة بحساب المعجم ، وإن حسبت الأهلة ، فقد زاد العدد تسعا ، لأن ثلاثمائة سنة بحساب الشمس تزيد تسع سنين بحساب القمر ^(١) فإن قيل : فكيف قال ثلاثمائة سنين ، ولم يقل : سنة ، وهو قياس العدد في العربية ^(٢) ، لأن المائة تضاف إلى لفظ الواحد ، فالجواب أن سنين في الآية بدل مما قبله ، ليس على حد الإضافة ولا التمييز ، والحكمة عظيمة عُدل باللفظ عن الإضافة إلى البديل ، وذلك أنه لو قال : ثلاثمائة سنة ، لكان الكلام كأنه جواب لطائفة واحدة من الناس ، والناسُ فيهم طائفتان : طائفة عرفوا طول لُبِّهِمْ ، ولم يعلموا كمية السنين ، فعرفهم أنها ثلاثمائة ، وطائفة لم يعرفوا طول لبهم ، ولا شيئا من خبرهم ، فلما قال : ثلاثمائة معروفا للأولين بالكمية التي شكَّوا فيها ، مبينا للآخرين أن هذه الثلاثمائة سنون ، وليست أياما ولا شهورا ، فانتظم البيان للطائفتين

== اذ لو كان : د ولبثوا ، من كلام الله نفسه ما كان لقوله : قل الله أعلم معنى . وقراءة ابن مسعود قراءة شاذة ورواية قتادة لها منقطعة .

(١) بل يزيد عن هذا . وهذا تأويل لا يليق بكتاب الله ، ولا بكلام الله إنما يضطرون إليه ، لأنهم يرون أن قوله تعالى : د ولبثوا في كمهم ثلاثمائة سنين ، هو من قول الله نفسه ، وليس قولاً يقصه الله عن غيره ، وليس في الآية ما يشير مطلقاً إلى هذا الأربيل ، وقد أعرب سنين بدلا ؛ لأن تمييز العدد في ما بعدها يكون مفردا مجرورا بإضافة كقوله تعالى . فأما الله مائة عام ثم بعثه ، وكقوله : وكألف سنة مما تعدون .

من ذكر العدد ، وجمع المعدود ، وتبين أنه بدل ؛ إذ البدل يراد به : تبين ما قبله .
 ألا ترى أن اليهود قد كانوا عرفوا أن لأصحاب الكهف نبأ عجيبا ، ولم يكن
 العجب إلا من طول ثبثهم غير أنهم لم يكونوا على يقين من أنها ثلاثمائة أو أقل .
 فآخبر أن تلك الستين ثلاثمائة ، ثم لو وقف الكلام ههنا لقاتل العرب ، ومن
 لم يسمع بخبرهم : ما هذه الثلاثمائة ؟ فقال كالمبين لهم : ستين ، وقد روى معنى هذا
 التفسير عن الضحاك ، ذكره النحاس .

السنة والعام :

فصل : وقال : ستين ، ولم يقل أعواما ، والسنة والعام ، وإن اتسمت العرب
 فيهما ، واستعملت كل واحد منهما مكان الآخر اتساعا ، ولكن بينهما في حكم
 البلاغة والتمثيل الكلام فرقا ، فخذ أولاً من الاشتقاق ، فإن السنة من سنا
 يشتق إذا دار حول الثير ، والدابة : هي الثانية ، فكذلك السنة دورة من
 دورات الشمس ، وقد تسمى السنة : دارا ، ففي الخبر : إن بين آدم ونوح
 ألف دار ، أي : ألف سنة ، هذا أصل الاسم ، ومن ثم قالوا : أكلتهم السنة ،
 قسّموا سنة القبط سنة ، قال الله سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ ﴾
 الأعراف : ١٣ ومن ثم قيل : أسنت القوم إذا أخطوا ، وكان وزنه أفتعوا ،
 لا أفتلوا ، كذلك قال بعضهم ، وجعل سببويه التاء بدلا من الواو ، فهي عنده :
 أفتلوا ، لأن الجلولية والخشب معتبر بالشتاء والصيف ، وحساب العجم إنما هو
 بالستين الشمسية بها يؤرّخون ، وأصحاب الكهف من أمة عجمية ، والنصارى
 يعرفون حديثهم ، ويؤرّخون به ، فجاء اللفظ في القرآن بذكر السنين الموافقة
 لحسابهم ، وعم القائلة بقوله : وازدادوا تسعا ليوافق حساب العرب ، فإن

حسابهم بالشهور القمرية كالحرم وصفر ونحوهما^(١) وانظر بعد هذا إلى قوله : ﴿ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا ﴾ يوسف : ٧٥ الآية ، ولم يقل أعواما ، نفيه شاهد لما تقدم ، غير أنه قال : (ثم يأتي من بعد ذلك عام) ، ولم يقل : سنة عدولا عن اللفظ المشترك ، فإن السنة قد يعبر بها عن الشدة والأزمة^(٢) كما تقدم ، فلو قال : سنة لذهب الوهم إليها ؛ لأن العام أقل أياما من السنة ، وإتمامات الرؤيا على سبع سنين شداد ، وإذا انقضى العدد ، فليس بعد الشدة إلا رخاء ، وليس في الرؤيا ما يدل على مدة ذلك الرخاء ، ولا يمكن أن يكون أقل من عام ، والزيادة على العام مشكوك فيها ، لا تقتضيها الرؤيا ، فحكم بالأقل ، وترك ما يقع فيه الشك من الزيادة على العام ، فهاتان فائدتان في اللفظ بالعام في هذا الموطن ، وأما قوله : (وبلغ أربعين سنة) فإنما ذكر السنين ، وهي أطول من الأعوام ، لأنه مخبر عن اكتمال الإنسان ، وتتمام قوته واستوائه ، فلفظ السنين أولى بهذا الموطن ؛ لأنها أكمل من الأعوام ، وفائدة أخرى : أنه خبر عن السن ، والسن معتبر بالسنين ، لأن أصل السن في الحيوان لا يعتبر إلا بالسنة الشمسية ، لأن الفنتاج ، والحل يكون بالربيع والصيف ، حتى قيل ربعى للكبير وصيفى^(٣) المؤخر ، قال الراجز :

(١) رأى يحتاج إلى دليل أقوى بما ذكر .

(٢) في الراغب : أكثر ما تستعمل السنة في الحول الذي فيه الحرب .

(٣) في القاموس : جمع الربيع : ربع بضمين ، وكسر د : الفصيل ينتج في

الربيع ، وهو أول النجاج . . فإذا نتج في آخر النجاج فبيع ، وهي هبة .

إِنْ بَنَى صَنِيعَةً صَنِيعُونَ أَفْلَحَ مَنْ كَانَ لَهُ رِبْعِيُونَ^(١)

فاستعمله في الآدميين ، فلما قيل في الفصيل ونحوه : ابن سنة وابن سنتين ، قيل ذلك في الآدميين ، وإن كان أصله في الماشية لما قدمنا ، وأما قوله : ﴿ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ ﴾ فلأنه قال سبحانه : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِةِ ، قُلْ : هِيَ مَوَاقِيتُ النَّاسِ وَالْحَجِّ ﴾ البقرة : ١٨٩ فالرضاع من الأحكام الشرعية ، وقد قصرنا فيها على الحساب بالأهلة ، وكذلك قوله : ﴿ يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا ﴾ ولم يقل : سنة ؛ لأنه يعني شهر المحرم وربيع إلى آخر العام ، ولم يكونوا يحسبون بأيلول ولا بشرين ولا بئينير^(٢) ، وهي الشهور الشمسية وقوله سبحانه : ﴿ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ﴾ إخبار منه لحمد - صلى الله عليه وسلم - وأمته وحسابهم بالأعوام والأهلة كما وقت لهم سبحانه ، وقوله سبحانه في قصة نوح : ﴿ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ﴾ العنكبوت : ١٤٠ قيل : إنما ذكر أول السنين ؛ لأنه كان في شدائد

(١) البيت لسمد بن مالك بن ضبيعة ، وقيل : هي لأكثم بن صيفي « اللسان مادة ربيع ، وصيف ، ونسبه أبو زيد الأنصاري في نوادره إلى أكثم بن صيفي . وقال : « يقال : أضاف الرجل فهو مصيف إذا ترك النساء شبابا لم يتزوج ، ثم تزوج بعد ما أسن ، ويقال لولده : صيفيون ، ثم استشهد بهذا البيت ثم قال : « الربيعيون الذين ولدوا وآباؤهم شباب فهم رجال ، ص ٨٧ طبع لبنان .

وفي إصلاح المنطق ص ٤٧٠ : « يقال للرجل إذا ولد له في فتاء السن : قد أربع ، وهو مريع وولده : ربعيون ، وإذا تأخر ولده إلى آخر عمره قيل : أضاف فلان ، وهو مصيف ، وولده : صيفيون ، ثم استشهد بهذا البيت ص ٢٠ ، يعني بئينير .

أن يكون تفسيراً لقول النبي صلى الله عليه وسلم : مسح الأرض بالأسباب^(١) ، واختاف في تسميته بذى القرنين ، كما اختاف في اسمه ، واسم أبيه ، فأصح ما جاء في ذلك ما روى عن أبي الطُّفَيْل عامر بن وائلة قال : سأل ابن السَّكَوَاءِ على بن أبي طالب ، فقال : أرأيت ذا القرنين ، أنبيا كان أم ملكاً ؟ فقال : لا نبيا كان ، ولا ملكاً ، ولكن كان عبداً صالحاً دعاه قومه إلى عبادة الله ، فضربوه على قَرْنَيْ رأسه ضربتين ، وفيكم مثله . يعنى : نفسه ، وقيل : كانت له صغيرتان من شعر ، والعربُ تسمى الخُصْلَةَ من الشعر : قرناً ، وقيل : إنه رأى في المنام رؤيا طويلة أنه أخذ بَقَرَتِي الشمس ، فكان التأويل أنه المشرق والمغرب ، وذكر هذا الخبر على بن أبي طالب أقيمرواني العابد في كتاب البسنان له ، قال : وبهذا سمي ذا القرنين ، وأما اسمه ، فقال ابن هشام في هذا الكتاب : اسمه مَرْزَبَنُ بن مَرْذَبَةَ بذال مفتوحة في اسم أبيه ، وزاى في اسمه ، وقيل فيه :

(١) قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة والسدي وقنادة والضحاك وغيرهم عن السبب : العلم . وقال قنادة أيضاً : منازل الأرض وأعلامها . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : تعليم الألسنة . أما كعب الاحبار ، فيروى عنه ابن لهيعة أنه قال : كان يربط خيله بالثريا . وقد أنكر معاوية على كعب قوله هذا وكان يقول عن كعب : وإن كما لتبلو عليه الكذب . وما أحسن ما يقول ابن كثير : قال الله في حق بلقيس : وأوتيت من كل شيء ، أى : بما يؤتى مثلها من الملوك ، وهكذا ذو القرنين يسر الله له الأسباب ، أى : الطرق والوسائل إلى فتح الأقاليم والرساتيق والبلاد والأراضى وكسر الأعداء ، وكبت ملوك الأرض . وإذلال أهل الشرك قد أوتى من كل شيء مما يحتاج إليه مثله سبياً ، والله أعلم . خلاصة هذا أن الله من عليه . فعلمه أسباب ما سخره له ، ومسألة الملائكة يهودية صارخة .

(٢) في السيرة : مرزبان .

هرمس^(١) ، وقيل : هرديس . وقال ابن هشام فى غير هذا الكتاب^(٢) اسمه الصَّعْبُ بن ذى مَرَائِدٍ ، وهو أولُ التَّبَابَةِ ، وهو الذى حكم لإبراهيم عليه السلام فى بئر السبع حين حاكم إليه فيها ، وقيل : إنه أفريدون بن أنغيان الذى قتل الضحاك^(٣) ، ويروى فى خطبة قيس بن ساعدة التى خطبها بسوق عكاظ ، أنه قال فيها : يامعشر إباد ! أين الصعب ذو القرنين ، مَلَكُ الْخَافِقِينَ ، وأذلَّ الثقلين ، وعَمَّرَ أَلْفَيْنِ ، ثم كان ذلك كالحظة عين ، وأنشد ابن هشام للأعشى :

والصعبُ ذو القرنين أصبح ثاويًا بالحنوفى جدث أميمٍ مُقيمٍ^(٤)

- (١) هو رأى ابن ماكولا والدار نقى .
 (٢) ذكره فى كتاب « التيجان » فى ملوك حمير وروايته عن وهب بن منبه
 (٣) تقرأ أخبار الضحاك وأفريدون فى الطبرى ص ١٩٤ > المعارف
 (٤) هوفى اللسان والمخبر : للبيد . ورواه ابن كثير فى البداية وتعالى عن السهيلي فى الروض
 الأنف « أشم مقيما ، بدلا من « أميم مقيم » كما فى نسخة الروض التى بين أيدينا
 انظر ص ١٠٥ ج ٢ البداية . وفى فتح البارى : والذى يتولى أن ذا القرنين من العرب أنهم ذكروه كثيرا فى أشعارهم . قال أعشى بن ثعلبة .
 والصعب ذو القرنين أمسى ثاويًا بالحنوفى جدث هناك مقيم
 والحنو بكسر المهملة وسكون التون فى ناحية المشرق ، وقال الربيع بن ضبيع :
 والصعب ذو القرنين عمر ملسكه ألفتين أمسى بعد ذلك رميما
 وقال قيس بن ساعدة .

والصعب ذو القرنين أصبح ثاويًا باللحد بين ملاعب الأرياح
 وقال النعمان بن بشير الأنصارى الصحابى ابن الصحابى :
 ومن ذا يعادينا من الناس معشر كرام ، وذو القرنين منا وحاتم
 ووقع ذكر ذى القرنين فى شعر امرئ القيس وأوس بن حجر وطرفة وغيرهم
 ص ٢٦١ ج ٦ فتح البارى للمحافظ بن حجر ط ١٣٣٨

وقوله بالحنو يريد : حنوا قَرَّاقِرَ الذي مات فيه ذو القرنين بالعراق، وقول ابن هشام في السيرة : إنه من أهل مِصرَ، وإنه الإسكندر الذي بنى الإسكندرية، فعرفت به : قولٌ بعيد مما تقدم ، ويحتمل أن يكون الإسكندر سمي ذا القرنين أيضاً تشبيهاً له بالأول، لأنه ملك ما بين المشرق والمغرب فيما ذكروا أيضاً، وأذل ملوك فارس، وقتل دارا بن دارا، وأذل ملوك الروم وغيرهم، وقال الطبري في الإسكندر : وهو اسکندروس بن قليقوس، ويقال فيه : ابن قليس، وكانت أمه زنجية، وكانت أهديت لدارا الأكبر أو سبأها، فوجد منها نكته استقلها، فعولجت ببقة، يقل لها : اندروس، فحملت منه بدارا الأصغر، فلما وضعته ردها، فتزوجها والد الإسكندر، فحملت منه بالإسكندروس، فاسمه عندهم مُشْتَقٌّ من تلك البقرة التي طهرت أمه بها فيما ذكروا، وذكر عن الزبير : أنه قال : ذو القرنين هو : عبد الله بن الضحاك بن معدٍّ [وقال ابن حبيب في] الْمُحْجَرِ فِي ذِكْرِ ملوك الحيرة، قال : الصَّعْبُ بن قرين [بن الهمال] (٢) : هو ذو القرنين، ويحتمل أن يكونوا ملوكاً في أوقاتٍ شتى، يسمى كلُّ واحد منهم : ذا القرنين والله أعلم . والأول كان على عهد إبراهيم عليه السلام، وهو صاحب الخضر حين طلب عين الحياة فوجدها الخضر، ولم يجدها ذو القرنين، حالت بينه وبينها الظلمات التي وقع فيها هو وأجناده في خبر طويل مذكور في بعض التفاسير مشهور عند الأخباريين (١).

(١) وهي أخبار ترضى عشاق الأساطير . وأسارى العبودية الوثنية للمجهول، وقد اخترع المفترعون عين الحياة؛ لكي ينسبوا إلى الخضر الخلود والبقاء حتى الآن . وهي فرية لا يصدقها مسلم؛ لأنها أسطورة .
(٢) الزيادة من المحبر .

حكم التسمي بأسماء النبيين

وأما قول عمر لرجل سمعه يقول : ياذا القرنين : لم يكفكم أن تتسموا بالأنبياء حتى تسميتهم بالملائكة ، إن كان عمر قاله بتوقيف من الرسول عليه السلام ، فهو ملك ، لا يقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلا الحق ، وإن كان قاله بتأويل تأوله [فقد] خالفه على في الخبر المتقدم ، والله أعلم أي الخبرين أصح نقلاً ، غير أن الرواية المتقدمة عن عليّ يقويها ما نقله أهل الأخبار عن ذى القرنين ، والله أعلم ^(١) . وكان من مذهب عمر رحمه الله كراهية التسمي بأسماء الأنبياء ، فقد أنكر على المغيرة تكنيته بأبي عيسى ، وأنكر على ضبيب تكنيته بأبي يحيى ، فأخبر كل واحد منهما أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كناه بذلك ، فسكت ، وكان عمر إنما كره من ذلك الإكثار ، وأن يظن أن المسلمين شرفاً في الاسم إذا سمي باسم نبي ، أو أنه ينفعه ذلك في الآخرة ، فكأنه استشعر من رعيته هذا الغرض أو نحوه ، هو أعلم بما كره من ذلك ^(٢) . وإلا فقد سمي بمحمد طائفة من الصحابة منهم : أبو بكر وعليّ وطلحة وأبو حذيفة وأبو جهم ابن حذيفة ، وخاطب وخطاب ابنا الحارث ، كل هؤلاء المحمدين كانوا يُكنون بأبي القاسم إلا محمد بن خطاب ، وسمي أبو موسى ابناً لموسى ، فكان يُكنى به ، وأسيد بن حصير سمي ابنه بيحيى ، وعلم به النبي عليه السلام فلم ينكر عليه ، وكان لطلحة عشرة من الولد ، كلهم يسمي باسم نبي ، منهم : موسى بن طلحة عيسى ، وإسحاق ويعقوب وإبراهيم ، ومحمد ، وكان الزبير

(١) نستطيع الجزم بأن الخبر المنسوب إلى عمر خبر غير صحيح ، لأنه يخالف هدى القرآن ، ويخالف المعروف من سيرة عمر وعلمه وفقهه .

(٢) هذا تعليل طيب من السبيل .

عشرة ، كلُّهم يسمي باسم شهيد ، فقال له طلحة : أنا اسميهم بأسماء الأنبياء ، وأنت تسميهم بأسماء الشهداء ، فقال له الزبير : فإني أطعم أن يكون بنى شهداء ، ولا نطعم أنت أن يكون بنوك أنبياء ، ذكره بن أبي خيثمة ، وسمى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ابنه إبراهيم ، والآثار في هذا المعنى كثيرة ، وفي السنن لأبي داود أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : سمّوا بأسماء الأنبياء ، وهذا محمول على الإباحة ، لا على الوجوب ، وأما التسمي بمحمد ، ففي مُسنَد الحارث عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : من كان له ثلاثة من الولد ، ولم يُسم أحدَهم بمحمد ، فقد جَهِل^(٤) ، وفي المُعْطِي عن مالك أنه سُئل عَنْ اسمِه محمد ، ويكنى أبا القاسم ، فلم يَرَبِه بأسا ، ف قيل له : أَ كُنَيْتَ ابْنَكَ أبا القاسم ، واسمه محمد ؟ فقال : ما كُنَيْتُهُ بها واسكن أهله يُكْنُونُه بها ، ولم أسمع في ذلك نَهْيًا ، ولا أرى بذلك بأسا ، وهذا يدل على أن مالسا لم يبلغه ، أو لم يصح عنده حديث النهي عن ذلك ، وقد رواه أهلُ الصحيح^(١)

(١) عن جابر رضي الله عنه ، قال : ولد لرجل منا غلام . فسماه القاسم ، فقالوا لا نسكنيه حتى نسأل النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال : سموا باسمي ، ولا تسكنوا بكنيتي ، رواه الأربعة ، ولعل المقصود - والله أعلم - العمل بمقتضاء طول مدة حياته - صلى الله عليه وسلم - فقط . وسيأتي رأى ابن سيرين . وعن الاسماء ورد حديث رواه ابن عمر رضي الله عنهما : « إن أحب أسمائكم إلى الله عبد الله وعبد الرحمن ، مسلم وأبو داود والترمذي . وعن أبي هريرة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - : « أخرج الاسماء يوم القيامة عند الله رجل تسمى ملك الأملاك ، رواه الأربعة . وزاد مسلم « لا مال لك إلا الله تعالى ، وعن ابن عمر قال : « إن أبة المراكات تسمى عاصية ، فسماعا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأبو داود والترمذي . ونستطيع بتدبر هذه الأحاديث تبين الهدى في الاسماء . وأخرج = أوضع

فإن الله أعلم - ولعله بلغه حديث عائشة أنه عليه السلام - قال : ما الذى أحلَّ اسمى وحرَّم كُنْيَتِي ، وهذا هو الناسخ لحديث النهي ، والله أعلم ، وكان ابن سيرين يكره لكل أحد أن يَتَكَنَّى بأبى القاسم ، كان اسمه محمداً ، أو لم يكن . وطائفة إنما يكرهونه لمن اسمه محمد ، وفي الْمُعْطَى أيضاً أنه سُئِلَ عن التسمية بِمَهْدَى فكرهه ، وقال : وما علمه بأنه مَهْدَى ، وأباح التسمية بالهادى ، وقال : لأن الهادى هو الذى يهْدَى إلى الطريق ، وقد قدمنا كراهية مالك للتسمي بِجَبْرِيل . وقد ذكر ابن إسحاق كراهية عُمرَ للتسمي بأسماء الملائكة ، وكره مالك التسمي بياسين ^(١) .

الروح والنفس :

فصل : وذكر سؤالهم عن الروح ، وما أنزل الله فيه من قوله تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ﴾ ^(٢) الآية ورُوى عن ابن إسحاق من غير طريق التَّبَكُّائِي أنه قال فى هذا الخبر : فناداهم رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم : هو جبريلُ ، وهذه الرواية عن ابن إسحاق تدل على خلاف ما روى غيره أن يهودَ قالت لقريش : اسأَلُوهُ عن الروح ، فإن أخبركم به فليس بنبي ، وإن لم يخبركم فهو نبي ، وقال ابن إسحاق فيما تقدم من الحديث : اسأَلُوهُ عن الرجل

(١) ليس ياسين اسماً للرسول -ص- ، كما يظن بعض المفسرين ، إنما هى مثل : حم ، وطس و طه ونون فهى مركبة من حرفين : الياء والسين .

(٢) سبق ذكر الأحاديث حول هذا

الطَّوَّافِ ، وعن الفَتِيَّةِ ، وعن الروح ، فإن أخبركم وإلا فالرجل مُتَقَوِّلٌ فسوَّى في الخبر بين الروح وغيره ، واختلف أهل التأويل في الروح المستوليه عنه ، فقال بعضهم : هو جبريل ؛ لأنه الروح الأمين ، وروح القدس ، وعلى هذا رواية ابن إسحاق أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال لعريش حين سأله : هو جبريل ، وقالت طائفة : الروح خَلَقَ من الملائكة على صُورِ بنى آدم ، وقالت طائفة : الروح خَلَقَ يرون الملائكة ، ولا تراهم ، فهم للملائكة كالللائكة لبنى آدم ، وروى عن علي أنه قال : الرُّوحُ مَلَكٌ له مائة ألف رأسٍ ، لكل رأسٍ مائة ألف وجه ، في كل وجه مائة ألف فم ، في كل فم مائة ألف لسان ، يُسَبِّحُ الله بلغاتٍ مختلفة^(١) ، وقالت طائفة : الروح الذى سألت عنه يهود هو : روح الإنسان ، ثم اختلف أصحاب هذا القول ، فمنهم من قال : لم يجبههم رسول الله — صلى الله عليه وسلم — عن سؤالهم ، لأنهم سأله تَعَمُّقًا واستهزاءً ، فقال الله له : قُلْ : الروحُ من أمر ربي ، ولم يأمره أن يُبَيِّنْهَ لهم ، وقالت طائفة : بل قد أخبرهم الله به ، وأجابهم عما سألوا ؛ لأنه قال لنبيه : قُلْ الرُّوحُ من أمر ربي ، وأمرُ الرَّبِّ هو الشرع ، والكتاب الذى جاء به ، فمن دخل فى الشرع وتفقه فى الكتاب والسنة عَرَفَ الرُّوحَ ، فكأن معنى الكلام : ادخلوا فى الدين تعرفوا ما سألتهم عنه ، فإنه من أمر ربي ، أى : من الأمر الذى جئت به مُبَيَّنًا عن ربي ، وذلك أن الروح لا سبيل إلى معرفته من جهة الطبيعة ، ولا من جهة الفلسفة ، ولا من جهة الرأى ،

(١) إنما هى مفتريات على منها برى .

والقياس ، وإنما يُعرف من جهة الشرع ، فإذا نظرت إلى ما في الكتاب والسنة من ذكره نحو قوله سبحانه : ﴿ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ ﴾ السجدة : ٩ . أى من روح الحياة ، والحياة من صفات الله سبحانه ، والنفخ في الحقيقة مضاف إلى مَلَكٍ ينفخ فيه بأمر رَبِّهِ ، وتنظر إلى ما أخبر به الرسول عليه السلام أن الأرواحَ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ ، وأنها تتعارف ^(١) وتَنَشَّامُ في الهواء ، وأنها تُقَبِّضُ من الأجساد بعد الموت ، وأنها تُسَمَّلُ في القبر ، فتفهم السؤال وتسمع وترى ، وتُدْعَمُ وتُعَذَّبُ وتَلْتَذُّ وتَأَلَمُ ، وهذه كلها من صفات الأجسام . فعرف أنها أجسام بهذه الدلائل ، لكنها ليست كالأجساد في كثافتها وثقلها وإظلامها ، إذ الأجساد خلقت من ماء وطين وحماء مَسْنُونٍ ، فهو أصحها ، والأرواحُ خُلِقَتْ مما قال الله تعالى ، وهو النفخ المتقدم المضاف إلى الملك . والملائكة خلقت من نور كما جاء في الصحيح ^(٢) ، وإن كان قد أضاف النفخ إلى نفسه ، فكذلك أضاف قَبْضَ الأرواح إلى نفسه فقال : ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأُنُفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ الزمر : ٤٢ وأضاف ذلك إلى الملك أيضاً فقال : ﴿ قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ ﴾ السجدة : ١١ والفعل مضاف إلى الملك مجازاً ، وإلى الرب حقيقة ، فهو أيضاً جَنَمٌ ، واسكنه من جنس الريح ، ولذلك سُمِّيَ رُوحاً من لفظ الريح ، ونفخُ الملك في معنى الريح غير أنه ضَمَّ أوله ؛ لأنه نُوراني .

(١) والأرواح جنود مجندة فا تعارف منها اختلف . وماتناكر منها اختلف . مسلم والبخارى في الأدب وغيرهما .

(٢) في مسلم عن عائشة : « خلقت الملائكة من نور ، وخلق إبليس من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم ،

والريح هواء متحرك ، وإذا كان الشرع قد عرّفنا من معاني الروح وصفاته بهذا القدر ، فقد عُرِف من جهة أمره كما قال سبحانه : ﴿ قُلْ : الروحُ من أمرِ ربِّي ﴾ وقوله : من أمرِ ربِّي أيضاً ، ولم يقل من أمر الله ، ولا من أمر ربِّكم يدل على خصوص ، وعلى ما قدمناه من أنه لا يعلمه إلا من أخذ معناه من قول الله سبحانه ، وقول رسوله بعد الإيمان بالله ورسوله واليقين الصادق والفقہ في الدين ، فإن كان لم يخبر اليهود حين سألوه عنه ، فقد أحالهم على موضع العلم به ^(١) .

الفرق بين الروح والنفس :

فصل : وما يتصل بمعنى الروح وحقيقته أن تعرف : هل هي النفس أو غيرها ، وقد كثرت في ذلك الأقوال ، واضطربت المذاهب ، فتعاقب قوم

(١) وأحسن ما قيل : إن المفصود بالروح هو القرآن نفسه ، وقد كان الكلام قبل هذا في شأنه ، وقد وصف كلام الله بأنه روح في القرآن : (ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده) النحل : ٢ (يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده) غافر : ١٥ (وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا) الشورى : ٥٢ وهذا الرأي قريب مما ذكره السهيلي حول أمر الله . وليت السهيلي سكت عند الصحيح المنقول ١١ فتد بلغت الأقوال في حقيقة النفس والروح بلغت المائة أو الألف كما نقل الزرقاني في شرح المواهب عن ابن جماعة : ويقول ابن بطال شارح البخاري ومن شيوخ ابن عبد البر عن الروح الإنساني : معرفة حقيقتها مما استأثر الله بعلمه ، وقال القرطبي عن الحكمة في إلهام حقيقة الروح : إظهار عجز المرء لأنه إذا لم يعلم حقيقة نفسه مع القطع بوجوده كان عجزه عن إدراك حقيقة الحق « أي الله ، من باب أولى ،

بظواهر من الأحاديث لا توجب القطع ، لأنها نقل آحاد^(١) ، وأيضاً فإن ألفاظها محتملة للتأويل ، ومجازات العرف واتساعاتها في الكلام كثيرة ، فما تعلقوا به في أن الروح هي النفس قول بلال : « أَخَذَ بِنَفْسِي الَّذِي أَخَذَ بِنَفْسِكَ »^(٢) مع قول النبي عليه السلام : إن الله قبض أرواحنا ، وقوله — عز وجل — ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ ﴾ والمقبوضة هي الأرواح ، ولم يفرقوا بين القبض والتوفي ، ولا بين الأخذ في قول بلال : « أَخَذَ بِنَفْسِي الَّذِي أَخَذَ بِنَفْسِكَ » وبين قول النبي عليه السلام : « قبض أرواحنا » ، وتنقيح الأقوال وترجيحها يطول .

وقد روى أبو عمر في التمهيد حديثاً يدل على خلاف مذهبهم في أن النفس هي الروح ، لكن الله فيه أن الله خلق آدم ، وجعل فيه نفساً وروحاً ، فمن الروح : عفافه ، وفهمه وحلمه وسخاؤه ، ووفاءه ، ومن النفس : شهوته وطيشه وسفاهه وغضبه ، ونحو هذا ، وهذا الحديث معناه صحيح إذا توكل صحيح نقله أو لم يصح ، وسبيلك أن تنظر في كتاب الله أولاً ، لا إلى الأحاديث التي تنقل مرة على اللفظ ، ومرة على المعنى ، وتختلف فيها ألفاظ الحديثين^(٣) ، فنقول قال الله تعالى : ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي ﴾^(٤) ولم يقل : من نفسي وكذلك قال : ﴿ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ ﴾ السجدة : ٩ ولم يقل من

(١) لماذا إذا يأخذ بأضعف الأحاديث ؟

(٢) من حديث في البخاري ومسلم وغيرهما

(٣) هذا مبدأ عظيم ، غير أن السهيلي لم يأخذ به في كثير من الأحيان ، فاعتمد على أضعف الأحاديث .

(٤) ذكرت مرة في سورة الحجر رقم ٢٩ وفي ص رقم ٧٢ .

نفسه ، ولا يجوز أيضاً أن يقال هذا ، ولا خفاء فيما بينهما من الفرق في الكلام ، وذلك يدل على أن بينهما فرقا في المعنى ، وبعبكس هذا قوله سبحانه : ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ ولم يقل : تعلم ما في روحي ، ولا أعلم ما في روحك ، ولا يحسن هذا القول أيضاً أن يقوله غير عيسى (١) ، ولو كانت النفس والروح اسمين لمعنى واحد ، كاللث والأسد لصح وقوع كل واحد منهما مكان صاحبه ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ يَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ ﴾ ولا يحسن في الكلام : يقولون في أرواحهم ، وقال تعالى : ﴿ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ ﴾ ولم يقل : أن تقول روح ، ولا يقوله أعرابي ، فأين إذاً كون النفس والروح بمعنى واحد لولا الغفلة عن تدبر كلام الله تعالى ؟! واسكن ببيت دقيقة يعرف منها السر والحقيقة ، ولا يكون بين القولين اختلاف متباين إن شاء الله ، فنقول وبالله التوفيق : الروح مشتق من الريح ، وهو جسم هوائى لطيف ، به تكون حياة الجسد عادة ، أجراها الله تعالى ؛ لأن العقل يوجب ألا يكون للجسم حياة ، حتى ينفخ فيه ذلك الروح الذى هو فى تجاوىف الجسد ، كما قال ابن فورك وأبو المعالى وأبو بكر المرادى ، وسبقهم إلى نحو منه أبو الحسن الأشعرى . ومعنى كلامهم واحد أو متقارب .

الروح سبب الحياة :

فصل : فإذا ثبت أن الروح سبب الحياة عادة ، أجراها الله تعالى ، فهو

(١) قول النبوة أزكى الأقوال وأهداها . فلم لا يقولها غير عيسى ؟

كالماء الجارى فى عروق الشجرة صُعدا ، حتى تحيا به عادة ، فنسميه ماء باعتبار
أولَّيَّتِهِ ، ونسمى أيضاً هذا روحاً باعتبار أوليَّته ، واعتبار النفخة التى هى ربح ،
فمادام الجنين فى بطن أمه حياً ، فهو ذو روح ، فإذا نشأوا اكتسب ذلك الروحُ
أخلاقاً وأوصافاً لم تكن فيه ، وأقبل على مصالح الجسم كلها به ، وعشق مصالح
الجسد ولذاته ، ودفع المضار عنه سمي : نفساً ، كما يكتسب الماء الصاعد
فى الشجرة من الشجرة أوصافاً لم تكن فيه ، فالماء فى العنبة مثلاً هو : ماء
باعتبار الأصل والبدأة ، ففيه من الماء الميوعة والرطوبة ، وفيه من العنبة
الحلاوة ، وأوصاف آخر ، فنسميه مضطاراً إن شئت ، أو خيراً إن شئت ، أو غير
ذلك مما أوجبه الاكتساب لهذه الأوصاف ، فمن قال : إن النفس هى الروحُ
على الإطلاق من غير تقييد ، فلم يحسن العبارة ، وإتاما فيها من الروح الأوصاف
التي تقتضيها نفخة الملك ، وَالْمَلَكُ موصوف بكلِّ خالقٍ كريم ؛ ولذلك قال
فى الحديث : فمن الروح عفافه وحلمه ووقاؤه وفهمه ، ومن النفس شهوته وغضبه
وطيشه ، وذلك أن الروح كما قدمنا مازج الجسد الذى فيه الدم ، ويسمى الدم :
نفساً ، وهو مجرى الشيطان ، وقد حكمت الشريعة بنجاسة الدم لسرِّ لعله أن
يفهم مما نحن بسبيله ، فمن يعرف جوهر الكلام ، ويُنزل الألفاظ منازلها ،
لا يُسمى روحاً إلا ما وقع به الفرق بين الجماد والحى ، والذي كان سبباً للحياة ،
كما فى الكتاب العزيز عند ذكر إحياء النطفة ، ونفخ الروح فيها ، ولا يُقال :
نفخ النفس فيها إلا عند الاتساع فى الكلام ، وتسمية الشيء بما يؤول إليه ،

(١) مضطار بعظم الميم : الخمر ، ومضطار يكسر الميم وبالسین : الخمرة الصارغة
لداربها أو الحامضة أو الحديثة .

ومن ههنا سمي جبريل عليه السلام : روحا ، والوحى : روحا ، لأن به تكون حياة القلوب ، قال الله سبحانه : ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مَبْتَئِنًا فَأَخْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَاهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَذَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا ﴾ [الأنعام : ١٢٢] وقال في الكفار : ﴿ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ ﴾ [النحل : ٢١] وقال في النفس ما تقدم ، وقال : ﴿ إِنْ النَّفْسَ لَأَمَّارَةً بِالسُّوءِ ﴾ [يوسف : ٥٣] ولم يقل إن الروح لأتارة ؛ لأن الروح الذى هو سبب الحياة لا يأمر بسوء ، ولا يسئ . أيضاً نفسا ، كما قدمنا حتى يكتسب من الجسد الأوصاف المذكورة ، وما كان نحوها ، والماء النازل من السماء جنس واحد ، فإذا مازج أجساد الشجر كالفتح والفرسك^(١) والحنظل والعُشْر ، وغير ذلك اختلفت أنواعه ، كذلك الروح الباطنة التى هى من عند الله ، هى جنس واحد ، وقد أضافها إلى نفسه تشريفاً لها حين قال : وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ ، ثم يخالط الأجساد التى خلقت من طين ، وقد كان فى ذلك الطين طيب وخبيث ، فينزع كل فرع إلى أصله ، وينزع ذلك الأصل إلى ما سبق فى أم الكتاب ، وإلى ما دبره وأحكمه الحكيم الخبير ، فعند ذلك تنفافر النفوس ، أو تتقارب ، وتتجاثب أو تتباغض على حسب التشاكل فى أصل الخلقة ، وهى معنى قول النبى — صلى الله عليه وسلم : فما تعارف منها ائتاف ، وما تناكر منها اختلف . وقد كتب بعض الحكماء إلى صديق له : « إن نفسى غير مشكورة على الانقياد إليك بغير زمام ؛ فإنها صادفت عندك بعض جواهرها ، والشئ يتبع بعضه بعضا » .

(١) الفرسك ، الخوخ أو ضرب منه أجرد أحمر ، أو ما يتفلق عن نواه والعشر شجر يخرج من زهره وشعبه سكر .

الإنسان روح وجسم :

فصل : وقد يُعبرّ بالنفس عن جملة الإنسان روحه وجسده ، فتقول : عندي ثلاثة أنفس ، ولا تقول : عندي ثلاثة أرواح ، لا يعبر بالروح إلا عن المعنى المتقدّم ذكره ، وإنما اتسع في النفس ، وعبر بها عن الجملة لغلبة أوصاف الجسد على الروح ، حتى صار يسمى نفساً ، وطراً هذا الاسم بسبب الجسد ، كما يطرأ على الماء في الشجر أسماء على حسب اختلاف أنواع الشجر من حلو وحامض ومُرّ وحريّ ، وغير ذلك فتحصل من مضمون ما ذكرنا ألا يقال في النفس : هي الروح على الإطلاق ، حتى تُقيد بما تقدم ، ولا يقال في الروح : هو النفس إلا كما يقال في المعنى هو الإنسان ، أو كما يقال للماء المغدّي للكرمّة هو : الخمر ، أو الخل ، على معنى أنه ستمضاف إليه أوصاف يسمى بها خمراً أو خلا ، فتهيمد الألفاظ هو : معنى الكلام ، وتنزيل كل لفظ في موضعه ، هو معنى البلاغة . فافهمه .

النفس

فصل : وإذا ثبت هذا فلم يبق إلا قول بلال : أَخَذَ بِنَفْسِي الَّذِي أَخَذَ بِنَفْسِكَ ، فذكر النفس ؛ لأنه معتذر من ترك عمل أمر به ، والأعمال مضافة إلى النفس ؛ لأن الأعمال جسدانيّة ، وقول النبي - صلى الله عليه وسلم : إن الله قبض أرواحنا ، فذكر الروح الذي هو الأصل ، لأنه أنسهم من فزعهم ، فأعلمهم أن خالق الأرواح يقبضها إذا شاء ، فلا تبسط انبساطها في اليقظة وروح النائم وإن وُصف بالقبض ، فلا يدل لفظ القَبْضِ على انتزاعه بالكلية .

كما لا يدل قوله سبحانه في الظل : ﴿ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴾ الفرقان : ٤٦ . على إعدام الظل بالسكينة ، وقوله تعالى : ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ ﴾ فلم يقتل : الأرواح ، لأنه وعظ العباد الغافلين عنه ، فأخبر أنه يتوفى أنفسهم ، ثم يعيدها حتى يتوفاها ، فلا يعيدها إلى الحشر لِنَزْدَجِرَ النَّفُوسُ بهذه العظة عن سوء أعمالها ؛ إذ الآية مكية ، والخطاب للكفار ، وقد تنزلت الألفاظ منازلها في الحديث والقرآن ، وذلك معنى الفصاحة وسر البلاغة .

ابن هرمة :

فصل : واستشهد ابن هشام بقول ابن هرمة ونسبه فقال : فهرى ، وإنا هو خُلجى ، والخُلج اسمه : قيس ابن الحارث بن فهر ، واختلف في تسمية بنى

(١) في الاشتقاق : والخُلج بطن يزعمون أنهم من قریش منهم ابن هرمة الشاعر ، وفيه أيضاً : الخُلج يفتح فكسر الشاعر ، واسمه : عبد الله ، وسمى الخُلج لقوله :

كأن تخالج الأشطان فيها شأيب تجود من الغوادي

وفي حاشية الاشتقاق الأستاذ عبد السلام هارون : وأما خُلج بكسر الخاء وتخفيف اللام وسكونها فهو عبد الله بن الحارث بن عمرو بن وهب ابن الحارث ، بن سعد الجعفى ، وقيل : الخُلج يفتح الخاء وكسر اللام . وفى الطبقات لابن قتيبة عنه : « هو من الخُلج من قيس عيلان ، ويقال : لأنهم من قریش ، وفى الأغاني أن نسبه ينتهى إلى قيس بن الحارث ، وقيس : هم الخُلج .. فلما تولى عثمان أثبتهم فى بنى الحارث بن فهر ، وجعل لهم ديواناً ، فسموا الخُلج ، لأنهم اختلفوا عما كانوا عليه من عدوان ، وورد عن ابن هرمة فى سمط الاللى للبكرى ما نصه : « إبراهيم بن على بن سلمة من هرمة من خُلج

قيس بن الحارث الخُلج ، ف قيل : لأنهم اختلجوا من قريش وسكان مكة ،
وقيل : لأنهم نزلوا بموضع فيه خلج من ماء ، ونسبوا إليه ، وابن هرمة واسمه :
إبراهيم بن علي بن هرمة ، وهو شاعر من شعراء الدولة العباسية ، وبيته :
وَإِذَا هَرَقْتَ بِكُلِّ دَارٍ عَبْرَةً نَزِفَ الشُّثُونُ وَدَمْعُكَ الْيَنْبُوعُ

والشُّثُونُ : مجارى الدمع ، وهى أطباق الرأس ، وهى أربعة للرجل ،
وثلاثة للمرأة ، كذلك ذكروا عن أهل التشريح ، وكذلك ذكر قاسم بن ثابت
في الدلائل ، والله أعلم .
من شرح الآيات :

وكل ما شرح ابن هشام من الآيات التى تلاها ابن إسحاق ، فقد تقدم
ما يحتاج بيان منه ، وفي قوله سبحانه : ﴿ بَنِيَّتٌ مِنْ زُخْرُفٍ ﴾ دليل على أن البيت
يراد به : القصر والمنزل ، وإن كان عظيما ، فإنه يسمى بيتا كما قدمنا فى شرح
بيت القصب فى حديث خديجة .

== قريش - بزيادة : ابن سلمة قبل ابن هرمة - والخُلج هو : قيس بن الحارث بن
فهر ، سموا بذلك لأنهم كانوا فى عدوان ، ثم فى هوازن ، فلما استخلف عمر
أتوه ليفرض لهم ، فأنكر نسبهم ، فلما استخلف عثمان أتوه ، فأثبتهم فى بنى الحارث
ابن فهر ، فسموا بذلك : الخُلج ، لأنهم اختلجوا من كانوا معه ، ثم ذكر أن
الموضع الذى نزلوا فيه كان على خاج بالمدينة . وأن ابن هرمة من متقدمى الشعراء
ومن أدرك الدولتين الأموية والهاشمية يكنى أبا إسحاق . . وفى السيرة : إبراهيم بن
عبد الله ، وعند مصعب الزبيري عن السكبي ورد نسبه : سلمة بن عامر بن هرمة بن
الهذيل بن ربيع بن عامر بن صبيح بن كنانة بن عدى بن قيس بن الحارث بن فهر
انظر ٢٩٨ سبط اللائى ، والذهبي يضبط الخُلج بضم فسكون
(م ١٣ - الروض الأنج ٣)

محنة مهزلة وأبو الأشرين :

فصل : وذكر ابن إسحاق قول أبي جهل مستهزئاً : يزعم محمد أن جنود ربه التي يخوفكم بها تسعة عشر ، وأنتم الناس ، إلى آخر القصة . وأهل النفسين يعزون هذه المقالة إلى أبي الأشد بن الجُمجى^(١) ، واسمه : كلدة بن أسيد بن خاف ، وأبو دَهيل الشاعر هو ابن أخيه ، واسمه : وهب بن زَمعة بن أسيد بن خلف ابن وهب بن حذافة بن مجح ، وكانت عند أبي دَهيل التَّوْأمة التي يعرف بها صالح مولى التَّوْأمة ، وهى أخت عبد الله بن صفوان بن أمية ، ولدت له عبد الرحمن قبل يوم الجمل ، وأنه قال : اكفونى منهم اثنين ، وأنا أكفيكم سبعة عشر إعجاباً منه بنفسه ، وكان باغ من شدته - فيما زعموا - أنه كان يقف على

(١) وقيل كما ذكر ابن أبي حاتم : إن ردها من اليهود سألوها رجلاً من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن خزنة جهنم ، فقال : الله ورسوله أعلم ، فجاء رجل ، فأخبر النبي - صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله تعالى عليه ساعتئذ : (عليها تسعة عشر) الخ .

وهناك رواية أخرى للترمذى وأحمد والبخاري أن رجلاً جاء إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال له : غلب أصحابك اليوم ، فقال : بأى شيء ، قال : سألتهم يهود : هل أعلمكم نبياً من أمة خزنة أهل النار - ؟ قالوا : لا نعلم حتى نسأل نبينا - صلى الله عليه وآله وسلم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أفغلب قوم يستلون عماً لا يعلمون ، فقالوا : لا نعلم حتى نسأل نبينا صلى الله عليه وسلم - على بأعداد الله ، لكنهم قد سألوهم أن يرهبهم الله جهرة . فأرسل إليهم محمد فدعاهم . قالوا : يا أبا القاسم : كم عدة خزنة أهل النار : قال : هكذا ، وطبق كهين ثم طبق كفيه مرتين ، وعقد واحدة الخ

جلد البقرة ، ويجاذبه عشرة ، لينتزعه من تحت قدمه ، فيتمزق الجلد ، ولا يتزحزح عنه ، وقد دعا النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى المصارعة ، وقال : إن صرعتني آمنت بك ، فصرعه رسول الله - صلى الله عليه وسلم مراراً ، فلم يؤمن ، وقد نسب ابن إسحاق خبر المصارعة إلى رُكَّانة بن عبد يزيد بن هاشم ابن المطلب ، وسيأتي في الكتاب والله أعلم ، وأما ما قال أهل التأويل في خزنة جهنم التسعة عشر ، فروى عن كعب أنه قال : بيد كل واحد منهم عمود له شُعْبَتَان ، وإنه ليدفع بالشعبة تسعين ألفاً إلى النار ، وقد أملينا في معنى أبواب الجنة وأبواب النار فائدة عددها وتسميتها ، وذكر الزبانية ، والحكمة في كونهم عددا قليلا مسألة في قريب من جزء ، فلتنظر هناك .

بهت الرسول «ص» أنه بشر يعلم :

فصل : وذكر قول قريش : إنما يعلمه رجل باليمامة يقال له : الرحمن ، وإنا لا نؤمن بالرحمن ، فأنزل الله سبحانه : ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي﴾ كان مُسَيِّلةُ بن حبيب الحنفي ، ثم أحمد بن الدُّوَل قد تسمى : بالرحمن في الجاهلية ، وكان من المعمرين ، ذكر وَثِيمةُ بن موسى أن مسيلة تسمى بِالرَّحْمَنِ قبل أن يولد عبدُ الله أو رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم .

كبير :

وأنشد في تفسير الزبانية :

الذين استمعوا إلى قراءة النبي (ص)

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري أنه حدث : أن سفيان بن حرب ، وأباجيل بن هشام ، والأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي حليف بني زهرة ، خرجوا ليلة ؛ ليستمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يصلي من الليل في بيته ، فأخذ كل رجل منهم مجلسا يستمع فيه ، وكل لا يعلم بمكان صاحبه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا . فجمعهم الطريق ، فتلاّوا ، وقال بعضهم لبعض : لا تعودوا ، فلو رأيكم بعض سفهاءكم لأوقعتكم في أنفسه شيئا ، ثم انصرفوا ، حتى إذا كانت الليلة الثانية ، عاد كل رجل منهم إلى مجلسه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا ، فجمعهم الطريق ، فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة ، ثم انصرفوا . حتى

ومن كبير نقر زبانيه^(١)

وجدت في حاشية كتاب الشيخ على هذا البيت : كبير : حتى من هذيل قال المؤلف : وفي أسد أيضا : كبير بن غنم بن دودان بن أسد ، ومن ذريته : بنو جحش بن ريان بن يعمر بن صبيوة بن مرة بن كبير^(٢) وأهل الراجز أن يكون أراد هؤلاء ، فإنهم أشهر ، والله أعلم ، وبنو كبير أيضا : بطن من بني غامد ، وهم من الأزد ، والذي تقدم ذكره من هذيل هو : كبير بن طابخة بن إليان ابن سعد بن هذيل .

(١) سبق ذكر الأحاديث التي وردت في هذا الشأن ، والذي نقله السهيلي عن كعب الأحبار في أمر خزنة جهنم لاسند له

(٢) من شعراء هذيل من كنيته أبو كبير ، وفي اللسان : كبير بن هند : حتى من هذيل .

إذا كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا ، فجمعهم الطريق ، فقال بعضهم لبعض : لا نبرح حتى نتعاهد ألا نعود ، فتعاهدوا على ذلك ، ثم تفرقوا .

فلما أصبح الأحنسُ بن شريق أخذ عصاه ، ثم خرج حتى أتى أباسفيان في بيته ، فقال : أخبرني يا أباحنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد ، فقال : يا أباحنظلة والله لقد سمعت أشياء أعرفها ، وأعرف ما يُراد بها ، وسمعت أشياء ما عرفت معناها ولا ما يُراد بها ، قال الأحنسُ : وأنا والذي حلفت به .

قال : ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل ، فدخل عليه بيته ، فقال : يا أبا الحكم ، مارأيك فيما سمعت من محمد ؟ فقال : ماذا سمعت ، تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف ، أطعموا فأطعمنا ، وحملوا فحملنا ، وأعطوا فأعطينا ، حتى إذا تخاذلنا على الرُّكَب ، وكُنَّا كَفَرَسَى رِهان ، قالوا : منَّا نبي يأتيه الوحي من السماء ، فتي نُذرك مثل هذه ، والله لا نُؤمن به أبدًا ، ولا نصدقه . قال : فقام عنه الأحنسُ وتركه .

قال ابن إسحاق : وكان رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - إذا تلا عليهم القرآن ، ودعاهم إلى الله ، قالوا يهزمون به : (قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ) لانفقه ما نقول : (وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ) لانسمع ما نقول : (وَمَنْ يَبْنِئْنا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ) قد حال بيننا وبينك (فاعمل) بما أنت عليه (إِنَّا عَامِلُونَ) بما نحن عليه ، إِنَّا لانفقه عنك شيئًا ، فأنزل الله تعالى عليه في ذلك من قولهم : ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ﴾

﴿الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾
إلى قوله : ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوَّا عَلَى أذْهَانِهِمْ
تُفُورًا﴾ الإسراء : ٤٥ ، ٤٦ أى : كيف فهموا توحيدك ربك إن كنت جعلت
على قلوبهم أكنة ، وفي آذانهم وقراً ، وبينك وبينهم حجاباً بزعمهم ؛ أى :
إنى لم أفعل ذلك . ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ ، إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ :
وَإِذْ هُمْ نَجْوَى ، إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ : إِنْ تَدْعُهُمْ إِلَّا رَجُلًا مَسْخُورًا﴾
الإسراء : ٤٧ أى : ذلك ماتوا صوا به من ترك ما بعثتك به إليهم . ﴿انْظُرْ :
كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ الإسراء : ٤٨
أى : أخضعوا المثل الذى ضربوا لك ، فلا يصيبون به هدًى ، ولا يعتدل
لهم فيه قول ﴿وَقَالُوا : أءِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أُنْفَا لَتَتَّبِعُونَا خَلْقًا
جَدِيدًا﴾ أى : قد جئتُ نخبرنا : أننا سنبعث بعد موتنا إذا كنا عظاماً ورُفَاتَا ،
وذلك ما لا يكون . ﴿قُلْ : كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ، أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ
فِي صُدُورِكُمْ ، فَسَيَقُولُونَ : مَنْ يُعِيدُنَا ، قُلْ : الَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾
الإسراء : ٤٩ - ٥١ : الذى خلقكم مما تعرفون ، فليس خلقكم من تراب
بأعز من ذلك عليه .

قال ابن إسحاق : حدثني عبد الله بن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس
رضي الله عنهما ، قال : سأله عن قول الله تعالى : ﴿أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي
صُدُورِكُمْ﴾ ما الذى أراء الله به ؟ فقال : الموت .

ذكر عدوان المشركين على المستضعفين من أسلم بالأذى والفتنة

قال ابن إسحاق : ثم إنهم عَدَوْا على من أسلم ، وَاتَّبَعَ رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - من أصحابه ، فَوَثَّبتْ كُلُّ قَبِيلَةٍ على من فيها من المسلمين ، فَجَعَلُوا يَحْدُسُونَهُمْ وَيَعْدُّونَهُمْ بالضرب والجوع والعَطَش ، وبرَمَضاء مكة إذا اشتدَّ الحرُّ ، مَنْ استضعفوا منهم ، يَفْتَنُونَهُمْ عن دينِهِمْ ، فمنهم من يَفْتَنُ من شدة البلاء الذي يُصِيبُهُ ، ومنهم من يَصُلبُ لهم ، وَيَعْصِمُهُ الله منهم .

تعذيب بلال وعنته

وكان بلالٌ مَوْلى أبى بكر رضى الله عنهما ، لِبَعْضِ بنى جُحج ، مُوَلِّداً من مولديهم ، وهو بلالُ بن رباح ، وكان اسْمُ أمِّه : حَمَامَة ، وكان صادقَ الإسلام طاهرَ القلب ، وكان أميَّة بن خلف بن وهب بن حذافة بن جُحج يُخرجه إذا حَمَت الظَّهيرةُ ، فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة ، ثم يأمر بالصَّخرة العظيمة فتوضع على صدره ، ثم يقول له : لا تزال هكذا حتى تموت ، أو تكفر بمحمد وتعبد الآلات والعزى ؛ فيقول وهو فى ذلك البلاء : أَحَدٌ أَحَدٌ .

قال ابن إسحاق : وحدثني هشام بن عروة عن أبيه ، قال : كان وَرَقَة بن نوفل يَمُرُّ به وهو يعذب بذلك ، وهو يقول : أَحَدٌ أَحَدٌ ، فيقول : أَحَدٌ ، أَحَدٌ ، والله يا بلال ، ثم يُقِيلُ على أميَّة بن خلف ، ومن يصنع ذلك به من بنى جُحج ، فيقول : أحلفُ بالله لئن قتلتهموه على هذا لاتخذنَّ حَنَافاً ، حتى مرَّ به أبو بكر

الصدِّيق بن أبي جُحافة - رضى الله عنه - يوماً ، وهُم يصنعون ذلك به ، وكانت دارُ أبي بكر في بني جُحاح ، فقال لأمية بن خَاف : ألا تتقى الله في هذا المسكين؟! حتى متى ؟ قال : أنت الذى أفسدته ، فأثَّقه مما ترى ، فقال أبو بكر : أفعُلْ عندى غلام أسودُّ أجَلَدُ منه وأقوى ، على دينك ، أُعطيك به ، قال : قد قبلتُ فقال : هوالك . فأعطاه أبو بكر الصدِّيق رضى الله عنه غلامه ذلك وأخذَه فأعتقه .

من عتقاء أبي بكر

ثم أغتق معه على الإسلام قبل أن يهاجر إلى المدينة ست رقاب ، بلال سابعهم : عامر بن فُهيرة ، شهيد بدرًا وأُحدًا ، وقُتل يوم بُئر معونة شهيداً ، وأمُّ شُميس وزَيرة ، وأصيب بعمرها حين أعتقها ، فقالت قُريش : ما أذهب بصرها إلا اللات والعُزَّى ؛ فقالت : كذبُوا - وبيت الله - ما تضر اللات والعُزَّى ، وما تنفعان ، فردَّ الله بصرها .

وأعتق النّهدي وبنَّتْها ، وكانت امرأة من بني عبد الدار ، ففر بهما . وقد بعثتهما سيدهما بطَّحين لها ، وهى تقول : والله لا أعتقكما أبداً ، فقال أبو بكر رضى الله عنه : حِلاً يا أمَّ فلان ، فقالت : حلٌّ ، أنت أفسدتهما فأعتقتهما ؛ قال : فبكم هما ؟ قالت : بكذا وكذا ، قال : قد أخذتهما وهما حُرَّتَان ، أُرْجعهما إليهما طَحِينها ، قالتا : أو تفرِّغ منه يا أبا بكر ، ثم نردّه إليهما؟! قال : وذلك إن شِئتما .

ومرَّ بجارية بني مُوَمَّل ، حتى من بني عدي بن كعب ، وكانت مسلمة

وعمرُ بن الخطاب يُعذِّبُها لتترك الإسلام ، وهو يومئذ مشركٌ وهو يضربها ، حتى إذا ملَّ قال : إني أعتذر إليك ، إني لم أتركك إلا مَلَالَةً ، فتقول : كذلك فعل الله بك ، فابتاعها أبو بكر ، فأعتقها .

بين أبي بكر وأبيه

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن عبد الله بن أبي عتيق ، عن عامر ابن عبد الله بن الزبير ، عن بعض أهله ، قال :

قال أبو قحافة لأبي بكر : يَا بُنَيَّ ، إني أراك تُفَتِّقُ رِقَابًا ضِعَافًا ، فلو أنك إذ فعلت ما فعلتَ أعتقتَ رجالًا جُلْدًا يَمْنَعُونَكَ ، ويقومون دونك ؟ قال : فقال أبو بكر رضي الله عنه : يَا أَبَتِ ، إني إنما أريد ما أريد ، لله عز وجل ، قال : فَيُتَحَدَّثُ أَنَّهُ مَانَزِلُ هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ إِلَّا فِيهِ ، وفيما قال له أبوه : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ ، وَانْتَمَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴾ الليل : ٥ ، ٦ . . . إلى قوله تعالى : ﴿ وَمَا لَاحِدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ يُجْزَى إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى وَلَسَوْفَ يَرْضَى ﴾ الليل : ١٩ ، ٢١ .

تعذيب عمار بن ياسر

قال ابن إسحاق : وكانت بنو نَجْزٍ يَخْرُجُونَ بِعَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ ، وبأبيه - وأمه - وكانوا أهل بيت إسلام - إذا حَمِيَتِ الظَّهِيرَةُ ، يُعَذِّبُونَهُمْ بِرَمَضَاءِ مَكَّةَ ، فيَمَرُّ بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فيقول ، فيما بلغني : صَبْرًا آلَ يَاسِرٍ ، مَوْعِدُكُمْ الْجَنَّةَ . فَأَمَّا أُمُّهُ ففَقَتَلُوهَا ، وهى تَأْبَى إِلَّا الْإِسْلَامَ .

وكان أبو جهل الفاسق الذي يُفَرِّقُ بِهِمْ فِي رِجَالٍ مِنْ قُرَيْشٍ ، إِذَا سَمِعَ

بالرجل قد أسلم ، له شرف ومَنعة أَنبَه وأخْزاه وقال : تركتَ دينَ أبيك وهو خير منك : لَنُصَفِّهَنَّ حَلَمَكَ وَلنُفَيِّكَنَّ رَأْيَكَ ، ولنَضْمَنَّ شَرْفَكَ ، وإن كان تاجراً ، قال : والله لَنُكَسِّدَنَّ تِجَارَتَكَ ، ولنُهْلِكََنَّ مَالَكَ ، وإن كان ضعيفاً ضَرَبَهُ وَأَغْرَى بِهِ .

فِتْنَةُ الْمَعْذِبِينَ

قال ابن إسحاق : وحدثني حَكِيم بن جُبَيْر عن سَعِيد بن جُبَيْر ، قال : قلت لعبد الله بن عباس : أكان المشركون يَبْغُون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من العذاب ما يُعْذَرُونَ به في تَرْك دينهم ؟ قال : نعم ، والله ، إن كانوا لَيَضْرِبُونَ أَحَدَهُمْ ، وَيُجْمِعُونَهُ ، وَيُعْطِّشُونَهُ حتى ما يقدر أن يستوى جالساً من شِدَّة الضَّر الذي نزل به ، حتى يُعْطِيَهُمْ ما سألوه من الفِتْنَةِ ، حتى يقولوا له ، آَلَلَّا تُوالِىَ الْهَكَى من دون الله ؟ فيقول : نعم ، حتى إن الْجُعَلَ لَيَمُر بِهِمْ ، فيقولون له : أهذا الْجُعَلَ الْهَكَى من دون الله ؟ فيقول : نعم ، افتدأءَ مِنْهُمْ مِمَّا يَبْغُونَ مِنْ جَهَنَّمَ .

رَفَضَ تَسْلِيمَ الْوَلِيدِ لَتَقْتُلَهُ قُرَيْشٌ

قال ابن إسحاق : وحدثني الزبير بن عَكَّاشَةَ بن عبد الله بن أبي أحمد أنه حَدَّثَ أَنَّ رَجُلًا مِنْ بَنِي تَخْزُومٍ مَشَوْا إِلَى هِشَامِ بْنِ الْوَلِيدِ ، حِينَ أَسْلَمَ أَخُوهُ الْوَلِيدُ بْنُ الْوَلِيدِ ، وَكَانُوا قَدْ أَجْمَعُوا عَلَى أَنْ يَأْخُذُوا فَتِيَّةً مِنْهُمْ كَانُوا قَدْ أَسْلَمُوا ، مِنْهُمْ : سَلَمَةُ بْنُ هِشَامٍ ، وَعِيَّاشُ بْنُ أَبِي رِبِيعَةَ . قَالَ : فَقَالُوا لَهُ — وَخَشُوا شَرَّهُمْ : إِنَّا قَدْ أَرَدْنَا أَنْ نَعَاتِبَ هَؤُلَاءِ الْفِتْيَةَ عَلَى هَذَا الدِّينِ الَّذِي أَحْدَثُوا ، فَإِنَّا نَأْمَنُ بِذَلِكَ فِي غَيْرِهِمْ . قَالَ : هَذَا ، فَعَايَكُمْ بِهِ . فَعَاتَبُوهُ وَإِيَّاكُمْ نَوَافِسَهُ . وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

أَلَا لَا يُقَتَّلَنَّ أَخِي عُيَيْشٌ فَيَبْقَى بَيْنَنَا أَبَدًا تَلَا حِي

احذروا على نفسه ، فأقسم بالله انن قتلتموه ، لأقتلن أشرفكم رجلاً . قال :
فقالوا : اللهم العنه . من يُفرّر بهذا الخبيث ، فوالله لو أصيب في أيدينا لقتل
أشرفنا رجلاً . قال : فتركوه وبرزعوا عنه . قال : وكان ذلك مما دفع الله به عنهم .

ذكر الهجرة الأولى إلى أرض الحبشة

قال ابن إسحاق : فلما رأى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
ما يصيب أصحابه من البلاء . وما هو فيه من العافية . بمكانه من الله ، ومن عمه أبي
طالب ، وأنه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء . قال لهم : لو خرجتم
إلى أرض الحبشة ، فإن بها ماسكا لا يظلم عنده أحد . وهى أرض صدق ، حتى
يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه ، فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول
الله - صلى الله عليه وسلم - إلى أرض الحبشة ، مخافة الفتنة ، وفراراً إلى الله
بدينهم . فكانت أول هجرة كانت في الإسلام .

أصحاب الهجرة الأولى إلى الحبشة

وكان أول من خرج من المسلمين من بنى أمية بن عبد شمس
ابن عبد مناف ابن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب
ابن فهر : عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية ، معه امرأته : رقية بنت
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومن بنى عبد شمس بن عبد مناف : أبو حذيفة

ابن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، معه امرأته : سَهْلَةُ بنت سَهْلٍ بن عمرو ، أحد
بنى عامر بن لؤي ، ولدت له بأرض الحبشة محمد بن أبي حذيفة . ومن بنى أسد
ابن عبد العزى بن قصي : الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد . ومن بنى
عبد الدار بن قصي : مضعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار . ومن
بنى زهرة بن كلاب : عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث
ابن زهرة . ومن بنى مخزوم ابن يقطعة بن مرة : أبو سلمة بن عبد الأسد بن
هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، معه امرأته أم سلمة بنت أبي أمية
ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم . ومن بنى جهم بن عمرو بن هصيص
بن كعب : عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جهم . ومن
بنى عدى بن كعب : عامر بن ربيعة ، حليف آل الخطأب ، من عنز بن وائل معه
امرأته : ليلى بنت أبي حشمة بن حذيفة بن غانم بن عامر بن عبد الله بن عوف
بن عبيد بن عويج بن عدى بن كعب . ومن بنى عامر بن لؤي أبو سبرة
ابن أبي رهم بن عبد العزى بن أبي قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك
ابن حسل بن عامر ، ويقال : بل أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود
ابن نصر بن مالك بن حسل بن عامر .

ويقال : هو أول من قدمها . ومن بنى الحارث بن فهر : سهيل بن بيضاء ،
وهو : سهيل بن وهب بن ربيعة بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث .
فكان هؤلاء العشرة أول من خرج من المسلمين إلى أرض الحبشة ، فيما بلغني .
قال ابن هشام : وكان عليهم عثمان بن مظعون ، فيما ذكر لي بعض
أهل العلم .

قال ابن إسحاق : ثم خرج جعفر بن أبي طالب رضى الله عنه ،
وتتابع المسلمون ، حتى اجتمعوا بأرض الحبشة ، فكانوا بها ، منهم من خرج
بأهله معه ، ومنهم من خرج بنفسه لا أهل له معه .

المهاجرون من بنى هاشم وبنى أمية

ومن بنى هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب
ابن لؤي بن غالب بن فهر : جعفر بن أبي طالب بن عبد المطالب بن هاشم ،
معه امرأته : أسماء بنت عميس بن النعمان بن كعب بن مالك بن قحافة بن خثعم ،
ولدت له بأرض الحبشة عبد الله بن جعفر ، رجل .

ومن بنى أمية بن عبد شمس بن عبد مناف : عثمان بن عفان بن أبي العاص
ابن أمية بن عبد شمس ، معه امرأته : رقية ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وعمر بن سعيد بن العاص بن أمية ، معه امرأته : فاطمة بنت صغوان
ابن أمية ابن مخرت بن حنبل بن شق بن ربيعة بن مخدج الكنانى ، وأخوه
خالد بن سعيد بن العاص بن أمية ، معه امرأته : أمينة بنت خلف بن أسعد
ابن عامر بن بياضة بن سبيع بن جعشم بن سعد بن مليح بن عمرو ، من خزاعة
قال ابن هشام : ويقال : هُمينة بنت خلف .

قال ابن إسحاق : ولدت له بأرض الحبشة سعيد بن خالد ، وأمة بنت
خالد ، فتزوج أمة بعد ذلك الزبير بن العوام ، فولدت له عمرو بن الزبير ،
وخالد بن الزبير .

المهاجرون من بنى أسد وبنى عبد شمس

ومن حلفائهم ، من بنى أسد بن خزيمه : عبد الله بن جحش بن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد ؛ وأخوه عبيد الله بن جحش ، معه امرأته : أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب بن أمية ، وقيس بن عبد الله ، رجل من بنى أسد بن خزيمه ، معه امرأته بركة بنت يسار ، مولاة أبي سفيان بن حرب بن أمية ، ومُعَيْقِب بن أبي فاطمة ، وهؤلاء آل سعيد بن العاص ، سبعة نفر .

قال ابن هشام : مُعَيْقِب من دؤس .

قال ابن إسحاق : ومن بنى عبد شمس بن عبد مناف ، أبو حذيفة ابن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، وأبو موسى الأشعري ، واسمه : عبد الله ابن قيس حليف آل عتبة بن ربيعة ، رجلان .

المهاجرون من بنى نوفل وبنى أسد

ومن بنى نوفل بن عبد مناف : عتبة بن غزوان بن جابر بن وهب ابن نسيب بن مالك بن الحارث بن مازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة ابن قيس بن عيلان ، حليف لهم ، رجل .

ومن بنى أسد بن عبد العزى بن قصى : الزبير بن العوام بن خويلد ابن أسد ، والأسود بن نوفل بن خويلد بن أسد ، ويزيد بن زمة بن الأسود ابن المطلب بن أسد . وعمر بن أمية بن الحارث بن أسد ، أربعة نفر .

المهاجرون من بنى عبد وعبد الدار ولدى قصى

ومن بنى عبد بن قُصَيَّ : طَلِيب بن عُمَيْر بن وهب بن أبي كثير بن عبد
[ابن قُصَيَّ] رجل .

ومن بنى عبد الدار بن قُصَيَّ : مُضْعَب بن عُمَيْر بن هاشم بن عبد مناف
ابن عبد الدار ، وسُوَيْط بن سَعْد بن حَرْمَلَة بن مالك بن عُجَيْلَة بن السَّبَّاق .
ابن عبد الدار ، وَجْهَم بن قَيْس بن عبد شَرْحَبِيل بن هاشم بن عبد مناف
ابن عبد الدار ، معه امرأة أم حَرْمَلَة بنت عبد الأسود بن جذيمة بن أَقَيْش بن عامر
ابن بِيَاضَة بن سُبَيْع بن جُعْثَمَة بن سَعْد بن مُلَيْح بن عمرو ، من خزاعة ، وابناه :
عَمْرُو بن جَهْم وخَزِيمَة بن جَهْم ، وأبو الرُّوم بن عُمَيْر بن هاشم بن عبد مناف .
ابن عبد الدار ، وفِرَاس بن النَّضْر بن الحارث بن كَلَدَة بن عُلْقَمَة بن عبد مناف .
ابن عبد الدار ، خمسة نفر .

المهاجرون من بنى زهرة وبنى هذيل وبهراء

ومن بنى زهرة بن كِلَاب : عبدُ الرحمن بن عَوْف بن عبد عوف بن عبد
ابن الحارث بن زهرة ، وعامر بن أبي وقَّاص ، وأبو وقاص : مالك بن أهيب
ابن عبد مناف ابن زهرة ، والمطلِّب بن أَرْهَر بن عبد عوف بن عبد بن الحارث .
ابن زهرة ، معه امرأته : رَمْلَة بنت أبي عَوْف بن ضُبَيْرَة بن سُمَيْد بن سَعْد .
ابن سَهْم ، ولدت له بأرض الحبشة عبد الله بن المطلِّب .

ومن حُلَفَائِهِمْ مِنْ هُذَيْل : عبدُ الله بن مَسْعُود بن الحارث بن تَمِيم .

ابن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل، وأخوه:
عُتْبة بن مسعود .

ومن بهراء : المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة بن ثمامة
ابن مطرود بن عمرو بن سعد بن زهير بن لؤي بن ثعلبة بن مالك بن الشريد
ابن أبي أهوز بن أبي فائش بن دريم بن القين بن أهود بن بهراء بن عمرو
ابن الحاف بن قضاة .

قال ابن هشام : ويقال هزل بن فاس بن ذر ، ودهير بن ثور .
قال ابن إسحاق : وكان يقال له : المقداد بن الأسود بن عبد يثوث
ابن وهب بن عبد مناف بن زهرة ، وذلك أنه تبناه في الجاهلية ، وحالقه ،
- ستة نفر -

المهاجرون من بني تميم وبني مخزوم

ومن بني تميم بن مرة : الحارث بن خالد بن صخر بن عامر بن عمرو
ابن كعب بن سعد بن تميم ، معه امرأته ربيعة بنت الحارث بن جبلة بن عامر
ابن كعب بن سعد بن تميم ، ولدت له بأرض الحبشة موسى بن الحارث ،
وعائشة بنت الحارث ، وزينب بنت الحارث ، وفاطمة بنت الحارث ، وعمرو
ابن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم ، رجلان .

ومن بني مخزوم بن يقظة بن مرة : أبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال
ابن عبدالله بن عمر بن مخزوم ، ومعه امرأته : أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة

ابن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، ولدت له بأرض الحبشة زينب بنت أبي سلمة ،
واسم أبي سلمة : عبد الله ، واسم أم سلمة : هند . وشمامس بن عثمان بن الشريد
ابن سويد بن هرمي بن عامر بن مخزوم .

من سيرة الشماس

قال ابن هشام : واسم شماس : عثمان ، وإنما سمي شماساً ؛ لأن شماسا من
الشماسة ، قدم مكة في الجاهلية ، وكان جميلاً فمجب الناس من جماله ، قال
عتبة بن ربيعة - وكان خال شماس : أنا آتيكم بشماس أحسن منه ، فجاء ابن أخته
عثمان بن عثمان ، فسمي : شماساً . فيما ذكر ابن شهاب وغيره .

قال ابن إسحاق : وهبّار بن سفيان بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله
ابن عمر بن مخزوم ، وأخوه عبد الله بن سفيان ، وهشام بن أبي حذيفة
ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وسلمة بن هشام بن المغيرة
ابن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وعيَّاش بن أبي ربيعة بن المغيرة بن عبد الله
ابن عمر بن مخزوم .

المهاجرون من حلفاء بني مخزوم ومن بني جمح

ومن حلفائهم : مُعَتَّب بن عَوْف بن عامر بن الفضل بن عَنيف بن كُليب
ابن حَبْشِيَّة بن سَلُول بن كَعْب بن عمرو ، من خُزاعة ، وهو الذي يُقال له :
عِيَّامة ، ثمانية نفر .

قال ابن هشام : ويقال : حَبْشِيَّة بن سلول ، وهو الذي يُقال له مُعَتَّب
ابن حمراء .

ومن بنى مُجَمِّح بن عَمْرُو بن هُصَيْص بن كَعْب : عُمَانُ بن مَظْعُون .
 ابن حَبِيب بن وَهَب بن حُذَافَة بن مُجَمِّح ، وابنه : السائب بن عُمَان ، وأخواه :
 قُدَامَة بن مَظْعُون ، وعبدُ الله بن مَظْعُون ، وحاطب بن الحارث بن مَعْمَر .
 ابن حَبِيب بن وَهَب بن حُذَافَة بن مُجَمِّح ، معه امرأته : فاطمة بنت الْمُجَلَّل .
 ابن عبد الله بن أَبِي قَيْسٍ بن عبدود بن نَصْر بن مالك بن حِثْل بن عامر ،
 وابناه : محمد بن حاطب ، والحارث بن حاطب ، وهما ابنت الْمُجَلَّل ، وأخوه : حطَّاب .
 ابن الحارث ، معه امرأته فُكَيْهَة بنت يسار ، وسفيان بن مَعْمَر بن حَبِيب .
 ابن وَهَب بن حُذَافَة بن مُجَمِّح ، معه ابناه جابر بن سفيان ، وجُنَادَة بن سفيان ،
 ومعه امرأته حَسَنَة ، وهى أمهما ، وأخوهما من أمهما : شُرَحْبِيل بن حَسَمَة ،
 أحد الفوث .

قال ابن هشام : شرحبيل بن عبد الله أحدُ الفوث بن مُرَّة ، أخى تميم
 ابن مُرَّة .

الْمُهَاجِرُونَ مِنْ بَنِي سَهْمٍ وَبَنِي عَدَى وَبَنِي عَامِرٍ

قال ابن إسحاق : وعُثْمَان بن ربيعة بن أَهْبَان بن وَهَب بن حُذَافَة بن مُجَمِّح ،
 أحدُ عشر رجلاً .

ومن بنى سَهْم بن عمرو بن هُصَيْص بن كَعْب : خُنَيْس بن حُذَافَة بن
 قَيْس بن عَدَى بن سعد بن سَهْم ، وعبد الله بن الحارث بن قَيْس بن عَدَى .
 ابن سعد بن سهل ، وهشام بن العاص بن وائل بن سعد بن سَهْم .

قال ابن هشام : العاص بن وائل بن هاشم بن سعد بن سهم .

قال ابن إسحاق : وقيس بن خُذافة بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم ، وأبو قيس بن الحارث بن قيس بن خُذافة بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم ، وعبد الله بن خُذافة بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم ، والحارث بن الحارث بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم ، ومَعمر بن الحارث بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم ، ويَشْر بن الحارث بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم ، وأخ له من أمه من بنى تميم ، يقال له : سعيد بن عمرو ، وسعيد بن الحارث بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم ، والسائب بن الحارث بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم ، وعُمير بن رِثاب بن خُذيفة بن مُهْشَم بن سعد بن سهم ، وتَحْمِيمة بن الجِزاء ، حليف لهم ، من بنى زُبَيْد ، أربعة عشر رجلاً .

ومن بنى عدى بن كعب : مَعْمَر بن عبد الله بن نَضْلة بن عبد العزى بن حُرْثَان بن عوف بن عُبَيْد بن عُوَيْج بن عدى ، وعروة بن عبد العزى بن حُرْثَان بن عوف بن عُبَيْد بن عُوَيْج بن عدى ، وعدى بن نَضْلة بن عبد العزى بن حُرْثَان بن عوف بن عُبَيْد بن عُوَيْج بن عدى ، وابنه النعمان بن عدى ، وعامر بن ربيعة ، حليف لآل الخَطَّاب ، من عَزْر بن وائل ، معه امرأته : ليلي بنت أبي حَثْمَة بن غانم . خمسة نفر .

ومن بنى عامر بن لُؤى : أبو سَبْرَة بن أبي رَهْم بن عبد العزى بن أبي قيس بن عبدود بن نصر بن مالك بن حِثْل بن عامر ، معه امرأته :

أُمُّ كُنُثُومَ بِنْتُ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ بْنِ عَبْدِوُدٍّ بْنِ نَضْرَ بْنِ مَالِكِ
ابْنِ حِصْلِ بْنِ عَامِرٍ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ نَحْرَةَ بْنِ عَبْدِ الْعَزْزِيِّ بْنِ أَبِي قَيْسٍ بْنِ
عَبْدُوُدٍّ بْنِ نَضْرَ بْنِ مَالِكِ بْنِ حِصْلِ بْنِ عَامِرٍ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرِو
ابْنِ عَبْدِ شَمْسٍ بْنِ عَبْدِوُدٍّ بْنِ نَضْرَ بْنِ مَالِكِ بْنِ حِصْلِ بْنِ عَامِرٍ ، وَسَلِيطُ بْنُ
عَمْرِو بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ بْنِ عَبْدِوُدٍّ بْنِ نَضْرَ بْنِ مَالِكِ بْنِ حِصْلِ بْنِ عَامِرٍ ، وَأَخُوهُ :
السَّكْرَانُ بْنُ عَمْرِو ، مَعَهُ امْرَأَتُهُ : سَوْدَةُ بِنْتُ زَمْعَةَ بْنِ قَيْسٍ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ
ابْنِ عَبْدِوُدٍّ بْنِ نَضْرَ بْنِ مَالِكِ بْنِ حِصْلِ بْنِ عَامِرٍ ، وَمَالِكُ بْنُ زَمْعَةَ بْنِ قَيْسٍ
ابْنِ عَبْدِ شَمْسٍ بْنِ عَبْدِوُدٍّ بْنِ نَضْرَ بْنِ مَالِكِ بْنِ حِصْلِ بْنِ عَامِرٍ ، مَعَهُ امْرَأَتُهُ :
عَمْرَةَ بِنْتُ السَّعْدِيِّ بْنِ وَقْدَانَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ بْنِ عَبْدِوُدٍّ بْنِ نَضْرَ بْنِ مَالِكِ بْنِ
حِصْلِ بْنِ عَامِرٍ ، وَحَاطِبُ بْنُ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ بْنِ عَبْدِوُدٍّ بْنِ نَضْرَ بْنِ مَالِكِ
ابْنِ حِصْلِ بْنِ عَامِرٍ ، وَسَعْدُ بْنُ خَوْلَةَ ، حَلِيفٌ لَهُمْ . ثَمَانِيَةُ نَفَرٍ .

قال ابن هشام : سعد بن خولة من اليمين .

المهاجرون من بنى الحارث

قال ابن إسحاق : ومن بنى الحارث بن فهر : أبو عبيدة بن الجراح ،
وهو : عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث
ابن فهر ، وسُهَيْلُ بْنُ بَيْضَاءَ ، وهو : سُهَيْلُ بْنُ وَهْبِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ هَلَالِ بْنِ
أَهْيَبِ بْنِ ضَبَّةَ بْنِ الْحَارِثِ ، وَلَسَكُنَ أُمُّهُ غَلَبَتْ عَلَى نَسَبِهِ ، فَهُوَ يَنْسَبُ إِلَيْهَا ،
وَهِيَ : دَعْدَةُ بِنْتُ جَعْدَمِ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ ظَرْبِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ فَهْرِ ، وَكَانَتْ

تدعى : بَيْضَاء ، وعمر بن أَبِي سَرْح بن رَيْبِيعَة بن هَالَل بن أَهْيَب بن ضَبَّة
ابن الحارث ، وعِيَاض بن زُهَيْر بن أَبِي شَدَّاد بن رَيْبِيعَة بن هَالَل بن أَهْيَب
ابن ضَبَّة بن الحارث ، ويقال : بل رَيْبِيعَة بن هَالَل بن مَالِك بن ضَبَّة
ابن الحارث ، وعمر بن الحارث بن زُهَيْر بن أَبِي شَدَّاد بن رَيْبِيعَة بن هَالَل بن مَالِك
ابن ضَبَّة بن الحارث ، وعُثْمَان بن عَبْدِ غَنَم بن زُهَيْر بن أَبِي شَدَّاد بن رَيْبِيعَة
ابن هَالَل بن مَالِك بن ضَبَّة بن الحارث ، وسعد بن عبد قَيْس بن لَقِيط بن عامر
ابن أُمَيَّة بن ظَرْب بن الحارث بن فُهْر ، والحارث بن عبد قَيْس بن لَقِيط
ابن عامر بن أُمَيَّة بن ظَرْب بن الحارث بن فُهْر . ثمانية نفر .

عدد الذين هاجروا إلى الحبشة

فكان جميع من لحق بأرض الحبشة ، وهاجر إليها من المسلمين ، سوى
أبنائهم الذين أخرجوا بهم معهم صغاراً وولدوا بها ، ثلاثة وثمانين رجلاً ، إن
كان عُمَار بن ياسر فيهم ، وهو يشك فيه .

من شعر الهجرة الحبشية

وكان مما قيل من الشعر في الحبشة ، أن عبد الله بن الحارث بن قيس
ابن عدى بن سعد بن سهم ، حين أمنوا بأرض الحبشة ، وحدوا جوار
النجاشي ، وعبدوا الله ، لا يخافون على ذلك أحداً ، وقد أحسن النجاشي
جوارهم حين نزلوا به ، قال :

يَا رَاكِبًا بَلَّغْنِي عَنِّي مُغْلَقَةً مَنْ كَانَ يَرْجُو بِلَاغَ اللَّهِ وَالِدَيْنِ
كُلِّ امْرِئٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ مُضْطَهَدٍ بَيِّنَاتٍ مَكَّةَ مَقْمُورٍ وَمَقْمُورٍ

أَنَا وَجَدْنَا بِلَادَ اللَّهِ وَاسِعَةً نُنَجِّي مِنَ الذَّلِّ وَالْمَخْزَاةِ وَالْمَوْنِ
فَلَا تَقِيمُوا عَلَى ذَلِّ الْحَيَاةِ ، وَخِزْ يِ فِي الْعَمَاتِ ، وَعَيْبِ غَيْرِ مَأْمُونِ
لِمَا تَبِعْنَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَاطَّرَحُوا قَوْلَ النَّبِيِّ ، وَعَالُوا فِي الْعَوَازِينِ
فَاجْعَلْ عَذَابَكَ بِالْقَوْمِ الَّذِينَ بَغَوْا وَعَانِدَا بِكَ أَنْ يَعْلُوا فَيُظْفِقُونِي

وقال عبد الله بن الحارث أيضاً ، يذكر نفى قُريشٍ إِيَّاهُم من بلادهم ، ويعتاب
بعض قومه في ذلك :

أَبْتُ كَبْدِي لِأَكْذِبْنِكَ قَتْلَهُمْ عَلَى ، وَتَأْبَاهُ عَلَى أَنَا مِلِي
وَكَيْفَ قِتَالِي مَغْشَرًا أَدْبُوكُمْ عَلَى الْحَقِّ أَنْ لَا تَأْشِبُوهُ بِبَاطِلِ
نَفْتَهُمْ عِبَادُ الْجَنِّ مِنْ حَرِّ أَرْضِهِمْ فَاضْحَوْا عَلَى أَمْرِ شَدِيدِ الْبَلَابِلِ
فَإِنْ تَكُ كَانَتْ فِي عَدِي أَمَانَةٌ

عدي بن سعد عن مُتَقِي ، أو تواصل
فَمَنْدَ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ ذَلِكَ فِيكُمْ بِحَمْدِ الَّذِي لَا يُطِيبِي بِالْجَمَائِلِ
وَبَدَّلْتُ شِبْلًا شَبْلَ كُلِّ خَبِيئَةٍ بِذِي فَجَرٍ مَأْوَى الضَّمَاةِ الْأَرَامِلِ
وقال عبد الله بن الحارث أيضاً :

وَتِلْكَ قُريشٌ تَجْعَدُ اللَّهُ حَمَمَهُ كَمَا جَعَدَتْ عَادٌ وَمَدْيَنُ وَالْحِجْرُ
فَإِنْ أَنَا لَمْ أَزِقْ فَلَا يَسَعْنِي مِنَ الْأَرْضِ بَرٌّ ذُو قَضَاءٍ وَلَا بَحْرُ
بَارِضٍ بِهَا عَبْدُ الْإِلَهِ مُحَمَّدٌ أُبَيِّنُ مَا فِي النَّفْسِ إِذْ بَلَغَ النَّمَرُ

فسمي عبد الله بن الحارث — رحمه الله — لبيته الذي قال: البُرق .

وقال عثمان بن مظعون يُعَانِبُ أُمَيَّةَ بن خَلَفَ بن وَهَبَ بن حُذَافَةَ بن جُحَاحٍ ،
وهو ابن عمِّه ، وكان يُؤْذِيهِ في إسلامه ، وكان أُمَيَّةَ شَريفًا في قومه في زمانه
ذلك :

أَتَسِيمَ بن عمرو لِلَّذِي جَاءَ بِغُضَّةٍ
وَمِنْ دُونِهِ الشَّرْطَمَانِ وَالْبَرْكُ أَكْتَعُ
أَخْرَجْتَنِي مِنْ بَطْنِ مَكَّةَ آمِنًا وَأَسْكَنْتَنِي فِي صَرْحٍ بِيضَاءٍ تَقْدَعُ
تَرِيشَ نِبَالًا لَا يُؤَاتِيكَ رِيْشُهَا وَتَبْرَى نِبَالًا رِيْشُهَا لَكَ أَجْمَعُ
وَحَارَبْتَ أَقْوَامًا كِرَامًا أَعِزَّةً
وَأَهْلَكَ أَقْوَامًا بِهِمْ كُنْتَ تَفْرَعُ
سَتَعْلَمُ إِنْ نَابَتْكَ يَوْمًا مُلِمَّةٌ وَأَسْلَمَكَ الْأَوْبَاشُ مَا كُنْتَ تَصْنَعُ
وتيم بن عمرو ، الذي يدعو عثمان ، جحج ، كان اسمه : تَيْمًا .

حول آيات من القرآن :

فصل : وذكر استماع أبي جهل وأبي سفيان والأخنس إلى قول أبي جهل :
فلما تجاذبنا على الرُّكْب . وقع في الجمهرة : الجاذي : الْمُتَمَعِّي على قدميه ^(١) قال : وربما
جعلوا الجاذي والجاني سواء .

(١) في القاموس : جذأ جذوا وجذوا كسمو ثبت قائما ، كأجذى ، أو جثأ ،
أو قام على أطراف أصابعه : وتجادى : نسل ، وهي في النسخة التي معنى
لا بن هشام : تجاذبنا

وذكر قول الله سبحانه خبراً عنهم : ﴿ جَعَلْنَا بَيْنَكَ ، وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ، بِالْآخِرَةِ حِجَاباً مَسْتُوراً ﴾ الإسراء : ٤٥ قال بعضهم : مستور بمعنى : سائر كما قال : «وكان وعده مأثيماً» أى : آتياً ، والصحيح أن مستوراً هنا على بابه ؛ لأنه حجاب على القلب ، فهو لا يرى .

وذكر حديث ابن عباس حين سئل عن قوله : ﴿ أَوْ خَافًا مِمَّا يَكْبُرُ

== هذا وقد ذكر ابن هشام سبب نزول قوله سبحانه : « ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها ، وإليك هنا ما ورد عن هذا في الصحيحين وأحد عن ابن عباس قال : نزلت هذه الآية ورسول الله — صلى الله عليه وسلم — متوار بمكة : (ولا تجهر بصلاتك ، ولا تخافت بها) قال : كان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن ، فلما سمع ذلك المشركون سبوا القرآن ، وسبوا من أنزله ، ومن جاء به ، قال : فقال الله لنبيه — صلى الله عليه وسلم — (ولا تجهر بصلاتك) أى بقراءة لك ، فيسمع المشركون ، فيسبون القرآن ، ولا تخافت بها عن أصحابك ، فلا تسمعهم القرآن حتى يأخذوه منك : (وابتغ بين ذلك سبيلاً) ولكن قصر الآية على هذا السبب يجعلها معطلة الآن ، إذ ما هم بيننا مثل هؤلاء المشركين الذين نخشاهم . ومن زعم أنها للدعاء فقد أخطأ ، فالدعاء يقول الله فيه : (ادعوا ربكم تضرعاً وخفية) وقد روى عن ابن عباس : « لا تصل مراعاة الناس ، ولا تدعها مخافة الناس » ، وعن الحسن البصري : لا تحسن تلاوتها ، وتسى سريرتها .

وقد روى ابن جرير عن ابن سيرين قوله : ثبت أن أبا بكر كان إذا صلى فقرأ خفض صوته ، وأن عمر كان يرفع صوته ، ف قيل لأبي بكر : لم تصنع هذا ؟ قال : أناجى ربي عز وجل — وقد علم حاجتى . ف قيل : أحسنت ، وقيل لعمر : لم تصنع هذا ؟ قال أطرده الشيطان ، وأوظف الوسنان ، قيل : أحسنت ، فلما نزلت : (ولا تجهر بصلاتك ، ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلاً) قيل لأبي بكر : ارفع شيئاً ، وقيل لعمر : اخفض شيئاً . هذا هدى القرآن في القراءة في الصلاة

في صدوركم ﴿ فقال : الموت ، وهو تفسير يحتاج إلى تفسير ، ورأيت لبعض المتأخرين فيه ، قال : أراد ابن عباس أن الموت سيفني كما يفنى كل شيء ، كما جاء أنه يُذبح على الصُّراط ، فكان المعنى أن لو كنتم حجارة أو حديداً لأدرككم الفناء والموت ، ولو كنتم الموت الذي هو كبير في صدوركم ، فلا بدَّ لكم من الفناء - والله أعلم - بتأويل ذلك ، وقد بقي في نفسى من تأويل هذه الآية شيء ^(١) ، حتى يكمل الله نعمته بفهمها إن شاء الله تعالى - وقوله سبحانه : ﴿ وَلَوْ أَعْلَمُوا عَلَىٰ أَذْيَارِهِمْ نُفُورًا ﴾ يجوز أن يكون : نفوراً : جمع نافر ، فيكون نصباً على الحال ، ويجوز أن يكون مصدراً مؤكداً لولَّوا . وما أنزل الله في استماعهم : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ، أَفَأَنْتَ تَسْمَعُ الْهَمَّ ﴾ يونس : ٤٢ ألا ترى كيف جمع يستمعون ، والحمل على اللفظ إذا قرُب منه أحسن ، ألا ترى إلى قوله سبحانه : ﴿ وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ ﴾ فأفرد ، حملاً على لفظ مَنْ ، وقال في آخر الآية : ولا خوفٌ عليهم ، فجمع حملاً على المعنى ، لما بعد عن اللفظ ، وهكذا كان القياس في قوله : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ ﴾ ، ولكن لما كانوا جماعة ، ونزلت الآية فيهم بأعيانهم ، صار المعنى : ومنهم نفر يستمعون ، يعنى أولئك نفر ، وهم أبو جهل وأبو سفيان والأخنس بن شريق ، ألا ترى كيف قال بعد : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ ﴾ فأفرد حملاً على اللفظ لارتفاع السبب المتقدم ، والله أعلم .

(١) الآية واضحة بمعنى : أى خلق يكبر في صدور هؤلاء ومن هم على شاكلتهم ، ولهذا قال مجاهد : السماء والأرض والجبال ، وفي رواية : ما شتمتم فكونوا . فسيعيدكم الله بعد موتكم .

المكره على الكفر والمعصية :

فصل : وذكر تعذيب من أسلم وطرحهم في الرَّمضاء ، وكانوا يُلبسونهم أدرع الحديد ، حتى أعطوهم بالسنتهم ما سألوا من كلمة الكفر إلا بلالا - رحمه الله - وأنزل الله فيهم : ﴿ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ ﴾ ونزل في عَمَّارٍ وأبيه : ﴿ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ﴾ ^(١) ولما كان الإيمان أصله في القلب ، رخص للمؤمن في حال الإكراه أن يقول بلسانه إذا خاف على نفسه حتى يأمن . قال ابن مسعود : ما من كلمة تدفع عن سَوَاطِينِ إِلَّا قُلَّتْهَا هَذَا في القول ، فأما الفعل ، فتتقسم فيه الحال : فمنه ما لا خلاف في جوازه كشرب الخمر ، إذا خاف على نفسه القتل ، وإن لم يخف إلا مادون القتل ، فالصبر له أفضل ، وإن لم يخف في ذلك إلا كسجن يوم ، أو طرف من الهَوَانِ خفيف ، فلا تحل له المعصية من أجل ذلك ، وأما الإكراه على القتل ، فلا خلاف في حظره ؛ لأنه إنما رخص له فيما دون القتل ، ليدفع بذلك قتل نفس مؤمنة ،

(١) روى العوفي عن ابن عباس أن الآية : ﴿ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ ﴾ ، نزلت في حق عمار بن ياسر ، وهكذا قال الشعبي وقتادة وأبو مالك وابن جرير ، ورواه البيهقي ، وفيه أنه سب النبي ﷺ ، وذكر آلهتهم بخير ، فشكا ذلك إلى النبي ، فقال : يا رسول الله ما تركت حتى سببتك ، وذكرت آلهتهم بخير ، قال : كيف تجد قلبك ؟ قال : مطمئنا بالإيمان ، فقال : إن عادوا فعد . أما الأخرى فلم يذكر لها سبب . وروى قصة تعذيب بلال أحمد في مسنده ، وروى ابن أبي شيبة أن أبا بكر اشتراه بخمس أواق وهو مدفون ، كما روى الطبراني أن عامر بن فهيرة كان بمن يعذب في الله ، فاشتراه أبو بكر وأعتقه .

وهي نفسه ، فأما إذا دَفَعَ عن نفسه بنفسه أخرى ، فلا رُخْصَة ، واختلف في الإكراه على الزَّنى ، فذكر عن ابن الماجشون أنه قال : لا رُخْصَة فيه ؛ لأنه لا ينتشر له إلا عن إرادة في القلب أو شهوة ، وأفعال القلب لا تباح مع الإكراه ، وقال غيره : بل يرخص في ذلك لمن خاف القتل ، لأن انبعاث الشهوة عند المُمَاسَّة بمنزلة انبعاث اللعاب عند مَضْغ الطعام ، وقد يجوز أكل الحرام إذا أكره عليه .

فصل : واختلف الأصوليون في مسألة من الإكراه ، وهي : هل المُكْرَه على الفعل مخاطَّب بالفعل ، أم لا ؟ فقالت المعتزلة : لا يصح الأمر بالفعل مع الإكراه عليه ، وقالت الأشعرية : ذلك جائز ؛ لأن العزم إما هو فعل القلب ، وقد يتصور منه في ذلك الحين العزم والنية ، وهي القصد إلى امتثال أمر الله تعالى ، وإن كان ظاهره أنه يفعله خوفاً من الناس ، وذلك إذا أكرهه على فرض كالصلاة مثلاً ، إذا قيل : صَلِّ وإلا قُتِلْتَ ، وأما إذا قيل له : إن صليت قُتِلْتَ ، فظن القاضى أن الخلاف بيننا ، وبين المعتزلة في ذلك ، وغلطه بعض أصحابه ، وقالوا : لا خلاف في هذه المسألة أنه مخاطَّب بالصلاة مأمور بها ، وإن رخص له في تركها ، فليس الترخيص مما يخرجها عن حكم الخطاب ، وإما يرفع عنه الإكراه المائم ، ولا يخرجها عن أن يكون مخاطباً بها ، وهذا الغلط المنسوب إلى القاضى في هذه المسألة ليس بقول له ، وإما حكاه في كتاب التقریب والإرشاد عن طائفة من الفقهاء . قالوا : لا يتصور القصد والإرادة للفعل مع الإكراه عليه . قال القاضى : وهذا باطل ؛ لأنه يتصور انكشافه عنه مع الإكراه ، فكذلك يتصور منه القصد إلى الامتثال له ، وبه يتعلق التكليف ، فإنما غلط من نسب إليه من الأصوليين

هذا القول الذى أبطله ، وبين بطلانه ، وإنما ذكرت ما قالوه قبل أن أرى كلامه فى المسألة ، وأقوت على حقيقة مذهبه ، وهو برىء من الغلط فيها .

آل ياسر :

فصل : وذكر فيمن عُدَّ فى الله : سُمَيَّةُ أُمِّ عَمَار ، وقد ذكرنا قتلَ أبى جهل لها ، وهى أول شهيد فى الإسلام ، وروى أن عماراً قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد بلغ منا العذابُ كل مبلغ ، فقال له النبي - صلى الله عليه وسلم - : صبراً أبا اليقظان ^(١) ، ثم قال : اللهم لاتعذب أحداً من آل عمار بالغار . وسُمَيَّةُ أُمُّهُ ، وهى بنت خيَّاط ^(٢) ، كانت مَوْلَاةً لأبى حَذِيفَةَ بن المغيرة ، واسمه مُهْشَمٌ ، وهو عم أبى جهل ، وغلط ابن قُتَيْبَةَ فيها ، فزعم أن الأزرق مولى الحارث بن كَلْدَةَ خلف عايمها بعد ياسر ، فولدت له سَلَمَةَ بن الأزرق ، وقال أهل العلم بالنساء : إنما سُمَيَّةُ أُمُّ سَلَمَةَ بن الأزرق سُمَيَّةُ أُخْرَى ، وهى أم زياد ابن أبى سفيان ، لا أم عمار ، وعمارٌ والخوَيْرِثُ وعبود بنو ياسر بن عامر بن مالك ابن كِنَانَةَ بن قيس بن الحُصَيْن بن لُوذَيْن ، ويقال الوَزِيم بن ثَعْلَبَةَ بن عوف بن عامر بن حارثة بن زِيَام بن عَنَس ^(٣) بن مالك بن أَدَدَ بن زَيْد العَنَسِيُّ الْمَذْحِجِيُّ .

(١) ذكره ابن عبد البر .

(٢) وقيل خباط بضم الحاء وتشديد الباء ، وعند الفاكهى : خبط بفتح الخاء وسكون الباء . وتند ابن سعد أنها بنت سليم

(٣) فى الاشتقاق : عمار والحريث وعبد الله بنو ياسر . وفيه الوزيم . ويام بدلا من زيام وهذه أيضاً فى الإصابة . وقد روى أحمد فى مسنده أن الرسول ص ، مر على عمار وآبيه وأمه ، وهم يعذبون . فقال أبو عمار : يا رسول الله الدهر هكذا ؟ فقال له : —

حليف لبني مخزوم ، ومن ولد عمار : عبدُ الله بن سعد بن الحسن بن عثمان
ابن الحسن بن عبد الله بن سعد بن عمار بن ياسر ، وهو المقتول بالأندلس ، قتله
عبد الرحمن بن معاوية .

زنبرة وغيرها :

فصل : وذكر زنبرة^(١) التي أعتقها أبو بكر ، وأول اسمها : زاي مكسورة
بعدها نون مكسورة مشددة على وزن فَعِيلَة ، هكذا سمحت الرواية في الكتاب ،
والزنبرة : واحدة الزناير ، وهي الحصى الصفار^(٢) ، قاله أبو عبيدة ، وبعضهم يقول
فيها : زنبرة بفتح الزاي وسكون النون وباء بعدها ، ولا تُعرف زنبرة في النساء ،
وأما في الرجال فزنبرة بن زبير بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث
ابن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر ، وابنه : خالد بن
زنبرة ، وهو الفرق قاله الدارقطني .

أم عيسى :

فصل : وذكر أم عيسى^(٣) ، وكانت ابنة تميم بن مرة أعتقها أبو بكر ،

= النبي «ص» اصبر ثم قال : اللهم غفرا لآل ياسر ، وقد فعلت . وعند الطبراني
في الأوسط : اصبروا آل ياسر موعدكم الجنة . أو أبشروا آل ياسر موعدكم الجنة
(١) كان أبو جهل يتحكم بها ويمن آمن ، فيقول : « ألا تعجبون إلى هؤلاء
وأتباعهم . لو كان ما أتى محمد خيرا وحقا ما سبقونا إليه ، أفلسبنا زنبرة إلى
رشد » ص ٢٦٩ > ٦ شرح المواهب .

(٢) وذباب صفار أيضاً .

(٣) أو عيسى ، أو عيسى بالتصغير .

وذكر غير ابن إسحاق هؤلاء الذين عذبوا في الله لما أعطوا بألسنتهم ما سئلوا من الكفر ، جاءت قبيلة كل رجل منهم بأنطاع الأدم فيها الماء ، فوضوهم فيها ، وأخذوهم بأطراف الأنطاع ، واحتملوهم إلا بلالا .

عن بهلول :

وقول ورقة بن نوفل : لئن قتلتهموه يعني : بلالا ، وهو على هذا الحال .
لأَتَّخِذَنَّهُ حَنَانًا^(١) . أى : لأَتَّخِذَنَّ تَبَرَهُ مَذْكَكًا وَمُسْتَرْحًا . والحنان : الرحمة ، وكان بلال رحمه الله يكنى : أبا عبد الكريم ، وقيل : أبا عبد الله ، وأخته غُفْرَة ، وقد تقدم في أول الكتاب ذكر عمر مولى غُفْرَة ، وهى هذه . والغُفْرَة : الأنثى من أولاد الأراوى^(٢) ، والذكر : غُفَر .

باب الهجرة إلى أرض الحبشة

وقد ذكرنا نسب الحبشة في أول الكتاب ، وأما النَّجَاشِيُّ فاسم لكل ملك بلى الحبشة ، كما أن كِسْرَى اسم لمن ملك الفرس ، وخاقان اسم للملك الترك كائنا مَنْ كان ، وبَطْلَمَيْمُوسُ : اسم لمن مَلَكَ يُونَانَ ، وقد ذكرنا هذا المعنى قبل ، واسم هذا النجاشي : أَصْحَمَة^(٣) بن أبجر . وتفسيره : عطية . وذكر

(١) هو عند الزبير بن بكار وأبي الفتح اليعمرى .

(٢) أراوى بفتح أوله وثانيه وكسر الوار وتضعيف الياء : جمع قلة لأروية بضم أو كسر فسكون فكسر ففتح مع تشديد : أنثى الوعل ، أو أنثى التيس الجبلى ، وكذلك غفرة وجمع الكثرة : أروى على وزن أفعال ، على غير قياس . وفى اللسان عن أبي العباس : والصحيح عندى أن أراوى تكسير أروية . كأرجوحة وأراجيح ، والأروى : اسم للجمع ، وأروى تنون ولا تنون . انظر اللسان مادة روى .

(٣) كذلك ورد اسمه فى البخارى ، وفى مصنف ابن أبى شيبة بحذف الحمة وحكى —

في أول من خرج إلى الحبشة : عثمان بن عفان وزوجه رقية بنت رسول الله —
صلى الله عليه وسلم — وكان حين تزوجها يغنيها النساء :

أَحْسَنُ شَخْصِينَ رَأَى إِنْسَانٌ رُقَيْيَةً وَبَعُفًا عُثْمَانَ

ولدت رقية لعثمان ابنة عبد الله ، وبه كان يكنى ، ومات عبد الله وهو ابن
ست سنين ، وكان سبب موته أن ديكا نقره في عينه ، فتورم وجهه فمض ،
فمات . وذلك في جمادى الأولى سنة أربع من الهجرة ، ثم كنى بعد ذلك
أبا عمرو ، وهذا هو عبد الله الأصغر . وعبد الله الأكبر هو ابنه من فاختة بنت
غزوان ، وأكبر بنيهم بعد هذين : عمرو ، ومن بنيهم عمر و خالد وسعيد والوليد
والمغيرة وعبد الملك (١) وأبان ، وفي السيرة من غير هذه الرواية أن رقية كانت

الإسماعيلي : أصحمة وقيل : أصحبة وقيل : صجبة ، وقيل : مصحمة ، وقيل اسمه : مكحول .
وقال مغلطاي : ملك الترك خاقان ، والروم : قيصر والين : تبج ، واليونان :
بطليموس ، واليهود : القبطون فيما قيل ، والمعروف : مالح ، وملك الصابئة :
النروذ ودهمز ، وملك الهند : يعفور ، والزنج : زغانة ، ومصر والشام : فرعون ،
فإن أضيف إليهما الإسكندرية سمي : العزيز ، ويقال المقوقس . وملك العجم :
كسرى ، وملك فرغانة : الإخشيد ، والعرب من قبل العجم : النعمان ، وملك
البربر : جالوت . وجمع الحبش : أحبوش بضم أوله ، وأما قولهم : الحبش فعلى غير
قياس ، وقالوا : حبشان وقالوا : أحبش وأصل التحيش : التجميع . وكان
النجاشي قديما لقباً للملوك الحبشة ، ثم غير إلى الحطى . والنجاشى إما بفتح النون .
وإسكان الياء أو تشديدها أو بكسر النون مع مد الشين .

(١) في نسب قريش : عمرو وعمر و خالد وأبان وحريم وأوهم : أم عمرو
بنت جندب بن عمر بن حمة من الأزدهن دوس . ومنهم الوليد وسعيد وأم عثمان —

من أحسن البشر ، وأن رجلاً من الحبشة رأوها بأرضهم ، فكانوا يدركون^(١) إذا رأوها إعجاباً منهم بحسنها ، فكانت تتأذى بذلك ، وكانوا لا يستطيعون اغتربهم أن يقولوا لهم شيئاً ، حتى خرج أولئك الفرع النجاشي إلى عدوه الذي كان ثار عليه ، فقتلوا جميعاً ، فاستراحت منهم ، وظهر النجاشي على عدوه ، وروى الزبير في حديث أسنده أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بعث رجلاً بلطُفٍ إلى عثمان ورقية ، فاحتبس عليه الرسول ، فقال له عليه السلام : إن شئت أخبرتك ما حبسك ، قال : نعم ، قال : وقفت تنظر إلى عثمان ورقية تعجب من حسنهما .

وذكر ابن إسحاق تسمية المهاجرين^(٢) إلى أرض الحبشة ، وقد تقدم التعريف ببعضهم ، وذكرنا سبب إسلام عمرو بن سعيد بن العاصي ، وأنه

== أمهم : فاطمة بنت الوليد بن عبد شمس بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم . ومنهم عبد الملك لا بقية له ، وتوفي رجلاً ، أمه : أم البنين بنت عيينة بن حصين ابن حذيفة بن بدر . ومنهم : عائشة ، وأم أبان ، وأم عمرو . وأمهم : رملة بنت شيبة بن ربيعة بن عبد شمس ص ١٠٤

(٢) الدركمة كشرذمة وسبجلة أى بكسر ففتح فسكون ففتح : لعبة للعجم أو ضرب من الرقص أو هي حبشية

(٣) في فتح الباري : أن الهجرة وقعت مرتين ، وذكر أهل السير أن الأولى كانت في شهر رجب من سنة خمس من المبعث ، وأن أول من هاجر منهم أحد عشر رجلاً وأربع نسوة ، وقيل : وامرأتان ، وقيل : كانوا اثني عشر رجلاً ، وقيل : كانوا عشرة ، وأنهم خرجوا . حتى وصلوا إلى شعيبية مكان على ساحل البحر الأحمر ، فاستأجروا سفينة — في غير الفتح : سفينتين — بنصف دينار

رأى نوراً خرج من زمزم أضاعت له منه نخل المدينة ، حتى رأوا البُسرَ فيها ،
فقص رؤياه ، ف قيل له : هذه بئر بنى عبد المطلب ، وهذا النور فيهم يكون ،
فكان سبباً لِمِدارِهِ للإسلام .

رُؤْيَا سَعْدِ وَهَالِدِ وَلِدى العاصِ :

وقد ذكرنا فيما تقدم أن هذه الرؤيا إنما كانت لأخيه ، وأن عمراً هو الذى
عبرها له ، وهذا هو الصحيح فيها ، والله أعلم ، وأما أخوه خالد بن سعيد ، فكان
يرى - قبل أن يسلم - نفسه قد أشتى على نار تَأَجَّجُ ، وكان رسول الله - صلى الله
عليه وسلم - قد أخذَ بِحُجْزَتِهِ^(١) ، يصرفه عنها ، فلما استيقظ علم أن نجاته من النار
على يدى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلما أظهر إيمانه ضربه أبوه بِمَقْرَعَةٍ ،
حتى كسرها على رأسه ، وحلف ألا ينفق عليه ، وأغرى به إخوته ، فطردوه
وآذوه ، فانقطع إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى هاجر إلى أرض الحبشة
- كما ذكر ابن إسحاق - وأبوه سعيد بن العاصى أبو أُحَيَّةَ الذى يقول فيه القائل :

أبو أُحَيَّةَ :

أبو أُحَيَّةَ مَنْ يَفْتَمُّ عِمَّتَهُ يُضْرَبُ وَإِنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَذَا عَدَدٍ
وكان إذا اعْتَمَّ لم يهتم قرشى إعظماً له^(٢) ، وقد قيل فى عِمَّتِهِ أيضاً
ما أنشده عمرو بن بحر الجاحظ :

وكان أبو أُحَيَّةَ قد علمتم بمسكة غير مُنْتَضَمٍ ذميم
إذا شَدَّ العصابة ذاتَ يومٍ وقام إلى المجالس والخصوم

(١) الحجة : معقد الإزار

(٢) انظر أيضاً ص ٧٨ الاشتقاق ، وفيه يقول فوق ما ذكره السهيلي :
أُحَيَّةَ : تصغير: أمة ، وهو ما يحده الإنسان فى قلبه من حرارة غيظ وحزن .
(م - ١٥ - الروض الأثف ج ٣)

لقد حرمت على من كان يمشی بمكة غير مُحْتَمِرٍ لِنِمْ (١)
مات أحيحة الذي كان يُكَنَّى به في حرب الفجار ، وأسلم من بنيه أربعة
أَبَانُ وخالدٌ وعمرو والحكم الذي سمَّاه رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
عبد الله ، ومات أحيحة بن سعيد ، والعاصي بن سعيد وغيرهما من بنيه على
الكفر ، قتل العاصي منهم يوم بدر كافرا .

أُمّة بنت خالد وأبوها :

وذكر أُمّة بنت خالد بن سعيد التي ولدت بأرض الحبشة ، قال : وتزوجها
الزبير بن العوام ، وهي التي كساها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهي

(١) الأبيات لأبي قيس بن الأسدي ، وهي في البيان والتبيين للجاحظ ص ٩٧ .
ط لجنة التأليف والترجمة والنشر . والشرطة الثانية من البيت الثالث هكذا .
• بمكة غير مدخل سقيم ، وبعدها .

وكان البختری غداة جمع	يدافعهم بلبقان الحكيم
بأزهر من سـرارة بنى لوى	كبدل الليل راق على النجوم
هو البيت الذى بنيت عليه	قريش السر في الزمن القديم
وسط ذوائب الفرعين منهم	فأنت لسبب سرهم الصميم

وفي الروض : • إذا ما شد العصاة ، وهو خطأ .

ملحوظة : • ما زدته في الانساب هو من نسب قريش ، كما حدث في نسب
عبد الرحمن بن عوف . فقد زدت بين عبد الحارث كلمة ابن من صفحة ٢٦٥ .
ومن الإصابة وتمت خلافاً يسيرة عما هنا . ويقول ابن سعد إن الخطاب
كان قد تبني عامر بن ربيعة ، فكان يقال : عامر بن الخطاب حتى نزلت :
ادعهم لأبائهم .

صغيرة، وجعل يقول : سَفَاةٌ ، سَفَاةٌ يَا أُمَ خَالِدٍ !! أَى : حَسَنٌ حَسَنٌ ^(١) بلغة الحبشة ، وكانت قد تعلمت لسان الحبشة ؛ لأنها ولدت بأرضهم ، وولدت للزبير عمراً وخالداً، يقال : إن أباها خالد بن سعيد أول من كتب : بسم الله الرحمن الرحيم ، مات بأَجْنَادَينِ ^(٢) شهيداً ، وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد استعمله على صَنْعَاءَ واليمن ، فلما توفي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أراد أبو بكر أن يستعمله ، فقال : لا أعمل لأحدٍ بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أبداً ، ويروى أن أباها سعيد بن العاصي مرض ، فقال : إن رفعني الله من مرضي لا يعبد إله ابن أبي كَبْشَةَ ^(٣) بمكة أبداً ، فقال ابنه خالد : اللهم لا ترفعه فهلك مكانه ، فهو لاء بنو سعيد بن العاصي بن أمية :

عبد شمس :

وعثمان : هو ابن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس ، ولا يختلف في عبد شمس أنه بالذال ، وأما عَبْدُ شمس بن سعيد بن زيد مَنَافَةَ بن تميم ، ^(١) حديثها في البخاري ، وأن النبي كساها خيصة لها أنامل ، فجعل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يسمح بالإعلام بيده ، ويقول : سناه سناه . قال الحميدى : يعنى : حسن حسن ويقال سنا بالتشديد والتخفيف أو سنيه

^(٢) إذا نطقت بفتح الدال كسرت النون كالمثنى ، وإذا قرئت بكسر الدال ففتح النون كالجمع

^(٣) أبو كبشة هو : وجز بن غالب الذي كانت قريش تنسب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إليه ؛ لأنه - صلى الله عليه وسلم - خالف دين قريش ، فقالت قريش : نزع أبو كبشة ، لأن أبا كبشة خالف الناس في عبادة الشعري ، والعرب تزعم أن أحدا لا يعمل شيئا إلا يبرق بنزعه شبهه . وكان أبو كبشة سيدا في خزاعة . لم يعير وارسل الله صلى الله عليه وسلم به من تصير كان فيه ، ولكنهم أرادوا أن يشبهوه بخلاف أبي كبشة ، فيقولون : خالف كما خالف أبو كبشة .

ص ٢٢٢ نسب قريش .

فقال فيه أبو عبيد والْقَتَبِيُّ : عبد شمس كما في الأول . وقال أكثر الناس فيه : عَبْ شمس^(١) ، ثم اختلفوا في معناه ، فقليل ، معناه : عبد شمس ، لكن أدغمت الدال ، وقيل : بل [عَبْ شمس] عَبُّ الشمس هو ضَوْؤُها أو صفاؤها ، وقيل في المثل : هو أبرد من عَبْرُ أَي : البرد ، وبعضهم يقول : وهو المبرد : من عَبْ قُرْ أَي : يبيض قُرْ ، ومن حَبْ قُرْ أَيضاً^(٢) . وفيه قول ثالث : أغنى : عَبْ شمس . وهو مروى عن ابن عمر . وقال معناه : عَبُّ شمس بالهمز . ثم حذفت الهمزة تسميلاً . وعَبَّ الشمس . وعَبَّوها مثله^(٣) .

عمار لم يهاجر إلى الحبشة :

وشك ابن إسحاق في عمار بن ياسر : هل هاجر إلى أرض الحبشة ، أم لا . والأصح عند أهل السير كالواقدي وابن عُتَيْبَةَ . وغيرها أنه لم يكن فيهم .

(١) يكتب : عبشمس ، ولقبه : مقروع ويقال بتضعيف الباء مع الإضافة
(٢) في القاموس . حبقر ، بفتح فسكون فضم فراء مشددة ، كفعلل ذكره في الأبنية ، ولم يفسروه ، ومعناه : البرد حب الغمام ، يقال : أبرد من حبقر ، ويقال : عبقر ، وأصله : حب قر ، بفتح حا . حب وتشديد الباء مع إضافتها إلى قر ، والقر — بضم القاف — البرد ، والدليل على ما ذكرته : أن أبا عمر ابن العلاء يرويه : أبرد من عب قر ، والعب — بفتح فتضميف : اسم للبرد . انتهى . وعب الشمس الذي هو ضَوْؤُها بفتح العين وتشديد الباء أو تخفيفها .

(٣) ضَوْؤُها ويقول محمد بن حبيب في كتابه متشابه القبائل : كل شيء في العرب عبد شمس غير عبشمس بن سعد في تميم ، وعبشمس بن آخر في طي . هكذا قال بسكون الباء فيهما ، وذكر غيره أن الذي في تميم : عبشمس — بفتح الباء — والذي في طي : عبشمس ، بكسر الباء ، انظر ص ٤٥٠ > ٢ المزهر

مول بنى الحارث بن قيس:

وذكر ابن إسحاق من بنى الحارث بن قيس من هاجر إلى أرض الحبشة ، ولم يذكر فيهم تميم بن الحارث . وذكره الواقدي وغيره . و"الحارث ابن قيس كان أبوه^(١) من المستهزئين الذين أنزل الله فيهم : ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾ الحجر : ٩٥ .

مول بنى زهرة وطلب بن عبد :

وذكر من بنى زهرة من هاجر إلى أرض الحبشة ، وهم ستة نفر ، ولم يذكر السابع ، وهو : عبد الله بن شهاب^(٢) جد محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري ، وكان اسمه : عبد الجان ، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم : عبد الله^(٣) مات بمكة بعد الفتح^(٤) وأخوه : عبد الله الأصغر شهد أحداً مع المشركين ، ثم أسلم .

(١) الحارث بن قيس بن عدى السهمي إليه في الجاهلية كانت الحكومة والأموال . ذكر ابن عبد البر أنه أسلم ، وهاجر إلى الحبشة مع بنيه الحارث وبشر ومعمّر ، وتعبه ابن الأثير بأن الزبير بن بكار وابن الكلبي ذكرا أنه كان من المستهزئين ، وزاد الذهبي في التجريد : لم يذكر أحد أنه أسلم إلا أبا عمر ، وردّه في الإصابة بأنه ذكره في الصحابة أيضاً : أبو عبيد ومصعب والطبر وغيرهم ، ولا مانع من أن يكون قد تاب وصحب وهاجر ، والآية ليست صريحة في عدم توبة بعضهم .

(٢) هو عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن زهرة بن كلاب الزهري . ذكره الزهري والزبير وغيرهما فيمن هاجر إلى الحبشة ، ومات بمكة قبل هجرة المدينة وكذا قال الطبري

(٣) عن ابن سعد والزبير وزاد ابن سعد : ليس له حديث

(٤) رد الحافظ في الإصابة قوله هذا ؛ لأنه مأخوذ عن رواية الواقفي

وذكر المطلب بن عبدعوف ولم يذكر أخاه طايبا ، وكلاهما هاجر إلى أرض الحبشة ، ومات بهما ، وهما أخوا أزهر بن عبدعوف .

من شعر الهجرة الحبشية ومساند النخوية :

فصل : وأنشد لعبد الله بن الحارث ما قاله في أرض الحبشة ، وفيه قوله :

أَلْحَقْ عَذَابَكَ بِالْقَوْمِ الَّذِينَ طَغَوْا وَأَعَانُوا بِكَ أَنْ يَغُتُو فَيُطْفُونِي

أنشده سيبويه فيما ينتصب على الفعل المتروك إظهاره ، وذلك لحكمة ، وهى أن النعل لو ظهر لم يخل أن يكون ماضيا أو مستقبلا ، فالماضى يومهم الانقطاع ، والمتكلم إنما يريد أنه في مقام العائد ، وفي حال عوذ ، والفعل المستقبل أيضا يؤذن بالانتظار ، وفعل الحال مشترك مع المستقبل في لفظ واحد ، وذلك يومهم أنه غير عائد ، فكان مجيئه بلفظ الاسم المنصوب على الحال أدل على ما يريد ، فإن عاندا كقائم وقاعد ، وهو الذى يسمى عند الكوفيين : الدائم ، فالقائل : عاندا بك يارب ، إنما يريد : أنا في حال عياد بك ، والعامل في هذه الحال : تكلمه وندائه ، أى : أقول قولى هذا عاندا ، وليس تقديره : عذت ولا أعوذ ، إنما يريد أن يسمعه ربه ، أو يراه عاندا به .

وقوله : أن يعلو يجوز أن تكون أن مع ما بعدها في موضع نصب ،

== عن الزهرى ، وهى تقول أنه قدم مع جعفر في السفينة . لكن الوقاصى ضعيف . وذكر البخارى في تاريخه عن عبد الله أنه أقام بالحبشة .

(١) فى السيرة : فاجعل عذابك . وانظر ص ١٧ ج ١ من كتاب سيبويه

وفي موضع خفض عند النحويين ، أما النصب فعلى إضمار الفعل ، لأنه قال :
عائذاً ، فأعلم أنه خائف ، فكأنه قال : أخاف أن يعلو فيطفوني ، وأما الخفض
فعلى إضمار حرف الجر ، فكأنه قال : من أن يعلو ، وهو مذهب الخليل
وسيبويه في أن الحنفة وأن المشددة نحو قوله تعالى : ﴿ إِن هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً
وَاحِدَةً ﴾ الأنبياء : ٩٢ تقديره : لأن هذه ، وجاز إضمار حرف الجر في هذين
الموضعين ، وإن كانت حروف الجر لا تضر ، لأنهما موصولتان بما بعدهما ،
فطال الاسم بالصلة ، فجاز حذف الجر تحقيقاً .

ولقائل أن يقول : هذه دعوى ادعيتم أن أن وما بعدها اسم مخفوض ،
وهو لا يظهر فيه الخفض ، ثم بنيتم التعاميل على غير أصل ؛ لأن الخفض لم يثبت
بعد ، فنقول : إنما علمنا أنه في موضع خفض لوقوعه في موضع لا يقع فيه
إلا المخفوض بحرف الجر نحو قوله سبحانه : ﴿ وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ
اللَّهُ ﴾ التوبة : ٩٧ ونحو قوله تعالى : ﴿ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ ﴾ التوبة : ١٠٨ ونحو
قوله : ﴿ أَنْ تَصِلَ إِحْدَاهُمَا ﴾ البقرة : ٢٨ . فقوله تعالى : أجدروا ، معناه :
بأن لا يعلموا ، فلو كان قبل أن فقل لقلنا : حذف حرف الجر ، فتعدى الفعل ،
فنصب ، ولكن أجدروا أحق اسمان لا يعملان ، فمن هاهنا عرف النحويون أنه
في موضع خاض ؛ إذ لا ناصب له ، وأما ما اعتلوا به من طول الاسم بالصلة ،
وأن ذلك هو الذي سوغ لهم إضمار حرف الجر ، فتعاميل مدخول ، ينتقض عليهم
بالأسماء الموصولة كالذي ومن وما ، فإنها قد طال بالصلة ، ومع ذلك لا يجوز
إضمار حرف الجر فيها ، لا تقول : خرجت ما عندك ، ولا هربت الذي عندك

أى : من الذى عندك ، وتقول : خرجت أن يرانى زيد ، وفرت أن يرانى عمرو ، أى : من أن يرانى ، ولأن يرانى بدل ، على أن العلة غير ما قالوا ، وهى أن أن مع الفعل ليس باسم محض ، وإنما هوفى تأويل اسم ، والاسم المحض ما دل عليه حرف الجر ، فلا بد إذاً من إظهار حرف الجر إذا جئت به ؛ لأنه اسم قابل لدخول الخوافض عليه ، وأما أن فحرف محض لا يصح دخول حرف جر عليه ، ولا على الفعل المتصل به فلا تقول : هو اسم مخفوض ، وإنما هوفى تأويل اسم مخفوض ، فمن هاهنا فرقت العرب بينه ، وبين غيره من الأسماء ، فإذا أدخلت عليه حرف الجر مظهراً جاز ، لأنه فى تأويل اسم ، وإذا أضمرت حرف الجر جاز أيضاً التفاناً إلى أن الحرف الجار لا يدخل على الحرف ، ولا على الفعل فحسن إسقاطه مراعاة للفظ أن ، ولللفظ الفعل ، وقلنا : هوفى موضع خفض على معنى أن الكلام يتحول إلى الاسم المخفوض ، لا أنه يظهر فيه خفض ، أو يقدر تقدير المبني الذى منعه البناء من ظهور الخفض فيه ، حتى يشبه أن . فنقول : هو اسم مبني على السكون ، لا بل نقول : هى حرف ، والحرف لا يدخل عليه حرف الجر ، لا مضمراً ولا مظهراً ، وإنما هو تقدير فى المعنى ، لا فى اللفظ ، فافهمه .

ولا يضاف اسم إلى أنه المصدرية :

فصل : واعلم أن [أن] التى فى تأويل المصدر لا يضاف إليها اسم . تقول : هذا موضع أن تقعد ويوم خروجك ، ولا تقول : يوم أن تخرج ؛ لأنها ليست باسم كما قدمنا ، وإنما تضاف إلى الأسماء المحضة ، لا إلى التأويل ، ولا يضاف إليها أيضاً .

اسم الفاعل ، لا بمعنى المضي ، ولا بمعنى الاستقبال ، ولا للمصدر إلا على وجه واحد نحو : مخافة أن تقوم ، وذلك إذا أردت معنى المفعول بأن وما بعدها ، وأما على نحو إضافة المصدر إلى الفاعل ، فلا يجوز ذلك .

وإنما تكون فاعلة مع الفعل إذا ذكرته قبلها نحو : يسرني أن تقوم ، وأما مع المصدر مضافا إليها فلا ، وتكون مفعولة مع المصدر ومع الفعل معاً ، وكل هذا الأسرار بدیعة موضعها غير هذا ، لكني أقول ههنا قولاً لا ثقابها هذا الموضع ، فإنني لم أذكر الخفض بإضمار حرف الجر ، في أن وإن إلا مساعدة لمن تقدم ، فعليه بنيت التعليل والتأصيل ، وإذا أبيت من التقليد فلا إضمار لحروف الجر فيها ، وإنما هو النصب بفعل مضمّر أو مظهر ، أما قوله تعالى : ﴿ أحق أن تقوم فيه ﴾ فإنما لما قال أحق علم أنه بوجب عليه أن يقوم فيه ، وكذلك أجدراً ألا يعلموا ، ومعنى أجدر : أحق وأقرب ، ولما ثبتت لهم هذه الصفة اقتضى ذلك ألا يعلموا ؛ فصار منصوباً في المعنى ، ولوجئت بالمصدر الذي هو اسم محض نحو : القيام والعلم لم يصح إضمار هذا الفعل ؛ لأن أجدر وأحق ونحوهما اسمان يضافان إلى ما بعدهما ، فلو جئت بالقيام بعد قولك أحق ، فقلت : أحق قيامك ، لا نقاب المعنى .

ولو نصبته بإضمار الفعل الذي أضمّرت مع أن لم يكن دليل عليه ؛ لأن الاسم يطلب الإضافة ، فيمنع من الإضمار والنصب ، وإذا وقعت بعده لم يطلب الإضافة ؛ لما قدمناه من امتناع إضافة الأسماء إليها ، وإنما اخترنا هذا المذهب ، وآثرناه على ما تقدم من إضمار الخافض ؛ لأننا قد نجدّها في مواضع مجرورة ،

ولا يجوز إضمار حرف الجر ، كقولك : سر إلى أن تطلع الشمس ، ولا يجوز
إضمار إلى ههنا ، وكذلك تقول : هذا خير من أن تفعل كذا ، ولا يجوز أيضاً
إضمار من ، ولو كان حرف الجر معها للعلتين المتقدمتين لا طَرَدَ جواز ذلك
فيها على الإطلاق ، وإنما هي أبداً إذا لم يكن معها حرف الجر ظاهراً مفعولة
بفعل مضمر ، وقد تكون فاعلة ، ولكن بفعل ظاهر نحو : يعجبني أن تقوم ،
وأما خرجت أن أرى زيدا فعلى إضمار الإرادة والقصد ، كأنك أردت : أن أراه ،
أو أن لا أراه ؛ لأن كل من فعل فعلاً ، فقد أراد به أسراً ما ، لكنك إن جعلت
مكانها المصدر لم يحز الإضمار أو قُبِحَ ؛ لأن المصدر تعمل فيه الأفعال الظاهرة
إذا كانت متعدية ، وتصل إليه بحرف جر إذا لم تكن متعدية ، وأن مع الفعل
لا تعمل فيها الحواس ولا أفعال الجوارح الظاهرة ، تقول : رأيت قيام زيد ،
ولا تقول : أن يقوم ، وسمعت كلامك ، ولا تقول : سمعت أن تتكلم ، وإنما
يتعلق بها ، وتعمل فيها الأفعال الباطنة نحو : خفت واشتهيت وكرهت ، وما كان
في معنى هذا أو قريباً منه ، فإذا سمع الخاطب أن مع الفعل لم يذهب وَفْهُمُ بحكم
العادة إلا إلى هذه المعاني ، فإن كانت ظاهرة فذاك ، وإلا اعتقدنا أنها مضمرة ،
وأن الفعل الظاهر دالٌّ عليها ، وغيرها من الأسماء ليس كذلك ، إذا وقع قبلها
فعل من أفعال الجوارح الظاهرة ، وقع عليها إن كان متعدياً أو وُصِلَ بحرفٍ ،
إن كان غير متعد ، ومَنَعَ من الإضمار أنه لفظي ، والإضمار معنوي إلا في باب
المفعول من أجله ، وقد قدمنا فيه سرّاً بديعاً فيما سبق من هذا الكتاب .

فصل : وأنشد لعبد الله بن الحارث شعراً فيه :

كَمَا جَعَدْتَ عَادُومَ مَدِينُ وَالْحِجْرُ

أما عاد فقد تقدم نسبها ، وأما الحِجْرُ فإليست بأمة ، ولكنها ديار ثمود .
أراد : أهل الحِجْر ، وأما مَدِينُ فَأُتْمَةُ شُعَيْب ، وهم بنو مديان بن إبراهيم عليه
السلام ، وأُمهم : قطورا بنت يقطان الكنعانية ، ولدت له ثمانية من الولد تناسلت
منهم أُمم ، وقد سميناهم في كتاب التعريف والإعلام ، وفي أول هذا الكتاب .

وفيه أيضاً قوله : فإن أنا لم أُبرِقْ فلا يَسَعْنِي البيت ، قال : وبه سمى
الْمُبرِقُ ، قال المؤلف : وفي هذا حجة على الأصمعيّ حين منع أن يقال : أرعد
وأبرق ، وذُكر له قولُ السكيت :

أَرْعَدُ وَأَبْرُقُ يَازِيدُ (١)

فلم يره حجة ، [وقال : السكيت جُرْمَقَانِيٌّ من أهل الموصل] ليس بحجة ،
والحقه بالمحدثين لتأخر زمانه ، كما فعل بذى الرُّمّة حين احتج عليه بقوله :

(١) في إصلاح المنظن لابن السكيت : وقد برق في الوعيد ورعد يبرق ويرعد .
وزن نصر قال الأصمعي : ولا يقال أرعد وأبرق ، وحكى اللغتين أبو عبيدة
وأبو عمرو ، فاحتج على الأصمعي بيت السكيت .

أَرْعَدُ وَأَبْرُقُ يَازِيدُ فَمَا وَعِيدُكَ لِي بِضَائِرِ

فقال : ليس قول السكيت بحجة ، هو مولد ، واحتج بيت المتلبس :

فإذا حللت ودون يدي غاوة فابرق بأرضك ما بدالك وارعد

ص ٢١٦ ط د . المعارف . مصر ، وانظر ص ٩٧ ج ١ أمالي والسمط ص ٣٠٠

ذو زَوْجَةٍ بِالْمُضَرِّ أَمْ ذُو خُصُومَةٍ

فأبى أن يقول : زوجة بهاء التائيت ، وقال : طالما أكل ذو الرِّمَّةِ الزيتَ في حوانيت البقالين^(١) ، ويدت المُبْرِقُ في هذا حجة بلا خلاف ، وقد وجد أرعد وأبرق في غير هذا البيت ، مما تقوم به الحجة أيضاً ، ويدت المُبْرِقُ هذا يحتمل وجهاً آخر ، وهو أن يكون من أبرق في الأرض إذا ذهب بها لامن أرعد وأبرق ، وكذلك وجدته في حاشية كتاب الشيخ على هذا البيت منسوباً للصَّعْب ، قال : الإبراق : الذهب^(٢) ، وفي العين : أبرقت الناقة بذنبها إذا ضربت به يمينا وشمالا ، وهو في معنى الذهب في الأرض ، لأنه جَوْلَانُ فيها ، وهي البروق ، قال نَهْشَلُ بْنُ دَارِمٍ لِأَخِيهِ سَلِيطَ - وقد لامه على ترك الكلام في بعض المواطن : لأحسن تَأَنَّا مَكَ ، وَلَا تَكْذَابَكَ ، تَشُولُ بِسَانَكَ شَوْلَانُ البروق . وذكر في الشعر :

يلين ما في النفس إذ بلغ المَقَرُّ^(٣)

ويروى : يُلَيِّنُ ما في الصدر . والنَّقَرُ : البحثُ عن الشيء ، وأكثَرُ ما يقال فيه : التَّنْقِيرُ ، واستشهد عبدُ الله المُبْرِقُ في غَزْوَةِ الطَّائِفِ ، وكان أبوه الحارثُ من المستهزئين ، وكان جدُّه تيس أعزَّ قريش في زمانه ، يروى أن عبدَ المطلب كانُ

(١) يقال : أبرق طعامه بزيت أو سمن : جعل منه فيه قليلا

(٢) فسرهما المصعب بما قال السهيلي في ص ٤٠١ ، من كتابه نسب قريش .

(٣) في السيرة : أبين ما في النفس ، وفي نسب قريش ص ٤٠١ يبين ما في الصدر .

يُنْفَرُ^(١) ابنه عبد الله ، والد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو طفل ،
فيقول :

كَأَنَّهُ فِي الْعَرْقِيسِ بْنِ عَدَى فِي دَارِ قَيْسِ النَّدَى يَنْتَدَى^(٢)

قاله الزبير بن أبي بكر :

مولد لام التميمي :

فصل : وذكر شعر عثمان بن مظعون :

أَتَيْمَ بْنَ عَمْرِو اللَّذِي جَاءَ بِفَضَّةٍ

أراه : عجبا للذي جاء ، والعرب تكثف بهذه اللام في التميمي ، كقوله
عليه السلام : لِهَذَا الْعَبْدِ الْحَبَشِيِّ جَاءَ مِنْ أَرْضِهِ وَسَمَائِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي خُلِقَ
مِنْهَا ، قاله في عَبْدٍ حَبَشِيٍّ دُفِنَ بِالْمَدِينَةِ ، وقال في جنازة سعد بن معاذ وهو واقف
على قبره ، وتقهقر ثم قال : سُبْحَانَ اللَّهِ لِهَذَا الْعَبْدِ الصَّالِحِ ضَمَّ عَلَيْهِ الْقَبْرُ ثُمَّ فُرِجَ
عنه ، وقيل في قوله سبحانه : ﴿ لِإِيْلَافٍ قُرَيْشٍ ﴾ أقوال منها : أنها متعلقة
بمعنى التميمي ، كأنه قال : اعجبوا لإيلاف قريش ، وبِفَضَّةٍ نُصِبَ عَلَى التَّمِيمِ

(١) في الأصل ينقر ، وهو خطأ كان أيضاً في نسب قريش ، وأصلحه محققه ،
ففي القاموس : نفزه تنفيذا : رقصه ، وكذلك في اللسان .

(٢) في الاشتقاق ص ١٢٠ : « وكان عبد المطلب يرقص ابنه الحارث
أو الزبير فيقول :

يَا بَابِي يَا بَابِي يَا بَابِي

كأنه في العرقيس بن عدى
والشطرة الثانية روايتها هكذا : في دار قيس ينتدى أهل الندى ، ص ٤٠٠

نسب قريش .

كأنه قال : يا عجباً لما جاء به من بِنْفَصَةٍ ، ويجوز أن يكون مفعولاً من أجله ،
وروى الزبير هذا البيت :

أَتَيْمَ بْنَ عَمْرٍِ لِلذِي فَارَضِغُهُ

من معاني شعر ابن مفلح

وكذلك روى في هذا الشعر : في صرح بَيْطَاءُ تُنْقَدَعُ بالطاء وفتح الباء
وكسرها ، وقال بَيْطَاءُ : اسم سفينة ، وَنُقْدَعُ بالدال ، أى : تدفع ، وزعم أن
تَيْمَ بْنَ عَمْرٍو وهو جُحَجٌ سُمِّيَ جُحَجًا ؛ لأن أخاه سَهْمَ بْنَ عَمْرٍو - وكان اسمه
زيداً - سابقه إلى غاية ، فَجَمَحَ عنها تَيْمٌ ، فَسُمِّيَ جُمَحًا ، ووقف عليها زيد ،
ف قيل : قد سَهَمَ (١) زيدُ فُسِمَى : سَهَمًا .

وقوله : ومن دوننا الشَّرْمَانُ . الشَّرْم : البحر (٢) وقال الشَّرْمَانُ بالثنية ؛
لأنه أراد البحر المِلْحَ ، والبحر القَذْبُ ، وفي التَّنْزِيلِ : ﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ ﴾
وَالشَّرْمُ من : شَرَمْتُ الشيء إذا خَرَقْتُهُ ، وكذلك البحر من بَحَرْتُ الأرض .
إذا خرقها ، ومنه سميت الْبَحِيرَةُ تَخْرُقُ أذُنَهَا وَالْبَرْكُ : ما اطْمَأَن من الأرض .
وَاتَّسَعَ ، ولم يكن منتصباً كالجبال .

وقوله : في صرح بيضاء . يريد : مدينة الحبشة ، وأصل الصَّرح : القصر ، يريد :
أنه ساكن عند صَرْحِ النَّجَاشِيِّ .

(١) يقال : ساهم القوم ، فسهمهم : غلبهم .

(٢) في القاموس : لجة البحر ، أو الخليج منه ، وفي شرح السيرة للخشنى أيضاً :
الشرمان بضم النون : موضع . ويقول عن د البرك أ كنع ، هذه رواية غريبة .
لأنه أكد بأ كنع دون أن يتقدمه : أجمع .

وقوله : تُقْدَعُ أَي : تُكْرَهُ ، كَأَنَّهُ مِنْ أَقْدَعَتِ الشَّيْءَ ، إِذَا صَادَفْتَهُ قَدِيعًا
ويقال أَيْضًا : قَدَعْتُ الرَّجُلَ إِذَا رَمَيْتَهُ بِالْفَحَشِ ، يَرِيدُ أَنْ أَرْضَ الْحَبْشَةَ
مَقْدُوعَةً ، وَأَحْسَبُ هَذِهِ الرِّوَايَةَ تَصْحِيفًا ، وَالصَّحِيحُ : مَا قَدَمْنَا مِنْ قَوْلِ الزُّبَيْرِ
وَرِوَايَتِهِ ، وَأَنَّهُ بَيْطَاءٌ بِالطَّاءِ ، وَتُقْدَعُ بِالذَّالِ .

وقوله : وَأَسْلَمَكَ الْأَوْبَاشُ يَرِيدُ أَخْلَاطًا مِنَ النَّاسِ ^(١) ، يُقَالُ : أَوْشَابَ .
وَأَوْبَاشَ ، وَالْأَوْبَاشُ أَيْضًا شَجَرٌ مَتَفَرِّقٌ ، وَالْوَبْشُ بِيَاضٍ فِي أَظْفَارِ الْأَحْدَاثِ .
أَنْصَابُ :

وَذَكَرَ فَيَمَنْ هَاجَرَ إِلَى أَرْضِ الْحَبْشَةِ مِنْ بَنِي عَدَى : مَعْمَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ
ابْنُ نَضْلَةَ ، وَقَالَ فِيهِ عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ : إِنَّمَا هُوَ : مَعْمَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نَافِعِ
ابْنِ نَضْلَةَ .

وقال ابن إسحاق : نَضْلَةُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ حُرْثَانَ بْنِ عَوْفِ بْنِ عَبِيدٍ فِي حَاشِيَةِ
كِتَابِ الشَّيْخِ قَالَ : إِنَّمَا هُوَ نَضْلَةُ بْنُ عَوْفِ بْنِ عَبِيدٍ بْنِ عُوَيْجٍ ، وَذَكَرَ أَنَّهُ قَوْلُ
مُصْعَبٍ فِي كِتَابِ النَّسَبِ ^(٢) . وَذَكَرَ فِي بَنِي عَدَى : عُرْوَةُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ
حُرْثَانَ ، كَذَبَ فِي كِتَابِ الْمُصْعَبِ إِلَّا أَنَّهُ قَالَ : عَمْرُو بْنُ أَبِي أُنَائَةَ أَوْ عُرْوَةُ بْنُ أَبِي أُنَائَةَ
عَلَى الشَّكِّ وَذَكَرَهُ أَبُو عُمَرَ فِي كِتَابِ الْأَسْتِيعَابِ فَقَالَ فِيهِ : عُرْوَةُ بْنُ أَبِي أُنَائَةَ وَيُقَالُ
ابْنُ أُنَائَةَ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ حُرْثَانَ ، قَالَ : وَأُمُّهُ ، أُمُّ عَمْرُو بْنِ الْعَاصِي ، فَهُوَ

(١) عِنْدَ الْخَشْنِيِّ : الضَّعْفَاءُ الدَّاخِلُونَ فِي الْقَوْمِ ، وَهُوَ مِنْهُمْ . وَالْبَطَارِقَةُ :
الْوُزَرَاءُ .

(٢) هُوَ كَمَا ذَكَرَ فِي جَهْرَةِ ابْنِ حَزْمٍ ص ١٤٧ وَمَا بَعْدَهَا ، وَفِي نَسَبِ قَرِيشٍ
لِلْمُصْعَبِ الزُّبَيْرِيُّ ص ٣٨٢ ، ص ٣٨٦ وَزَادَ بَعْدَ عُوَيْجٍ : ابْنُ عَدَى بْنِ كَعْبٍ .

أخوه لأُم (١) .

قال المؤلف : وأمهما اسمها : ليلى ، وتلقب بالنابعة ، وهى من بنى ربيعة ثم من بنى جَلَّان^(٢) قال أبو عمر : ويقال فيه : ابن أبى أثانة ، قال المؤلف : وقد قدمنا أن المصعب الزبيرى شك فيه ، فقال : عروة ، أو عمرو ، وأما الزبير : فقال عمرو بن أبى أثانة ، ولم يشك ، ثم قال أبو عمر : لم يذكره ابن إسحاق فيمن هاجر إلى أرض الحبشة ، وذكره الواقدى ، وأبو معشر وموسى بن عقبة ، قال المؤلف : وهذا وهم من أبى عمر - رحمه الله - فإن ابن إسحاق ذكره فيهم ، غير أنه نسبته إلى جده عبد العزى ، وأسقط اسم أبيه أبى أثانة ، وقال حين ذكر من هاجر من بنى عدى بعد ما عدى خمسة ، قال :

(١) فى نسب قريش د ولد أبو أثانة بن عبد العزى ، عمرو بن أبى أثانة ، وعروة بن أبى أثانة ، وهو من مهاجرة الحبشة ، وأمه : النابعة بنت حرملة أخواه لأمه ؛ عمرو بن العاصى وأرنب بنت عفيف بن أبى العاصى بن أمية ابن عبد شمس ، ص ٣٨١ . وانظر ٤٠٩ من نفس الكتاب ، فليس فيه شك ، وإنما هما ولدان . أحدهما : عمرو ، والآخر عروة . وتوجد لهما ترجمتان فى الإصابة ، إلا أنه قال عن عروة - ولعله تصحيف - بن أبانة . ثم قال : ويقال ابن أبى أبانة ابن عبد العزى ، بن حرام بن عوف بن عبيد بن عويج الخ وفى جمهرة ابن حزم وعمر بن أبى أثانة بن عبد العزى بن حرثان بن عوف بن عويج بن عدى ابن كعب من مهاجرة الحبشة وهو أخو عمرو بن العاص لأمه وأخوه عروة ابن أبى أثانة من مهاجرة الحبشة ص ١٤٨ وفى ص ١٥٤ منه د وأخواه لأمه - يعنى عمرو وعروة أبنا أبى أثانة الحبشة .

(٢) فى نسب قريش أن أمه : سبية من بنى عنزة ص ٤٠٩ وفى الإصابة : أمة من بنى عنزة . وفى جمهرة ابن حزم كما فى نسب قريش واسمها : النابعة ص ١٥٤ .

أربعة نفر ، وهو وهم من ابن إسحاق ، وذكر فيهم مع الخمسة : ليلي بنت أبي حنمة امرأة عامر بن ربيعة ، فهم على هذا ستة ، غير أنه يحتمل أن يريد أربعة نفر دون حليفهم عامر ، وما أظنه قصد هذا ؛ لأن من عادته أن يعد الحلفاء مع الصميم ؛ لأن الدعوة تجمعهم .

أم سلمة :

وذكر أم سلمة وبعائها أبا سلمة ، توفي عنها بالمدينة ، وخلف عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم . وذكر اسمها هذا ، وقيل في اسمها : رملة ^(١) ، وأبوها أبو أمية اسمه : حذيفة يعرف بزاد الراكب ^(٢) .

وذكر أنها ولدت بأرض الحبشة زينب بنت أبي سلمة ، وكان اسم زينب

(١) في الإصابة اسمها : هند . وقال عن القول بأن اسمها رملة : ليس بشيء .

(٢) وقيل أيضاً : سهيل ولقب بهذا ؛ لأنه كان إذا سافر لم توقد معه نار إلى أن

يرجع . ورثاه أبو طالب :

ألا إن خير الناس غير مدافع بسرو سحيم غيته المقابر

ومنها :

وكان إذا يأتي من الشام قافلاً تقدمه - تسعى إلينا - البشائر

وهناك غيره من قريش أزادوا الركب : أبو أمية بن المغيرة ، مسافر ابن أبي عمرو بن أمية ، زمعة بن الأسود ، لأنهم — كما في اللسان — كانوا إذا سافروا ، فخرج معهم الناس لم يتخذوا زاداً معهم ، ولم يوقدوا ، يكفونهم ويغنونهم يقول : المعصب الزبيري : رثاه أبو طالب :

وقد أيقن الركب الذي أنت فيهم إذا رحلوا يوماً بأنك عاقر

فسمى زاد الركب ، واسمه : حذيفة ، وكانت عنده عاتكة بنت عبد المطلب . انظر الاشتقاق ص ١٥٠ ، ٩٤ واللسان مادة : زود والإصابة ترجمة أم سلمة ، ونسب قريش ص ٣٠٠ .

برقة ، فسمّاها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - زينب ، كانت زينبُ هذه عند عبد الله بن زَمْعَةَ ، وكانت قد دخلت على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو يفتسل ، وهى إذ ذاك طفلة ، فَتَضَحَّ فى وجهها من الماء ، فلم يزل ماء الشباب فى وجهها^(١) ، حتى عجزت وقاربت المائة ، وكانت من أفقه أهل زمانها ، وأدركت وقعة الحرّة بالمدينة^(٢) ، وقُتل لها فى ذلك اليوم ولدان ، اسم أحدهما : كبير ، والآخر : يزيد من عبد الله بن زَمْعَةَ ، فكانت تبكى على أحدهما ، ولا تبكى على الآخر ، فسئلت عن ذلك ، فقالت : أبكيه لأنه جرد سيفه وقتل ، والآخر لا أبكيه لأنه لزم بيته ، وكف يده حتى قتل ، روى أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين ابتنى بأم سلمة دخل عليها بيتها فى ظلمة ، فوطئ على زينب ، فبكت ، فلما كان من الليلة الأخرى دخل فى ظلمة أيضا ، فقال : أنظروا زنا بكم أن لا أطأ عايتها^(٣) ، أو قال : أخروا ذكره الزبير ، وفى هذا الحديث توهين لرواية من روى أنه كان يرى بالليل ، كما يرى بالنهار .

(١) حديث تغيير الاسم أسنده ابن خيثمة من طريق محمد بن عمرو بن عطاء عنها ، وذكر مثله فى زينب بنت جحش ، وأصله فى مسلم فى حق زينب هذه وفى حق جويرية بنت الحارث ، ومسألة نضح الماء ذكرها ابن حجر فى الإصابة . وروى أنها كانت أفقه امرأة بالمدينة ، وأما نداؤها بزنا بضم الزاى ، فقد ورد فى حديث رواه النسائي ففتزوجها - أى أم سلمة - فجعل يأتيها ، فيقول : أين زنا ب ،

(٢) وقعت سنة ٦٣ هـ

(٣) سبق الحديث عن هذا

إرسال قريش إلى الحبشة في طلب المهاجرين إليها

قال ابن إسحاق : فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد آمنوا ، واطمأنوا بأرض الحبشة ، وأنهم قد أصابوا بها داراً وقراراً ، ائتمروا بينهم أن يبعثوا فيهم منهم رجلاًين من قريش جلدتين إلى النجاشي ، فيردهم عاينهم ؛ ليقتنوه في دينهم ، ويخرجوهم من دارهم ، التي اطمأنوا بها ، وأمَّنوا فيها ، فبعثوا عبد الله بن أبي ربيعة ، وعمر بن العاص بن وائل ، وجمعوا لهما هدايا للنجاشي ولبطارقتة ، ثم بعثوهما إليه فيهم .

النور الذي ظهر على قبر النجاشي :

فصل : وذكر حديث عائشة : كنّا نتحدث أنه لا يزال يرى على قبر النجاشي نور ، وقد خرج أبو داود من طريق سلمة بن الفضل ، وعن ابن إسحاق عن يزيد بن رومان عن عائشة ، وأورده في باب : النور يرى عند الشهيد ، وليس في هذا الحديث ولا غيره ما يدل على أن النجاشي مات شهيداً ، وأحسبه أراد : أن يشهد بهذا الحديث ما وقع في كتب التاريخ من أن عبد الرحمن ابن ربيعة أخا سلمان بن ربيعة الذي يقال له : ذو النور ، وكان على باب الأبواب فقتله الترك زمان عمر ، فهو لا يزال يرى على قبره نور ، وبمضد هذا حديث النجاشي ، يقول : فإذا كان النجاشي - وليس بشهيد - يرى عنده نور ، فالشهيد أحرى بذلك لقول الله سبحانه : ﴿ وَالشَّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ ، لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ﴾ ^(١) الخ الحديد : ١٩ .

(١) الواضح أن هذا في الآخرة ، ولا أدري لماذا خالف مبداء ، فاعتمد على أحاديث واهية ، وفي سلمة بن الفضل تشيع وسيأتي حديث النور في ص ٢٥١ .

فقال أبو طالب - حين رأى ذلك من رأيهم وما بعثوهما فيه - أبياناً للنجاشي
يَحْضَهُ عَلَى حُسْنِ جَوَارِهِمْ ، والدَّفْعِ عَنْهُمْ :

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ فِي النَّأْيِ جَعَفَرُ

وَعَمْرُو وَأَغْدَاءُ الْعَدُوِّ الْأَقَارِبُ

وَهَلْ نَالَتْ أَفْعَالُ النِّجَاشِيِّ جَعْفَرًا وَأَصْحَابَهُ أَوْ عَاقَ ذَلِكَ شَاغِبُ

تَعْلَمُ - أَيْتَ الْأَمْنِ - أَنْكَ مَا جَدُّ كَرِيمٌ فَلَا يَشْقَى لَدَيْكَ الْمُجَانِبُ

تَعْلَمُ بَأَنَّ اللَّهَ زَادَكَ بَسْطَةً وَأَسْبَابَ خَيْرٍ كُلُّهَا بِكَ لَازِبُ

وَأَنْكَ فَيْضٌ ذُو سِجَالٍ غَزِيرَةٍ يَنَالُ الْأَعَادَى نَفْعَهَا وَالْأَقَارِبُ

قال ابن إسحاق : حدثني محمد بن مسلم الزُّهْرِيُّ عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
ابْنِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامِ الْخَزَوِيِّ ، عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ بِنْتِ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ زَوْجِ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَتْ : لَمَّا نَزَلْنَا أَرْضَ الْحَبَشَةِ ، جَاوَزْنَا بِهَا
خَيْرَ جَارٍ : النِّجَاشِي ، أَمِنَّا عَلَى دِينِنَا ، وَعَبَدْنَا اللَّهَ تَعَالَى ، لَا نُؤَدِّي ، وَلَا نَسْمَعُ
شَيْئًا نَسْكُرُهُ ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ قَرِيشًا ، انْتَمَرُوا بَيْنَهُمْ أَنْ يَبْعَثُوا إِلَى النِّجَاشِي فَيُنَا
رَجُلَيْنِ مِنْهُمْ جُلْدَيْنِ ، وَأَنْ يَهْدُوا لِلنِّجَاشِي هَدَايَا مِمَّا يُسْتَطَرَفُ مِنْ مَتَاعِ مَكَّةَ ،
وَكَانَ مِنْ أَعْجَبَ مَا يَأْتِيهِ مِنْهَا الْأَدَمُ ، فَجَمَعُوا لَهُ أَدَمًا كَثِيرًا ، وَلَمْ يَتْرَكُوا مِنْ
بَطَارِقَتِهِ بِطَرِيقًا إِلَّا أَهْدَوْا لَهُ هَدِيَّةً ، ثُمَّ بَعَثُوا بِذَلِكَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ ،
وَعَمْرُو بْنَ الْعَاصِ ، وَأَمْرُوهُمَا بِأَمْرِهِمْ ، وَقَالُوا لَهُمَا : ادْفَعَا إِلَى كُلِّ بَطْرِيقٍ هَدِيَّتَهُ
قَبْلَ أَنْ تَسْكُلَا النِّجَاشِي فِيهِمْ ، ثُمَّ قَدِّمَا إِلَى النِّجَاشِي هَدَايَاهُ ، ثُمَّ سَلَاهُ أَنْ
يُسَلِّمَهُمَا إِلَيْكُمَا قَبْلَ أَنْ يَكَلِّمَهُمَا . قَالَتْ : فَخَرَجَا حَتَّى قَدَمَا عَلَى النِّجَاشِي ،

ونحن عنده بخير دار عند خير جار ، فلم يبقَ من بطارقتِه بِطريقٍ إلّا دَفَعَا إليه هديته قبل أن يُكَلِّمَا النجاشي ، وقالَا لِسُكَلِّ بِطريقٍ منهم : إنه قد صَوَّى إلى بَلَدِ المَلِكِ ، منّا غِلْمَانٌ سفهاء ، فارقوا دينَ قومهم ، ولم يدخلوا في دينكم ، وجاءوا بدين مُبتَدَع ، لا نَعْرِفه نحن ولا أنتم ، وقد بَعَثْنَا إلى المَلِكِ فيهم أشرافُ قومهم ، ليردهم إليهم ، فإذا كَلَّمْنَا المَلِكِ فيهم . فَأَشِيرُوا عليه بأن يُسَلِّمَهُمَ إلينا ، ولا يَكَلِّمَهُم ، فإن قومهم أَعْلَى بهم عَيْنَا ، وأَعْلَمُ بما عابوا عليهم ، فقلوا لها : نعم . ثم إنهما قدما هداياهما إلى النجاشي فقبِلها منهما ، ثم كَلَّمَاهُ ، فقالا له : أيها المَلِكُ ، إنه قد صَوَّى إلى بلدك منّا غِلْمَانٌ سفهاء ، فارقوا دينَ قومهم ، ولم يدخلوا في دينك ، وجاءوا بدينٍ اِبتَدَعُوهُ ، لا نَعْرِفه نحن ، ولا أنت ، وقد بَعَثْنَا إليك فيهم أشرافُ قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائُرهم : لتردهم إليهم ، فهم أَعْلَى بهم عَيْنَا ، وأَعْلَمُ بما عابوا عليهم ، وعاتبوهم فيه . قالت : ولم يكن شيء أبغضَ إلى عبد الله بن أبي رَبِيعَةَ وعمر بن العاص من أن يسمع كلامهم النجاشي . قالت : فقالت بطارقتِه حوله : صَدَقَا أيها المَلِكُ ، قومهم أَعْلَى بهم عَيْنَا ، وأَعْلَمُ بما عابوا عليهم ، فَأَسَلِّمَهُمَ إليهما ، فليردَّاهُم إلى بلادهم وقومهم . قالت : فغضب النجاشي ، ثم قال : لا هَالِكُ لَهِ ، إذن لا أُسَلِّمُهُمَ إليهما ، ولا يُسَكِّدُونَّ جاوروني ، ونزلوا بلادِي ، واختاروني على بَنِ سِوَايَ ، حتى أَدْعُوهُم ، فَأَسْأَلُهُم عما يقولون ، إذن في أمرهم ، فإن كانوا كَمَا يَقُولَان ، أسَلِّمُهُمَ إليهما ، ورددْتُهُمَ إلى قومهم ، وإن كانوا على غير ذلك مَنَعْتُهُمَ منهما ، وأَحْسَنْتُ جوارهم ما جاوروني .

حوار بين النجاشي وبين المهاجرين

قالت : ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فدعاهم ، فلما جاءهم رسوله اجتمعوا ، ثم قال بعضهم لبعض : ما تقولون للرجل إذا جئتموه ؟ قالوا : نقول : والله ما علمنا ، وما أمرنا به نبيتنا صلى الله عليه وسلم كأننا في ذلك ما هو كائن ، فلما جاءوا ، وقد دعا النجاشي أساقفته ، فنشروا مصاحفهم حوله سألهم ، فقال لهم : ما هذا الدين الذي قد فارقتم فيه قومكم ، ولم تدخلوا في ديني ، ولا في دين أحد من هذه الملل ! قالت : فكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب ، فقال له : أيها الملك ، كننا قوما أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأثي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسئ الجوار وبأكل القوى من الضعيف ، فكنا على ذلك ، حتى بعث الله إلينا رسولا منا ، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعناقه ، فدعانا إلى الله ؛ لنوحده ونعبدَه ، ونخلع ما كننا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش ، وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنات ، وأمرنا أن نعبد الله وحده - لا نشرك به شيئا - وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام ، قالت : فمدد عليه أمور الإسلام - فصدقناه وآمنّا به ، واتبعناه على ما جاء به من الله ، فعبدنا الله وحده ، فلم نشرك به شيئا ، وحرمنا ما حرم علينا ، وأحللنا ما أحل لنا ، فعدا علينا قومنا ، فعذبونا ، وفتنونا عن ديننا ، ليردونا إلى عبادة الأوثان عن عبادة الله تعالى ، وأن نستحل ما كنا

نستحل من الخبائث ، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا ، ودخلوا بيننا وبين ديننا ، خرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك ، ورغبنا في جوارك ، ورَجونا أن لا نُظلم عندك أيها الملك . قالت : فقال له النجاشي : هل معك مما جاء به عن الله من شيء ؟ قالت : فقال له جعفر : نعم ، فقال النجاشي : فاقرأه على ، قالت : فقرأ عليه صدرا من : ﴿ كهيعص ﴾ . قالت : فبكى والله النجاشي ، حتى اخضلت لحيتة ، وبكت أساقفته ، حتى أخضلوا مصاحفهم ، حين سمعوا ما تلا عليهم ، ثم قال النجاشي : إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة ، انطلقا ، فلا والله لا أسلمهم إليكم ، ولا يكادون .

قالت : فلما خرجا من عنده ، قال عمرو بن العاص : والله لا يتنه غدا عنهم بما أستأصل به خضراءهم . قالت : فقال له عبد الله بن أبي ربيعة - وكان أتيي الرَجُلين فينا : لا نفعل ؛ فإن لهم أرحاما ، وإن كانوا قد خالفونا . قال : والله لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى بن مريم عبدٌ ، قالت : ثم غدا عليه من الغد ، فقال له : أيها الملك ، إنهم يقولون في عيسى بن مريم قولا عظيما ، فأرسل إليهم فسلمهم عما يقولون فيه . قالت : فأرسل إليهم ، ليسألمهم عنه . قالت : ولم ينزل بنا مثلها قط . فاجتمع القوم ، ثم قال بعضهم لبعض : ماذا تقولون في عيسى بن مريم إذا سألكم عنه ؟ قالوا : نقول - والله - [فيه] ما قال الله ، وما جاءنا به نبيُّنا ، كائنا في ذلك ما هو كائن . قالت : فلما دخلوا عليه ، قال لهم : ماذا تقولون في عيسى ابن مريم ؟ قالت : فقال [له] جعفر ابن أبي طالب : نقول فيه الذي جاءنا به نبيُّنا صلى الله عليه وسلم : هو عبدُ الله

ورسوله ، وروحہ ، وکرامتہ ألقاها إلى مريم العذراء البتول . قالت : فضرب به النجاشي بيده إلى الأرض ، فأخذ منها عودا ، ثم قال : والله ما عدا عيسى . ابن مريم ما قات هذا العود ، قالت : فتناخرت بطارقته حوله حين قال ما قال ، فقال : وإن تخزئتم والله ، اذهبوا فأنتم سُيُومٌ بأرضي - والشُّيُوم : الآمنون - من سبكم غريم ، ثم قال : من سبكم غريم ، ثم قال : من سبكم غريم ما أحب أن لي دبْرًا من ذهب ، وأنى آذيت رجلا منكم - قال ابن هشام : ويقال : دبْرَى من ذهب . ويقال فأنتم سُيُومٌ ، والدبر - بلسان الحبشة : الجبل - ردّوا عليهما هداياهما ، فلا حاجة لي بها ، فوالله ما أخذ الله مني الرشوة . حين ردّ عليّ مُلْكِي ، فأخذ الرشوة فيه ، وما أطاع الناس في فاطمهم فيه . قالت : فخرجا من عنده مقبوحين ، مردودًا عليهما ما جاء به ، وأقمنا عنده بخير دار ، مع خير جار .

المهاجرون وانتصار النجاشي

قالت : فوالله إننا لعلّ ذلك ، إذ نزل به رجلٌ من الحبشة ينازعه في مُلْكِهِ . قالت : فوالله ما علمتنا حزنًا حزنًا قطُّ كان أشدَّ علينا من حزنٍ حزنًا . عند ذلك ، تخوّفنا أن يظهر ذلك الرجلُ على النجاشي ، فيأتى رجلٌ لا يعرف من حقنا ما كان النجاشي يعرف منه ، قالت : وسار إليه النجاشي ، وبينهما عرض النيل ، قالت : فقال أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - من رجلٍ يخرج حتى يحضر وقية القوم ، ثم يأتينا بالخبر ؟ قالت : فقال الزبير ابن العوام : أنا ، قالوا : فأتت - وكان من أحدث القوم سنًا - قالت : فنفعوا

له قِرْبَةً ، فجعلها في صدره ، ثم سَبَّحَ عليها حتى خرج إلى ناحية النيل التي بها مُلتقى القوم ، ثم انطلق حتى حَضَرَهم ، قالت : فدعونا الله تعالى للنجاشي بالظهور على عدوّه ، والتمسكين له في بلاده ، قالت : فوالله إنّنا لعلّ ذلك مُتوقِّعون إمّا هو كائن ، إذ طلع الزُّبير وهو يسعى ، فُلِّعَ بثوبه وهو يقول : ألا أبشروا ، فقد ظفر النجاشي ، وأهلك اللهُ عدوه ، ومكن له في بلاده . قالت : فوالله ما علمتنا قَرِحْنَا فرحةً قطّ مثلها . قالت : ورجع النجاشي ، وقد أهلك الله عدوّه ، ومكّن له في بلاده ، واستوثق عليه أمر الحبشة ، فسكننا عنده في خير مَنَزَل ، حتى قدمنا على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة .

قصه تملك النجاشي على الحبشة

قال ابن إسحاق : قال الزهري : فحدثت عُروة بن الزبير حديثَ أبي بكر ابن عبد الرحمن ، عن أمّ سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : هل تدري ما قوله : ما أخذ الله مني الرّشوة حين ردّ عليّ مُلْكِي ، فأخذ الرّشوة فيه ، وما أطاع النَّاسَ فيّ ، فأطيع النَّاسَ فيه ؟ قال : قالت : لا ، قال : فإن عائشة أمّ المؤمنين حدثتني أن أباه كان ملكَ قومه ، ولم يكن له ولدٌ إلا النجاشي ، وكان للنجاشي عمّ ، له من صلبه اثنا عشر رجلاً ، وكانوا أهل بيت مملكة الحبشة ، فقالت الحبشة بينها : لو أنّا قتلنا أبا النجاشي ، ومَلَكْنَا أخاه فإنه لا وُلْدَ له غير هذا الغلام ، وإن لأخيه من صلبه اثني عشر رجلاً ، فتوارثوا مُلْكَهُ من بعده ، بقيت الحبشة بعده دهرًا ، ففَعَدُوا على أبي النجاشي فقتلوه ، ومَلَكُوا أخاه ، فمَكثوا على ذلك حينًا .

ونشأ النجاشي مع عمّه - وكان لبيبا حازما من الرجال - فغلب على أمر عمّه ، ونزل منه بكل منزلة ، فلما رأت الحبشة مكانه منه ، قالت بينها : والله لقد غلب هذا الفتى على أمر عمّه ، وإنا لتتخوف أن يملكه علينا ، وإن ملكه علينا ليقتلنا أجمعين ، لقد عرّف أنا نحن قتلنا أباه . فمشّوا إلى عمّه ، فقالوا : إِمّا أن تقتل هذا الفتى ، وإما أن تخرجه من بين أظهرنا ، فإنّا قد خِفناه على أنفسنا ، قال : ويلكم ! قتلْتُ أباه بالأمس ، وأقتله اليوم ! بل أخرجته من بلادكم . قالت : فخرجوا به إلى السوق ، فباعوه من رجل من التجّار بستمائة درهم ، فقذفه في سفينة فانطلق به ، حتى إذا كان العشيّ من ذلك اليوم ، هاجت سحابة من سحاب الخريف ، فخرج عمّه يستمطر تحتها ، فأصابته صاعقة ، فقتلته . قالت : ففرغت الحبشة إلى ولده ، فإذا هو مُحَيِّق ، ليس في ولده خيرٌ ، فمرج على الحبشة أمرهم .

فلما ضاق عليهم ما هم فيه من ذلك ، قال بعضهم لبعض : تعلّموا والله أن يملككم الذي لا يُقيم أمركم غيره للذي بَعَثَ غَدوَةً ، فإن كان لكم بأمر الحبشة حاجة ، فأدركوه الآن . قالت : فخرجوا في طلبه ، وطلب الرجل الذي باعوه منه حتى أدركوه ، فأخذوه منه ، ثم جاءوا به ، فمقدوا عليه التاج ، وأقعدوه على سرير الملك ، فملكوه .

فجاءهم التاجر الذي كانوا باعوه منه ، فقال : إِمّا أن تُعطوني مالى ، وإِمّا أن أكلمه في ذلك ؟ قالوا : لا نُعطيك شيئا ، قال : إذن والله أكلمه ، قالوا : فدونك وإياه . قالت : فجاءه فجلس بين يديه ، فقال : أيها الملك ، ابتعت

غلاماً من قوم بالسوق يستأثمة درهم ، فأسلموا إلى غلامى ، وأخذوا دراهمى ، حتى إذا سرت بغلامى ، أدركونى ، فأخذوا غلامى ، ومنعوني دراهمى . قالت : فقال لهم النجاشى : لتعطنّه دراهمه ، أو ليضعنّ غلامه يده فى يده ، فليذهبنّ به حيث شاء ، قالوا : بل نُعطيه دراهمه . قالت : فلذلك يقول : ما أخذ الله منى رشوة حين ردّ على مُلكى ، فأخذ الرشوة فيه ، وما أطاع الناس فى ، فأطيع الناس فيه . قالت : وكان ذلك أول ما خبر من صلابته فى دينه ، وعدّله فى حكمه .

قال ابن إسحاق : وحدثنى يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير ، عن عائشة قالت : لما مات النجاشى ، كان يتحدّث أنه لا يزال يرى على قبره نور .

إسلام النجاشى والصلاة عليه

قال ابن إسحاق : وحدثنى جعفر بن محمد ، عن أبيه ، قال : اجتمعت الحبشة ، فقالوا للنجاشى : إنك قد فارقت ديننا ، وخرجوا عليه قال : فأرسل إلى جعفر وأصحابه ، فمياً لهم سفناً ، وقال : اركبوا فيها ، وكونوا كما أنتم ، فإن هُزمت فامضوا حتى تلحقوا بحيث شئتم ، وإن ظفرت فاثبتوا . ثم عمد إلى كتاب فكتب فيه : هو يشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله ، ويشهد أن عيسى بن مريم عبده ورسوله ، وروحه ، وكلته ألقاها إلى مريم ، ثم جعله فى قبانة عند المنكب الأيمن ، وخرج إلى الحبشة ، وصفّوا له ، فقال : يامعشر الحبشة ، ألسنّ أحقّ الناس بكم ؟ قالوا : بلى ، قال : فكيف رأيتم

سيرتي فيكم؟ قالوا: خير سيرة، قال: فما لاسكم؟ قالوا: فارقت ديننا، وزعمت أن عيسى عبدٌ، قال: فما تقولون أنتم في عيسى؟ قالوا: نقول: هو ابنُ الله، فقال النجاشي: ووضع يده على صدره على قَبائنه: هو يشهد أن عيسى بنَ مريم لم يَزِدْ على هذا شيئاً، وإنما يعني ما كَتَبَ، فرضوا وانصرفوا، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم، فلما مات النجاشي صلى الله عليه واستغفر له.

إرسال قريش إلى النجاشي في أمر أصحاب

النبي صلى الله عليه وسلم

ذكر ابن إسحاق أنهم أرسلوا عمرو بن العاص، وعبد الله بن أبي ربيعة ابن المغيرة، وأهدوا معهما هدايا إلى النجاشي. وعبد الله بن أبي ربيعة هذا كان اسمه بَحِيرًا^(١)، فسماه رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - حين أسلم: عبد الله، وأبوه: أبو ربيعة ذو الرمحين، وفيه يقول ابن الزُّبَيْرِ:

بَحِير ابن ذى الرمحين قرَّب مجاسي وراح علينا فضله وهو عاتم^(٢)

(١) بَحِير بفتح وكسر أو ضم الباء وسكون الياء، هذا وذكر المذهبى في أعلام النبلاء ج ١ ص ١٥١ أن الذين هاجروا كانوا ثمانين. ويؤيده ما روى أحمد بإسناد حسن عن ابن مسعود قال: بعثنا النبي - ص - إلى النجاشي، ونحن نحو من ثمانين رجلاً ص ١٤٨ > ٧ فتح الباي، وذكر ابن جرير أنهم ٨٢ وشك في عمار هل كان فيهم أولاً، وقيل: إن عدة كل نساءهم كانت ثمانى عشرة امرأة.

(٢) في نسب قريش: يروح علينا فضله غير عاتم، وفي الإصابة أيضاً: غير عاتم، وهو الصواب فعاتم: بطل. فقله: كما في السهيلي: وهو عاتم. لا يستقيم مع غرض الشاعر.

واسم أبي ربيعة : عمرو ، وقيل : حَذِيفَةُ ، وأم عبد الله بن أبي ربيعة :
أسماء بنت مُحَرَّبَةَ التَّمِيمِيَّةِ^(١) ، وهى أم أبي جهل بن هشام ، وعبدُ الله بن أبي
ربيعة هذا هو والدُ عُمَرَ بن عبد الله بن أبي ربيعة الشاعر ، ووالد الحارث
أمير البصرة المعروف بالقُبَاع ، وكان فى أيام عمر واليًّا على الجند ، وفى أيام
عثمان ، فلما سمع بحصر عثمان ، جاء لينصره ، فسقط عن دابته فمات .

عمارة بن الوليد بن المغيرة :

فصل : وكان معهما فى ذلك السفر عمارة بن الوليد بن المغيرة الذى تقدم
ذكره حين قالت قريش لأبى طالب : خذْ عمارة بدلا من محمد ، وادفع إلينا
محمدًا نقتله ، وكان عمارة من أجل الناس ، فذكر أصحاب الأخبار أنهم أرسلوه
مع عمرو بن العاصى إلى النَّجَاشِيِّ ، ولم يذكره ابن إسحاق فى رواية ابن هشام ،
وذكر حديثه مع عمرو فى رواية يونس ، واسكن فى غير هذه القصة المذكورة
ها هنا ، ولعل إرسالهم إياه مع عمرو ، كان فى المرة الأخرى التى سيأتى ذكرها
فى السيرة عند حديث إسلام عمرو ، وَمِمَّنْ ذكر قصة عمارة بطولها أبو الفرج
الأصبهاني ، وذكر أن عَمْرًا سافر بامراته ، فلما ركبوا البحر ، وكان عمارة قد
هَوِيَ امرأةَ عَمْرٍو وهَوِيته ، فعزما على دفع عمرو ، أو كان ذلك من عمارة على
غير قصد فدفع عمرا ، فسقط فى البحر ، فسبح عمرو ، ونادى أصحاب السفينة

(١) فى نسب قريش ص ٢١٨ أسماء بنت مُحَرَّبَةَ بن جندل بن أبيير بن نَشل
ابن دارم ، وفى الإصابة : بنت مُحَرَّمَة ، وفى القاموس : أسماء بنت مُحَرَّبَةَ واسم
ذى الرمحين فى نسب قريش : عمرو ، أما حذيفة فأخوه زاد الركب .

فأخذوه، ورفعوه إلى السفينة، فأضمرها عمرو في نفسه، ولم يُبدها لعمارة، بل قال لامرأته - فيما ذكر أبو الفرج - قَبِلَ ابن عمك عمارة لتطيبَ بذلك نفسه، فلما أتيا أرض الحبشة مكر به عمرو، وقال : إني قد كتبت إني بنى سهم ليبرءوا من دمي لك، فاكتب أنت لبني مخزوم ليبرءوا من دمك لي، حتى تعلم قريش أنا قد تصافينا، فلما كتب عمارة، إلى بني مخزوم، وتبرءوا من دمه لبني سهم، قال شيخ من قريش : قُتِلَ عمارة - والله - وعلم أنه مكر من عمرو، ثم أخذ عمرو يحرض عمارة على التعرض لامرأة النجاشي، وقال له : أنت امرؤ جميل، وهن النساء يُحِبُّنَ الجمال من الرجال، فلعلها أن تشفع لنا عند الملك في قضاء حاجتنا، فنعل عمارة فلما رأى عمرو ذلك، وتكرَّرَ عمارة على امرأة الملك، ورأى إنابتها إليه، أتى الملك مُتَتَّصِحًا، وجاءه بأمرأة عرفها الملك، قد كان عمارة أطلع عمرًا عليها، فأذركته غيرة الملك، وقال : لولا أنه جارٍ لقتلته، ولكن سأفعل به ما هو شرٌّ من القتل، فدعا بالسَّوَّاحِرَ، فأمرهن أن يَسَحَّرَنَّهُ، فنفضن في إحليله^(١) نَفْخَةً، طار منها هائما على وجهه، حتى لحق بالوَحُوشِ في الجبال، وكان يرى آدميا فيفر منه، وكان ذلك آخر العهد به إيا، زمن عمر ابن الخطاب، فجاء ابنُ عمه عبدُ الله بن أبي ربيعة إلى عمر، واستأذنه، في السير إليه لعله يجمده، فأذن له عمر فسار عبدُ الله إلى أرض الحبشة، فأكثر النَّشْدَةَ عنه، والنَّحْصَ عن أمره، حتى أخبر أنه - بِتَحْيِيلٍ^(٢) - يرد مع الوحوش، إذا وردت، ويصدرُ معها إذا صدرت، فسار إليه حتى كَمَنَ لَهُ في الطريق إلى

(١) الإحليل : مخرج البول من ذكر الإنسان واللبن من الثدي والضرع .

(٢) الحيل : الماء المستنقع في بطن واد :

الماء ، فإذا هو قد غطاه شعره ، وطالت أظفاره ، وتمزقت عليه ثيابه ، حتى كأنه شيطان ، فقبض عليه عبد الله ، وجعل يذكره بالرحيم ويستعطفه ، وهو ينتفض منه ، ويقول: أرساني يا بحير ، أرساني يا بحير ، وأبى عبد الله أن يرسله ، حتى مات بين يديه ، وهو خبر مشهور اختصره بعض من ألف في السير ، وطوله أبو الفرج ، وأوردته على معنى كلامه ، متحريرا لبعض ألفاظه^(١) .

عن حديث أصحاب الهجرة مع النجاشي :

فصل : وذكر حديث أصحاب الهجرة مع النجاشي ، وما قال له جعفر إلى آخر القصة^(٢) ، وليس فيها إشكال ، وفيه من الفقه : الخروج عن الوطن ، وإن كان الوطن مكة على فضلها ، إذا كان الخروج فرارا بالدين ، وإن لم يكن إلى إسلام ، فإن الحبشة كانوا نصارى يعبدون المسيح ، ولا يقولون : هو عبد الله ، وقد تبين ذلك في هذا الحديث ، وسما بهذه مهاجرين ، وهم أصحاب المهاجرين الذين أثنى الله عليهم بالسبق ، فقال : ﴿ والسابقون الأولون ﴾ وجاء

(١) في نسب قريش : فلما يئس عمرو — يعني من استجابة النجاشي له في أمر المهاجرين محل بعمارة — أي كادله — عند النجاشي فذمخ النجاشي في إحليله سحرا ، فذهب مع الوحش فيما تقول قريش . فلم يزل مستوحشا يرد الماء في جزيرة بأرض الحبشة ، وفيه أنه قال لأخيه عبد الله : يا بحير أرساني ، فإني أموت إن لم أسكتني ، فأمسكه ، فمات في يده ص ٣٢٢ . والقصة خرافة ، ومصعب دقيق في تعبيره إذ يقول : « فيما تقول قريش ، فهي إذا أقاويل ! »

(٢) يقول ابن تيمية عن قصة المهاجرين في حديث أم سلمة . « وقد ذكر قصتهم جماعة من العلماء والخافظ كأحمد بن حنبل في المسند ، وابن سعد في الطبقات وأبي نعيم في الحلية وغيرهم وذكرها أهل التفسير والحديث والفقه وهي متواترة عند العلماء ، ص ٨١ » الجواب الصحيح ، طبع المدني .

في التفسير : أنهم الذين صلوا القبلتين ، وهاجروا الهجرتين ، وقد قيل أيضا : هم الذين شهدوا بيعة الرضوان ، فانظر كيف أنفى الله عليهم بهذه الهجرة ، وهم قد خرجوا من بيت الله الحرام إلى دار كفر ، لما كان فعلهم ذلك احتياطًا على دينهم ، ورجاء أن يخلى بينهم وبين عبادة ربهم ، يذكرونه آمنين مطمئنين ، وهذا حكم مستمر متى غلب المنكر في بلد ، وأودى على الحق مؤمن ، ورأى الباطل قاهرا للحق ، ورجا أن يكون في بلد آخر - أى بلد كان - يخلى بينه وبين دينه ، ويظهر فيه عبادة ربه ، فإن الخروج على هذا الوجه حتم على المؤمن ، وهذه الهجرة التي لا تنقطع إلى يوم القيامة : ﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَوَجَّهَ اللَّهُ ﴾ البقرة : ١١٥ .

فصل : وليس في باقي حديثهم شئ يُشَرَّح ، قد شرح ابن هشام الشُّيُوم ، وهم الآمنون ، فيحتمل أن تكون لفظه حبشية غير مشتقة ، ويحتمل أن يكون لها أصل في العربية ، وأن تكون من شِمت السيف إذا أغمدته ، لأن الآمن مغمَّد عنه السيف ، أو لأنه مصُونٌ في صَوَانٍ^(١) وحرز كالسيف في غمده .

وقوله : ضَوَى إِلَيْكَ فِتْيَةٌ^(٢) أى : أَوُوا إِلَيْكَ ، ولا ذوابك ، وأما ضَوَى بكسر الواو ، فهو من الضَّوَى مقصور ، وهو الهزال ، وقال الشاعر :

(١) في الاصل : صور بالحبشية وسيوم : آمن أو جمع سائم بالعربية

(٢) في السيرة : غلمان

فتى لم تلهه بنتٌ عم قريبه —

فَيَضْوَى ، وقد يَضْوَى رَدِيدُ أَغْرَابٍ (١)

ومنه الحديث : اغتربوا لاتضوّوا ، يقول : إن تزويج القرائب يورث الضّوى

في الولد (٢) ، والضعف في القلب ، قال الراجز :

إِنَّ بِلَالًا لَمْ تَشْغُهُ أُمُّهُ لَمْ يَنْسَبْ خَالَهُ وَعَمَّهُ

إضافة العين إلى الله :

وفيه : قومهم أعلى بهم عينا ، أى : أبصر بهم ، أى : عينهم وإبصارهم فوق عين غيرهم فى أمرهم ، فالعين هاهنا بمعنى الرؤية والإبصار ، لا بمعنى العين التى هى الجارحة ، وما سميت الجارحة عينا إلا مجازا ؛ لأنها موضع العيان ، وقد قالوا : عانه يَعيّنه عينا إذا رآه ، وإن كان الأشهر فى هذا أن يقال : عاينه معاينة ، والأشهر فى عنت أن يكون بمعنى الإصابة بالعين ، وإنما أوردنا هذا الكلام ، لتعلم أن العين فى أصل وضع اللغة صفة لا جارحة ، وأنها إذا أضيفت إلى البارى سبحانه ، فإنها حقيقة نحو قول أم سلمة لعائشة : بعين الله مهواك ، وعلى رسول الله ترُدّين ؟ وفى التنزيل : ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴾ وقد أملينا فى المسائل

(١) فى اللسان : القرائب بالقاف .

(٢) تدبر قول الله سبحانه : « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آمَنَتْ أَجُورَهُنَّ ، وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ ، وَبَنَاتُ عَمِّكَ ، وَبَنَاتُ خَالَكَ ، وَبَنَاتُ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ ، وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسُهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَنْكَحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ، الْأَحْزَابُ : ٥٠ ، وقوله تعالى : « فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ ، وَأَنْكِحُوا »

الفردات : مسئله في هذا المعنى ، وفيها الرد على من أجاز التثنية في العين مع-
إضافتها إلى الله تعالى ^(١) ، وقاسها على اليمين ، وفيها الرد على من احتج بقول
النبي عليه السلام : إن ربكم ليس بأعور ^(٢) ، وأوردنا في ذلك ما فيه شفاء ،
وأتبعناه بمعان بدیعة في معنى عَوْرِ الدَّجَال ، فلينظر هناك .

معنى أنه عيسى كلمة الله وروحه :

وقول جعفر بن عيسى : هو رُوح الله وكلته ، ومعنى : كلمته أى : قال
له ، كما قال لآدم حين خلقه من تراب ، ثم قال له : كن فيكون ، ولم يقل :
فكان ، لثلاث بتوهم وقوع الفعل بعد القول بيسير ، وإنما هو واقع للحال ، فقوله :

== الأيأى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم . النور : ٣٢ . بتدبر هذه البيئات .
يتجلى لك أنها هي الهدى .

(١) الدين الحق في هذا - وهو دين السلف الصالح لا الخلف الطالح - أن
نصف الله سبحانه ، ونسميه بكل ما وصف وسمى به نفسه ، وننسب إليه كل
ما نسبته جل شأنه إلى نفسه ، وننقى عنه كل ما نفاه عن نفسه ، فله سبحانه عين
حقا ، ولكنها ليست كعين البشر ؛ لأن الله ليس كمثله شيء . ولا يصح تأويل
العين تأريلا هو تحريف للكلم عن مواضعه ، فنضع لها معنى مبتدعا ليس لها
في لغة القرآن .

(٢) في حديث رواه البخارى ومسلم : إن الله لا يخفى عليكم ، إن الله تعالى
ليس بأعور ، وإن المسيح الدجال أعور عين اليمنى - أى الجهة اليمنى - كأن
عينه عتبة طافية ، هذا عن ابن عمر ، وورد في حديث رواه البخارى ومسلم أيضا عن
أنس : إن ربكم ليس بأعور ، واقرأ ما كتب الإمام ابن القيم في الصواعق
المرسلة عن العين ، وما شابه هذا مما نسب الله إلى نفسه ، لتؤمن بتدبر القرآن أن
الله لا ينسب إلى نفسه إلا حقا .

فيكون مُشْعِرٌ بوقوع الفعل في حال القول ، وتوجه الفعل بيسير على القول ،
لا يمكن مستقداً ولا مستأخراً ، فهذا معنى الكلمة ، وأما روح الله ؛ فلأنه نفخة
روح القدس في جَنِبِ الطاهرة المقدسة ، والقدس : الطهارة من كل ما يشين ،
أو يعيب ، أو تَقْدَرُهُ نفس ، أو يكرهه شرع ، وجبريل : روح القدس ، لأنه
روح لم يُخلق من مَتْنٍ ، ولا صدر عن شهوة ، فهو مُضاف إلى الله سبحانه
إضافة تشریف وتكريم ؛ لأنه صادر عن الحضرة المَقْدَّسة (١) ، وعيسى عليه
السلام صادر عنه ، فهو : روح الله على هذا المعنى ؛ إذ النفخ قد يسمى : روحاً
أيضاً ، كما قال غِيلَانُ [بن عقبة ذو الرُّمَّة] يصف النار :

فقلت له : ارفعها إليك ، وأخبرها بروحك ، واقدرها لها فَيَتَّعِدْراً (٢)

وأضف هذا الكلام في روح القدس ، وفي تسمية النفخ روحاً إلى

(١) كلمة الحضرة لا يجوز نسبتها إلى الله ، إنما هو تعبير مبتدع لهذه النسبة . هذا ويقول
ابن تيمية عن رواية ابن إسحاق بسنده عن أم سلمة في شأن النجاشي : « وقد روى
جل هذه القصة أبو داود في سننه من حديث أبي موسى ، ص ٨٧ » الجواب
الصحيح ، وفي رواية أن جعفر قرأ على النجاشي أربعين آية من أولها إلى قوله
سبحانه : « إنا نحن نرث الأرض ومن عليها وإلينا يرجعون » ، وفي رواية :
« بلوداً بدموعهم » ، بدلاً من : « أخضلوا مصاحفهم » ، وهي بمعناها . وفي رواية أن
النجاشي قال : إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة ، وأظنها أدق .
هذا وقد راجعت الحديث على رواية ابن تيمية له

(٢) البيت في اللسان ، وروايته :

فقلت له : خذها إليك وأخبرها بروحك واقته لها فَيَتَّعِدْراً
واقته انارك قيته ، أى : أطعمها ، يأمره بالرفق والنفخ القليل

ماذا ذكرناه قبل في حقيقة الروح ، وشرح معناه فإنه تكملة له .

النجاشي أصحمة :

فصل : وذكر حديث عائشة عن النجاشي حين رد الله عليه ملكه ، وأن قومه كانوا باعوه ، فلما مرج أمر الحبشة ، أخذوه من سيده واشتردوه . وظاهر الحديث يدل على أنهم أخذوه منه قبل أن يأتي به بلاده لقوله : خرجوا في طلبه ، فأدركوه ، وقد بين في حديث آخر أن سيده كان من العرب وأنه استعبده طويلا ، وهو الذي يقتضيه قوله : فلما مرج على الحبشة أمرهم ، وضاق عليهم ما هم فيه ، وهذا يدل على طول المدة في مغيبه عنهم ، وقد روى أن وقعة بدر حين انتهى خبرها إلى النجاشي علم بها قبل من عنده من المسلمين ، فأرسل إليهم ، فلما دخلوا عليه إذا هو قد لبس مسحاً ، وقعد على التراب والرماد ، فقالوا له : ما هذا أيها الملك ؟ ! فقال : إنا نجد في الإنجيل أن الله سبحانه إذا أحدث بعده ، وجب على العبد أن يتحدث لله تواضعا ، وإن الله قد أحدث إلينا وإليكم نعمة عظيمة ، وهي أن النبي محمداً - صلى الله عليه وسلم - بلغني أنه التقى هو وأعداؤه بوادٍ يقال له : بدر كثير الأراك ، كنت أرى فيه النعم على سيدي ، وهو من بني ضمرة ، وأن الله قد هزم أعداءه فيه ، ونصر دينه ، فدل هذا الخبر على طول مكثه في بلاد العرب ، فمن هنا - والله أعلم - تعلم من لسان العرب ما فهم به سورة مريم حين نلت عليه ، حتى بكى ، وأخضل لحيقته ، وروى عنه أنه قال : إنا نجد في الإنجيل أن اللعنة تقع في الأرض إذا كانت إمارة الصبيان .

من فقه حديث الهجرة إلى الحبشة :

فصل : ومما في حديث الهجرة إلى الحبشة من الفقه أن جَعْفَر بن أَبِي طالب قال لرسول الله - صلى الله عليه وسلم : كيف نصلى في السفينة إذا ركبنا في البحر ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : صلّ قائماً إلا أن تخاف الغرق . خرجه الدَّارَقُطْنِي ، ولكن في إسناده مقال ، وفي مُسْنَد ابن أبي شَيْبَةَ : وصلى أنس في السفينة جالسا . وذكر البخاري عن الحسن : يصلى قائماً إلا أن يَضُرَّ بأهائها .

حول كتاب النجاشي والمصدرة عليه :

فصل : وذكر الكتاب الذي كتبه النجاشي ، وجعله بين صدره وقبائه ، وقال للقوم : أشهد أن عيسى لم يزد على هذا ، وفيه من الفقه أنه لا ينبغي للمؤمن أن يكذب كذبا صُراحاً ، ولا أن يعطى بلسانه الكفر ، وإن أكره ما أمكنه الحيلة ، وفي المعارض مندوحة عن الكذب^(١) ، وكذلك قال أهل العلم في قول النبي عليه السلام : ليس بالكاذب من أصاح بين اثنين ، فقال خيرا . روته أم كلثوم بنت عُقْبَةَ . قالوا : معناه أن يُعرَّضَ ، ولا يُفْصَحَ بالكذب ، مثل أن يقول : سمعته يستغفر لك ، ويدعو لك ، وهو يعني أنه سمعه يستغفر للمسلمين ، ويدعو لهم ؛ لأن الآخر من جملة المسامين ، ويحتال في التعريض

(١) إن في المعارض لمندوحة عن الكذب ، أخرجه — كما يقول ابن الأثير — أبو عبيد وغيره ، وهو حديث مرفوع . والمعارض : جمع معارض من التعريض ، وهو خلاف التصريح من القول ، يقال : عرفت ذلك في معارض كلامه ومعرض كلامه . ومندوحة : فسحة وسعة .

ما استطاع ، ولا يَخْتَلِقُ الكَذِبَ اختلاقاً ، وكذلك في خُدْعَةِ الحرب يُورَى ، وَيَكْنَى ، ولا يَخْتَلِقُ الكَذِبَ يستحله بما جاء من إباحة الكذب في خُدْعِ الحرب ، هذا كله ما وجد إلى الكفاية سبيلاً .

وذكر أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم : صلى على النجاشي ، واستغفر^(١) له ، وكان موتُ النجاشي في رجب من سنة تسع ، ونعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الناس في اليوم الذي مات فيه ، وصلى عليه بالبيعة ، رُفِعَ إليه سَرِيرُهُ بأرض الحبشة حتى رآه ، وهو بالمدينة فصلى عليه ، وتكلم المنافقون ، فقالوا : أيصلى على هذا العِجَجِ ؟ ! فأنزل الله تعالى^(٢) :

﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ ، وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ ﴾ آل عمران : ١٩٩ ومن رواية يونس عن ابن إسحاق أن أبا نذر

(١) روى صلاة الرسول - صلى الله عليه وسلم ، على النجاشي : البخاري ومسلم وأحمد والفساني والترمذي والطبراني . والرواية المتفق عليها : « توفي اليوم رجل صالح من الحبش فهللوا عليه ، فصففنا خلفه ، فصلى رسول الله عليه ، ونحن صفوف ، وعن جابر أن النبي صلى على أصحمة النجاشي . فكبر أربعاً »

(٢) ليست هذه الرواية في الصحيح ، وإنما هي عند ابن أبي حاتم وابن مردويه وعبد بن حميد . وروى الحاكم أن الآية في حق النجاشي ، وحديث النور على قبره رواه أبو داود بسنده عن محمد بن إسحاق . ولو كان هذا حقاً لتواتر خبره . وأحب أن أعرج على مسألة شرعية هي صلاة الجنازة على الغائب وحكمها . وإليك خلاصة القول : ذهب الشافعي وأحمد وجمهور السلف إلى مشروعية الصلاة على الغائب عن البلد ، وذهب الحنفية والمالكية إلى أن صلاة الغائب غير مشروعة مطلقاً . واعتذروا عن القصة بأن النجاشي كان بأرض ليس فيها من

مولى على بن أبى طالب ، كان ابناً للنجاشى نفسه^(١) ، وأن علياً وجده عند
تاجر بمكة ، فاشتراه منه ، وأعتقه . مكافأة لما صنع أبوه مع المسلمين .
وذكر أن الحبشة مَرَجَ عليها أمرها بعد النجاشى ، وأنهم أرسلوا وفداً
منهم إلى أبى نَيزَر ، وهو مع على ليمسكوه ويتوجوه ، ولم يختلفوا عليه فأبى
وقال : ما كنت لأطلب الملك بعد أن من الله على بالإسلام ، قال : وكان أبو نَيزَر
من أطول الناس قامه ، وأحسنهم وجهاً ، قال : ولم يكن لونه كألوان الحبشة ،
ولكن إذا رأيته قلت : هذا رجل من العرب .

== يصلى عليه ، ولهذا قال الخطابي : لا يصلى على الغائب إلا إذا وقع موته بأرض
أيس فيها من يصلى عليه ، وترجم بهذا أبو داود .
وقد اختار ابن تيمية هذا مستدلاً بما أخرجه الطيالسى وأحمد وابن ماجه
وابن قانع والطبرانى والضياء المقدسى ، وعن أبى الطفيل عن حذيفة بن أسيد
أن النبى « ص » ، قال : « إن أخاكم مات بغير أرضكم ، فقوموا فصلوا عليه » .
واستدلوا أيضاً بأن صلاة الرسول على النجاشى كانت خاصة لأنه لم يثبت أنه صلى
على ميت غائباً غيره ، وردوا على من جاء بأحاديث تثبت غير هذا بأن أسانيد
هذه الأحاديث ليست بالقوية . وقال الذهبى عن معاوية بن معاوية الذى زعموا
أن النبى صلى عليه أنه لا يعلم فى الصحابة من اسمه معاوية بن معاوية ، وكذلك تكلم
فيه البخارى . وقال ابن القيم لا يصح حديث صلواته على معاوية بن معاوية ،
لأن فى إسناده العلاء بن يزيد ، وقد قال عنه ابن المدينى أنه كان يضع الحديث ،
أقول : وهذا هو الصواب ، ولكن إذا كان هذا هو الحكم فى الإسلام بدعونا إلى أن
ندعو لإخواننا الذين سبقونا بالإيمان بالمغفرة .

(١) له ترجمة فى الإصابه . ذكره الذهبى مستدركا ، وقال : يقال إنه ولد
النجاشى جاء وأسلم ، وكان مع النبى « ص » فى مؤنته . وقال الحافظ : إنه قرأ قصته
فى كتاب السكامل للمبرد ، وأنه كان من أبناء ملوك الإعاجم ، وأنه أسلم صغيراً
على يد النبى صلى الله عليه وسلم وأن أمره انتهى إلى أن كان مع فاطمة ثم مع ولدها .

ذكر إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه

قال ابن إسحاق : ولما قدم عمرو بن العاص ، وعبد الله بن أبي ربيعة على قُرَيْش ، ولم يُدركوا ما طالبوا من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وردّها النجاشي بما يكرهونه ، وأسلم عمرُ بن الخطاب - وكان رجلاً ذا شَكِيمَةٍ لا يُرام ما وراء ظهره - امتنع به أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبجَمَزَةٍ حتى عازُوا قُرَيْشاً ، وكان عبدُ الله بن مسعود يقول : ما كنّا نقدر على أن نصلي عند الكعبة ، حتى أسلم عمر بن الخطاب ، فلما أسلم قاتل قريشاً ، حتى صلى عند الكعبة ، وصليّا معه ، وكان إسلام عمر بعد خروج مَنْ خَرَجَ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحبشة .

قال البكائي : قال : حدثني مِسْعَرُ بن كِدَام ، عن سَعْدِ بن إبراهيم ، قال : قال عبد الله بن مسعود : إن إسلام عمر كان فتحة ، وإن هجرته كانت نصراً ، وإن إمارته كانت رحمة ، ولقد كنّا مانصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر ، فلما أسلم ، قاتل قريشاً حتى صلى عند الكعبة ، وصليّا معه .

قال ابن إسحاق : حدثني عبد الرحمن بن الحارث بن عبد الله بن عِيَّاش بن أبي ربيعة ، عن عبد العزيز بن عبد الله بن عامر بن ربيعة ، عن أمه أم عبد الله بنت أبي حَتْمَةَ ، قالت :

والله إنا لنترحلُ إلى أرض الحبشة ، وقد ذهب عامرٌ في بعض حاجتنا ،

إذ أنبل عمر بن الخطّاب ، حتى وقف على ، وهو على شركه — قالت : وكنا ،
 تلقى منه البلاء أذى لنا ، وشدة علينا — قالت : فقل : إنه للانطلاق يا أمّ
 عبد الله . قالت : فقلت : نعم والله ، لنخرجن في أرض الله ، آذيتونا
 وقهرتمونا ، حتى يعمل الله مخرجنا . قالت : فقال : صحبكم الله ، ورأيت له
 رقة ، لم أكن أراها ، ثم انصرف وقد أخزّنه — فيما أرى — خروجنا .
 قالت : فجاء عامر بحاجته تلك ، فقالت له : يا أبا عبد الله ، لو رأيت عمر آنفا
 ورقته وخزّنه علينا ! قال : أطمعت في إسلامه ؟ قالت : قلت : نعم ، قال :
 فلا يسلم الذي رأيت ، حتى يسلم حمار الخطّاب ؛ قالت : بأسا منه ، لما كان يرى
 من غلظته وقسوته عن الإسلام .

قال ابن إسحاق : وكان إسلام عمر فيما بلغني أن أخته فاطمة بنت الخطّاب .
 وكانت عند سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، وكانت قد أسلمت وأسلم بعلمها .
 سعيد بن زيد ، وهما مستخفيان بإسلامهما من عمر ، وكان نعيم بن عبد الله
 النخّام من مكة ، رجل من قومه ، من بني عدى بن كعب قد أسلم ، وكان
 أيضاً يستخفي بإسلامه فرقا من قومه ، وكان خباب بن الأرت يختلف إلى
 فاطمة بنت الخطّاب يقرؤها القرآن ، فخرج عمر يوما متوشّحا سيفه يريد رسول
 الله — صلى الله عليه وسلم — ورهطا من أصحابه ، قد ذكروا له أنهم قداجتعموا
 في بيت عند الصفا ، وهم قريب من أربعين ما بين رجال ونساء ، ومع رسول
 الله — صلى الله عليه وسلم — عمة حمزة بن عبد المطلب ، وأبو بكر بن أبي قحافة
 الصديق ، وعلى بن أبي طالب ، في رجال من المسلمين رضى الله عنهم ، ممن كان

أقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، ولم يخرج فيمن خرج إلى أرض الحبشة ، فلقبه نعيم بن عبد الله ، فقال له : أين تريد يا عمر ؟ فقال : أريد محمدا هذا الصابي ، الذي قرّق أمر قريش ، وسفّه أحلامها ، وعاب دينها ، وسب آلهتها ، فأقتله ، فقال له نعيم : والله لقد غرتك نفسك من نفسك يا عمر ، أترى بنى عبد مناف تاركيك تمشي على الأرض وقد قتلت محمداً ! أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم ؟ قال : وأى أهل بيتي ؟ قال : ختنك وابن عمك سعيد ابن زيد بن عمرو ، وأختك : فاطمة بنت الخطاب ، فقد والله أسلمنا ، وتابعا محمداً على دينه ، فعليك بهما ، قال : فرجع عمر عامداً إلى أخته وختنه ، وعندهما خباب بن الارت معه صحيفة ، فيها : « طه » يقرئها إياها ، فلما سمعوا حس عمر تغيب خباب في مخدع لهم - أو في بعض البيت - وأخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة ، فجعلتها تحت نغذها ، وقد سمع عمر حين دنا إلى البيت قراءة خباب عليهما ، فلما دخل قال : ما هذه الصحيفة التي سمعت ؟ قال له : ما سمعت شيئاً ، قال : بلى والله لقد أخبرت أنكما تابعتما محمداً على دينه ، وبطش بختنه سعيد بن زيد ، فقامت إليه أخته فاطمة بنت الخطاب لتكفه عن زوجها ، فضربها فشجها ، فلما فعل ذلك قالت له أخته وختنه : نعم قد أسلمنا ، وآمنّا بالله ورسوله ، فاصنع ما بدا لك : فلما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم على ما صنع ، فارغوى ، وقال لأخته : أعطيني هذه الصحيفة التي سمعتكم تقرأون أنفاً . أنظر ما هذا الذي جاء به محمد ، وكان عمر كاتباً ، فلما قال ذلك ، قالت له أخته : إننا نخشاك عليها ، قال : لا تخافي ، وحلف لها بألته ليردنها إذا قرأها إليها ، فلما قال ذلك ، طمعت في إسلامه ، فقالت له : يا أخى ، إنك نجس ، على

شِركك ، وإنه لا يمسها إلا الطاهر ، فقام عمرُ ، فاغتسل ، فأعطته الصحيفة ، وفيها : « طه » فقرأها ، فلما قرأ منها صدراً ، قال : ما أحسن هذا الكلام وأكرمهُ ! فلما سمع ذلك خَبَّابُ خرج إليه ، فقال له : يا عمر ، والله إنى لأرجو أن يكون الله قد خصَّكَ بدعوة نبيِّه ، فإنى سمعته أمس ، وهو يقول : اللهم أيد الإسلام بأبى الحَكَم بن هشام ، أو بعمر بن الخطَّاب ، فآله الله يا عمر : فقال له عند ذلك عمر : فدلتنى يا خَبَّابُ على محمد حتى آتته ، فأسلم ، فقال له خباب : هو فى بيت عند الصفا ، معه فيه نفر من أصحابه ، فأخذ عمرُ سيفه فتوشَّحه ، ثم عمد إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه ، فضرب عليهم الباب ، فلما سمعوا صوته ، قام رجلٌ من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فنظر من خَلال الباب ، فرآه متوشَّحاً بالسيف ، فرجع إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو قَزَع ، فقال : يا رسول الله ، هذا عمرُ بنُ الخطَّاب متوشَّحاً بالسيف ، فقال حمزةُ بن عبد المطَّاب : فأذن له ، فإن كان جاء يريد خيراً بذلناه له ، وإن كان جاء يريد شراً قتلناه بسيفه ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : انذرنه ، فأذن له الرجل ، ونهض إليه رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - حتى لقيه فى الحجر ، فأخذ خُجْرته ، أو بمجمع رداءه ، ثم جَبَذَ به جبذةً شديدةً ، وقال : ما جاء بك يا بن الخطَّاب ؟ فوالله ما أرى أن تنتهى حتى ينزل الله بك قارعةً ، فقال عمرُ : يا رسول الله ، جِئْتُكَ لأومن بالله وبرسوله ، وبما جاء من عند الله ، قال : فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبيرةً عَرَفَ أهلُ البيت من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عمر قد أسلم .

فَتَفَرَّقَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنْ مَكَانِهِمْ ، وَقَدْ عَزَّوْا فِي أَنْفُسِهِمْ حِينَ أَسْلَمَ عُمَرُ مَعَ إِسْلَامِ حِزَّةٍ ، وَعَرَفُوا أَنَّهَا سَيَمْنَعَانِ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَيَنْتَصِفُونَ بِهِمَا مِنْ عَدُوِّهِمْ . فَهَذَا حَدِيثُ الرِّوَاةِ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ عَنْ إِسْلَامِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ حِينَ أَسْلَمَ .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبدُ اللهِ بن أبي نجيح المكي ، عن أصحابه : عطاء ، ومجاهد ، أو عَمَّنْ رَوَى ذَلِكَ : أَنَّ إِسْلَامَ عُمَرَ فِيمَا تَحَدَّثُوا بِهِ عَنْهُ ، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ : كُنْتُ لِلْإِسْلَامِ مُبَاعِداً ، وَكُنْتُ صَاحِبَ خَرَفٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، أَحْبَبْتُ وَأَسْرَبْتُهَا ، وَكَانَ لَنَا مَجْلِسٌ يَجْتَمِعُ فِيهِ رِجَالٌ مِنْ قُرَيْشٍ بِالْخَزَوْرَةِ ، عِنْدَ دُورِ آلِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَزَوِجِيِّ ، قَالَ : فَخَرَجْتُ لَيْلَةً أُرِيدُ مُجْلِسَ أَوْلِيائِكَ فِي مَجْلِسِهِمْ ذَلِكَ ، قَالَ : فَجِئْتُهُمْ فَلَمْ أَجِدْ فِيهِ مِنْهُمْ أَحَدًا . قَالَ : فَقُلْتُ : لَوْ أَنِّي جِئْتُ فَلَانَا الْخَمَارُ ، وَكَانَ بِمَكَّةَ بَيْعُ الْحُمْرِ ، لَعَلِّي أَجِدُ عَنْدهُ خَمْرًا فَأَشْرِبَ مِنْهَا . قَالَ : فَخَرَجْتُ فَجِئْتُهُ فَلَمْ أَجِدْهُ . قَالَ : فَقُلْتُ : فَلَوْ أَنِّي جِئْتُ السَّكْعِيَّةَ ، فَطُفْتُ بِهَا سَبْعًا أَوْ سَبْعِينَ . قَالَ : فَجِئْتُ الْمَسْجِدَ أُرِيدُ أَنْ أَطُوفَ بِالسَّكْعِيَّةِ ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَائِمٌ يَصَلِّي ، وَكَانَ إِذَا صَلَّى اسْتَقْبَلَ الشَّامَ ، وَجَعَلَ السَّكْعِيَّةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشَّامِ ، وَكَانَ مُصَلِّاهُ بَيْنَ الرُّكْنَيْنِ : الرُّكْنِ الْأَسْوَدِ ، وَالرُّكْنِ الْبَيْضَانِي . قَالَ : فَقُلْتُ حِينَ رَأَيْتُهُ : وَاللَّهِ لَوْ أَنِّي اسْتَمَعْتُ لِحَمْدِ اللَّيْلَةِ حَتَّى أَسْمَعَ مَا يَقُولُ ! قَالَ : فَقُلْتُ : إِنَّ دُنُوتَ مِنْهُ اسْتَمَعَ مِنْهُ لِأَرْوَعَهُ ، فَجِئْتُ مِنْ قَبْلِ الْحِجْرِ ، فَدَخَلْتُ تَحْتَ ثِيَابِهَا ، فَجَعَلْتُ أَمْشِي رُؤَيْدًا ، وَرَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَائِمٌ يَصَلِّي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ ، حَتَّى قَمْتُ فِي قِبْلَتِهِ مُسْتَقْبِلَهُ ، مَا بَيْنِي

وبينه إلا ثياب الكعبة . قال : فلما سمعت القرآن رق له قلبي ، فبكيتُ ودخلني الإسلام ، فلم أزل قائماً في مكاني ذلك ، حتى قضى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - صلاته ، ثم انصرف ، وكان إذا انصرف خرج على دار ابن أبي حسين ، وكانت طريقه ، حتى يجزع المسمى ، ثم يسلك بين دار عباس ابن المطلب ، وبين دار ابن أزهر بن عبد عوف الزهري ، ثم على دار الأخنس ابن شريق ، حتى يدخل بيته ، وكان مسكنه - صلى الله عليه وسلم - في الدار الرقطاء ، التي كانت بيدى معاوية بن أبي سفيان . قال عمر رضي الله عنه : فتبعته حتى إذا دخل بين دار عباس ، ودار ابن أزهر ، أدركته ، فلما سمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حسي عرفني ، فظن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أني إنما تبعته لأؤذيه ، فنهمني ، ثم قال : ما جاء بك يا ابن الخطأب هذه الساعة ؟ قال : جئت لأومن بالله وبرسوله ، وبما جاء من عند الله ، قال : فحمد الله رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم قال : قد هدأك الله يا عمر ، ثم مسح صدري ، ودعاني بالثبات ، ثم انصرف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته .

قال ابن إسحاق : والله أعلم أي ذلك كان .

قال ابن إسحاق : وحدثني نافع مولى عبد الله بن عمر ، عن ابن عمر ، قال : لما أسلم أبي عمر ، قال : أي قریش أنقل للحديث ؟ فقل له : جميل بن معمر الجهمي . قال : فعدا عليه ، قال عبد الله بن عمر : فعدوت أتبع أثرد ، وأنظر ما يفعل ، وأنا غلام أعقل كل ما رأيت ، حتى جاءه ، فقال له : أعلمت يا جميل

أنى قد أسلمت : ودخات في دين محمد ؟ قال : فوالله ما راجعه حتى قام يجر رداءه .
واتبعه عمر ، واتبعه أبى ، حتى إذا قام على باب المسجد صرّخ بأعلى صوته :
يا معشر قريش ، وهم في أنديتهم حول باب الكعبة . ألا إن عمر بن الخطاب
قد صبأ ، قال : يقول عمر من خلفه : كذّب ، والكنى قد أسلمت ، وشهدت أن
لا إله إلا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله . وثاروا إليه ، فما برح يقاتلهم ويقاتلونه
حتى قامت الشمس على رؤوسهم . قال : وطّاح ، فتعد وقاموا على رأسه ، وهو
يقول : افعلوا ما بدا لكم ، فأحلف بالله أن لو قد كنّا ثلثائة رجل لتركناها
لكم ، أو لتركتموها لنا ، قال : فبينما هم على ذلك ، إذ أقبل شيخ من قريش ،
عليه حلة حبرة ، وقميص مؤشّى ، حتى وقف عليهم ، فقال : ما شأنكم ؟
قالوا : صبأ عمر ، فقال : فقه ، رجل اختار لنفسه أمراً ، فماذا تريدون ؟ أترون
بنى عدى بن كعب يسلمون لكم صاحبهم هكذا ؟! خلّوا عن الرجل . قال : فوالله
لكأنما كانوا ثوبا كُشِط عنه . قال : فمات لأبى بعد أن هاجر إلى المدينة :
يا أبت ، من الرجل الذى زجر القوم عنك بمكة يوم أسلمت ، وهم يُقاتلونك ؟
فقال : ذلك ، أى بنى ، العاص بن وائل السهمى .

قال ابن هشام : حدثنى بعض أهل العلم ، أنه قال : يا أبت ، من الرجل
الذى زجر القوم عنك يوم أسلمت ، وهم يقاتلونك ، جزاء الله خيراً ؟ قال :
يابنى ذاك العاص بن وائل ، لاجزاء الله خيراً .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الرحمن بن الحارث عن بعض آل عمر ،
أو بعض أهله ، قال : قال عمر : لما أسلمت تلك الليلة ، تذكّرت أى أهل مكة

أشد أرسول الله صلى الله عليه وسلم عداوةً حتى آتاه ، فأخبره أنى قد أسلمتُ ، قال : قلت : أبو جهل - وكان عُمر خَلْمَةً بنت هشام بن المغيرة - قال : فأقبلت حين أصبحتُ ، حتى ضربتُ عليه بابَه . قال : نخرج إلى أبو جهل ، فقال : مرحباً وأهلاً بابن أختى ، ما جاء بك ؟ قال : جئتُ لأخبرك أنى قد آمنت بالله وبرسوله محمد ، وصدقت بما جاء به ، قال : فضرب الباب فى وجهى ، وقال : قَبَّحَكَ الله ، وَقَبَّحَ مَا جِئْتَ بِهِ .

إسلام عمر ومديتُ خباب :

فصل : فى حديث إسلام عمر . ذكره إلى آخره ، وليس فيه إشكال ، وكان إسلام عمر والمسلمون إذ ذاك بضعة وأربعون رجلاً ، وإحدى عشرة^(١) امرأة .

(١) فى رواية ابن أبي خيثمة عن عمر نفسه : « لقد رأيتنى ، وما أسلم مع رسول الله إلا تسعة وثلاثون رجلاً ، فكلمتهم أربعين ، فأظهر الله دينه ، وأعز الإسلام . وروى البزار نحوه من حديث ابن عباس ، ولقد قيل : إنه أسلم فى ذى الحجة سنة ست من المبعث ، وحكى ابن الجوزى فى بعض كتبه الاتفاق عليه ، ولكنه فى التلخيص قال : سنة ست أو خمس ، وروى أبو نعيم فى الدلائل أن إسلامه كان بعد إسلام حمزة بثلاثة أيام ، وحديث ابن مسعود عن أثر إسلامه فى البخارى : فقد روى بسنده إلى عبد الله بن مسعود أنه قال : « ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر » ، والحديث الآخر من رواية البكاءى عن ابن مسعود رواه ابن أبى شيبة ، والطبرانى من طريق القاسم بن عبد الرحمن عن عبد الله بن مسعود ، وفيه : « والله ما استطعنا أن نصلى حول البيت ظاهرين حتى أسلم عمر » ، وروى ابن سعد من حديث صهيب ، قال : لما أسلم عمر قال المشركون : انصف القوم منا . وروى البزار

وفيه : أن خَبَّاباً وهو ابن الأَرْتِّ كان يقرئُ فاطمة بنت الخطاب القرآن ،
وخبَّاب تميمي بالنسب ، وهو خُزاعي بالولاء لأم أنمار بنت سباع الخزاعي ،
وكان قد وقع عليه سياء ، فاشترته وأعتقته ، فولاؤه لها ، وكان أبوها ح

== والطبراني من حديث ابن عباس نحوه ، وفي حديث إسلام عمر أن أخته هي
فاطمة ، وهذا على الأكثر ، وقيل — كما حكى الدارقطني — اسمها : أميمة ، وقال
الحافظ في الإصابة كان اسمها : فاطمة ولقبها : أميمة ، وكنيتها : أم جميل ، وفي
نسب قريش لا توجد أخت لعمر اسمها فاطمة ، وإنما صفية وأميمة فقط ص ٣٤٧ .

وفي بعض روايات حديث إسلامه أن عمر قال بعد أن أخبر بإسلام أخته
« وقد كان — صلى الله عليه وسلم يجمع الرجل والرجلين إذا أسلما عند الرجل به
قوة ، فيسكونان معه ويصبيان من طعامه وقد ضم إلى زوج أختي رجلين » .

وحديث : اللهم أيد الإسلام بأبي الحَكَم بن هشام أو بعمر بن الخطاب ،
روايته عند الترمذى : « اللهم أعز الإسلام بأحب الرجلين ، بأبي جهل أو بعمر ،
فسكان أحبهما إليه عمر » . قال الترمذى : حسن صحيح ، وصححه ابن حبان . وفي إسناده
خارجة بن عبد الله صدوق فيه مقال ، ولكن له شاهد من حديث ابن عباس أخرجه
الترمذى أيضاً ، ومن حديث أنس ، وروى أحمد نحوه ، ورواه الحاكم بلفظ : أيد ،
بدل : أعز . وأخرجه الحاكم ، وصححه عن نافع عن ابن عمر عن ابن عباس رفعه :
اللهم أيد الإسلام بعمر بن الخطاب خاتمة ، وأخرجه ابن ماجه وابن حبان ، وقال
الحاكم : صحيح على شرط الشيخين وأقره الذهبي من حديث عائشة . والرواية
الجارية على الالسنه ، بأحب العمرين : لا أصل لها في شيء من طرق الحديث
وهناك رواية طيبة المعنى عن عائشة : قالت : لما قال صلى الله عليه وسلم : اللهم أعز
بالإسلام ، لأن الإسلام يعز ولا يعز . وقد قال أبو بكر التاريخي أن عمر سئل عن قوله
اللهم أيد الإسلام ، فقال : معاذ الله . هذا وقد ولد عمر بعد الفجار بثلاث
عشرة سنة .

لعوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة^(١)، فهو زُهْرِي بالحِلف، وهو ابن الأرت بن جندلة بن سعد بن خزيمه بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم، كان قَيْنًا يعمل السيوف في الجاهلية، وقد قيل: إن أمه كانت أم سَبَاح الخُزَاعِيَّة. ولم يلحقه سَبَاء، ولكنه انتمى إلى حلفاء أمه بنى زهرة، يكنى: أبا عبد الله، وقيل: أبا يحيى، وقيل أبا محمد مات بالكوفة سنة تسع وثلاثين بعد ما شهد مع عليٍّ صَفِّين والنَّهْرَوَان، وقيل: بل مات سنة سبع وثلاثين. ذكر أن عمر بن الخطاب سألَه عما لقي في ذات الله، فكشف ظهره، فقال عمر: مارأيت كالسيوم، فقال: يا أمير المؤمنين، لقد أوقدت لى نار، فما أطفأها إلا شَحْصِي.

تطهير عمر لبمس القرآن:

فصل: وفيه ذكر تطهير عمر لبمس القرآن، وقول أخته: ﴿لَا يَمْسُهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ والمطهرون في هذه الآية هم الملائكة، وهو قول مالك في الموطأ، واحتج بالآية الأخرى التي في سورة عبس، ولكنهم وإن كانوا للملائكة، ففي وصفهم بالطهارة مقرونا بذكر المسِّ ما يقتضى ألاَّ يمسَّه إلا طاهر اقتداء بالملائكة المطهرين، فقد تعلق الحكم بصفة التطهير، ولكنه حكم مندوب إليه؛ وليس محمولا على الفرض، وكذلك ما كتب به رسول

(١) النسب هكذا في كتاب نسب قريش ص ٢٦٥ أما في جمهرة ابن حزم ص ١٢١ وما بعدها: فعوف بن عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة، وفي الإصابة كما في نسب قريش، لكن سقطت كلمة ابن بين عبد وبين الحارث.

الله — صلى الله عليه وسلم — لعمر بن حزم^(١) : « وَأَلَا يَمَسُّ الْقُرْآنَ إِلَّا طَاهِرٌ » ليس على الفرض ، وإن كان الفرض فيه أبين منه في الآية ؛ لأنه جاء بلفظ النهي عن مسه على غير طهارة ، ولسكن في كتابه إلى هرقل بهذه الآية : ﴿ يَا هَلْ الْكِتَابُ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ ﴾ آل عمران : ٦٤ دليل على ما قلناه ، وقد ذهب داود وأبو ثور وطائفة ممن سلف ، منهم الحكم بن عتيبة وحماد بن أبي سليمان إلى إباحة مس المصحف على غير طهارة ، واحتجوا بما ذكرنا من كتابه إلى هرقل ، وقالوا : حديث عمرو بن حزم مُرْسَلٌ ، فلم يروه حجة ، والدارقطني قد أسنده من طرق حسنة ، أفواها : رواية أبي داود الطيالسي عن الزهري عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، عن أبيه عن جده ، ومما يقوى أن المُطَهَّرِينَ في الآية هم الملائكة ، أنه لم يقل : المتطهرون ، وإنما قال المُطَهَّرُونَ ، وفرق ما بين المتطهر والمطهر : أن المتطهر مَنْ فَعَلَ الطَّهْرَ^(٢) ، وأدخل نفسه فيه كالمُتَقَهِّهِ من يدخل نفسه في الفقه ، وكذلك الْمُتَعَمِّلُ في أكثر الكلام ، وأنشد

سيبويه :

(١) هو في الموطأ ، وعند أبي داود في المراسيل من حديث الزهري ، قال : قرأت في صحيفة عند أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « وَلَا يَمَسُّ الْقُرْآنَ إِلَّا طَاهِرٌ ، وَيَعْلَقُ ابْنُ كَثِيرٍ عَلَى هَذَا بِقَوْلِهِ : وَمِثْلُ هَذَا لَا يَنْبَغِي الْإِخْذُ بِهِ . وَقَالَ عَنْ سَنَدِ الدَّارِ قُطْنِي لِلْحَدِيثِ : وَفِي إِسْنَادِ كُلِّ مِنْهُمَا نَظَرٌ . أَقُولُ : وَالضَّمِيرُ فِي الْآيَةِ يَرْجِعُ إِلَى الْكِتَابِ الْمَسْكُونِ لَا إِلَى الْقُرْآنِ .

(٢) الطهور — بضم الطاء — التطهر ، وفتحها الماء ، وإن كان سيبويه يرى أن الطهور — بفتح الطاء يقع على الماء والمصدر معا .

وَقَيْسُ عَيْلَانَ وَمِنْ تَقْيَّسَا^(١)

فَالْأَدَمِيُونَ مُتَطَهَّرُونَ إِذَا تَطَهَّرُوا ، وَالْمَلَأُكَةُ مُطَهَّرُونَ خِلَقَةً ، وَالْأَدَمِيَاتُ إِذَا تَطَهَّرْنَ : مُتَطَهَّرَاتٌ ، وَفِي التَّنْزِيلِ : ﴿ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأَتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ﴾ البقرة : ٢٢٢ والحدود العين مُطَهَّرَاتٌ ، وَفِي التَّنْزِيلِ : ﴿ لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ ﴾ النساء : ٥٧ وَهَذَا فَرْقٌ بَيْنَ وَقُوتٍ لَتَأْوِيلِ مَالِكٍ رَحِمَهُ اللَّهُ ، وَالْقَوْلُ عِنْدِي

(١) فِي خَزَانَةِ الْأَدَبِ لِلْبَغْدَادِيِّ : وَقَيْسُ عَيْلَانَ تَرْكِيبٌ إِضَافِي ، لِأَنَّ عَيْلَانَ اسْمَ فَرَسٍ قَيْسٌ لَا أَبِيهِ كَمَا ظَنَّهُ بَعْضُ النَّاسِ — كَذَلِكَ فِي الْقَامُوسِ وَغَيْرِهِ — وَلَيْسَ عَيْلَانُ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ غَيْرُهُ . وَمَا عَدَاهُ عَيْلَانُ . وَفِي شَرْحِ أَدَبِ السَّكَاتِبِ لِلْجَوَالِيْقِيِّ : قَيْسُ عَيْلَانَ بْنُ مَضَرَ ، وَيُقَالُ : قَيْسُ بْنُ عَيْلَانَ ، وَكَانَ النَّاسُ مُتَلَفًا ، وَكَانَ إِذَا نَفَدَ مَالُهُ أَتَى أَخَاهُ الْيَاسَ ، فَيُنَاصِفُهُ مَالَهُ أحيانًا ، وَيُوَاسِيهِ أحيانًا ، فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ عَلَيْهِ وَأَتَاهُ قَالَ لَهُ الْيَاسُ : غَلَبَتْ عَلَيْكَ الْعِيْلَةُ : فَأَنْتَ عَيْلَانُ ، فَسُمِيَ لِذَلِكَ عَيْلَانُ ، وَمَنْ قَالَ قَيْسُ بْنُ عَيْلَانَ ، فَإِنَّ عَيْلَانَ : كَانَ عَبْدًا لِمَضَرَ حَضَنَ ابْنَهُ النَّاسُ : فَغَلَبَ عَلَى نَسَبِهِ وَمِثْلُهُ فِي الْأَنْسَابِ لِلْسَّكَلَبِيِّ . قَالَ : كَانَ عَيْلَانُ عَبْدًا لِمَضَرَ ، فَحَضَنَ ابْنَهُ النَّاسُ ص ٩٦ ج ١ خَزَانَةُ الْأَدَبِ لِلْبَغْدَادِيِّ ط دَارًا لِعَصُورٍ ، وَانْظُرْ ص ٥٧٤ أَدَبُ السَّكَاتِبِ لِابْنِ قَتَيْبَةَ ، وَص ٢٢٢ شَرْحُ أَدَبِ السَّكَاتِبِ لِلْجَوَالِيْقِيِّ ، وَفِي اللِّسَانِ فِي مَادَّةِ قَيْسٍ : أَبُو قَتَيْبَةَ مِنْ مَضَرَ وَهُوَ قَيْسُ عَيْلَانَ ، وَاسْمُهُ : النَّاسُ بْنُ مَضَرَ بْنِ نَزَارٍ ، وَقَيْسٌ لَقَبُهُ ، يُقَالُ : تَقْيَّسُ فَلَانٌ إِذَا تَشَبَّهَ بِهِمْ ، أَوْ تَسَكَّ مِنْهُمْ بِسَبَبٍ إِمَّا بِخِلَافٍ أَوْ جَوَارٍ أَوْ وِلَاءٍ . وَقَدْ نَسَبَ سَيِّدُوبَةُ الْبَيْتِ إِلَى رُؤْبَةِ مَعَ رَفْعِ السَّيْنِ مِنْ قَيْسٍ . وَلَكِنْ ابْنُ بَرِيٍّ يَقُولُ : الرَّجُلُ لِلْعِجَاجِ وَلَيْسَ لِرُؤْبَةِ ، وَصَوَابٌ لِإِنْشَادِهِ :

وَقَيْسٌ بِنَصَبِ السَّيْنِ لِأَنَّ قَبْلَهُ :

وَلَمَّا دَعَوْتُ مِنْ تَيْمٍ أَرْوَسًا

وَجَوَابُ إِنْ فِي الْبَيْتِ الثَّالِثِ :

تَقَاعَسَ الْعَزْزُ بِنَا فَاغْتَمَسَا

في الرسول عليه السلام أنه مُتَطَهَّرٌ وَمُطَهَّرٌ ، أما مُتَطَهَّرٌ ؛ فلأنه بشر آدمي يغتسل من الجنابة ، ويتوضأ من الحدث ، وأمامطَهَّرٌ ؛ فلأنه قد غُسل باطنه ، وشُقَّ عن قلبه ، ومُلئ حكمة وإيماناً فهو مُطَهَّرٌ وَمُتَطَهَّرٌ ، واضمم هذا الفصل إلى ما تقدم في ذكر مولده من هذا المعنى ، فإنه تكملة والحمد لله .

وفي تطهر عمر قبل أن يُظهر الإسلام قوة لقول ابن القاسم : إن الكافر إذا تطهر قبل أن يظهر إسلامه ، ويشهد الشهادتين أنه مُجَزِيٌّ له ، وقد عاب قول ابن القاسم هذا كثيرٌ من الفقهاء ، وكذلك في خبر إسلام سعد بن مُعَاذٍ على يد مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ ، وقد سأل : كيف يصنع من يريد الدخول في هذا الدين ، فقال : يتطهر ، ثم يشهد بشهادة الحق ، ففعل ذلك هو وأُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ^(١) ، وحديث إسلام عمر ، وإن كان من أحاديث السَّيَرِ ، فقد خرَّجه الدارقطني في سننه ، غير أنه خرَّج أيضاً من طريق أنس أن أخت عمر قالت له : إنك رَجَسٌ ، ولا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمَطَهَّرُونَ ، فقم فاغتسل أو توضأ ، فقام فتوضأ ، ثم أخذ الصحيفة وفيها سورة طه ، ففي هذه الرواية أنه كان وضوءاً ، ولم يكن اغتسالا ، وفي رواية يونس : أن عمر حين قرأ في الصحيفة سورة طه انتهى منها إلى قوله :

(١) في الأصل : حمين وهو خطأ صوابه ما أثبتته . وفي القاموس عن أسيد : « وكأثير سبعة صحابيون ، وخمسة تابعيون ، وكرير : ابن حضير وابن ثعلبة وابن يربوع وابن ساعدة وابن ظهير وابن أبي الجداء وابن أخى رافع بن خديج وابن سعية ، أو هو كأثير صحابيون ، أما ابن حبيب في كتابه متشابه القبايل ، فيقول : « كل شيء في العرب أسيد - كأثير - فهو على فعيل سوى أسيد بن عمرو في بني تميم فإنه على مثال التصغير ، انظر القاموس وص ٤٥١ المزهر ج ٢

﴿لَتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾ : ١٥ فقال : ما أطيّب هذا الكلام وأحسنه ، وذكر هذا الحديث بطوله ، وفيه أن الصحيفة كان فيها مع سورة طه : ﴿إذا الشمس كورت﴾ وأن عمر انتهى في قراءتها إلى قوله : ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ ما أُخْضَرَتْ﴾ .

زيادة في إسلام عمر :

فصل : وذكر ابن سُنَجْرُ زيادة في إسلام عمر ، قال : حدثنا أبو المغيرة قال : ناصفوان ابن عمرو ، قال : حدثني شُرَيْحُ بن عبيد ، قال : قال عمر بن الخطاب : خرجت أتعرض رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قبل أن أسلم ، فوجدته قد سبقني إلى المسجد ، فقامت خافه ، فاستفتح سورة الحاقة ، فجعلت أتعجب من تأليف القرآن قال : قلت : هذا والله شاعر ، كما قالت قريش ، فقرأ : ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ، وما هو بَقَوْلِ شاعرٍ ، قليلاً ما تُؤْمِنُونَ﴾ قال : قلت : كاهنٌ عالمٌ ما في نفسي ، فقال : ﴿ولا يَقُولُ كاهِنٍ قليلاً ما تَدَّكُرُونَ﴾ إلى آخر السورة (٢) قال : فوق الإسلام في قلبي كل موقع ، وقال عمر حين أسلم :

الحمد لله ذي العَمَنِ الذي وَجَّبتُ له عايِناً أياديَ مالها غير
وقد بدأنا فكذباً ، فقال لنا صدقَ الحديثِ نبيٌّ عنده الخبر
وقد ظلمتُ ابنةَ الخطابِ ثم هدى ربي عَشِيَّةً قالوا : قد صَبَأَ عمر
وقد نَدِمْتُ على ما كان من زَلَالٍ بظلمها حين تُتلى عندها السور

(١) رواه أحد ، ولعل الرواية التي ذكر فيها أنه سمع القرآن والرسول يصنئ جوار الكعبة هي أقرب الروايات اتساقاً مع حال عمر .

لما دعت ربها ذا العرش جاهدة والدمع من عينها عَجَلَانِ يَنْبَدِرُ
أيقنت أن الذي تدعوه خالقها فكاد تسبقني من عِبْرَةِ دِرَرُ
فقات : أشهد أن الله خالقنا وأن أحمد فينا اليوم مشتهر
نبيُّ صِدْقٍ أتى بالحق من ثقة وافي الأمانة ما في عوده خَوْرُ

رواه يونس عن ابن إسحاق . وذكر البزَّارُ في إسلام عمر أنه قال :
فلما أخذت الصحيفة ، فإذا فيها : بسم الله الرحمن الرحيم ، فجعلت أفكر : من
أى شيء اشتق ^(١) ، ثم قرأت فيها : ﴿ سَبِّحِ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
[وهو العزيز الحكيم] ﴾ أول الحديد . وجعلت أقرأ وأفكر حتى بلغت :
﴿ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ^(٢) ﴾ الحديد : ٧ . فقلت : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن
محمدًا رسول الله .

من تفسير حديث إسلام عمر :

فصل : وفي حديث إسلام عمر : قال : ما هذه التَّهْنِئَةُ ، والتَّهْنِئَةُ : كلام
لا يفهم ، واسم الفاعل منه مُتَهْنِئٌ ، كأنه تصغير ، وليس بتصغير ، ومثله الْمُتَبَيِّطُ ،
والمُتَهْنِئُ ، والمُتَبَيِّقِرُ بالقاف ، وهو المهاجر من بلد إلى بلد ، والمُسَيِّطِرُ ، ولو
صغرت واحدا من هذه الأسماء لحذفت الياء الزائدة ، كما تحذف الألف من
مفاعل ، وتلحق ياء التصغير في موضعها ، فيعود اللفظ إلى ما كان ، فيقال في تصغير
مُتَهْنِئٍ ومُتَبَيِّطٍ : مُتَهْنِئٌ ومُتَبَيِّطٌ ، فإن قيل : فهلا قلتم : إنه لا يُصَغَّرُ ؛ إذ لا يُعْتَمَلُ

(١) في الأصل : في أي شيء . والتصويب من شرح المواهب ص ٢٧٤ ج ١

(٢) ولكن سورة الحديد مدنية . وقصة عمر مكية .

تصغيرٌ على لفظ التكبير ، وإلا فما الفرق ؟ فالجواب أنه قد يظهر الفرق بينهما في مواضع ، منها : الجمع ، فإنك تجمع مُبَيَّطراً : مَبَاطِرٌ بحذف الياء ، وإذا كان مُصَغَّراً لا يجمع إلا بالواو والنون ، فتقول : مُبَيَّطْرُونَ ، وذلك أن التصغير لا يكسر ؛ لأن تكسيه يؤدي إلى حذف الياء في الخماسي ؛ لأنها زائدة كالآلف ، فيذهب معنى التصغير ^(١) ، وأما الثلاثي المصغر فيؤدي تكسيه إلى تحريك ياء التصغير أو همزها ، وذلك أن يقال في فُلَيْسٍ فُلَائِسٌ ، فيذهب أيضاً معنى التصغير لتصغير لفظ الياء التي هي دالة عليه ، ولو بَنَيْتَ اسمَ فاعلٍ من : بِيَأْسٌ لقلت فيه مُبَيَّئِسٌ ، ولو سَهَلتَ الهمزة حركت الياء فقلت فيه : مُبَيَّئِسٌ ، وتقول في تصغيره إذا صغرتَه : مُبَيَّئِسٌ بالإدغام ، كما تقول [في] أَبُوسٍ : أَييسٌ ، ولا تنقل حركة الهمزة إلى الياء إذا سهلت ، كما تنقلها في اسم الفاعل من بِيَأْسٍ ونحوه ، إذا سهلت الهمزة ، وهذه مسألة من التصغير بدیعة يقوم على تصحيحها البرهان .

مول السهيم وهكذا :

فصل : وفي حديث إسلام عمر : فَتَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -

(١) نقل الصبان في حاشيته على شرح الأشموني هذه الفقرة عن السهيلي هكذا : « لو كسر حذفت ياءه ؛ لأنه خماسي ثالثه زائد فيزول علم التصغير ، هذا وقد أنكر الأشموني تصغير هذه الأسماء التي ذكرها السهيلي وفي شرح الشافعية للرضي « جرت عادتهم ألا يجمعوا المصغر إلا بجمع السلامة إما بالواو والنون أو بالآلف والياء ، قيل : وذلك لصارعة التصغير للجمع الأقوى بزيادة حرف لين ثالثة ، ولا يجمع الجمع الأفتى إلا بجمع السلامة كالصرادين والصواحبات ، ص ٢٨١ ثم يقول : « وإذا صغرت مبيطراً ومسيطراً كان التصغير بالفظ المكسر ؛ لأنك تحذف الياء كما تحذف النون في منطلق ، وتجيء بياء التصغير ، في مكانه ، ولو صغرتهما تصغير الترخيم لقلت : بطير ، وسطير ، ص ٢٨٣ ج ١

أى : زجره ، والنَّهيمُ : زَجْرُ الأسد ، والنَّهائمُ : الحدَّاد والنَّهَام : طائر ^(١) ، وفيه قول العاصم بن وائل قال : هَكَذَا [خلوا] عن الرجل ^(٢) ، وهى كلمة معناها : الأمر بالتنحي ، فليس يعمل فيها ما قبلها ، كما يعمل إذا قلت : اجلس هكذا ، أى : على هذه الحال ، وإن كان لا بد من عامل فيها إذا جعلتها للأمر ، لأنها كاف التشبيه دخلت على ذا ، وهى : تنبيه ، فيقدر العامل إذاً مُضمرّاً ، كأنك قلت : ارجعوا هكذا ، وتأخروا هكذا ، واستغنى بقولك : هكذا عن الفعل ، كما استغنى برؤيداً عن ارفق .

جميل بن ممر :

فصل : وذكر قول عمر لجميل بن ممر الجُمحى : إني قد أسلمت ، وبايعت محمداً ، فصرخ جميل بأعلى صوته : ألا إن عمر قد صبا . جميل هذا هو الذى كان يقال له : ذوالقلبين ^(٣) ، وفيه نزلت فى أحد الأقوال : ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ﴾ الأحزاب . ٤٠ ، وفيه قيل .

(١) نهامى : بضم النون أو كسرهما وكسر الميم وتشديد الياء : صاحب الدير والطريق السهل ، وفتح النون وكسرهما حداد ونجار ، وفتحها وكسرهما من غير ياء فى الآخر : حداد ونجار ، ونهام بضم النون : طائر ، بوم ، راهب فى دير ، نهام بفتح النون وتشديد الهاء : أسد .

(٢) فى السيرة : هكذا خلوا عن الرجل وقد أضفتها عنها إلى الروض . ويجوز أن نجعل هكذا مع ما قبلها ، فيكون الكلام : • يسلمون لكم صاحبكم هكذا • ثم يبدأ الكلام الآخر : خلوا عن الرجل .

(٣) فى الاشتقاق لابن دريد أنه وهب بن عمير وكان من أحفظ الناس ، وكانوا

وكيف نَوَاتِي بالمدينة بعدما قَضَى وَطَرًا منها جميلُ بن مَعْمَرٍ

وهو البيت الذي تغنى به عبد الرحمن بن عوف في منزله ، واستأذن عمر فسمعه ، وهو يتغنى ، ويشد بالركبانية ، وهو غناء يُحْدَى به الرِّكَّابُ ، فلما دخل عمر قال له عبد الرحمن : إنا إذا خلونا ، قلنا ما يقول الناس في بيوتهم ، وقلب المبرد هذا الحديث ، وجعل المشدُّ عُمَرُ ، والمستأذن عبد الرحمن ، ورواه الزبير^(١) كما تقدم ، وهو أعلم بهذا الشأن .

يقولون له قلبان من حفظه : فَأَنزَلَ الله عز وجل : (ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه) . أما جميل فقال عنه في الاشتقاق : كان من أنم قريش لا يكتم شيئاً ، ص ١٣٠ ، وفي نسب قريش ورد كما قال السهيلي ، وأنه قيل له ذو القلبين لعقله ، وأنه شهد مع النبي حينئذ ، فقتل زهير بن الأغر الهذلي ص ٣٩٥ ، ولا نسب بينه وبين جميل صاحب بشيرة . وفي ابن كثير أنها نزلت في رجل من قريش ، يقال له : ذو القلبين ، وأنه كان يوعم أن له قلبين كل منهما بعقل وافر . فَأَنزَلَ الله هذه الآية رداً عليه . هكذا روى العوفي عن ابن عباس ، وقاله مجاهد وعكرمة والحسن وقتادة واختاره ابن جرير ، بينما يروى أحمد في مسنده بسنده ، عن ابن أبي ظبيان أن أباه حدثه قال : قلت لابن عباس : أ رأيت قول الله تعالى : (ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه) ما عني بذلك ؟ قال : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً يصلي غطر خطرة ، فقال المنافقون الذين يصلون معه : ألا ترون له قلبين . قلباً معكم ، وقلباً معهم ، فَأَنزَلَهَا الله ، وهكذا رواه الترمذي ، ثم قال : وهذا حديث حسن ، وكذا رواه ابن جرير وابن أبي حاتم . وروى عبد الرزاق بسنده عن الزهري أنه بلغه أن ذلك كان في زيد بن حارثة ضرب له مثل . يقول : ليس ابن رجل آخر ابنك ، وكذا قال مجاهد وقتادة وابن زيد . . . أقول . وهذا أليق وأنسب ، فسياق الكلام في التبيين وزيد بن حارثة .

(١) الذي في نسب قريش لمصعب الزبيري أن عمر مر بابن عوف ورباح بن عمرو يغنيهم غناء الركبان : فقال عمر : ما هذا ؟ فقال عبد الرحمن : لا بأس تلهو ونقصر السفر عنا ، فقال لهم عمر رضي الله عنه : فعليكم إذا بشعر ضرار بن الخطاب ابن مرداس ص ٤٨ ؛

خبر الصحيفة

قال ابن إسحاق : فلما رأت قُرَيْشُ أَنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد نزلوا بلدًا أصابوا به أَمْنًا وقرارًا ، وأن النجاشيَّ قد منع مَنْ لجأ إليه منهم ، وأنَّ عمر قد أسلم ، فسكان هو وخزْرة بن عبد المطلب مع رسولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وأصحابه ، وجعل الإسلامُ يَفْشُو في القبائل ، اجتمعوا واثتمروا أن يكتبوا كتابًا يتعاقدون فيه على بنى هاشم ، وبنى المطلب . على أن لا يُنْكِحُوا إليهم ولا يُنْكِحُوهم ، ولا يبيعوهم شيئًا ، ولا يبتاعوا منهم ، فلما اجتمعوا لذلك كتبوه في صحيفة ، ثم تعاهدوا وتَواثقوا على ذلك ، ثم علَّقوا الصحيفة في جَوْفِ الكعبة توكيدًا على أنفسهم ، وكان كاتب الصحيفة منصورُ بن عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قُصَيٍّ - قال ابن هشام : ويقال : النضر بن الحارث - فدعا عليه رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَشَلَّ بعضُ أصابعه .

قال ابن إسحاق : فلما فُملت ذلك قرِيش انمازت بنو هاشم وبنو المطلب إلى أبي طالب بن عبد المطلب ، فدخلوا معه في شِعبه واجتمعوا إليه ، وخرج من بنى هاشم : أبو لهب عبد العزى بن عبد المطلب ، إلى قريش ، فظاهرهم .

موقف أبي لهب من رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : وحدثني حسين بن عبد الله : أنَّ أبا لهب لقي هند بنت عُتْبَةَ بن ربيعة ، حين فارق قومه ، وظاهر عليهم قريشا ، فقال : يا بنت عتبة ؛

هل نصرت اللات والعزى ، وفارقت من فارقهما وظاهر عليهما ؟ قالت :
نعم ، فجزاك الله خيراً يا أبا عتبة .

قال ابن إسحاق : وحدثت أنه كان يقول في بعض ما يقول : يعدنى محمد
أشياء لأراها ، يزعم أنها كائنة بعد الموت ، فإذا وضع في يدى بعد ذلك ،
ثم ينفخ في يديه ويقول : تَبَّالِكما ، ما أرى فيكما شيئاً مما يقول محمد ، فأنزل
الله تعالى فيه : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝ ﴾ .

قال ابن هشام : تبت : خسرت . والتباب : الخسران . قال حبيب بن
خدره الخارجي : أحد بني هلال بن عامر بن صعصعة :
يا طيب إننا في مَعْشَرٍ ذهبَتْ مَسْعَاتُهُمْ فِي التَّبَارِ والتَّابِ
وهذا البيت في قصيدة له .

شعر أبي طالب

قال ابن إسحاق : فلما اجتمعت على ذلك قُريش ، وصنعوا فيه الذى
صنعوا ، قال أبو طالب :

ألا أباعنا عني على ذاتِ بَيْنِنَا	لَوْئِيَّا وَخُصًّا مِنْ لَوْئِيٍّ بَنِي كَعْبٍ
ألم تَعْلَمُوا أَنَا وَجَدْنَا مُحَمَّدًا	نَبِيًّا كَوْسَى خُطِّ فِي أَوَّلِ السُّكْتِ
وَأَنَّ عَلَيْهِ فِي الْعِبَادِ حَبَّةً	وَلَا خَيْرَ تَمَنَّ خَصَّهُ اللَّهُ بِالْحُبِّ
وَأَنَّ الَّذِي أُلْصَقْتُمْ مِنْ كِتَابِكُمْ	لَكُمْ كَائِنَ نَحْسًا كَرَاغِيَةِ السَّقْبِ
أَفِيقُوا أَفِيقُوا ، قَبْلَ أَنْ يُحْفَرَ الثَّرَى	وَيُصْبِحَ مَنْ لَمْ يَجْنِ ذَنْبًا كَذَى الذَّنْبِ
وَلَا تَتَّبِعُوا أَمْرَ الْوُشَاةِ ، وَتَقْطَعُوا	أَوْاصِرَنَا بَعْدَ الْمَوَدَّةِ وَالْقُرْبِ

وَتَسْتَجْلِبُوا حَرْبًا عَوَانًا ، وَرَبَّنَا أُمَرَ عَلَى مَنْ ذَاقَهُ جَلْبُ الْحَرْبِ
فَلَسْنَا - وَرَبَّ الْبَيْتِ - نُسَلِّمُ أَحَدًا لَعَزَاءَ مَنْ عَضَّ الزَّوْمَانَ وَلَا كَرْبَ
وَلَمَّا تَبَيَّنَ عَنَّا ، وَمِنْكُمْ سَوَالِفُ وَأَبْدٍ أَثَرَتْ بِالْقُتَّاسِيَّةِ الشَّهْبِ
بِمَعْتَرِكَ ضَمِيقٍ تَرَى كِسْرَ الْقَنَا بِهِ وَالزُّسُورَ الطُّخْمَ ، يَغْكُفْنَ كَالشَّرْبِ
كَأَنَّ مُجَالَ الْخَيْلِ فِي حَجَرَاتِهِ وَمَقَمَعَةِ الْأَبْطَالِ مَعْرَكَةُ الْحَرْبِ
أَلَيْسَ أَبُوْنَا هَاشِمٌ شَدَّ أَرْزَهُ وَأَوْصَى بَنِيهِ بِالْأَعَانِ وَبِالضَّرْبِ
وَلَسْنَا نَمَلُّ الْحَرْبَ ، حَتَّى تَمَلَّنَا وَلَا نَشْتَكِي مَا قَدْ يَنْوِبُ مِنَ النَّكْبِ
وَالَكُنَّا أَهْلُ الْخِفَافِ وَالنَّهْيِ إِذَا طَارَ أَرْوَاحُ السَّكَمَةِ مِنَ الرَّغْبِ

فَأَقَامُوا عَلَى ذَلِكَ سَدَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، حَتَّى جُهِدُوا لَا يَصِلُ إِلَيْهِمْ شَيْءٌ ، إِلَّا سِرًّا
مُسْتَخْفِيًا بِهِ مَنْ أَرَادَ صِلَتَهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ .

من جهالة أبي جهل

وقد كان أبو جهل بن هشام - فيما يذكرون - إني حَكِيمُ بْنُ حِزَامِ بْنِ
خُوَيْلِدِ بْنِ أَسَدَ ، مَعَهُ غُلَامٌ يَحْمِلُ قَبْجًا يُرِيدُ بِهِ عَمَتَهُ خَدِيجَةَ بِنْتَ خُوَيْلِدٍ ، وَهِيَ
عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَمَعَهُ فِي الشَّعْبِ ، فَتَعَلَّقَ بِهِ ، وَقَالَ :
أَتَذْهَبُ بِالطَّعَامِ إِلَى بَنِي هَاشِمٍ ؟ وَاللَّهِ لَا تَبْرَحُ أَنْتِ وَطَعَامُكِ ، حَتَّى أَفْضَحَكَ
بِمَكَّةَ . فَجَاءَهُ أَبُو الْبَخْتَرِيِّ بْنُ هَاشِمِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ أَسَدَ [بْنُ عَبْدِ الْعَزَى] ،
فَقَالَ : مَا لَكَ وَلَهُ ؟ فَقَالَ : يَحْمِلُ الطَّعَامَ إِلَى بَنِي هَاشِمٍ ، فَقَالَ أَبُو الْبَخْتَرِيِّ : طَعَامٌ
كَانَ لِعَمَّتِهِ عِنْدَهُ بَعِثْتَ إِلَيْهِ [فِيهِ] ، أَفَتَمْنَعُهُ أَنْ يَأْتِيَهَا بِطَعَامِهَا ؟ ! خَلَّ سَبِيلَ الرَّجُلِ ،
فَأَبَى أَبُو جَهْلٌ ، حَتَّى نَالَ أَحَدُهُمَا مِنْ صَاحِبِهِ ، فَأَخَذَ أَبُو الْبَخْتَرِيُّ لِحْيَ بَعِيرٍ ،
فَضْرَبَهُ بِهِ فَشَجَّهُ ، وَوُطِئَهُ وَطَأً شَدِيدًا ، وَحَمْرُةُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ قَرِيبٌ يَرَى

ذلك، وهم يكرهون أن يبلغ ذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه ،
فیشتموا بهم ، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - على ذلك يدعو قومه ليلاً ونهاراً ،
وسراً وجهاراً ، منادياً بأمر الله لا يتقى فيه أحداً من الناس .

مالقى رسول الله صلى الله عليه وسلم من قومه

فجعلت قريش حين منعه الله منها ، وقام عه وقومه من بنى هاشم وبنى
المطلب دونه ، وحالوا بينهم ، وبين ما أرادوا من البطش به ، يهزونه ،
ويستفزئون به ، ويخاصمون ، وجعل القرآن ينزل في قريش بأحداثهم ، وفيمن
نصب لعداوته منهم ، ومنهم من سى لنا .

أبو لهب وامرأته

ومنهم من نزل فيه القرآن في عامّة من ذكر الله من الكفار ، فكان
من سى لنا من قريش ممن نزل فيه القرآن : عمه أبو لهب بن عبد المطلب وامرأته
أم جميل بنت حرب بن أمية ، حمالة الخطب ، وإمها سماها الله تعالى حمالة
الخطب ؛ لأنها كانت - فيما بلغنى - تحمل الشوك ، فتطرحه على طريق رسول الله
صلى الله عليه وسلم - حيث يمر ، فأنزل الله تعالى فيهما : « تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ
وَتَبَّتْ ، مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ، سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ ، وامرأته حمالة
الخطب ، في جيدها حبْلٌ مِنْ مَسَدٍ » .

قال ابن هشام : الجيد : العنق . قال أعشى بنى قيس بن ثعلبة :

يَوْمَ تَبْدَى لَنَا قُتَيْلَةٌ عَنْ جِيدِ أُسَيْلٍ تَزِينُهُ الْأَطْوَاقُ
وهذا البيت في قصيدة له . وجمعه : أحياد . والمسد : شجرٌ يدق كما يدق
الكتان ، فتفتل منه حبال . قال النابغة الذبياني - واسمه : زياد بن عمرو
ابن معاوية :

مَقْدُوفَةٌ بِدَخِيسِ النَّخْضِ بَارِئُهَا لَهُ صَرِيْفٌ صَرِيْفٌ الْقَعْوُ بِالْمَسَدِ
وهذا البيت في قصيدة له ، وواحدته : مَسَدَةٌ .

قال ابن إسحاق : فذُكر لي : أن أم جميل : حَمَّالة الحطب ، حين سمعت
ما نزل فيها ، وفي زوجها من القرآن ، أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وهو جالس في المسجد عند السكبة ، ومعه أبو بكر الصديق ، وفي يدها فِئْر
من حجارة ، فلما وقفت عليهما أخذ الله ببصرها عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، فلا ترى إلا أبا بكر ، فقالت : يا أبا بكر ، أين صاحبك ، فقد بلغني
أنه يهجونى ؟ والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه ، أما والله إني لشاعرة ،
ثم قالت :

مُذَمَّمَا عَصَيْنَا وَأُمْرَهُ أَبَيْنَا
وَدِينَهُ قَلَيْنَا

ثم انصرفت ، فقال أبو بكر : يا رسول الله أما تراها رأيتك ؟ فقال :
مارأتني ، لقد أخذ الله ببصرها عني .

قال ابن هشام : قولها : « ودينه قلينا » عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وكانت قريش إنما تسمى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
مُذَمَّمًا ، ثم يستبُونه ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
ألا تمجبون إياي بصرف الله عني من أذى قريش ، يستبُون ويهجون مُذَمَّمًا ،
وأنا محمد !

إيذاء أمية بن خلف للرسول صلى الله عليه وسلم

وأمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جُمَح ، كان إذا رأى رسول الله
صلى الله عليه وسلم هَمَزَهُ وَآمَزَهُ ، فأنزل الله تعالى فيه : « وَبِئْسَ لِكُلِّ هُمَزَةٍ
لُحْمَةٌ ، الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ، يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ، كَلَّا كَإِذَا بُدِّنَ
فِي الْحُطَمَةِ . وَمَا أَذْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ، نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْفُتُدَةِ
إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ » .

قال ابن هشام : الهمزة : الذي يشتم الرجل علانية ، وَيَكْسِرُ عَيْنِيهِ
عليه ، وَيَغْمِزُ بِهِ . قال حسان بن ثابت :

هَمَزْتُكَ فَاخْتَضَعْتُ لَذْلَ نَفْسٍ بِقَافِيَةٍ تَأْجِجُ كَالشَّوَاظِ

وهذا البيت في قصيدة له . وجمعه : همزات . والهمزة : الذي يعيب الناس
سرًا ويؤذيهم . قال رؤبة بن العجاج :

فِي ظِلِّ عَصْرَى بَاطِلٍ وَآمَزَى

وهذا البيت في أرجوزة له ، وجمعه : لمزات .

إيذاء العاص للرسول صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : والعاص بن وائل السهمي ، كان خباب بن الارت ، صاحب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قتيلاً بمكة بعمل السيوف ، وكان قد باع من العاص بن وائل سيوفاً علمها له ، حتى كان له عليه مال ، فجاءه يتقاضاه ، فقال له : يا خباب أليس يزعم محمد صاحبكم هذا الذي أنت على دينه أن في الجنة ما لا يتغنى أهلها من ذهب ، أو فضة ، أو ثياب ، أو خدم ؟ قال خباب : بلى . قال : فأنظرنى إلى يوم القيامة يا خباب ، حتى أرجع إلى تلك الدار ، فأقضيت هنالك حقك ، فوالله لا تكون أنت وصاحبك يا خباب آثر عند الله منى ، ولا أعظم حظاً في ذلك ، فأنزل الله تعالى فيه : ﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالاً وَوَلَدًا ، أَطْلَمَعَ الْغَيْبَ ﴾ . . . إلى قوله تعالى : ﴿ وَنَرِيهِ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴾ « هي وما قبلها من سورة مريم ٧٧ - ٨٠ » .

إيذاء أبي جهل للرسول صلى الله عليه وسلم

ولقى أبو جهل بن هشام رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما بلغنى - فقال له : والله يا محمد ، لتتركن سب آل هتتنا ، أو لنسبن إلهك الذي تعبد . فأنزل الله تعالى فيه : ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ الأنعام : ١٠٨ . فذكر لى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كف عن سب آل هتتهم ، وجعل يدعوهم إلى الله .

إيذاء النضر لرسول الله صلى الله عليه وسلم

والنضر بن الحارث بن علقمة بن كلفة بن عبدة مناف بن عبدة الدار بن قصى، كان إذا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلساً، فدعا فيه إلى الله تعالى، وتلا فيه القرآن، وحذر قريشاً ما أصاب الأمم الخالية، خلفه في مجلسه إذا قام، فحدثهم عن رستم الشديد، وعن اسفنديار، وملوك فارس، ثم يقول: والله ما محمد بأحسن حديثاً مني، وما حديثه إلا أساطير الأولين، اكتبها كما اكتبها. فأنزل الله فيه: ﴿وقالوا: أساطير الأولين اكتبتها فيى تملى عليه بكرة وأصيلاً، قل: أنزله الذى يعلم السر فى السموات والأرض، إنه كان غفوراً رحيماً﴾ الفرقان: ٥، ٦. ونزل فيه: ﴿إذا تلى عليه آياتنا قال: أساطير الأولين﴾. ونزل فيه: ﴿ويل لكل أفكأهم﴾ يسمعون آيات الله تلى عليه ثم يبصرون مستكبرين كأنهم لم يسمعون شيئاً فى أذنيه يومئذ، فبشره بعذاب أليم﴾ الجاثية: ٨، ٧.

قال ابن هشام: الأفك: الكذاب. وفى كتاب الله تعالى: «ألا إنهم من إفكهم ليقولون: ولد الله وإفكهم لكاذبون﴾ الصفات: ١٥١، ١٥٢. وقال روبة:

لامرىء أفك قولاً إفكاً

وهذا البيت فى أرجوزة له .

قال ابن إسحاق: وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً - فيما بلغنى -

مع الوليد بن المغيرة في المسجد ، فجاء النضر بن الحارث ، حتى جلس معهم في المجلس ، وفي المجلس غير واحد من قريش ، فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعرض له النضر بن الحارث ، فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم - حتى أخفه ، ثم تلا عليه وعليهم : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ، لَوْ كُنْ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا ، وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ . لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ ، وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴾ الأنبياء ٩٨ - ١٠٠ .

قال ابن هشام : حصب جهنم : كل ما أوقدت به . قال أبو ذؤيب الهذلي :
واسمه : خوبلد بن خالد .

فأظفني ، ولا توقد ، ولانك مخصباً

لنارِ العداة أن تطير سكانها

وهذا البيت في أبيات له . ويروي : « ولانك مخصباً » . قال الشاعر :

حَصَاتُ لَهُ نَارِي فَأَبْصَرَ ضَوْءَهَا وَمَا كَانَ لَوْلَا حَصَاةُ النَّارِ يَهْتَدِي

ابن الزبيري والأخنس وما قيل فيهما

قال ابن إسحاق : ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم - وأقبل عبد الله ابن الزبيري السهمي حتى جلس ، فقال الوليد بن المغيرة لعبد الله بن الزبيري : والله ما قام النضر بن الحارث لابن عبد المطلب آنفاً وما قعد ، وقد زعم محمد أننا وما نعبد من آلهتنا هذه حصب جهنم ، فقال عبد الله بن الزبيري : أما والله .

لو وجدته نخلصته ، فسلوا محمدا : أكل ما يُعبد من دون الله في جهنم مع من عبده ؟ فنحن نَعْبُدُ الملائكة ، واليهودُ تعبدُ عَزِيزاً والنصارى تعبد عيسى ابن مريم عليهما السلام ، فعجب الوليد ، ومن كان معه في المجلس من قول عبد الله بن الزبمرى ، ورأوا أنه قد احتج وخاصم . فذكر ذلك لرسول الله صلى عليه وسلم من قول ابن الزبمرى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كل من أحب أن يعبد من دون الله فهو مع من عبده ، إنهم إنما يعبدون الشياطين ، ومن أمرتهم بعبادته ، فأنزل الله تعالى عليه في ذلك : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ، لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ، وَهُمْ فِي مَا اشْتَمَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴾ [الأنبياء : ١٠١ ، ١٠٢ : أى عيسى بن مريم ، وعزيراً ، ومن عبدوا من الأحرار والرهبان الذين مضوا على طاعة الله ، فاتخذهم من يعبد من أهل الضلالة أرباباً من دون الله .

ونزل فيما يذكرهم ، أنهم يعبدون الملائكة ، وأنها بنات الله : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ ، بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ . لَا يُسْمِعُونَهُ بِالْقَوْلِ ، وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَمْعَلُونَ ﴾ [الأنبياء : ٢٦ : ٢٧ . إلى قوله : ﴿ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ ، فَلِلَّكَ تَجْزِيَةُ جَهَنَّمَ ، كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنبياء : ٢٩ .

ونزل فيما ذكر من أمر عيسى بن مريم أنه يُعبد من دون الله ، وعجيب الوليد ، ومن حضره من حُجَّتِه وخصومته : ﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴾ [الزخرف : ٥٧ . أى : يصدون عن أمرك بذلك من قولهم .

ثم ذكر عيسى بن مريم فقال : ﴿ إِنَّهُ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ ، وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ ، وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ الأنبياء : ٥٩ : ٦١ أى : ما وضعت على يديه من الآيات من إحياء الموتى ، وإبراء الأسقام ، فكفى به دليلا على علم الساعة ، يقول : فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ ، هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ .

والأخنسُ بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي ، حليف بنى زهرة ، وكان من أشراف القوم ، ومن يُستمع منه ، فكان يُصيب من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويرد عليه ، فأنزل الله تعالى فيه : « وَلَا تَطْعَمْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّيِّينٍ ، هَمَّا زِمَاءُ مَشَاءُ بَنِي مِمْ » القلم : ١٠ ، ١١ . . . إلى قوله تعالى : ﴿ زَيْنِمٌ ﴾ ، ولم يقل : زَيْنِمٌ لعيب في نسبه : لأن الله لا يعيب أحدا بنسب ، ولكنه حقق بذلك نفعته ليعرف . والزينم : التعديد للقوم ، وقد قال الخطيب التميمي في الجاهلية : زَيْنِمٌ تَدَاعَاهُ الرَّجَالُ زِيَادَةً كَمَا زِيدَ عَرْضُ الْأَدِيمِ الْأَكَارِءُ

ما قيل في الوليد بن المغيرة وأبي بن خلف وعقبة بن أبي معيط

والوليد بن المغيرة ، قال : أُتِيذَلُ عَلَى مُحَمَّدٍ ، وَأُتْرَكُ وَأَنَا كَبِيرُ قُرَيْشٍ وَسِيدُهَا ، وَيَتْرَكُ أَبُو مَسْعُودٍ صُرُوحَ بَنِي عُمَيْرِ الثَّقَفِيِّ سَيِّدَ ثَقِيفٍ ، وَنَحْنُ عَظِيمَا الْقَرَيْتَيْنِ ؟ ! فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ ، فِيمَا بَلَغَنِي : ﴿ وَقَالُوا : لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرَيْتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ الزخرف : ٣٠ . . . إلى قوله تعالى : ﴿ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ .

وَأَبَىٰ بَنَ خَلْفَ بَنَ وَهَبَ بَنَ حُذَافَةَ بَنَ جُحَاحَ ، وَعُثْمَةَ بَنَ أَبِي مُعَيْطَ ،
وَكَانَا مُتَهَافِفَيْنِ ، حَسَنًا مَا بَيْنَهُمَا . فَكَانَ عُثْمَةُ قَدْ جَلَسَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَسَمِعَ مِنْهُ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ أَبِيًّا ، فَاتَى عُثْمَةَ ، فَقَالَ : أَلَمْ يَبْلُغْنِي
أَنَّكَ جَالِسْتَ مُحَمَّدًا ، وَسَمِعْتَ مِنْهُ ! ثُمَّ قَالَ : وَجْهِي مِنْ وَجْهِكَ حَرَامٌ أَنْ
أُكَلِّمَكَ - وَاسْتَغْلَظَ مِنَ الْيَمِينِ - إِنْ أَنْتَ جَلَسْتَ إِلَيْهِ ، أَوْ سَمِعْتَ مِنْهُ ، أَوْ لَمْ
تَأْتِهِ ، فَتَقْتَفِلْ فِي وَجْهِهِ . فَفَعَلَ مِنْ ذَلِكَ عَدُوٌّ اللَّهِ عُثْمَةُ بَنَ أَبِي مُعَيْطَ لَعَنَهُ اللَّهُ .
فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمَا : ﴿ وَيَوْمَ يَعْصِيُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ : يَا لَيْتَنِي
اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴾
الفرقان : ٢٧ - ٢٩ .

وَمَشَى أَبُو بَنَ خَافَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِعَظَمٍ بِالِ
قَدْ ارْقَتْ ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدَ ، أَنْتَ تَزْعُمُ أَنْ يَبِيعَ هَذَا بَعْدَ مَا أَرِمَ ، ثُمَّ فَتَنَهُ
بِيَدِهِ ، ثُمَّ نَفَخَهُ فِي الرِّيحِ نَحْوَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : نَعَمْ ، أَنَا أَقُولُ ذَلِكَ ، يَبِيعُهُ اللَّهُ وَإِيَّاكَ بَعْدَ مَا تَكُونَانِ
هَكَذَا ، ثُمَّ يُدْخِلُكَ اللَّهُ النَّارَ . فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ : ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا
وَلَيْسَ خَلْقَهُ قَالَ : مَنْ يُنْجِي الْعِظَامَ ، وَهِيَ رَمِيمٌ ، قُلْ : يُنْجِيهَا
الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ، الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ
مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا ، فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ ﴾ يس ٧٩ ، ٨٠ .

ما قيل في حق الذين اعترضوا الرسول في الطواف

واعترض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يطوف بالكعبة -
 فيما بانى - الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى ، ولوليد بن المغيرة ،
 وأمية بن خلف ، والعاص بن وائل السهمي ، وكانوا ذوى أسنان في قومهم ،
 فقالوا : يا محمد ، هلم فلتعبد ما تعبد ، وتعبد ما نعبد ، فاشتراك نحن وأنت
 في الأمر ، فإن كان الذى تعبد خيرا مما نعبد ، كنّا قد أخذنا بحظنا منه ، وإن
 كان ما نعبد خيرا مما تعبد ، كنّا قد أخذنا بحظك منه ، فأنزل الله تعالى
 فيهم : ﴿ قُلْ : يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ، لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ . وَلَا أَنْتُمْ
 عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ . أَسْكُمُ دِينُكُمْ ﴾ وَلِي دِينِ الْكَافِرُونَ . أى : إن كنتم
 لا تعبدون إلا الله ، إلا أن أعبد ما تعبدون ، فلا حاجة لى بذلك منكم ، لكم
 دينكم جميعا ، ولى دينى .

ما قيل في حق أبي جهل

وأبو جهل بن هشام - لما ذكر الله عز وجل شجرة الزقوم تخويفا بها
 لهم ، قل : يامعشر قريش ، هل تدرون ما شجرة الزقوم التى يخوفكم بها
 محمد ؟ قالوا : لا ، قال : عجوة يثرب بالزبد ، والله لئن استمكنّا منها لفنزقنّها
 تزقّا . فأنزل الله تعالى فيه : ﴿ إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ ، طَعَامُ الْإِثْمِ ،
 كَأَمْهَلِ يُغْلَى فِي الْبُطُونِ كَغَلَى الْحَمِيمِ ﴾ الجاثية : ٤٤ - ٤٦ . أى : ليس
 كما يقول .

قال ابن هشام : المهمل : كل شيء أذيقه ، من نحاس أو رصاص ، أو
هذا أشبه ذلك فيما أخبرني أبو عبيدة .

وبلقنا عن الحسن بن أبي الحسن أنه قال : كان عبد الله بن مسعود واليا
لعمر بن الخطاب على بيت مال الكوفة ، وأنه أمر يوما بفضة ، فأذيت ،
فجعلت تلون ألوانا ، فقال : هل بالباب من أحد ؟ قالوا : نعم ، قال : فأدخلوهم ،
فأدخلوا فقال : إن أدنى ما أتم رائدون شبا بالمهمل لهذا ، وقال الشاعر :

يَسْقِيهِ رَبِّي حَمِيمَ الْمُهْمَلِ يَجْرَعُهُ يَشْوِي الْوَجْوهَ فَهُوَ فِي بَطْنِهِ صَهْرُ

وقال عبد الله بن الزبير الأسدي :

فمن عاش منهم عاش عبداً وإن يَمُتْ ففي النار يُسْقَى مُهْمَلًا وَصَدِيدَهَا
وهذا البيت في قصيدة له .

ويقال : إن المهمل : صديد الجسد .

بلغنا أن أبا بكر الصديق - رضى الله عنه - لما حُضِر ، أمر بشوين
كَيْسِينَ يُغْسَلَانِ ، فيكفن فيهما ، فقالت له عائشة : قد أغناك الله يا أبت
عنهما ، فاشتر كفننا ، فقال : إنما هي ساعة حتى يصير إلى المهمل . قال الشاعر :

شَابَ بِالْمَاءِ مِنْهُ مُهْمَلًا كَرِيهَا ثُمَّ عَلَى التَّمَنُّونِ بَعْدَ النَّهَالِ

قال ابن إسحاق : فأنزل الله تعالى فيه : ﴿ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ ،
وَنُحِيقُوا بِهَمِّهَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴾ الإسراء : ٦٠

قصة ابن أم مكتوم

ووقف الوايد بن المغيرة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورسول الله
صلى الله عليه وسلم يكلمه ، وقد طمع في إسلامه ، فبينما هو في ذلك ، إذ مر به

ابن أم مكتوم الأعمى ، فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجعل يستقرئه القرآن ، فشق ذلك منه على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى أضجره ، وذلك أنه شغله عما كان فيه من أمر الوأيد ، وما طمع فيه من إسلامه ، فلما أكثر عليه انصرف عنه عابسا ، وتركه ، فأنزل الله تعالى فيه : ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ﴾ ... إلى قوله تعالى : ﴿ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ، مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴾ أى : إنما بعثتك بشيرا ونذيرا ، لم أخص بك أحدا دون أحد ، فلا تمنعه ممن ابتغاه ، ولا تصدّين به لمن لا يريد .

قال ابن هشام : ابن أم مكتوم ، أحد بنى عامر بن لؤى ، واسمه : عبدالله . ويقال : عمرو .

حديث الصحيفة التي كتبتها قریش

ذكر فيه قول أبي لهب ليديه : تَبَّالْكُمَا ، لا أرى فيكما شيئا مما يقول محمد ، فأنزل الله تعالى : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ ، هذا الذى ذكره ابن إسحاق يشبهه أن يكون سببا لذكر الله سبحانه يديه ، حيث يقول : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ﴾ وأما قوله : وَتَبَّ ، فتفسيره ما جاء فى الصحيح من رواية مجاهد وسعيد ابن جبيرة عن ابن عباس ، قال : لما أنزل الله تعالى : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ الشعراء : ٢١٤ خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى أتى الصفا ، فصعد -

عليه ، فهتف : يَا صَبَاحًا ، فلما اجتمعوا إليه ، قال : أَرَأَيْتُمْ لو أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا تَخْرُجُ مِنْ سَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقًا؟ قالوا : مَا جَرَّ بِنَا عَلَيْكَ كَذِبًا قَالَ : فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيِ عَذَابٍ شَدِيدٍ . فقال أبو لهب : تَبًّا لَكَ أَلهَذَا جَمْعَتْنَا؟! فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ تَبَّتْ يُدَا أُمِّي لَهَبٍ ﴾ (١) ، وَقَدْ تَبَّ . هَكَذَا قَرَأَ مُجَاهِدٌ وَالْأَعْمَشُ ، وَهِيَ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - قِرَاءَةٌ مَأْخُوضَةٌ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ ، لِأَنَّ فِي قِرَاءَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَلْفَاظًا كَثِيرَةً تَعِينُ عَلَى التَّفْسِيرِ (٢) قَالَ مُجَاهِدٌ : لَوْ كُنْتُ

(١) رَوَاهُ الشَّيْخَانُ وَالتِّرْمِذِيُّ .

(٢) يَحِبُّ أَنْ يُؤْمِنَ بِأَنَّ هَذَا الْمَصْحَفَ الَّذِي نَحْنُ مَعَهُ نَتَدَبَّرُهُ ، فِيهِ كُلُّ كَلَامِ اللَّهِ الَّذِي نَزَلَهُ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دُونَ نَقْصٍ أَوْ زِيَادَةٍ . وَمَا يَرَوِي مِنْ مِثْلِ هَذَا . فَإِذَا أَنْ تَكُونُ رِوَايَةً سَاقِطَةً ، وَإِذَا أَنْ يَكُونُ مِنْ كَلَامِ ابْنِ مَسْعُودٍ تَعْلِيْقًا مِنْهُ عَلَى بَعْضِ آيَاتِ الْكِتَابِ الْمُبِينِ . كَيْفَ نَحْكُمُ أَنْ مِثْلَهُ وَقَدْ تَبَّ ، كَانَتْ فِي الْمَصْحَفِ ثُمَّ رَفَعَتْ مِنْهُ ؟ أَوْ كَيْفَ نَحْكُمُ أَنْ آيَةً كَذِبًا كَانَتْ فِيهِ ، ثُمَّ حُذِفَتْ ؟ وَأَيْنَ نَحْنُ بِهَذَا مِنْ قَوْلِ اللَّهِ : (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ ، وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) الْحَجَرُ : ٩ . كَيْفَ نَعْرِبُ الْمُتَوَاتِرَ الْمُحْفُوظَ بِحِفْظِ اللَّهِ بِرِوَايَاتٍ سَاقِطَةٍ وَاهِيَةٍ مِمَّا كَانَ شَأْنُ رِوَايَاتِهَا ، وَشَأْنُ الْكِتَابِ الَّتِي وَرَدَتْ فِيهَا ؟ وَمَا الْفَرْقُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَنْ يَزْعُمُونَ أَنَّ مَصْحَفَنَا هَذَا نَاقِصٌ مُبْتَوَّرٌ حُذِفَ مِنْهُ أَبُو بَكْرٌ وَعُمَرُ مَا حُذِفَا ؟ أَقْذَفُوا بِكُلِّ قَوْلٍ يَزْعُمُ هَذَا فِي جَمِيعٍ .

بَعْضُ مَا قِيلَ عَنِ الصَّحِيفَةِ :

قِيلَ : إِنَّمَا كَانَتْ فِي هَلَالِ الْحَرَمِ سَنَةَ سَبْعٍ مِنَ النَّبُوَّةِ ، وَرَدَّ هَذَا فِي ابْنِ سَعْدٍ وَابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ : وَجَزَمَ بِهِ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ ، وَقِيلَ : سَنَةُ ثَمَانٍ وَكَانَ اجْتِمَاعُهُمْ بِخَيْفِ بَنِي كَسَنَانَةَ وَهُوَ الْحَصْبُ وَاخْتَلَفَ فِي اسْمِ كَاتِبِ الصَّحِيفَةِ . وَفِي رِوَايَةٍ أَنَّهُمْ تَوَافَعُوا عَلَى هَذَا حَتَّى يَسْلُوكُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، وَلِلْقَلِيلِ ، وَكَانَتْ مَدَّةُ الشَّعْبِ سِتِّينَ كَمَا ذَكَرَ ابْنُ سَعْدٍ أَوْ ثَلَاثًا كَمَا ذَكَرَ مُوسَى بْنُ عَقِبَةَ وَفِي نَسَبِ قُرَيْشٍ ص ٢٥٤ أَنَّ الَّذِي كَتَبَ الصَّحِيفَةَ عَامِرُ الشَّاعِرِ لَا مَنْصُورَ ابْنِهِ .

قرأت قراءة ابن مسعود قبل أن أسئل ابن عباس ، ما احتجت أن أسئله عن كثير مما سأله ، وكذلك زيادة قد في هذه الآية ، فسُرت أنه خبر من الله تعالى ، وأن الكلام ليس على جهة الدعاء ، كما قال تعالى : ﴿ قَاتِلْهُمْ اللَّهُ أُنِّي يَوْمَ فَكُون ﴾ التوبة : ٣٠ ، أى : إنهم أهل أن يقال لهم هذا ، فتبت يدا أبى لهب ، ليس من باب : قاتلهم الله ، ولكنه خبر محض بأن قد خسر أهله وماله ، واليدان : آلة الكسب ، وأهله وماله مما كسب فقوله : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ﴾ ، تفسيره : قوله : ﴿ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴾ وولد الرجل من كسبه ، كما جاء في الحديث ، أى : خسرت يداه هذا الذى كسبت ، وقوله : وتب ، تفسيره . ﴿ سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ ﴾ أى : قد خسر نفسه بدخوله النار ، وقول أبى لهب : تَبَّأَ لَكَ ، ما أرى فيسكما شيئاً ، يعنى : يديه : سبب لنزول تَبَّتْ يدا كما تقدم .

وقوله في الحديث الآخر : تَبَّأَ لَكَ يَا مُحَمَّد ، سبب لنزول قوله سبحانه : ﴿ وَتَبَّ ﴾ ^(١) فالكلمتان في التنزيل مبنيتان على السببين ، والآيتان بعدهما تفسير للتبيين . تَبَّأَ يديه ، وتبأيه هو في نفسه ، والتَّبُّبُ على وزن التَّلَاف

(١) وحدث عن عبد الرحمن بن أبى الزناد عن أبيه قال . أخبر رجل يقال له : ربيعة بن عباد من بنى الدئل ، وكان جاهلياً ، فأسلم ، قال : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم — في الجاهلية في سوق ذى النجاز ، وهو يقول : (يا أيها الناس تهملوا : لا إله إلا الله تفلمحوا) والناس مجتمعون عليه ، ووراءه رجل وضىء الوجه أحول ذو غديرتين يقول : إنه صابئ كاذب يتبعه حيث ذهب ، فسألت عنه فقالوا : هذا عمه أبو لهب . تفرد به أحمد .

لأنه في معناه ، والتَّبَابُ كالهلاك والخسارِ وزناً ومعنى ، ولذلك قيل فيه :
تَبَّ وَتَبَّابٌ .

من تفسير شعر أبي طالب :

فصل : ذكر شعر أبي طالب :

ألا أبلغا عنى على ذاتِ بيننا

قال قاسم بن ثابت : ذات بيننا ، وذات يده ، وما كان نحوه : صفةٌ
لحذوفٍ مؤنث ، كأنه يريد الحال التي هي ذات بينهم كما قال الله سبحانه :
(وَأَصْلَحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ) الأنفال : ١ فكذلك إذا قلت : ذات يده .
يريد أمواله ، أو مكتسباته ، كما قال عليه السلام : « أرعاه على زوج في ذات
يده ^(١) » ، وكذلك إذا قلت : لقيته ذات يوم ، أى : لقاءً أو مرةً ذات يوم ،
فلما حُذِفَ الموصوف ، وبقيت الصفةُ صارت كالحال لا تتمم كن ، ولا تُرفع
في باب ما لم يُسمَّ فاعله ، كما ترفع الظروف المُتممكة ، وإنما هو كقولك : سير
عليه شديداً وطويلاً ، وقول الخنعمي - واسمه : أنس بن مالك [مدرك] : عزمت
على إقامة ذات صباح ، ليس هو عندي من هذا الباب ، وإن كان سيديويه قد
جعلها لغة الخنعم ، ولكنه على معنى إقامة يوم ، وكل يوم هو ذو صباح ، كما
تقول : ما كلني ذو شقة ، أى : متكلم ، وما مررت بذى نفس ، فلا يكون من

(١) هو جزء من حديث رواه الشيخان : « خير نساء ركن الإبل صالحو
نساء قريش أحناه على والد في صغره ، وأرعاه على زوج في ذات يده » .

باب : ذَاتَ مَرَّةٍ الَّذِي لَا يَتِمُّ كُنْ فِي الْكَلَامِ ، وَقَدْ وَجَدْتُ فِي حَدِيثِ قَيْلَةَ
بِنْتُ نَحْرَمَةَ ، وَهُوَ حَدِيثٌ طَوِيلٌ وَقَعَ فِي مَسْنَدِ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ : أَنَّ أُخْتَهَا قَالَتْ
لِبُعَايَا : إِنْ أُخْتِي تَرِيدُ الْمَسِيرَ مَعَ زَوْجِهَا حُرَيْثِ بْنِ حَسَّانَ ذَا صَبَاحٍ بَيْنَ سَمْعِ
الْأَرْضِ وَبَصْرَها ، فَهَذَا يَكُونُ مِنْ بَابِ : ذَاتِ مَرَّةٍ ، وَذَاتُ يَوْمٍ ، غَيْرُ أَنَّهُ وَرَدَ
مَذْكُورًا ؛ لِأَنَّهُ تَشْتَغِلُ نَاءَ التَّائِيثِ مَعَ الصَّادِ ، وَتَوَالِي الْحَرَكَاتِ ، فَخَذَفُوهَا ، فَقَالُوا :
لَقَيْتَهُ ذَا صَبَاحٍ ، وَهَذَا لَا يَتِمُّ كُنْ كَمَا لَا يَتِمُّ كُنْ : ذَاتُ يَوْمٍ وَذَاتُ حِينٍ ، وَلَا
يُضَافُ إِلَيْهِ مَصْدَرٌ ، وَلَا غَيْرُهُ . وَقَوْلُ الْخُثَمِيِّ : عَزَمْتُ عَلَى إِقَامَةِ ذِي صَبَاحٍ
قَدْ أُضَافَ إِلَيْهِ ، فَكَيْفَ يُضَيَّفُ إِلَيْهِ ، ثُمَّ يَنْصَبُ ، أَوْ كَيْفَ يُضَارَعُ الْخَالَ مَعَ
إِضَافَةِ الْمَصْدَرِ إِلَيْهِ ؟ فَكَذَلِكَ خَفَضَهُ ، وَأَخْرَجَهُ عَنْ نَظَائِرِهِ ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ سَبِيحِيَّةً .
سَمِعْتُ خُثْعَمَ يَقُولُونَ : سَرْتُ فِي ذَاتِ يَوْمٍ ، أَوْ سِيرَ عَلَيْهِ ذَاتُ يَوْمٍ بَرَفَعَ النَّاءُ ،
فَإِذَا يُدْعَى يَسُوعُ لَهُ أَنْ يَقُولَ : لُغَةُ خُثْعَمَ ، وَأَمَّا الْبَيْتُ الَّذِي تَقْدُمُ فَالْشَّاهِدُ لَهُ فِيهِ ،
وَمَا أَظُنُّ خُثْعَمَ ، وَلَا أَحَدًا مِنَ الْعَرَبِ يَحْزِنُ التَّمَكُّنَ فِي نَحْوِ هَذَا ، وَإِخْرَاجَهُ عَنْ
النَّصَبِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لِلتَّبَرُّةِ :

فصل : وفيه : وَلَا خَيْرَ مِمَّنْ خَصَّهُ اللَّهُ بِالْحُبِّ .

وهو مشكل جداً لأن لا في باب التبرئة لا تنصب مثل هذا إلا
مُتَوَاتِرًا تقول : لَا خَيْرًا مِنْ زَيْدٍ فِي الدَّارِ ، وَلَا شَرًّا مِنْ فُلَانٍ ، وَإِنَّمَا
تَنْصَبُ بِغَيْرِ تَنْوِينٍ إِذَا كَانَ الْاسْمُ غَيْرَ مُوصُولٍ بِمَا بَعْدَهُ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى :
(لَا تَثْرِيْبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ) يُوسُفُ : ٩٢ . لِأَنَّ عَلَيْكُمْ لَيْسَ مِنْ صَلَةٍ :

التثريب ، لأنه في موضع الخبر ، وأشبهه ما يقال في بيت أبي طالب أن خيرا مخفف ، من خَيْرِ كَهَيْنَ وَمَيَّتَ [من هَيْنَ وَمَيَّتَ] وفي التنزيل : ﴿ خَيْرَاتُ حِسَانٍ ﴾ الرحمن : ٧٠ هو مخفف من خَيْرَات .

عود إلى شرح شعر أبي طالب :

وقوله : مَيَّن . من ، متعلقة بمحذوف ، كأنه قال : لا خَيْرَ أخيرِ مِّنْ خَصَمِهِ الله ، وخَيْرَ وأخَيْرُ : لفظان من جنس واحد ، فحُسن الحذف استغناء لتكرار اللفظ ، كما حَسُنَ : ﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ ﴾ البقرة : ١٧٧ . و﴿ الْحُجَّ أَشْهَرُ مَعْلُومَاتٍ ﴾ البقرة : ١٩٧ لما في تكرار الكلمة مرتين من النقل على اللسان ، وأغرب من هذا قول الله تعالى : ﴿ وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ ﴾ يونس : ١١ أى : لو عجله لهم إذا استعجلوا به استعجالاً مثل استعجالهم بالخير ، فحسن هذا الكلام لما في الكلام من ثقل التكرار ، وإذا حذفوا حرفاً واحداً لهذه العلة كقولهم : بَلَّحَرْتُ^(١) بنو فلان ، وظَلَّتْ وأحشت فأحرى أن يحذفوا كلمة من حروف ، فهذا أصل مُطَرِّدٌ ، ويجوز فيه وجه آخر ، وهو أن يكون حذف التنوين مراعاة لأصل الكلمة ؛ لأن خَيْرًا من زيد إنما معناه : أخير من زيد ، وكذلك : شَرٌّ من فلان ، إنما أصله : أَشَرُّ على وزن أفعل ،

(١) في الأصل بياض بعد كلمة بلحرت ، ولكن في اللسان : و وقولهم : بلحرت لبنى الحرت بن كعب بن شواذ الإدغام ، لأن النون واللام قريباً المخرج ، فلما لم يمكنهم الإدغام بسكون اللام حذفوا النون . كما قالوا : مست ، وظلت . بفتح الميم والطاء وسكون السين واللام ، كذلك يفعلون بكل قبيلة تظهر فيها لام المعرفة ، مثل بلعنبر ، وبلهجم ، فأما إذا لم تظهر اللام ، فلا يكون ذلك ، عادة حرت .

وحذفت الهمزة تخفيفاً ، وأُفعل لا ينصرف ، فإذا انحذفت الهمزة انصرف ونُونٌ ،
فإذا توهمتها غير ساقطةٍ التفاتنا إلى أصل الكلمة ، لم يبعد حذف التنوين على
هذا الوجه مع ما يقويه من ضرورة الشعر .

وقوله : بِالْقَسَاسِيَّةِ الشُّهْبِ ، يعنى : السيوف ، نسبها إلى قَسَاسٍ ، وهو
معدن حديد لبنى أسد ، وقيل اسم للجبل الذى فيه المعدن : قال الراجز
يصف فأساً :

أحضر من معدنٍ ذى قَسَاسٍ كأنه فى الخَيْدِ ذى الأضراس

يُرْمى به فى البلد الدَّهَاسِ^(١)

وقال أبو عبيد فى الْقَسَاسِيَّةِ : لا أدرى إلى أى شىء نُسِبَ ، والذى
ذكرناه قاله المَبَرِّدُ ، وقوله : ذى قَسَاسٍ كما حكى ، ذو زيد ، أى : صاحب هذا
الاسم ، وفى أقيال خَيْرٍ : ذو كَلَّاعٍ ، وذو عَمْرُو ، أضيف المسمى إلى اسمه ،
كما قالوا : زيد بَطَّةٌ ، أضافوه إلى لقبه^(٢)

(١) فى معجم ابن فارس : قَسَاسٌ ، بلد تنسب إليه السيوف القساسية ،
وفى المراسد : جبل لبنى نَمِيرٍ ، وقيل لبنى أسد ، وبالأصا دجبل لهم أيضاً فيه معدن
حديد تنسب السيوف القساسية إليه ، ويقال : إن قَسَاسٌ معدن الحديد بأرمينية ،
والدهاس : المكان السهل .

(٢) الأسماء المفردة تضاف إلى ألقابها ، وحينئذ تكون الألقاب معارف ،
وتتعرف بها الأسماء ، كما قيل : قيس فقة . وزيد بطة وسعيد كرز . ويجوز بفتح تاء فقة
وبطة وزاى كرز . مادة قطن فى اللسان ، وانظر أيضاً مادة بططو كرز . وذو الكلاع
الأكبر : يزيد بن النعمان . والاصغر : سميفع بن ناكور من نسل الأكبر .

وذكر فيه النسور الطخمة ، قيل : هي السود الروس ، قاله صاحب العين ،
وقال أيضاً : الطخمة سواد في مقدم الأنف .

وقوله : كراغية السَّقْبِ يريد ولد الناقة التي عقرها قُدار^(١) ، فرغا ولداً ،
فصاح بُرغائه كُلُّ شَيْءٍ له صوت ، فهلكت ثمود عند ذلك ، فضربت العرب
ذلك مثلاً في كل هلكة . كما قال علقمة [بن عبدة] :

رغا فوقهم سَقْبُ السماء فدا حصن بِشَكَّتِهِ لم يُسْتَلَبْ وسليبُ
وقال آخر :

(١) اسمه في القاموس : قدار بن سالف ، ويقال هو الذي عقر ناقة صالح ،
وهو أحيمر ثمود . وروى أحمد بسنده في مسنده عن عبد الله بن زمعة قال : خطب
رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فذكر الناقة ، وذكر الذي عقرها ، فقال :
إذ اتبعك أشقاها ، اتبعك لها رجل عارم عزيز منيع في رده طه مثل أبي زمعة .
ورواه البخاري ومسلم والترمذي والفسائي وابن جرير .

وبشؤم قدار ضرب المثل يقول الشاعر :

وكان أضرفيم من سبيل إذا وافي وأشأم من قدار
ويقال : قدار بن قديرة باسم أمه ، انظر الأمثال للميداني ، مثل رقم ٢٠٢١ -
وسمى اللآلى ص ٨٤٥ ، وفي معلقة زهير عن الحرب :

فتنتج لكم غلمان أشأم كلهم كأحر عاد ، ثم ترضع فتظم
وأحر عاد هو قدار . والسقب : ولد الناقة عامة ، أو ساحة يولد ،
أو خاص بالذكر ، وفي ابن هشام ورد نسب أبي البخري : ابن هشام بن الحارث
بن أسد ، فمسوبته من نسب قريش . ابن هاشم بن الحارث بن أسد بن عبد العزى .

أَعْمَرِي لَقَدْ لَاقَتْ سُلَيْمًا وَعَامِرًا
عَلَى جَانِبِ الثَّرَازِ رَاغِيَةَ الْبَيْكِرِ^(١)
ذَكَرَ أُمَّ جَمِيلَ وَالْمَسَدَ وَعَنْدَابَهَا:

فصل : وذكر أم جميل بنت حرب عمة معاوية ، وذكر أنها كانت تحمل الشوك ، وتطرّحه في طريق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأنزل الله فيها : ﴿وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْخَطْبِ﴾ قال المؤلف : فلما كُنِّي عن ذلك الشوك بالخطب ، والخطبُ لا يكون إلا في حبل ، مِنْ ثَمَّ جعل الحبل في عنقها ، ليقابل الجزاء الفعل .

وقوله : من مَسَد ، هو من مَسَدَتِ الحبل إذا أَحَكَمَتْ قَتْلَهُ ، إلا أنه قال : من مَسَدٍ ، ولم يقل : حبلٌ مَسْدٌ ولا تَمْسُدُ لمعنى لطيف ، ذكره بعض أهل التفسير ، قال : المسد يعبر به في العرف عن حبل الدلو ، وقد روى أنه يُصنع بها في النار ما يُصنع بالدلو ، تُرْفَعُ بالمسد في عنقها إلى شَفِيرِ جَهَنَّمَ ، ثم يُرمى بها إلى قعرها هكذا أبداً ، وقولهم : إن المسد هو حبل الدلو في العرف صحيحٌ فإنما لم نجد في كلام العرب إلا كذلك ، كقول [النابغة] الذُّبْيَانِي .

لَهُ صَرِيفٌ صَرِيفُ الْقَعْوِ بِالْمَسَدِ^(٢)

- (١) الثَّرَاز : هو في بَرِيَّةِ نَجْدٍ ، وادٍ عَظِيمٌ بِالْجَزِيرَةِ .
(٢) البيت من شواهد سيبويه في الكتاب . والشاهد فيه نصب صريف ، الأخرى على المصدر المشبه به ، والعامل فيه فعل مضمر دل عليه قوله : ولهُ صَرِيفٌ ، فكأنه قال : بازها يصرف صريفاً مثل صريف القعو ، ورفعها على البدل جائز .
وصف للناقة بالقوة والنشاط ، فيقول : كأنما قَذَفْتُ بِاللَّحْمِ قَذْفَ التَّرَاكِمِ عَلَيْهَا .

وقال الآخر وهو يستقي على إبله :

يَا مَسَدَ الْخُلُوصِ تَعَوِّذْ مِنِّي إِنَّ تَكَ لَدُنَّا كَيْفًا فَإِنِّي
مَا شِئْتُ مِنْ أَشْمَطَ مُقْسَتِينَ (١)

== والنحوض : اللحم ، ودخيسه : ما تداخل منه وتراكب ، والبازل : سن تخرج عند بزلها ، وذلك العام التاسع من سنها ، وعند ذلك تكمل قوتها . ويقال لها : بازل : والصريف : صوت أنيابها إذا حكّت بعضها ببعض نشاطا أو لإعياء ، والقعو : ما تدور فيه البكرة إذا كان من خشب ، وجمعها قعي ، فإذا كان من حديد ، فهو خطاف ص ١٧٨ > ١ الكتاب لسيبويه ويدت علامة ص ١٧٣ أمالي .

(١) أنشدده اللسان في مادق مسد ، وقسن . وفي الأصل الحوض ، مكسين والتصويب من اللسان ، ومعجم ابن فارس الذي أنشد الاخيرتين في مادة قسن والمقسن : الصلب من الرجال . ويكون كبير السن ، والأشبط من خالط سواد شعره بياض . وبعد هذه :

تقمص كفاه بجبل الشن مثل قاص الاحرد المستن

يقول : تعوذ مني ، فإنني أستقي بك كثيراً ، فنقطع إن تك لدنا ، أي : ناعما مثنيا ، فإنني مقسن . وهو الكهل الشديد الذي لم تنقص السنون منه شيئا ، ويروي : إن تك شبا ، أي : شابا . وتقمص : ترتفع كفاه بالجبل إذا جذبه . والاحرد : البعير الذي يرفع يديه في سيره ، ثم يخطبهما الأرض ، والمستن الذي يمشي على وجهه ، وأراد بالشن : الدلو ص ٨٩ تهذيب لإصلاح المنطق لأبي زكريا يحيى بن علي بن الخطاب التبريزي المتوفى سنة ٥٦٢ هـ . ط أولى وفي اللسان أيضاً :

المقسين : الشيخ القديم وكذلك البعير ، فاذا اشتقوا منها فعلا على مثل افعال بتشديد اللام همزوا فقالوا : افسان . وقيل المقسن الذي قد انتهى في سنه ، فليس به ضعف كبير . ولا قوة شباب وقيل : هو الذي في آخر شبابه وأول كبره ، واقسان الشيء اشتد

وقال آخر :

يَا رَبَّ عَبَسَ لَا تُبَارِكْ فِي أَحَدٍ فِي قَائِمٍ مِنْهُمْ ، وَلَا فِي مَنْ قَعَدَ
غَيْرِ الْأُولَى شَدُّوا بِأَطْرَافِ الْمَسَدِ

أى : استقوا ، وقال آخر ، وهو يستقى :

وَمَسَدٍ أَمَرَ مِنْ أَيْانٍ لَيْسَ بِأَنْيَابٍ وَلَا حَقَائِقٍ (١)

يريد : جمع أَيْنُقْ ، وأَيْنُقْ : جمع نافقة مقلوب ، وأصله : أَنْوَقْ ، فقلب ، وأبدلت
الواو ياء ؛ لأنها قد أبدلت ياء للكسرة ، إذا قالوا : نِيَاقْ ، وقلوبه فرارا من
اجتماع همزتين لو قالوا : أَنْوَقْ عَلَى الْأَصْلِ ، يريد أن المسد من جلودها . وفي
الحديث أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال في المدينة : قد حرمتها إلا
لُصْفُورٍ قَتَبٍ (٢) ، أو مَسَدٍ مَحَالَةٍ ، وَالْمَحَالَةُ : الْبَكْرَةُ . وفي حديث آخر :

(١) قبلهما .

إن سرك الإرواء غير سابق فاعمل بغرب مثل غرب طارق
أو فاعجل ، ويروى : غير سائق . وأمر : قتل . والرجز لعمارة
ابن طارق - أو عمار ، أو لعقبة الهجيمي ، والأنياب : جمع ناب ، وهي
النافقة الهرمة ، والحقائق جمع : حقة وهي التي دخلت في السنة الرابعة ، يريد : هو
جلد ثنية أو رباعية ، أو سديس أو بازل .

(٢) القتب : جميع أداة السانية أو الساقية ، القتب : بفتح القاف والتاء
أو بكسر القاف وسكون التاء ، والصنفور : الحشيش الذي يشد به
رءوس الأفتاب .

أنه حرمها بريدًا في بريد إلا المِنْجَدَةَ أو مسد ، والمِنْجَدَةُ : عصا الراعى .
وقال أبو حنيفة في النبات : كلُّ مَسَدٍ رِشَاءٌ ، وأنشد :

وَبِكْرَةٌ وَمَحْوَرًا صَرَّارًا وَمَسَدًا مِنْ أَبْقٍ مُفَارًا
وَالْأَبْقُ : الْقَنْبُ ، وَالزُّبُرُ : السَّكَّانُ ، وأنشد أيضًا :
أَنْزَعُهَا تَمْطِيًا وَمَثًا بِالْمَسَدِ الْمَمْلُوثِ أَوْ يَرْمِثَا

فقد بان لك بهذا أن المَسَدَ حبل البئر ، وقد جاء في صفة جهنم - أعاذنا الله منها - أنها كَطَلَى البئر لها قَرْنَانِ ، والقَرْنَانِ من البئر : كالدَّعَامَتَيْنِ لِلْبَكْرَةِ ، فقد بان لك بهذا كله ، ما ذكره أهل التفسير من صفة عذابها أعاذنا الله من عذابه وأليم عقابه ، وبهذا تناسب الكلام ، وكثرت معانيه ، وتنزه عن أن يكون فيه حشو أو لغو - تعالى الله منزله ؛ فإنه كتاب عزيز .

وقول مجاهد : إنها السِّلْسِلَةُ التي ذَرَعَهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا لَا يَنْفِي مَا تَقْدَمُ ،
إذ يجوز أن يَرَبِّقَ^(١) في تلك السِّلْسِلَةِ أُمَّ جَمِيلٍ وغيرها ، فقد قال أبو الدرداء
لامرأته : يَا أُمَّ الدَّرَادِ إِنَّ لِلَّهِ سِلْسِلَةً تَغْلِي بِهَا مَرَاجِلُ جَهَنَّمَ مِنْذُ خَلَقَ اللَّهُ النَّارَ
إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وقد نجاك الله من نصفها بالإيمان بالله ، فاجتهدى في النجاة
من النصف الآخر بالحض على طعام المساكين ، وكذلك قول مجاهد : إنها

(١) يربقه : يجعل رأسه في الرَبْقَةِ ، وهي العروة في حبل يشد به البهم ،
وفى الأصل : يربق ولم أهتد إلى ضبط البيت السابق

كانت تمشى بالنائم لا ينفى حياها للشوك^(١) ، وهو في كلام العرب سائغ أيضا ،
فقد قال ابن الأست اقرش حين اختلفوا :

وُنُبِئْتُكُمْ شَرْجَيْنِ^(٢) كل قبيلة لها زُمْل من بين مُدْك وحاطب

فالمُدْك الذى يذكى نازر العداوة ، والحاطب الذى يَنْمُ ويغرى كالخيط
للنار ، ومن هذا المعنى ، وكأنه مُنْتَزَع منه قول النبي - صلى الله عليه وسلم :
« لا يدخل الجنة قَتَاتٌ »^(٣) والقَتَات هو الذى يجمع القَتَّ ، وهو ما يوقد به النار
من حشيش وحطب صفار .

عن الجيد والعنق :

وقوله : فى جيـدها ، ولم يقل : فى عنقها ، والمعروف أن يُذكر العنق
إذا ذُكر الغُل ، أو الصَّفْع ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِى أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا ﴾
يس : ٨ ويذكر الجيد إذا ذُكر الحُلِيُّ أو الحسن ، فإنما حَسُنْ هُنا ذكر الجيد
فى حُكم البلاغة ؛ لأنها امرأة ، والنساء تحلى أجيادهن ، وأم جميل لاحِلِيَّ لها
فى الآخرة إلا الحبل الجمول فى عنقها ، فلما أُفيم لها ذلك مقام الحلى ذكر
الجيد معه ، فتأمله ؛ فإنه معنى لطيف ، ألا ترى إلى قول الأعشى :

يَوْمَ تُبْدَى لَنَا قَتِيْلَةٌ عَنِ جِيْدٍ

(١) فى الأصل : الشرك

(٢) الشرح : الضرب ، يقال : هما شرج واحد أى : ضرب واحد

(٣) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى ، والقَتَات هو الزام ، وقيل
هو الذى يتسمع على القوم ، وهم لا يعلمون ، ثم ينم .

ولم يقل : عن عنق ، وقول الآخر :
وأحسن من عقد المليحة جيدها

ولم يقل : عنقها ، ولو قاله لكان غثا من الكلام ، فإنما يحسن ذكر
الجيد حيث قلنا ، وينظر إلى هذا المعنى قوله تعالى : ﴿ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾
آل عمران : ٢١ أى لا بُشْرِ لهم إلا ذلك ، وقول الشاعر [عمرو بن مقدي كَرَب] :
[وَخَيْلٍ قَدْ دَلَفَتْ لَهَا خَيْلٍ] تَحِيَّةٌ بَيْنَهُمْ رَبُّ وَجِيعُ

أى : لاتحية لهم . كذلك قوله : فى جيدها حبل من مسد ، أى : ليس
ثمَّ جيدٌ يُحَلَّى ، إنما هو حبل المسد ، وانظر كيف قال : وامراته ، ولم يقل :
وزوجه ؛ لأنها ليست بزوجه فى الآخرة ، ولأن التزويج حلية شرعية ، وهو
من أمر الدين مجردا من هذه الصفة ، كما جرد منها امرأة نوح وامرأة لوط ، فلم يقل :
زوج نوح ، وقد قال لآدم : ﴿ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْبَقَرَةَ ﴾ : ٣٥ وقال لنبيه
عليه السلام : (قل لأزواجك) ، وقال : (وأزواجه أمهاتهم) ، إلا أن يكون
مساق الكلام فى ذكر الولادة والحمل ، ونحو ذلك ، فيكون حينئذ لفظ المرأة
لائقا بذلك الموطن ، كقوله تعالى : ﴿ وَكَانَتْ امْرَأَتِي عَاقِرًا ﴾ مريم : ٨٥ ،
﴿ فَأَقْبَلَتْ امْرَأَتَهُ فِي صَرَّةٍ ﴾ الذاريات : ٢٩ لأن الصفة التى هى الأنوثة هى
المقتضية للحمل والوضع لا من حيث كانت زوجا .

غلو فى الوصف بالحق

فصل : وأنشد شاهدا على الجيد قول الأعشى :

يَوْمَ تُبْدَى لَنَا قُتَيْلَةٌ عَنْ جَيْدٍ أُسِيلٍ تَزِينُهُ الْأَطْوَاقُ

وقوله : تزينه أى : تزیده حسنا ، وهذا من القصد فى الكلام ، وقد أبى

المُولَدُونَ إِلَّا الْغُلُو فِي هَذَا الْمَعْنَى ، وَأَنْ يَغْلِبُوهُ فَقَالَ فِي الْحَاسَةِ حَسِينُ بْنُ
مُطَيْرٍ [الْأَسَدِيُّ] :

مُبَلَّلَةُ الْأَطْرَافِ زَانَتْ عَقُودَهَا بِأَحْسَنَ مِمَّا زَيْنَتْهَا عَقُودُهَا
وَقَالَ خَالِدُ الْقَسْرِيِّ لِعَمْرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ : مَنْ تَكُنْ الْخِلَافَةُ زَيْنَتَهُ ،
فَأَنْتَ زَيْنَتُهَا ، وَمَنْ تَكُنْ شَرَفَتُهُ ، فَأَنْتَ شَرَفُهَا ، وَأَنْتَ كَمَا قَالَ [مَالِكٌ]
ابْنُ أَسْمَاءَ :

وَتَزِيدُنِي أَطْيَبَ الطَّيِّبِ طَيِّبًا إِنْ تَمَسَّيْهِ ، أَيْنَ مِثْلِكَ أَيْنَا
وَإِذَا الدُّرُزَانُ حُسْنُ وَجْهِهِ كَانَ لِلدُّرِّ حُسْنُ وَجْهِكَ زَيْنَانَا
فَقَالَ عُمَرُ : إِنْ صَاحِبَكُمْ أُعْطِيَ مَقُولًا ، وَلَمْ يُعْطَ مَقُولًا ، قَالَ الْمَوْلُفُ : وَإِنَّمَا
لَمْ يَحْسُنْ هَذَا مِنْ خَالِدٍ لِمَا قَصَدَ بِهِ التَّمْلِقَ ، وَإِلَّا فَقَدْ صَدَرَ مِثْلُ هَذَا الْمَعْنَى عَنْ
الصَّدِّيقِ ، فَحُسْنُ لِمَا عَصَدَهُ مِنَ التَّحْقِيقِ وَالتَّحَرُّيِّ لِلْحَقِّ ، وَابْتَعَدَ عَنِ الْمَلَقِ
وَالْخِلَابَةِ ، وَذَلِكَ حِينَ عَاهَدَ إِلَى عُمَرَ بِالْخِلَافَةِ ، وَدَفَعَ إِلَيْهِ عَهْدَهُ مَخْتُومًا ، وَهُوَ
لَا يَعْرِفُ مَا فِيهِ ، فَلَمَّا عَرَفَ مَا فِيهِ رَجَعَ إِلَيْهِ حَزِينًا كَهَيْئَةِ التَّسْكِلِ : يَقُولُ : حَمَلْتَنِي
عَبْنًا إِلَّا أَضْطَلَعُ بِهِ ، وَأُورِدْتَنِي مُورِدًا لَا أُدْرِي : كَيْفَ الصَّدَرُ عَنْهُ ، فَقَالَ لَهُ
الصَّدِّيقُ : مَا آثَرْتِكَ بِهَا ، وَلَكِنِّي آثَرْتُهَا بِكَ ، وَمَا قَصَدْتَ مَسَاءَتِكَ ،
وَلَكِن رَجَوْتُ إِدْخَالَ السُّرُورِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ بِكَ ، وَمِنْ هُنَا أَخَذَ الْخَطِيئَةَ قَوْلُهُ :
مَا آثَرُوكَ بِهَا إِذْ قَدَّمُوكَ لَهَا لَكِن لَأَنْفُسَهُمْ كَانَتْ بِهَا الْإِثْرُ^(١)

(١) أَنَشَدَهُ اللَّسَانُ وَقَالَ : وَكَأَنَّ الْإِثْرَ : جَمْعُ الْإِثْرَةِ ، وَهِيَ الْإِثْرَةُ .
وَفِي الْأَغَانِي فِي أَخْبَارِ الْخَطِيئَةِ : أَنَّ الْخَطِيئَةَ أَنَشَدَ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ الَّتِي مِنْهَا هَذَا الْبَيْتُ
حِينَ شَفَعَ فِيهِ عُمَرُ بْنُ الْعَاصِ ، فَأَخْرَجَهُ عُمَرُ مِنْ مَحْبَسِهِ وَمِنْهَا :
مَاذَا تَقُولُ لِأَفْرَاحِ بَذَى مَرَحٍ زَغَبُ الْخَوَاصِلِ لَأَمَاءٍ وَلَا شَجَرٍ

وقَدْ سَبَّكَ هَذَا الْمَعْنَى فِي النَّسِيبِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ الرَّومِيُّ ، فَقَالَ :
وَأَحْسَنُ مِنْ عِقْدِ الْمَلِيحَةِ جِيدُهَا وَأَحْسَنُ مِنْ سِرِّهَا أَلْمَتَجَرَّدُ
وَمَا هُوَ دُونَ الْغَلْوِ ، وَفَوْقَ التَّقْصِيرِ قَوْلُ الرَّضِيِّ :

حَلْيُهُ جِيدُهُ ، لَا مَا يُقَلَّدُهُ وَكُحْلُهُ مَا بَعَيْنِيهِ مِنَ الْكَحَلِ
وَنَحْوِ مَنْهُ مَا أَنْشَدَهُ النَّعَالِيُّ :

وَمَا الْخُلَى إِلَّا حِيلَةٌ مِنْ تَقْيِصَةٍ يُتَمَّمُ مِنْ حُسْنٍ إِذَا الْحَسَنُ قَصُرَا
فَأَمَّا إِذَا كَانَ الْجَمَالُ مَوْفِرَا فَحُسْبُكَ لَمْ يَحْتَاجَ إِلَى أَنْ يُزَوَّرَا

وَسَمِعْتُ الْقَاضِي أَبَا بَكْرٍ مُحَمَّدَ بْنَ الْعَرَبِيِّ يَقُولُ : حَجَّ أَبُو الْفَضْلِ الْجَوْهَرِيُّ
الزَّاهِدَ ذَاتَ مَرَّةٍ ، فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَى السَّكْمَةِ ، وَرَأَى مَا عَلَيْهَا مِنَ الدِّيْبَاجِ
تَمَثَّلَ ، وَقَالَ :

مَا عُلِّقَ الْخُلَى عَلَى صَدْرِهَا إِلَّا لِمَا يُخْشَى مِنَ الْعَيْنِ
تَقُولُ وَالذُّرُّ عَلَى نَحْرِهَا : مَنْ عَاقَ الشَّيْنِ عَلَى الزَّيْنِ
وَبَيْتُ الْأَعْشَى الْمَتَقَدِّمِ بَعْدَهُ :

== وَقَبْلَ آيَةِ الَّذِي رَوَاهُ السَّهْبِيُّ :

أَنْتَ الْإِمَامُ الَّذِي مِنْ بَعْدِ صَاحِبِهِ أَلْفَى إِلَيْكَ مَقَالِيدَ النَّهْيِ الْبَشَرِ
وَرَوَابِئِهِ فِي الْإِغَاثِ : كَانَتْ بِكَ الْإِثْرُ ، وَهِيَ أَدْنَى . وَلِلْبَيْتِ رَوَايَةٌ أُخْرَى
مَا آتَرُوكَ بِهَا إِذْ قَدَمُوكَ لَهَا لَكِنْ بِهَا اسْتَأْثَرُوا إِذْ كَانَتْ الْإِثْرُ

وَشَتَّيْتُ كَالْأَفْحُوانِ جَلَاهُ الظَّلُّ فِيهِ عُذُوبَةٌ وَاتِّسَاقُ
وَأَثِيثُ جَنْثِ النَّبَاتِ رُؤْيُ كُؤُبٍ غَرِيْرَةٍ مُفْتَقُ
رُؤَّةٍ طَفَلَةٌ الْأَنَامِلِ كَالْدُمِّ يَمِيَّةٍ لَاعَانِسٌ وَلَا مِهْزَاقُ

الفهر :

وذكر قول أم جميل لأبي بكر : لو وجدت صاحبك لشدخت رأسه بهذا
الفهر . المعروف في الفهر : التأنيث ، وتصغيره فُهيْرة ، ووقع ههنا مذكرا (١) .

(١) في المعجم الوسيط أنه يذكر ويؤنث ، وهو — كما في القاموس —
الحجر قدر ما يندق به الجوز ، أو ما يملأ الكف ، ويرى الخشنى في شرح السيرة أنه
يذكر ويؤنث ، واسم امرأة أبي لهب : أروى . ويقول المصعب في نسب قرش أن
أبا لهب كان يكنى بأسماء بنيه كلهم وهم عتبة ومعتب وعُتَيْبَة ، وكنى بأبي لهب
لإشراق وجهه ، وكل أولاده من أم جميل التي يقول فيها الأحوص الشاعر
الأنصاري :

كل الحبال حبال الناس من شعر وحبلها وسط أهل النار من مسد
وقال ابن كثير : « وكانت عوناً لزوجها على كفره وجحوده وغناده : فلهذا
تكون يوم القيامة عوناً عليه في عذابه في نار جهنم » . وعن مجاهد وعكرمة والحسن
وقتادة والثوري والسدي - واختاره ابن جرير - أنها كانت تمشي بالانميمة ، وقال
سعيد بن المسيب : كانت لها قلادة فاخرة . فقالت : لانفقته في عداوة محمد —
يعنى ، فأعقبا الله منها حبلا في جيدها من مسد النار ، وقيل : لأنها كانت عوراء
وقد روى حديث مجيئها إلى رسول الله وأبي بكر وعدم رؤيتها للنبي « ص » ،
البرار بسنده عن ابن عباس ، وروى قريبا منه ابن أبي حاتم بسنده عن أسماء .
وقد تحقق ما أخبر به الله . فلم يؤمن أبو لهب وامراته . وأبيات شعرها : مذمما
الخ ، مروة في كتب أخرى مختلفة الترتيب عما هنا وأخرج ابن أبي حاتم عن عثمان
وابن عمر قالوا : مازلنا نسمع أن ويل لكل همزة نزلت في أبي بن خلف ،
وأخرج عن السدي أنها نزلت في الأخنس بن شريق ، وأخرج ابن جرير عن =

مول قولهم : مذمم ومديث خباب :

وذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم : « ألا ترون إلى ما يدفع الله عني من أذى قريش ، يشتمون ويهجون مَذَمَّمًا وأنا محمد ؟ ! » ، وأدخل النسوي هذا الحديث في كتاب الطلاق في باب : « من طلق بكلام لا يشبه الطلاق ، فإنه غير لازم » وهو فقه حسن لقول النبي - صلى الله عليه وسلم : ألا ترون إلى ما يدفع الله عني ، فجعل أذاهم مصروفا عنه ، لما سَبُّوا مَذَمَّمًا ، ومَذَمَّمًا لا يشبه أن يكون اسماله ، فكذلك إذا قال لها : كلّي واشربني ، وأراد به الطلاق لم يلزمه . وكان مصروفا عنه ؛ لأن مثل هذا الكلام لا يشبه أن يكون عبارة عن الطلاق .

فصل : وذكر حديث خَبَّاب^(١) مع العاصي بن وائل ، وما أنزل الله فيه من قوله : ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا ﴾ وقد تقدم الكلام على : أَرَأَيْتَ ، وأنه لا يجوز أن يليها الاستفهام ، كما يلي : علمت ونحوها ، وهي ههنا : عاملة في الذي كفر ، وقد قدمنا من القول فيها ما يغني عن إعادته ههنا ، فليُنظر في سورة : اقرأ ، وحديث نزولها .

سر الذرائع :

فصل : وذكر قول أبي جهل لتكفّن عن سب آل هِشْمٍ أو لَنَسْبِئِنْ إلهك ، فأنزل الله تعالى^(٢) ﴿ وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْبُوا اللَّهَ ﴾

= رجل من أهل الرقة أنها نزلت في جميل بن عامر الجمحي ، وقد روى ابن المنذر عن ابن إسحاق أنها في حق أمية كما في السيرة .

(١) حديث خباب أخرجه الشيخان والترمذي وأحمد .

(٢) نسب إلى علي بن أبي طالب أنه روى عن ابن عباس أن الذي اقترف =

عَدُّوا بِغَيْرِ عِلْمٍ» «الأنعام : ١٠٨» الآية . وهذا الآية أصل عند المالكية في إثبات الذرائع ومراعاتها في البيوع وكثير من الأحكام ، وذلك أن سب آلهتهم كان من الدين ، فلما كان سبها إلى سبهم الباري - سبحانه - نهى عن سب آلهتهم ، فكذلك ، يخاف منه الذريعة إلى الربا ، ينبغى الزجر عنه ، ومن الذرائع ما يقرب من الحرام ، ومنها ما يبعد فتقع الرخصة والتشديد على حسب ذلك ، ولم يجعل الشافعي الذريعة إلى الحرام أصلاً ، ولا كره شيئاً من البيوع انتهى تُتَقَيُّ فيها الذريعة إلى الربا ، وقال : تهمة المسلم وسوء الظن به حرام ، ومن حجبتهم : قول عمر بن الخطاب : إنما الربا على من قصد الربا ، وقول النبي عليه السلام : « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى »^(١) فيه أيضاً متعلق لهم ، وقالوا : ونهيه تعالى عن سب آلهتهم ، لئلا يسب الله تعالى ليس من هذا الباب ؛ لأنه لا تهمة فيه مؤمن ولا تضيق عليه ، وكما تُتَقَيُّ الذريعة

== هذا إنما هم جماعة من المشركين لا أبو جهل وحده . وذكر عبد الرزاق أن المسلمين هم الذين كانوا يسبون أصنام الكفار . فيسب الكفار الله عدوا . والآية تفيد ذلك

(١) زعم البعض أن هذا الحديث متواتر . وهذا خطأ إذ لم يروه عن النبي . ص ، إلا عمر . ولم يروه عن عمر إلا علقمة ، ولم يروه عن علقمة إلا محمد ابن إبراهيم . ولم يروه عنه إلا يحيى بن سعيد الأنصاري ، وعنه أنشور . فقليل رواه عنه أكثر من مائتي راو . وقيل : سبعمائة . من أعيانهم : مالك والثوري والأوزاعي والليث بن سعد وغيرهم . وقد روى هذا الحديث البخاري وسلمه الزهري والفسائي وابن ماجه وأحمد والدارقطني وابن حبان والبيهقي ، ولم يخرجهم مالك في الموطأ . ولكن ابن منده يزعم أن أكثر من صحابي رواه غير أنه اتفق على أنه لا يصح مسنداً إلا من رواية عمر .

إلى تحليل ما حرم الله ، فكذلك ينبغي أن يُتقى تحريم ما أحل الله ، فكلما الطرفين ذميم ، وأحل الله البيع وحرم الربا ، والربا معلوم ، فما ليس من الربا فهو من البيع ، والكلام في هذه المسألة للطائفتين ، والاحتجاج للفريقين يتسع مجالُه ويصدنا عن مقصودنا من الكتاب^(١).

(١) فصل الإمام ابن تيمية القول تفصيلا في هذه المسألة في كتابه القيم « إقامة الدليل على إبطال التحليل » المطبوع مع مجموعة فتاويه فقال : « إن الله سبحانه ورسوله سد الذرائع المفضية إلى المحارم بأن حرمها ، ونهى عنها .

والذريعة : ما كان وسيلة وطريقا إلى الشيء ، لكن صارت في عرف الفقهاء عبارة عما أفضت إلى فعل محرم ، ولو تجردت عن ذلك الإفضاء لم يكن فيها مفسدة ؛ ولهذا قيل : الذريعة : الفعل الذي ظاهره أنه مباح ، وهو وسيلة إلى فعل المحرم ، أما إذا أفضت إلى فساد ليس هو فعلا كإفضاء شرب الخمر إلى السكر ، وإفضاء الزنا إلى اختلاط المياه . أو كان الشيء نفسه فسادا كالقتل والظلم فهذا ليس من هذا الباب ، فإننا نعلم أنما حرمت الأشياء لكونها في نفسها فسادا بحيث تكون ضررا لا منفعة فيه ، أو لكونها مفضية إلى فساد بحيث تكون هي في نفسها فيها منفعة ، وهي مفضية إلى ضرر أكثر منه ، فتحرم فإن كان ذلك الفساد فعل محظور سميت : ذريعة ، وإلا سميت سببا ومقتضيا ، ونحو ذلك من الأسماء المشهورة .

ثم هذه الذرائع إذا كانت تفضي إلى المحرم غالبا ، فإنه يحرمها مطلقا ، وكذلك إن كانت قد تفضي ، وقد لا تفضي ، لكن الطبع متفاض لإفضائها ، وأما إن كانت إنما تفضي أحيانا ، فإن لم يكن فيها مصلحة راجحة على هذا الإفضاء القليل ، وإلّا حرمها أيضاً ، ثم هذه الذرائع منها ما يفضي إلى المكروه بدون قصد فاعلها ، ومنها ما تكون إباحتها مفضية للتوصل بها إلى المحارم ، فهذا القسم الثاني يجامع الحيل بحيث قد يقترن به الاحتيال تارة ، وقد لا يقترن . كأن =

عن النضر بن الحارث ورسم :

فصل : حديث النضر بن الحارث ، وقال في نسبه : كَلْدَة بن علقمة وغيره من النُّسَاب يقول : علقمة بن كَلْدَة^(١) ، وكذلك ألفتته في حاشية كتاب الشيخ
 = الحيل قد تكون بالذرائع ، وقد تكون بأسباب مباحة في الاصل ليست ذرائع ،
 فعاترت الانعام ثلاثة :

الاول : ما هو ذريعة . وهو بما يحتمل به كالجمع بين البيع والسلف ،
 وكاشتراء البائع السلعة من مشتريها بأقل من الثمن تارة ، وبأكثر أخرى .
 الثاني : ما هو ذريعة لا يحتمل بها كسب الاوثان . فانه ذريعة إلى سب الله
 تعالى ، وكذلك سب الرجل والد غيره . فانه ذريعة إلى أن يسب والده ، وإن كان
 هذان لا يقصدهما مؤمن .

الثالث : ما يحتمل به من المباحات في الاصل كبيع النصاب في أثناء الحول
 فراراً من الزكاة ، وكإغلاء الثمن لإسقاط الشفعة .

والغرض هنا أن الذرائع حرمها الشارع ، وإن لم يقصد بها المحرم خشية
 لإفضائها إلى المحرم ، فاذا قصد بالشئ نفس المحرم كان أولى بالتحريم من الذرائع .
 وللشريعة أسرار في سد الفساد ، وحسم مادة الشر لعلم الشارع بما جعلت عليه
 النفوس ، وبما يخفى على الناس من خفى هداها الذي لا يزال يسرى فيها حتى
 يقودها إلى الهلكة . فن تحذلق عل الشارع ، وانتهقد في بعض المحرمات أنه إنما
 حرم لعله كذا ، وتلك العلة مقصودة . فاستباحه بهذا التأويل ، فهو ظلم لنفسه .
 جهول بأمر ربه ، وهو إن نجا من السكر ، لم ينج غالباً من بدعة أو فسق
 أو قلة فقه في الدين ، وعدم بصيرة . أما شواهد هذه القاعدة فأكثر من أن تحصر ،
 فذكر منها ما حضر ، ثم أتى الإمام بثلاثين شاهداً أو دليلاً على هذا استغرقت
 ست صفحات . فانظرها في كتابه ص ٢٥٦ وما بعدها ح ٢ الفتاوى الكبرى لآبي
 العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحارثي نشر دار
 الكتب الحديثة .

(١) ورد نسبه هكذا في نسخة ريش في ص ٢٥٥ .

أبى بحر عن أبى الوائد ، وحديث النضر : أنه تعلم أخبار رستم واسبندياذ ، وكان يقول : اكتبتها كما اكتبها محمد ، ووقع فى الأصل : اكتبها كما اكتبها محمد ، وفى الرواية الأخرى عن أبى الوليد : اكتبها^(١) كما اكتبها ، ورسم الشيد^(٢) بالفارسية معناه : ذو الضياء ، والياء فى الشيد والألف سواء ، ومنه « أرغشاذ » وقد تقدم شرحه ، ومنه « جم شاذ » ، وهو من أول ملوك « الأرض » ، وهو الذى قتله الضحاك « بيوراسب » ، ثم عاش إلى مدة « أفريزون وأبيه جم » ، وبين « أفريزون » وبين « جم » تسعة آباء ، وقال له حين قتله : ما قتلتك بجم ، وما أنت له بكفاء ، واسكن قتلتك بثور كان فى داره ، وقد تقدم طرف من أخبار رستم واسبندياذ فى الجزء قبل هذا .

حديث ابن الزبعرى وعزير :

وذكر حديث ابن الزبعرى ، وقوله : إنا نعبد الملائكة ، وأن النصرانى تعبد المسيح إلى آخر كلامه ، وما أنزل الله فى ذلك من قوله تعالى : ﴿ إِن الَّذِينَ سَبَّحْتَ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ ﴾ الآية قال المؤلف : ولو تأمل ابن الزبعرى وغيره من كفار قريش الآية لرأى اعتراضه غير لازم من وجهين :

(١) فى السيرة التى معى : رواية أبى الوليد .

(٢) فى السيرة : الشديد . هذا ويذكر ابن جرير أن النبى « ص » قتل عقبة بن أبى معيط ، وطعمة بن عدى والنضر بن الحارث يوم بدر صبرا ، وأن المقداد هو الذى أسر النضر ، فلما أمر الرسول بقتله ، قال المقداد : يا رسول الله أسيرى ، فقال رسول الله « ص » ، إنه كان يقول فى كتاب الله ما يقول . هذا والمحض : ماتحرك به النار ، واحتضاً النار : ألهمها وسعمرها .

أحدهما : أنه خطاب متوجه على الخصوص لقريش وعبداء الأصنام ، وقوله
إنا نعبد الملائكة حَيِّدَةً ، وإنما وقع الكلام والمُحَاجَّة في اللَّاتِ والعُزَّى
وهَبَل ، وغير ذلك من أصنامهم .

والثاني : أن لفظ التلاوة : ﴿إِنكُمْ وَمَاتَعْبُدُونَ﴾ ولم يقل : وَمَنْ تعبدون ،
فكيف يلزم اعتراضه بالمسيح وعُزَيْر والملائكة وهم يعقلون ، والأصنامُ
لا تعقل ، ومن ثَمَّ جاءت الآية بلفظ : ما الواقعة على مالا يعقل ، وإنما تقع ما
على ما يعقل ، وتُعلم بقرينة من التعظيم والإيهام ، ولعلنا نشرحها ونبينها فيما بعد إن
قُدر لنا ذلك ، وسبب عبادة النصارى للمسيح معروف ، وأما عبادة اليهود
عُزَيْرًا ، وقولهم فيه : إنه ابن الله سبحانه وتعالى عن قولهم ، وسببه فيما ذكر
عبد بن حميد الكشِّي ، أن التوراة لما اخترقت أيام بُحْتِ نَصَّر^(١) ، وذهب
بذهابها دين اليهود ، فلما تاب إليهم أمرهم وجدوا لفقدائها أعظم الكرب ،
فبينما عزيز يبكي لفقد التوراة ، إذ مر بامرأة جاثمة على قبر قد نشرت شعرها ،
فقال لها عزيز : من أنت ؟ قالت : أنا إيليا أم القرى أبكى على ولدى ، وأنت
تبكى على كتابك ، وقالت له : إذا كان غداً ، فأت هذا المكان ، فلما أن جاء
من الغد للساعة التي وعدته ، إذا هو بإنسان خارج من الأرض في يده كهيئة

(١) ضبط كتاب أدب الكتاب لابن قتيبة بخت نصر فتح الباء وضم التاء .
والمعروف المشهور ما ضبطه به ، يقول شهاب الدين أحمد الخفاجي في شفاء الغليل
عن بخت نصر إنه بضم الباء ، واسمه معرب مركب كحضر موت أو بعليك نص
عليه سيبويه . وهو عند ابن السيد معرب بوخت بمعنى : ابن ، ونصر : اسم صنم
وجد عنده ، وسمى به إذ لم يعرف له أب .

القارورة ، فيها نور ، فقال له : افتح فاك ، فألقاها في جوفه ، فسكتب عَزِيزُ التوراة - كما أنزلها الله ، ثم قدر على التوراة بعد ما كانت دفنت أن ظهرت ، فعرضت التوراة ، وما كان عَزِيزُ كَتَب ، فوجدوه سواء ، فمنها قالوا : إنه ولدُ الله تعالى عن ذلك^(١).

مصب جهنم :

وقوله حَصْبُ جهنم ، هو من باب الْقَبْضِ وَالنَّفْضِ^(٢) وَالْحَصْبُ يسكون الصاد كالقَبْضِ وَالنَّفْضِ ، ومنه الحاصب في قوله سبحانه : ﴿ أَنْ يَرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ﴾ ويروى : حَصْبُ جهنم بضاد معجمة في شواذ القراءات ، وهو من حضبت النار^(٣) بمنزلة حَصَاتُهَا ، يقال : أَرَّثْتَهَا وَأَثَقَبْتُهَا وَحَشَشْتُهَا وَأَذْكِمْتُهَا وفسر ابن إسحق قوله : يَصْدُونَ ، ومن قرأ : يَصْدُونَ فمعناه : يعجبون^(٤).

(١) لا شك في أنها فرية يهودية . فعزرا السكاكن اليهودى الأكبر هو الذى عبث بالتوراة أيام الأسر ، ودس فيها مادم بعد أن أحرقت ، وراح هو يملئها من حفظه وهواه . وذلك بشهادة كبار مؤرخى الغرب مثل د . ول . ديورانت ، (٢) يعنى أنه فعل د . بفتح الفاء والعين ، بمعنى مفعول ، فالنفض بمعنى منفوض وحصب وقبض كذاك . يقول الأزهري : د . الحصب : الخطب الذى يلقى في تنور أو في وقرد . أما مادام غير مستعمل للسجور ، فلا يسمى حصباً

(٣) في اللسان : الحضب : الخطب في لغة الين ، وقيل : هو كل ما ألقى في النار من حطب وغيره ، يهيجها به ، وحضب النار يحضبها : رفعها ، وقال الكسائي : حضبت النار إذا خبت ، فألقيت عليها الخطب ، لتقد ، والمحضب : المسمر ، وهو عود تحرك به النار .

(٤) قراءة المصحف بكسر الصاد أى يصيحون فرحاً . وقرأ نافع وابن عامر والكسائي بضم الصاد وهو من الصدود أى عن الحق ، وقيل : هما لغتان مثل يعكف ويعكف بكسر عين الفعل وضما ، وقد أخرج حديث ابن الزبيرى =

ما نزل في الأنفس :

فصل : وذكر ما أنزل الله تعالى في الأنفس بن شريك - واسمه : أبي من قوله تعالى : ﴿ عُلِّقَ بِعَدْلِكَ زَنِيمٌ ﴾ وقد قيل : نزلت في الوليد بن المغيرة ، وقد قيل : في الأسود بن عبد يغوث الزهري ، وقال ابن عباس : نزلت في رجل من قريش له زَمَتَانِ كَزَمَتَي الشاة . رواه البخاري بإسناده عنه ^(١) . وفي رواية أخرى أنه قال : الزنيم الذي زَمَتَانِ من الشر يعرف بها ، كما تعرف الشاة بزمتها ، وروى عن ابن عباس أيضا مثل ما قال ابن إسحق أن الزنيم المملوق بالقوم ، وليس منهم ، قال ذلك بن الأزرق الحروري ، وقال : أما سمعت قول

== ابن مردويه . وعند ابن أبي حاتم أنها نزلت لما قال المشركون : فاملائكم وعزير عيسى يعبدون ، وروى الإمام أحمد بسنده عن ابن عباس في سبب نزول : « ولما ضرب ابن مريم مثلاً ، أنه قال أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا معشر قريش إنه ليس أحد يعبد من دون الله فيه خير ، وقد علمت قريش أن النصراني تعبد عيسى بن مريم : عليهما الصلاة والسلام . وما تقول في محمد - صلى الله عليه وسلم - فقالوا : يا محمد . ألسنت تزعم أن عيسى عليه الصلاة والسلام كان نبيا وعبدا من عباد الله صالحا ، فإن كنت صادقا كان آلهتهم كما يقولون قال : فأنزل الله عز وجل : « ولما ضرب ابن مريم مثلاً ، الآية . ورواه ابن أبي حاتم مع اختلاف يسير . » (٦) رواه البخاري في باب التفسير : « له زمة مثل الشاة ، وأخرجه الحاكم بطريق أخرى نحوه

(٧) نسبة إلى حروراء موضع على ميلين من الكوفة . وكان أول اجتماع الخوارج به ، فنسبوا إليه ، منهم : عمران بن حطان وخلق كثير . وهذا النسب شاذ فإن الاسم الذي آخره همزة بعد ألف للتأنيك ، تقلب الهمزة فيه واوا ، وشذ عن القاعدة عدة أسماء منها : صنعاني وبهراني وروحاني ، وجلولي وحروري نسبة إلى صنعاء ، وبهراء قبيلة من قضاة ، وروحاء موضع قرب المدينة وجلولاء وحروراء وهما موضعان بالعراق ، وسيأتي

حَسَّان : زَنِيمٌ تَدَاعَاهُ الرِّجَالُ ^(١) الْبَيْتَ ، وَقَدْ أُنْشِدَ ابْنُ هِشَامٍ هَذَا الْبَيْتَ مُسْتَشْهِدًا بِهِ وَنَسَبَهُ لِلْخَطِيمِ الْقَمِيمِيِّ ، وَالْأَعْرَفُ أَنَّهُ لِحَسَّانَ ، كَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ^(٢) ، وَأَمَّا الْعُقْلُ فَهُوَ الْغَالِيزُ الْجَانِي مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ ﴾ [إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ] الدُّخَانُ : ٤٧ . وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « أَنَا أَنْبِئُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ : كُلُّ عُقْلٍ جَوَّازٍ مُسْتَكْبِرٍ جَمَاعٍ مَنَاعٍ » ^(٣) .

(١) قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : الزَّيْمُ الْمَمْلُوقُ فِي الْقَوْمِ لَيْسَ مِنْهُمْ ، قَالَ الشَّاعِرُ : زَنِيمٌ لَيْسَ يَعْرِفُ مِنْ أَبَوِهِ . وَقَالَ حَسَّانُ : وَأَنْتَ زَنِيمٌ لِيَطُ فِي آلِ هَاشِمٍ . قَالَ : وَيُقَالُ لِلتَّيْسِ : زَنِيمٌ لَهُ زَنْمَتَانِ ص ٥٣٨ ح ٨ فَتَحَ الْبَارِي . وَمَعْنَى حَدِيثِ الْبُخَارِيِّ أَنَّ الرَّجُلَ كَانَ مَشْهُورًا بِالسُّوءِ كَشَهْرَةِ الشَّاةِ ذَاتِ الزَّيْمَةِ مِنْ بَيْنِ أَخْوَانِهَا . وَبَقِيَّةُ بَيْتِ حَسَّانَ : « كَمَا نَبِطُ خَلْفَ الرَّائِبِ الْقَدَحِ الْفَرْدِ » وَبَقِيَّةُ بَيْتِ : « زَنِيمٌ لَيْسَ يَعْرِفُ » بَغْيُ الْإِمَامِ ذُو حُسْبٍ لَتِيمٍ .

(٢) رَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ بِسَنَدِهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ زَنِيمٌ : قَالَ : الدَّعَى الْفَاحِشُ اللَّتِيمُ ، ثُمَّ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : « زَنِيمٌ تَدَاعَاهُ الرِّجَالُ » الْبَيْتُ . وَيَقُولُ ابْنُ كَثِيرٍ قَوْلًا جَامِعًا ، « وَالْأَقْوَالُ فِي هَذَا — أَيْ فِي مَعْنَى زَنِيمٍ — كَثِيرَةٌ وَتَرْجِعُ إِلَى مَا قُلْنَاهُ ، وَهُوَ أَنَّ الزَّيْمَ هُوَ الْمَشْهُورُ بِالشَّرِّ الَّذِي يَعْرِفُ بِهِ مِنْ بَيْنِ النَّاسِ ، وَغَالِبًا يَكُونُ دَعِيًّا وَلِدْزَنًا ، فَإِنَّهُ فِي الْغَالِبِ يَتَسَلَّطُ الشَّيْطَانُ عَلَيْهِ ، مَا لَا يَتَسَلَّطُ عَلَى غَيْرِهِ ، وَالزَّيْمَةُ شَيْءٌ يَكُونُ لِلدَّعَى فِي آذَانِهَا كَالْقِرْطِ ، وَهِيَ أَيْضًا شَيْءٌ يَقْطَعُ مِنْ أُذُنِ الْعَبْرِ وَيَتْرَكَ مَعْلَقًا .

(٣) فِي رِوَايَةِ أَحْمَدَ عَنْ وَكِيعٍ : « أَلَا أَنْبِئُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ ؟ كُلُّ عُقْلٍ جَوَّازٍ مُسْتَكْبِرٍ ، وَقَالَ وَكِيعٌ : « كُلُّ جَوَّازٍ جَعْظَرِي مُسْتَكْبِرٍ ، أَخْرَجَاهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ وَبَقِيَّةُ الْجَمَاعَةِ إِلَّا أَبَا دَاوُدَ مِنْ حَدِيثِ سَفْيَانَ الثَّوْرِيِّ وَشُعْبَةَ ، كِلَاهُمَا عَنْ سَعِيدِ ابْنِ خَالِدٍ بِهِ ، وَرَوَاهُ أَحْمَدُ بِسَنَدٍ تَفَرَّدَ بِهِ عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَنَّ النَّبِيَّ « ص » قَالَ عِنْدَ ذِكْرِ أَهْلِ النَّارِ : « كُلُّ جَعْظَرِي جَوَّازٍ مُسْتَكْبِرٍ جَمَاعٍ مَنَاعٍ » وَرَوَاهُ بِسَنَدٍ (٢ - ٢١ الرُّوسُ الْأَنْفُ ج ٣)

قل بأمرها الظافرون:

فصل : وذكر قولهم الذي أنزل الله فيه : ﴿ قل : يأيها الكافرون ﴾ إلى آخرها فقال : ﴿ لا أعبد ما تعبدون ﴾ أى : فى الحال : ﴿ ولا أنا عابد ما عبدتم ﴾ أى : فى المستقبل ، وكذلك : ﴿ ولا أنتم عابدون ما أعبد ﴾ فإن قيل : كيف يقول لهم : ولا أنتم عابدون ما أعبد ، وهم قد قالوا : هلم فلنعبد ربك ، وتعبد ربنا ، كيف نفى عنهم ما أرادوا وعزموا عليه ؟ فالجواب من وجهين :

آخر عن عبد الرحمن بن غنم : أن الرسول ص ، قال عن العنل الزنيم : « الشديد الخلق المصحح الأكل الشروب الواجد للطعام والشراب ، الظلوم للناس رحيب الجوف ، الجعظرى بفتح الجيم وسكون العين وفتح الظاء وكسر الراء وتشديد الياء : الفظ الغليظ والجواظ بفتح الجيم وتشديد الواو : الضخم المختال والكثير الكلام والجلبة فى الشر .

ويقول ابن كثير عما ذكر من سبب نزول : « ويوم بعض الظالم على يديه » : « وسواء أكان سبب نزولها فى عقبة أو غيره فإنها عامة فى كل ظالم ، فكل ظالم يندم يوم القيامة غاية الندم ، وبعض على يديه ، وهو قول جميل ، وقيل : إن العظيمين فيما جاء فى السيرة من سبب نزول : « لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ، لإنهما الوليد بن المغيرة وكنانة بن عبد عمرو بن عمير الثقفى . وعن ابن عباس أنهم يعنون جبارا من جبابرة قريش . والقريتان هما : مكة والطائف . وجميل قول ابن كثير : « والظاهر أن مرادهم رجل كبير من أى البلدتين كان ، وجميل منه أيضا أن يقول عن سبب نزول : « وضرب لنا مثلا ونسى خلقه » ، « هى عامة فى كل من أنكر البعث واللام والالاف فى الإنسان للجنس يعم كل منكر للبعث ، فقد اختلف فى شأن سبب نزولها فابن أبى حاتم ينسب القصة إلى العاصى بن وائل ، وذكر ابن جرير من بين ما ذكر أنه عبد الله ابن أبى ، غير أن هذا منكر ؛ لأن ابن أبى مدنى والآية مكية

أحدهما : أنه علم أنهم لا يفعلون ، فأخبر بما علم . الثاني : أنهم لو عبدوه على الوجه الذي قالوه ما كانت عبادة ، ولا يسمى عابداً لله من عبده سنة ، وعبد غيره أخرى ، فإن قيل : كيف قال : ﴿ ولا أنتم عابدون ما أعبد ﴾ ولم يقل : من أعبد ، وقد قال أهل العربية : إن ما تقع على ما لا يعقل ، فكيف عُبِّدَ به عن الباري تعالى ؟ فالجواب : أننا قد ذكرنا فيما قبل أن ما قد تقع على من يعقل بقرينة ، فهذا أو ان ذكرها ، وتلك القرينة : الإبهام والمبالغة في التعظيم والتفخيم ، وهي في معنى الإبهام ^(١) لأن مَنْ جَلَّتْ عظمته ، حتى خرجت عن الحصر ، وعجزت الأفهام عن كنهه ذاته ، وجب أن يقال فيه : هو ما هو كقول القرب : سُبْحَانَ مَا سَبَّح الرعدُ بحمده ، ومنه قوله : ﴿ والسماء وما بناها ﴾ ^(٢) فليس كونه علما مما يوجب له من التعظيم ما يوجب له أنه بنى السموات ، ودحا الأرض ، فكان المعنى : إن

(١) ما : اسم مبهم غاية الإبهام حتى لأنها تقع على كل شيء ، وتقع على ما ليس بشيء . فيجوز أن تقول : إن الله يعلم ما كان ، وما لم يكن

(٢) ويقول ابن القيم عن هذا : لأن القسم تعظيم للمقسم به ، واستحقاقه للتعظيم من حيث ما أظهر هذا الخلق العظيم الذي هو السماء . ومن حيث سواها وزنها بحكمتها ، فاستحقق التعظيم . وثبت قدرته ، فلو قال : ومن بناها لم يكن في اللفظ دليل على استحقاقه القسم من حيث اقتدر على بنائها ، ولسكان المعنى مقصورا على ذاته ونفسه ، دون الإيحاء إلى أفعاله الدالة على عظمته المبيته عن حكته ، المنصحة باستحقاقه للتعظيم من خلقيته . وكذلك قولهم : سبحان ما يسبح الرعد بحمده ؛ لأن الرعد صوت عظيم من جرم عظيم ، والمسبح به لا محالة أعظم ، فاستحقاقه للتسبيح من حيث يستحقه العظيومات من خلقه ، لا من حيث كان يعلم ، ولا تقل يعقل في هذا الموضع .

شيئاً بناها أعظم ، أو ما أعظمه من شيء ! فلفظ ما في هذا الموضع يؤذن بالتعجب من عظمته كائننا ما كان هذا الفاعل لهذا ، فما أعظمه ، وكذلك قوله تعالى في قصة آدم : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِي ﴾ ^(١) ولم يقل : لمن خلقت ، وهو يعقل ، لأن السجود لم يجب له من حيث كان يعقل ، ولا من حيث كان لا يعقل ، ولكن من حيث أمروا بالسجود له ، فكائننا ما كان ذلك المخلوق ، فقد وجب عليهم ما أمروا به ، فمن هاهنا حُسنَت ما في هذا الموضع ، لا من جهة التعظيم له ، ولكن من جهة ما يقتضيه الأمر من السجود له ، فكائننا من كان ، وأما قوله تعالى : ﴿ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ فواقعة على ما لا يعقل ؛ لأنهم كانوا

(١) ويقول ابن القيم عن استعمال ما في الآية : وهذا كلام ورد في معرض التوبيخ والتبكيك للذين على امتناعه عن السجود ، ولم يستحق هذا التبكيك والتوبيخ حيث كان السجود لمن يعقل ، ولكن للمعصية والتكبر على ما لم يخلقه ؛ إذ لا ينبغي التكبر للمخلوق على مثله ، إنما التكبر للخالق وحده ، فكأنه يقول سبحانه : لم عصيتني وتكبرت على ما لم تخلقه ، وخلقتك أنا . وشرفته ، وأمرتك بالسجود له ؟ فهذا موضع ما ؛ لأن معناها أبلغ ولفظها أعم ، وهو في الحجة أوقع ، والمعذر والشبهة أقطع ، فلو قال : ما منعك أن تسجد لمن خلقت ، لكان استهزاء بجرده من توبيخ وتبكيك ، ولتوهم أنه وجب السجود لله من حيث كان يعقل . والملة موجودة في ذاته وعينه ، وليس المراد كذلك ، وإنما المراد توبيخه وتبكيكه على ترك سجوده لما خلق الله وأمره بالسجود له ؛ ولهذا عدل عن اسم آدم العلم مع كونه أخمس ، وأتى بالاسم الموسول الدال على جهة التشريف المقتضية لإسجاده له وهو كونه خلقه بيديه ، وأنتلو وضعت مكان ما لفظه من لما رأيت هذا المعنى المذكور في الصلاة ، وأن ما جرى بها وصلة إلى ذكر الصلاة . فلا معنى إذ التبيين بالذكر ؛ إذ لو أريد التبيين لكان بالاسم العلم أولى وأحرى .

يعبدون الأصنام، وقوله: ﴿ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾ اقتضاها الإبهام، وتعظيم المعبود مع أن الحس منهم مانع لهم أن يعبدوا معبوده كأئنا ما كان، فحسنت ما في هذا الموضع لهذه الوجوه، فبهذه القرائن يحسن وقوع ما على أولى العلم^(١) وبقيت نسكتة بدیمة يتعین التنبیه عايتها، وهو قوله تعالى: ﴿ولا أنا عابدٌ ما عبدتم﴾ بلفظ الماضي، ثم قال: ﴿ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾ بلفظ المضارع في الآيتين جميعاً، إذا أخبر عن نفسه قال: ما أعبد، ولم يقل: ما عبدت، والنسكتة في ذلك أن ما لما فيها من الإبهام - وإن كانت خبرية - تعطى معنى الشرط، فكانه

(١) يعبر ابن القيم عن «ما» في قوله: «لا أعبد ما تعبدون، ما على بابها، لأنها رافعة على معبوده «ص»، على الإطلاق؛ لأن امتناعهم من عبادة الله ليس لذاته، بل كانوا يظنون أنهم يعبدون الله، ولكنهم كانوا جاهلين به، فقوله: «ولا أنتم عابدون ما أعبد، أى: لا أنتم تعبدون معبودى، ومعبوده هو «ص» كان عارفاً به دونهم، وهم جاهلون به... وقال بعضهم: إن ما هنا مصدرية لاموصولة. أى: لا تعبدون عبادتى، ويلزم من تنزيههم «لعلها تبرئته بدليل ما سياتى، عن عبادته. تنزيههم «لعلها كالسابقة» عن المعبود، لأن العبادة متعلقة به، وليس هذا بشئ؛ إذ المقصود براءته من معبوديهم وإعلامه أنهم بريئون من معبوده تعالى، فالمقصود: المعبود لا العبادة، ثم قال «وعندى وجه» وهو أن المقصود هنا ذكر المعبود الموصوف بكونه أهلاً للعبادة مستحقاً لها، فأتى بما الدالة على هذا المعنى، كأنه قيل: «ولا أنتم عابدون معبودى الموصوف بأنه المعبود الحق، ولو أتى بلفظة من لكانت إنما تدل على الذات فقط، ويكون ذكر الصلة تمريراً، لا أنه هو جهة العبادة، ففرق بين أن يكون كونه تعالى أهلاً لأن يعبد تعريف محض، أو وصف مقتض لعبادته... وهذا معنى قول محققى النجاة أن ما أتى لصفات من يعلم ص ١٣٣ > بدائع الفوائد لابن القيم وما بعدها. وقد ذكر وجوهاً أخرى عظيمة أيضاً

قال : مهما عبدتم شيئاً ، فإني لا أعبد ، والشرط يحول المستقبل إلى لفظ الماضي ، تقول : إذا قام زيد غداً فعلت كذا ، وإن خرج زيد غداً خرجت ، فما فيها راحة الشرط من أجل إيهامها ؛ فلذلك جاء الفعل بعدها بلفظ الماضي ، ولا يدخل الشرط على فعل الحال ، ولذلك قال في أول السورة : ماتعون ؛ لأنه حال لأن راحة الشرط معدومة فيها مع الحال ، وكذلك راحة الشرط معدومة في قوله : عابدون ما أعبد ؛ لأنه - عليه السلام - يستحيل أن يتحول عن عبادة ربه ؛ لأنه معصوم ، فلم يستقم تقديره بهما ، كما استقام ذلك في حقهم ؛ لأنهم في قبضة الشيطان يقودهم بأهوائهم ؛ فإثر أن يعبدوا اليوم شيئاً ، ويعبدوا غداً غيره ، والكن مهما عبدوا شيئاً ، فالرسول عليه السلام لا يعبد ؛ فلذلك قال : ولا أنتم عابدون ما أعبد في الحال وفي المال ، لما علم من عصمة الله له ، ولما علم الله من ثبته على توحيده ، فلا مدخل لمعنى الشرط في حقه عليه السلام ، وإذا لم يدخل الشرط في الكلام بقي الفعل المستقبل على لفظه ، كما تراه ، ونظير هذه المسألة قوله تعالى : ﴿ كَيْفَ نُنَكِّلُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴾ اضطربوا في إعرابها وتقديرها لما كانت من بمعنى الذي ، وجاء بكان على لفظ الماضي ، وفهمها الزجاج ، فأشار إلى أن مَنْ فيها ظرفٌ من معنى الشرط ؛ ولذلك جاءت كان بلفظ الماضي بعده ، فصار معنى الكلام : من يكن صبياً ، فكيف يكلم ؟! لما أشارت إلى الصبي : أن كلموه ، ولو قالوا : كيف نكلم من هو في المهد الآن لكان الإنكار والتعجب مخصوصاً به ، فلما قالوا : كيف نكلم من كان ، صار الكلام أبلغ في الاحتجاج للعموم الداخل فيه . إلى هذا الغرض أشار أبو إسحاق ، وهو الذي أراد ، وإن لم يكن هذا لفظه ، فليس المقصود العبارات ،

وإنما المقصود تصحيح المعاني المتلقاة من الألفاظ والإشارات^(١).

الزقوم:

فصل : وذكر حديث أبي جهل حين ذكر شجرة الزقوم^(٢) يقال : إن هذه الكلمة لم تكن من لغة قريش، وأن رجلاً أخبره أن أهل يثرب يقولون : **تَزَقَّمْتُ** : إذا أكلت التمر بالزبد ، فجعل يجهله اسم الزقوم من ذلك استهزاء ، وقيل : إن لهذا الاسم أصلاً في لغة اليمن ، وأن الزقوم عندهم كل ما يتقيأ منه . وذكر أبو حنيفة في النبات : أن شجرة باليمن يقال لها : الزقوم ، لا ورق لها ، وفروعها أشبه شيء برءوس الحيات ، فهي كريهة المنظر ، وفي تفسير ابن سلام

(١) أخذ ابن القيم ما قاله السهيلي وفصله بأسلوب أوضح في بدائع الفوائد . ثم قال : **« فإن قيل : وكيف يكون فيها الشرط ، وقد عمل فيها الفعل ، ولا جواب لها ، وهي موصولة ، فما أبعد الشرط منها ، قلنا : لم نقل : إنها شرط نفسها ، ولكن فيها رائحة منه ، وطرف من معناه لوقوعها على غير معين ، وإيهامها في المعبودات وعمومها ، وأنت إذا ذقت معنى هذا الكلام وجدت معنى الشرط بادياً على صفحاته ، فإذا قلت لرجل ما تخالفه في كل ما يفعل : أنا لا أفعل ما تفعل . أنت ترى معنى الشرط قائماً في كلامك وقصدك ، وأن روح هذا الكلام : مهمما فعلت من شيء فإني لا أفعله . »** ثم قال : **« فإذا ثبت هذا فقد صحت الحكمة التي من أجلها جاء الفعل بلفظ الماضي من قوله : ولا أنا عابد ما عبدتم ، بخلاف قوله : (ولا أنتم عابدون ما أعبد)** لبعد ما فيها عن معنى الشرط تنبيهها من الله على عصمة نبيه . أن يكون له معبود سواه . وأن ينتقل في المعبودات تنقل الكافرين ، ص ١٣٦ ج ١ بدائع الفوائد . وقد استوفى القول في بدائع السورة العظيمة بأسلوب بديع رحمه الله

(٢) يقول ابن كثير : لا شك في دخوله — أي دخول أبي جهل — في هذه الآية ، ولكن ليست خاصة به .

والمأوردى أن شجرة الزقوم في الباب السادس من جهنم أعادنا الله منها ، وأن أهل النار ينجذون إليها . قال ابن سلام : وهي تحيا باللهب كما تحيا شجرة الدنيا بالمطر .

وقوله : الملعون في القرآن ، أى : الملعون آكلها^(١) ، وقيل : بل هو وصف لها كما يقال : يوم ملعون أى مشنوم .

حديث ابن أم مكتوم :

فصل : وذكر حديث ابن أم مكتوم ، وذكر اسمه ونسبه ، وأم مكتوم : اسمها : عائكة بنت عبد الله بن عنكثة بن عامر بن مخزوم^(٢) .

وذكر الرجل الذى كان شغل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنه الوليد ابن المغيرة ، وقد قيل : كان أمية بن خلف ، وفي حديث الموطأ : عظيم من

(١) ذكر البخارى وأحمد أنها شجرة الزقوم ، وقد زعم أعداء بنى أمية أن المقصود بالشجرة هم بنو أمية ، وأتوا بحديث قال عنه ابن كثير : وهو غريب ضعيف . وقد ذكر عنها في القرآن ما هو قرن اللعنة : « إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم » . طلعا كأنه رموس الشياطين ، الصافات ٦٤ ، ٦٥ (إن شجرة الزقوم طعام الإثيم كالمهل يغلي في البطون كغلي الحميم) الدخان : ٤٣ — ٤٦ . . حسبنا أنها وصفت بأنها ملعونة لنؤمن بأنها ملعونة ، هي ومن ستكون هي طعامه .

(٢) في نسب قريش عن أم مكتوم : تزوجها قيس بن زائدة بن الأصم ابن هدم بن رواحة بن حجر بن عبد بن معيص بن عامر بن لؤى فولدت له عمرا ، وهو الأعمى الذى ذكر الله تبارك وتعالى ، فقال : « عبس وتولى أن جاءه الأعمى » . وفي الإصابة وجمهرة ابن حزم أنه كان ابن خال خديجة . انظر ص ٣٤٣ نسب قريش . وفي الجمهرة في نسب أمه : عنكثة بن عائذ بن مخزوم ، وفي النسب : « عنكثة بن عامر » انظر ص ١٦٢ جمهرة ابن حزم .

عظاء المشركين^(١) ، ولم يسمه ، وفي قوله سبحانه : ﴿ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ﴾ من الفقه أن لا غيبة في ذكر الإنسان بما ظهر في خلقه من عمى أو عرج ، إلا أن يقصد به الازدراء ، فيلحق المأثم به ؛ لأنه من أفعال الجاهلين ، قال الله تعالى : ﴿ اتَّخَذْنَا هُزُؤًا قَال : أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ البقرة : ٦٧ . وفي ذكره إياه بالعمى من الحكمة والإشارة اللطيفة التنبيه على موضع العتب ؛ لأنه قال : ﴿ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ﴾ فذكر الجيء مع العمى ، وذلك ينبئ عن تجشّم كلفته ومن تجشّم القصد إليك على ضعفه ، فحقك الإقبال عليه ، لا الإعراض عنه . فإذا كان النبي - صلى الله عليه وسلم - مقتوبا على توليه عن الأعمى ، فغيره أحق بالعتب ، مع أنه لم يكن آمن بعد ، ألا تراه يقول : ﴿ وما يذريك لعله يزكي ﴾ . الآية ولو كان قد صحح إيمانه ، وعلم ذلك منه لم يعرض عنه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولو أعرض لكان العتب أشد ، والله أعلم ، وكذلك لم يكن ليخبر عنه ، ويسميه بالاسم المشتق من العمى ، دون الاسم المشتق من الإيمان . والإسلام ، لو كان دخل في الإيمان قبل ذلك والله أعلم ، وإنما دخل فيه بعد نزول الآية ، ويدل على ذلك قوله للنبي - صلى الله عليه وسلم : استدني يا محمد ولم يقل : استدني^(٢) يا رسول الله ، مع أن ظاهر الكلام يدل على أن الهاء في لعله يزكي عائدة على الأعمى ، لا على الكافر ؛ لأنه لم يتقدم له ذكر بعد ، ولعل

(١) وعند أبي يعلى أن الرجل هو أبي بن خلف ، وعنده في رواية أخرى هو وابن جرير : رجل من عظماء المشركين ، وكذا رواه الترمذي ومالك ، وذكر ابن جرير وابن أبي حاتم أنهم : عتبة بن ربيعة وأبو جهل والعباس بن عبد المطلب .
(٢) في ابن جرير والترمذي ومالك : أرشدني كما ذكر ابن كثير ، ولم يذكر =

العائدون من أرض الحبشة

قال ابن إسحاق : وبلغ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذين خرجوا إلى أرض الحبشة ، إسلام أهل مكة ، فأقبلوا لما بلغهم من ذلك ، حتى إذا دنوا من مكة ، بلغهم أن ما كانوا يتحدثوا به من إسلام أهل مكة كان باطلا ، فلم يدخل منهم أحد إلا بجوارٍ أو مستخفيا

فكان ممن قدم عليه مكة منهم ، فأقام بها حتى هاجر إلى المدينة ، فشهد معه بدرًا ، ومن حبس عنه ، حتى فاته بدرٌ وغيره ، ومن مات بمكة . منهم من بنى عبد شمس بن عبد مناف بن قصى : عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس ، معه امرأته : رُقِيَّة بنت رسول الله - صلى الله عليه وسلم . وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، امرأته سُهَيْلَة بنت سُهَيْل .

ومن حلفائهم : عبد الله بن جَحْش بن رِثَاب .

ومن بنى نوفل بن عبد مناف : عُمَيرة بن غَزْوَان ، حليف لهم ، من قَيْس عِيلَان .

تعطى التَّزَكَّى والانتظار ، وأو كان إيمانه قد تقدم قبل هذا لخرج عن حد التَّزَكَّى والانتظار للتَّزَكَّى ، والله أعلم .

== بعدما شيئاً . وفي رواية لابن جرير وابن أبي حاتم ، أن عبد الله جاء يستقرئ الرسول - ص ، آية من القرآن ، ويقول : رسول الله علني بما عليك الله . وقول السهيلي : أظهر ، فالقرآن يفيد أنه جاء في خشية يريد أن يزكي

ومن بنى أسد بن عبد العزى بن قصى : الزبير بن العوام بن خويلد .
ابن أسد .

ومن بنى عبد الدار بن قصى : مُصْعَب بن عُمر بن هاشم بن عبد مناف
وسُوَيْب بن سعد بن حرملة .

ومن بنى عَبد بن قصى : طَلَيْب بن عُمر بن وهب بن أبي كبير بن عبد .
ومن بنى زُهرة بن كلاب : عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن
عبد بن الحارث بن زُهرة ، والمقداد بن عمرو ، حليف لهم ، وعبد الله بن مسعود ،
حليف لهم .

ومن بنى مخزوم بن يقظة : أبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله
ابن عمرو بن مخزوم ، معه امرأته : أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة ، وشماس
ابن عثمان بن الشريد بن سويد بن هَرَمِي بن عامر بن مخزوم . وسلمة ابن
هشام بن المغيرة ، حبسه عمه بمكة ، فلم يقدم إلا بعد بدر وأحد والخندق ، وعياش ،
ابن أبي ربيعة بن المغيرة هاجر معه إلى المدينة ، ولحق به أخواه لأمه : أبو جهل
ابن هشام ، والحارث بن هشام ، فرجما به إلى مكة ، فحبساه بها حتى مضى بدر
وأحد والخندق .

ومن حلفائهم : عمار بن ياسر ، يُشكّ فيه ، أكان خرج إلى الحبشة
أم لا ؟ ومُعْتَب بن عوف بن عامر من خزاعة .

ومن بنى جُمح بن عمرو بن هُصَيص بن كعب : عثمان بن مَظْعُون بن
حَمِيْب بن وهب بن حُذافة بن جُمح ، وابنه : السائب بن عثمان ، وقُدامة بن
مَظْعُون ، وعبد الله بن مَظْعُون .

ومن بنى سَنَم بن عمرو بن هُصَيص بن كَعْب : خُنَيْس بن حُذَافَة بن قَيْس بن عَدِيٍّ ، وهشام بن العاص بن وائل ، حُبَس بِمَكَة بعد هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم - إلى المدينة ، حتى قدم بعدَ بَدْرٍ وأُحُدٍ والخندق .

ومن بنى عَدِيٍّ بن كَعْب : عامر بن رَبِيعَة ، حليف لهم ، معه امرأته : ليلي بنت أبي حَثْمَة بن حُذَافَة بن غانم .

ومن بنى عامر بن لؤي : عبدُ الله بن تَحْرَمَة بن عبد العُزَيّ بن أبي قَيْس : وعبد الله بن سُهَيْل بن عمرو ، وكان حبس عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم حين هاجر إلى المدينة ، حتى كان يوم بَدْرٍ ، فأنحاز من المشركين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فشهد معه بدرًا ، وأبو سَبْرَة بن أبي رُحَم بن عبد العُزَيّ ، معه امرأته : أم كلثوم بنت سُهَيْل بن عمرو ، والسكران بن عمرو بن عبد شمس ، معه امرأته : سَوْدَة بنت زَمْعَة بن قَيْس ، مات بِمَكَة قبل هجرة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى المدينة ، خلف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على امرأته سَوْدَة بنت زَمْعَة :

ومن حلفائهم سعد بن خَوْلَة .

ومن بنى الحارث بن فِهْر : أبو عُبَيْدَة بن الجراح ، وهو عامر بن عبد الله ابن الجراح ، وعمرو بن الحارث بن زُهَيْر بن أبي شَدَاد ، وسُهَيْل بن بَيْضَاء ، وهو سهيل بن وهب بن رَبِيعَة بن هِلَال ، وعمرو بن أبي سَرَح بن رَبِيعَة ابن هلال « كنيته : أبو سعد كما في الإصابة » .

جميع من قَدِمَ عليه مَكَة من أصحابه من أرض الحبشة ثلاثة وثلاثون

رجلاً، فكان مَنْ دخل منهم بجوارٍ ، فيمن سُمي لنا : عثمانُ بن مَظْعُون بن حبيب الجُمحى ، دخل بجوارٍ من الوليد بن المُغيرة ، وأبو سَلَمَةَ بن عبد الأسد ابن هلال بن عبد الله بن عمر بن نُخْزوم ، دخل بجوارٍ من أبي طالب بن عبد المطلب ، وكان خاله . وأُمُّ أبي سَلَمَةَ : بَرَّة بنت عبد المطلب .

قصة ابن مظعون مع الوليد

قال ابن إسحاق : فأما عثمان بن مَظْعُون ، فإن صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن ابن عوف حدثني عَنْ حَدِّثِهِ عَنْ عثمان ، قال : لما رأى عثمان بن مَظْعُون ما فيه أصحابُ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من البلاء ، وهو يفدو ويروح في أمان من الوليد بن المُغيرة ، قال : والله إن غُدوى ورواحي آمنَّا بجوار رجلٍ من أهل الشرك - وأصحابي ، وأهل ديني يَلْقَوْنَ من البلاء والأذى في الله ما لا يُصِيبُنِي - لنقص كبير في نفسي ، فمشى إلى الوليد بن المُغيرة ، فقال له : يا أبا عبد شمس ، وقتُ ذِمَّتِكَ ، قد رددتَ إليك جوارك ، فقال له : لم يابن أخى ؟ لعله آذَكَ أحدٌ من قومي ، قال : لا ، ولـكني أرضى بجوار الله ، ولا أريد أن أستجيرَ بغيره ؟ قال : فانطلقْ إلى المسجد ، فارددْ على جوارى علانيةً ، كما أجرُكَ لانيَّة . قال : فانطلقا نخرجا حتى أتيا المسجد ، فقال الوليد : هذا عثمان قد جاء يردُّ على جوارى ، قال : صدق ، قد وجدته وفياً كريم الجوار ، ولكني قد أحببتُ أن لا أستجير بغير الله ، فقد رددتُ عليه جواره ،

ثم انصرف عثمان ، و آبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب في مجلس من قريش يُنشدهم ، فجلس معهم عثمان ، فقال آبيد :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل

قال عثمان : صدقت ، قال :

وكل نعيم لا محالة زائل

قال عثمان : كذبت ، نعيم الجنة لا يزول . قال آبيد بن ربيعة : يا معشر قريش ، والله ما كان يؤذى جليئكم ، فتي حدث هذا فيكم ؟ فقال رجل من القوم : إن هذا سفيه في سفهاء معه ، قد فارقوا ديننا ، فلا تجدن في نفسك من قوله ، فردّ عليه عثمان حتى شرى أمرها ، فقام إليه ذلك الرجل ، فلطم عينه ، فحضرها ، والوليد بن المغيرة قريب يرى ما بلغ من عثمان ، فقال : أما والله يا ابن أخي إن كانت عينك عما أصابها الغيبة ، لقد كنت في ذمة منيعة . قال : يقول عثمان : بل والله إن عيني الصحيحة لفقيرة إلى مثل ما أصاب . أختما في الله ، وإني لفي جوار من هو أعزّ منك وأقدر يا أبا عبد شمس ، فقال له الوليد : هلم يا ابن أخي ، إن شئت فمدّ إلى جوارك ، فقال : لا .

أبو سلمة في جوار أبي طالب

قال ابن إسحاق : وأما أبو سلمة بن عبد الأسد ، فحدثني أبي إسحاق ابن يسار ع سلمة بن عبد الله بن عمر بن أبي سلمة أنه حدثه : أن أبا سلمة

لما استجار بأبي طالب ، مشى إليه رجالٌ من بنى نخزوم ، فقالوا : يا أبا طالب ، لقد منعت منّا ابنَ أخيك محمداً ، فمالكَ ولصاحبنا تمنّعه منّا؟ قال : إنه استجار بي ، وهو ابنُ أختي ، وإنّ أنا لم أمنع ابنَ أختي لم أمنع ابنَ أختي ، فقام أبو لهب ، فقال : يامعشر قُريش ، والله لقد أكثرتم على هذا الشيخ ، ما تزالون تتواثبون عليه في جواره من بين قومه ، والله لتنتهين عنه ، أو لنقومنّ معه في كلّ ما قام فيه ، حتى يبلغ ما أراد . قال : فقالوا : بل ننصرف عما تكره . يا أبا عتبة ، وكان لهم وليّاً وناصرّاً على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأتبعوا على ذلك ، فطمع فيه أبو طالب حين سمعه يقول ما يقول ، ورجا أن يقوم معه في شأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال أبو طالب يحرض . أبا لهب على نصرته ونصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم :

وإنّ امرءاً أبو عُتَيْبَةٍ عُمُه لفي رَوْضَةٍ ما إنْ يُسَامُ الْمَظَالِما
أقول له - وأين منه نصيحتي أبا مُعْتَبٍ ثَبَّتْ سَوادَكَ قَائِماً
فلا تقبلنّ الدهرَ ماعشتَ خُطَّةً تُسَبُّ بها ، إمّا هَبَطَتِ التَّواسِما
وَوَلَّ سَبِيلَ الْعَجْزِ غَيْرَكَ مِنْهُمْ فإنّك لم تُخْلَقْ على الْعَجْزِ لَازِماً
وحارب ، فإن الحربَ نُصْفُ وما ترى

أخا الحرب يُعطى الخُلسُ حتى يُسالِما
وكيف ولم يَجْنُوا عَلَيْكَ عَظِيمَةً ولم يَخْذُلوكَ غانِماً ، أو مُغارِماً
جَزَى اللهُ عَنَّا عَبْدَ شَمْسٍ وَنَوْفَلاً وَتَيْمًا وَنَخْزوماً عُقُوقاً وَمَأْثِماً
يَتَفَرِّقُهُمْ مِنْ بَعْدُودٍ وَالْفَلَةِ جَاعَتْنَا ، كَيْما يَنَالُوا المَحَارِما
كَذَبْتُمْ وَبَيْتَ اللهِ نُبْزَى مُحَمَّدًا وَلِما تَرَوْا يوماً لَدَى الشَّعْبِ قَائِماً

قال ابن هشام: نبزى: نساب. قال ابن هشام: وبقي منها بيت تركناه.

أبو بكر يرد جوار ابن الدغنة

قال ابن إسحاق: وقد كان أبو بكر الصديق -رضي الله عنه- كما حدثني: محمد بن مسلم الزهري، عن عروة، عن عائشة رضي الله عنهما، حين ضاقت عليه مكة، وأصابه فيها الأذى، ورأى من تظاهر قريش على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه ما رأى، استأذن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في الهجرة، فأذن له، فخرج أبو بكر مهاجراً، حتى إذا سار من مكة وما أويومين، لقيه ابن الدغنة، أخو بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة، وهو يومئذ سيد الأحابيش.

قال ابن إسحاق: والأحابيش: بنو الحارث بن عبد مناة بن كنانة، والهون ابن خزيمة بن مدركة، وبنو المصطلق من خزاعة.

قال ابن هشام: تحالفوا جميعاً، فسموا الأحابيش للحباف. ويقال: ابن الدغينة.

قال ابن إسحاق: حدثني الزهري، عن عروة، عن عائشة قالت: فقال ابن الدغنة: أين يا أبا بكر؟ قال: أخرجني قومي وآذوني، وضيقوا علي، قال: ولم؟ فوالله إنك لأكبر العشرة، وتعين على النوائب، وتفعل المعروف وتكسب المعدوم، وأنت في جوارى، فرجع معه، حتى إذا دخل مكة، قام ابن الدغنة فقال: يا معشر قريش، إني قد أجرت ابن أبي قحافة،

فلا يعرضنَّ له أحدٌ إلا بخير . قالت : فكفوا عنه .

قالت : وكان لأبي بكر مَسْجِدٌ عند باب داره في بني جُحَح ، فكان يصلي فيه ، وكان رجلاً رقيقاً ، إذا قرأ القرآن استبكى . قالت : فيقف عليه الصبيان والامبيد والنساء ، يعجبون لما يَرَوْنَ من هَيْئته . قالت : فمشی رجالٌ من قريش إلى ابن الدُّغْنَةِ ، فقالوا له : يا ابن الدُّغْنَةِ ، إنك لم تُجر هذا الرجل ، ليوذينا ! إنه رجل إذا صلى ، وقرأ ماجاء به محمدٌ يرق ويبكى ، وكانت له هيئة ونحو ، فنحن نتخوف على صبياننا ونسائنا وضَعَفَتِنا أن يَفْتِنَهُمْ ، فَأَتِه فُمره أن يدخل بيته ، فَلْيَصْنَعْ فيه ما شاء . قالت : فمشی ابن الدُّغْنَةِ إليه ، فقال له : يا أبا بكر ، إني لم أُجرك لتؤذى قومك ، إنهم قد كرهوا مكانك الذي أنت فيه ، وتأذوا بذلك منك ، فادخل بيتك ، فاصنع فيه ما أحببت ، قال : أو أردت عليك جوارك وأرضى بجوار الله ؟ قال : فاردد على جِواري ، قال : قدر دته عليك . قالت : فقام ابن الدُّغْنَةِ ، فقال : يا معشر قريش ، إنَّ ابنَ أبي لحافة قد ردَّ على جِواري ، فشأنكم بصاحبكم .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبدُ الرحمن بن القاسم ، عن أبيه القاسم ابن محمد قال : لَقِيَه سَفِيَه من سُفهاء قريش ، وهو عامد إلى الكعبة ، فحتماً على رأسه تَرَاباً . قال : فَرَّ بأبي بكر الوليد بن المُغيرة ، أو العاص بن وائل . قال : فقال أبو بكر : ألا ترى إلى ما يصنع هذا السفية ؟ قال : أنت فعلت ذلك بنفسك . قال : وهو يقول : أي ربّ ، ما أحلمك ! أي ربّ ، ما أحلمك !

حديث نقض الصحيفة

قال ابن إسحاق : وبنو هاشم ، وبنو المطلب في منزلهم الذي تعاقدت فيه قريش عليهم في الصحيفة التي كتبوها ، ثم إنه قام في نقض تلك الصحيفة التي سكتبت فيها قريش على بني هاشم وبني المطلب نفر من قريش ، ولم يُبَلِّ فيها أحد أحسن من بلاء هشام بن عمرو بن ربيعة بن الحارث بن حبيب بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي ، وذلك أنه كان ابن أخى نضلة ابن هاشم بن عبد مناف لأمه ، فكان هشام لبني هاشم واصلاً ، وكان ذا شرف في قومه فكان - فيما بلغني - يأتي بالبعير ، وبنو هاشم وبنو المطلب في الشعب ليلاً ، قد أوقره طعاماً ، حتى إذا أقبل به فَمَ الشعب ، خلع خطامه من رأسه ، ثم ضرب على جنبه ، فدخل الشعب عليهم ، ثم يأتي به قد أوقره بزاً ، فيفعل به مثل ذلك .

قال ابن إسحاق : ثم إنه مشى إلى زهير بن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم - وكانت أمه : عائكة بنت عبد المطلب - فقال : يا زهير ، أقد رَضِيتَ أن تأكل الطعام ، وتلبس الثياب ، وتنكح النساء ، وأخوالك حيث قد علمت ، لا يباعون ، ولا يبتاع منهم ، ولا ينفكحون ، ولا ينفكح إليهم ؟ أما إني أخلف بالله أن لو كانوا أخوال أبي الحكم بن هشام ، ثم دعوته إلى ما دعاك إليه منهم ، ما أجابك إليه أبداً ، قال : ويحك يا هشام ! فإذا أصنع ؟ إنما أنا رجل واحد ، والله لو كان معي رجل آخر ،

لَقُمْتُ فِي نَقْضِهَا حَتَّى أَنْقَضَهَا ، قَالَ : قَدْ وَجَدْتُ رَجُلًا قَالَ : فَمَنْ هُوَ ؟ قَالَ :
أَنَا ، قَالَ لَهُ زَهِيرٌ : أَبْغِنَا رَجُلًا ثَالِثًا .

فَذَهَبَ إِلَى الْمُطْعِمِ بْنِ عَدَى ، فَقَالَ لَهُ : يَا مُطْعِمُ أَقْدَرَضَيْتَ أَنْ يَهْلِكَ
بَطْنَانِ مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنْفٍ ، وَأَنْتَ شَاهِدٌ عَلَى ذَلِكَ ، مُوَافِقٌ لِقَرِيشٍ فِيهِ !
أَمَا وَاللَّهِ لَئِنْ أُمْسَكْتُمُوهُمْ مِنْ هَذِهِ لَتَجِدُنَّهُمْ إِلَيْهَا مِنْكُمْ سَرَاعًا ، قَالَ : وَيْحَكَ !
فَإِذَا أَصْنَعُ ؟ إِنَّمَا أَنَا رَجُلٌ وَاحِدٌ ، قَالَ : قَدْ وَجَدْتُ ثَانِيًا ، قَالَ : مَنْ هُوَ ؟ قَالَ :
أَنَا ، قَالَ : أَبْغِنَا ثَالِثًا ، قَالَ : قَدْ فَعَلْتُ ، قَالَ : مَنْ هُوَ ؟ قَالَ : زَهِيرُ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ ،
قَالَ : أَبْغِنَا رَابِعًا .

فَذَهَبَ إِلَى أَبِي الْبَخْتَرِيِّ بْنِ هِشَامٍ ، فَقَالَ لَهُ نَحْوًا مِمَّا قَالَ لِمُطْعِمِ بْنِ عَدَى ،
فَقَالَ : وَهَلْ مِنْ أَحَدٍ يَعْينُ عَلَى هَذَا ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : مَنْ هُوَ ؟ قَالَ : زَهِيرُ
ابْنِ أَبِي أُمَيَّةَ ، وَالْمُطْعِمُ بْنُ عَدَى ، وَأَنَا مَعَكُمْ ، قَالَ : أَبْغِنَا خَامِسًا .

فَذَهَبَ إِلَى زَمْعَةَ بْنِ الْأَسْوَدِ بْنِ الْمُطَّلِبِ بْنِ أَسَدٍ ، فَسَكَّمَهُ ، وَذَكَرَ لَهُ
قُرَابَتَهُمْ وَحَقَّهُمْ ، فَقَالَ لَهُ : وَهَلْ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ الَّذِي تَدْعُونِي إِلَيْهِ مِنْ أَحَدٍ ؟
قَالَ : نَعَمْ ، ثُمَّ سَمَى لَهُ الْقَوْمَ .

فَاتَّعَدُوا خَطْمَ الْحُجُوجِ لَيْلًا بِأَعْلَى مَكَّةَ ، فَاجْتَمَعُوا هُنَالِكَ ، فَاجْمَعُوا أَسْرَهُمْ
وَتَمَاقَدُوا عَلَى الْقِيَامِ فِي الصَّحْفَةِ ، حَتَّى يَنْقَضُوا ، وَقَالَ زَهِيرٌ : أَنَا أَبْدُوُكُمْ
فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَتَكَلَّمُ . فَلَمَّا أَصْبَحُوا غَدَوْا إِلَى أُنْدَيْتِهِمْ ، وَغَدَا زُهَيْرُ بْنُ
أَبِي أُمَيَّةَ عَلَيْهِ حُلَّةٌ ، فَطَافَ بِالْبَيْتِ سَبْعًا ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ ، فَقَالَ : يَا أَهْلَ

مكة ، أنا كلُّ الطعام ، و نلبس الثياب ، و بنو هاشم هلكي لا يُباع ولا يُبتاع منهم ، والله لا أقعد حتى تُشقَّ هذه الصحيفةُ القاطعةُ الظَّالمةُ .

قال أبو جهل - وكان في ناحية المسجد : كذبتَ والله لا تُشقَّ ، قال زَمْعَةُ بن الأسود : أنت والله أكذبُ ، ما رَضِينَا كتابها حيثُ كُتِبَتْ ، قال أبو البختري : صدقَ زَمْعَةُ ، لا نرضى ما كُتِبَ فيها ، ولا نُقرُّ به ، قال المطعم بن عديٍّ : صدقتما ، وكذبَ مَنْ قال غيرَ ذلك ، نبرأ إلى الله منها ، ومما كُتِبَ فيها ، قال هشام بن عمرو نحواً من ذلك . فقال أبو جهل : هذا أمر قُضِيَ بليلى ، تُشوُّور فيه بغير هذا المكان ، وأبو طالب جالس في ناحية المسجد ، فقام المُطعم إلى الصحيفة ليشقَّها ، فوجد الأَرْضَةَ قد أكلتها ، إلَّا : « باسمك اللهم » .

وكان كاتب الصحيفة مَنصور بن عِكرمة . فشأت يدهُ فيما يزعمون .

قال ابن هشام : وذكّر بعضُ أهل العلم : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال لأبي طالب : يا عمّ ، إن ربِّي الله قد سلَّط الأَرْضَةَ على صحيفة قريش ، فلم تدعَ فيها اسماً هو الله إلَّا أثبتته فيها ، ونفت منه الظلمَ والقطيعةَ والبُهتانَ فقال : أربُّك أخبرك بهذا ؟ قال : نعم ، قال : فوالله ما يدخل عليك أحدٌ ، ثم خرج إلى قريش ، فقال : يا معشر قريش ، إن ابن أخى أخبرنى بكذا وكذا ، فهلِّمَّ صحيفتكم ، فإن كان كما قال ابن أخى ، فانهضوا عن قطيعتنا ، وانزلوا عما فيها ، وإن يكن كاذباً دفعت إليكم ابن أخى ، فقال القوم : رَضِينَا ، فتماقدوا على ذلك ، ثم نظروا ، فإذا هى كما قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فزادهم

ذلك شراً . فمعد ذلك صنع الرّهط من قُريش في نقض الصحيفة ما صنعوا .

قال ابن إسحاق : فلما مزقت الصحيفة وبطل ما فيها . قال أبو طالب ،
فما كان من أمر أولئك النفر الذين قاموا في نقضها يمدحهم :

ألا هل أتى بحزينا صنّع ربنا	على تأييمهم والله بالناس أروؤ
فيخبرهم أنّ الصحيفة مُزّقت	وأن كل ما لم يرضه الله مُفسد
تراوحها إفاك ، وسجر مُجمّع	ولم يلف سجر آخر الدهر يصعد
تداعى لها من ليس فيها بقرقر	فطائرُها في رأسها يتردد
وكانت كفاء رقة بأئيمة	ليقطع منها ساعد ومقلد
ويظن أهل المكّتين ، فيهرّبوا	فرائضهم من خشية الشرّ ترعد
ويترك حرّاث يقلب أمره	أيتهم فيهم عند ذاك وينجد
وتصعد بين الأخشبين كتيبة	لها حُدج سنهم وقوس ومِرهد
فمن ينش من حصار مكة عزّه	فعرّتنا في بطن مكّة أتلد
نشأنا بها ، والناس فيها قلائل	فلم تنفكك زداد خيراً ونحمد
ونطعم حتى يترك الناس فضلهم	إذا جعلت أيدي المفيضين تُرعد
جزى الله رهطاً بالحبّون تبايعوا	على ملأ يهدي الحزم ويرشد
قعوداً لدى خطم الحجون كأنهم	مقاولة ، بل هم أعرّ وأجد
أعان عليها كل صقر كأنه	إذا ما مشى في رفرف الدرع أحرّد
جرى على جلى الخطوب ، كأنه	شهاب بكفى قابس يتوقّد

من الأكرمين من لؤي بن غالب إذا سيم خسفا وجهه يتردد
طويل النجاد خارج نصف ساقه على وجهه يسقى الغمام ويسعد
عظيم الرماد ، سيد وابن سيد يحض على مقرى الضيوف ، ويحسد
ويبنى لأبناء العشيرة صالحا إذا نحن طفنا فى البلاد ، ويمهد
ألط بهذا الصلح كل مبرأ عظيم اللواء أمره ثم يحمد
قضوا ما قضوا فى ليالهم ، ثم أصبحوا على مهل ، وسائر الناس رقد
ثم رجعوا سهل بن بيضاء راضيا وسر أبو بكر بها ومحمد
متى شرك الأفوام فى جل أمرنا وكنا قديما قبلها نودد
وكنا قديما لا نقر ظلامه ونذكر ماشئا ، ولا نتشدد
فيا لفقى هل لكم فى نفوسكم وهل لكم فيما يحى به غد
فانى وإياكم كما قال قائل لديك البيان لو تكلمت أسود

وقال حسان بن ثابت يبكى المطعم بن عدى حين مات ، ويذكر قيامه
فى نقض الصحيفة :

أبا عين فابكى سيد القوم واسفحى بدمع ، وإن أنزفته فاسكبى الدما
وبكى عظيم المشعرين كليهما على الناس معروفا له ماتكلما
فلو كان مجد يخلد الدهر واحدا من الناس أبى مجده اليوم مطعما
أجرت رسول الله منهم ، فأصبحوا عبيدك ، مالئ مهل وأحرما
فلو سئلت عنه معد بأمرها وقحطان ، أو باقى بقية جرهما

لَقَالُوا : هُوَ الْمَوْفَى بِخُفْرَةِ جَارِهِ وَذَمَّتْهُ يَوْمَا إِذَا مَا تَذَمَّمَا
فَمَا تَطْلُعُ الشَّمْسُ الْمُنِيرَةُ فَوْقَهُمْ عَلَى مِثْلِهِ فِيهِمْ أَعَزَّ وَأَعْظَمَا
وَأَبَى إِذَا يَأْبَى وَالْبَيْنَ شَيْمَةً وَأَنُومَ عَنْ جَارٍ إِذَا اللَّيْلُ أَظْلَمَا

قال ابن هشام : قوله « كليهما » عن غير ابن إسحاق .

قال ابن هشام : وأما قوله : « جرت رسول الله منهم » ، فإن رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما انصرف عن أهل الطائف ، ولم يُجيبوه إلى مادعاهم
إليه ، من تصديقه ونصرته ، صار إلى حرّاء ، ثم بعث إلى الأخنس بن شريق ،
ليُجيره ، فقال : أنا حليفٌ ، والحليف لا يُجير ، فبعث إلى سهيل بن عمرو ،
فقال : إن بني عامر لا يُجير على بني كعب . فبعث إلى المطعم بن عدي ، فأجابه
إلى ذلك ، ثم تسلح المطعم وأهل بيعة ، وخرجوا حتى أتوا المسجد ، ثم بعث إلى
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن ادخل ، فدخل رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
فطاف بالبيت ، وصلى عنده ، ثم انصرف إلى منزله ، فذلك الذي يعنى حسانُ
ابن ثابت .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضا : يمدح هشام بن عمرو لقيامه

في الصحيفة :

هَلْ يُوفِينَ بَنُو أُمِّيَّةٍ ذِمَّةً عَقْدًا كَمَا أُوفِيَ جَوَارُ هِشَامٍ
مِنْ مَمْشَرٍ لَا يَفْدِرُونَ بِجَارِهِمْ لِلْحَارِثِ بْنِ حُبَيْبٍ بَنِ سُهَّامٍ
وَإِذَا بَنُو حِشْلِ أَجَارُوا ذِمَّةً أَوْفَوْا وَأَدَّوْا جَارَهُمْ بِسَلَامٍ

وكان هشام أخا سُحَّام : قال ابن هشام : ويقال : سُحَّام .

فصنة الغرائب وإسلام مكة :

وذكر ما بلغ أهل الحبشة من إسلام أهل مكة ، وكان باطلا ، وسببه .
 أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قرأ سورة النجم ، فألقى الشيطان في
 أُمْنِيَّتِهِ ، أى : في تلاوته عند ذِكْرِ اللَّاتِ وَالْعُزَّى ، وإِنَّهُمْ لَهُمُ الْمُرَاقِعَةُ الْعُلَى ، وإن
 شَفَاعَتَهُمْ أَتْرَعَتْنِي ، فطار ذلك بمكة ، فُسِّرَ المشركون ، وقالوا : قد ذكر آلهمنا
 بخير فسجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في آخرها ، وسجد المشركون
 والمسلمون ، ثم أنزل الله تعالى : ﴿ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ﴾ الآية ، فمن هاهنا
 اتصل بهم في أرض الحبشة أن قريشا قد أسلموا ، ذكره موسى بن عقبة وابن
 إسحاق من غير رواية البُكَائِي ، وأهل الأصول يدفعون هذا الحديث بالحجة ،
 ومن صححه قال فيه أقوالا ، منها : أن الشيطان قال ذلك وأشاعه . والرسول -
 عليه السلام - لم ينطق به ، وهذا جيد لولا أن في حديثهم أن جبريل قال لحمد :
 ما أتيتك بهذا ، ومنها : أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قالها من قبل نفسه ،
 وعنى بها الملائكة : إن شفاعتهم أَتْرَعَتْنِي ^(١) . ومنها : أن النبي - عليه السلام -
 قاله حاكيا عن الكفرة ، وأنهم يقولون ذلك ، فقالها متعجبا من كفرهم .

(١) وهى أيضاً كلمة لا يقولها خاتم النبيين وأعظم المؤمنين ، فإن
 الشفاعة لا ترغى إلا من الله سبحانه ، فهو الذى له وحده الشفاعة : (قل : لله
 الشفاعة جميعا له ملك السموات والأرض) الزمر : ٤٤ (يومئذ لا تنفع الشفاعة
 إلا من أذن له الرحمن) طه : ١٠٩ . والسبيل على إطالته وإطنا به في مواضع
 تستحق الإيجاز لا أدري كيف خطف القول هنا ، وترك القرية تحاول محادثة القلوب .
 فكان المؤلف الكبير لم يرد لها أن تموت

والحديث على ما خيلت غير مقطوع بصحته ، والله أعلم ^(١) .

(١) روى الطبري وابن أبي حاتم وابن المنذر والبخاري وابن مردويه وغيرهم هذه الفرية التي نشتمها أحقاد الزنادقة في صورة حديث منسوب إلى ابن عباس وسعيد بن جبير ، يقول إن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : « يا أيها النجم ، فلما بلغ : أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ألقى الشيطان على لسانه : تلك الغرائق العلى ، وإن شفاعتهن لترتجى ، فقال المشركون : ما ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم ، فسجد وسجدوا ، فنزلت الآية . وذكر القاضي عياض ما يلي : ويروى : ترتضى ، وفي رواية : إن شفاعتها لترتجى ، وإنما لمع الغرائق العلى . وفي أخرى : والغرائقة العلى تلك الشفاعة ترتجى ، ووقع في بعض الروايات أن الشيطان ألقاها على لسانه ، وأن النبي « ص » كان يتمنى أن لو نزل عليه شيء يقارب بينه وبين قومه ، وفي رواية أخرى : ألا ينزل عليه شيء ينفرهم عنه ، وذكر هذه القصة . وأن جبريل — عليه السلام — جاءه ، فعرض عليه السورة ، فلما بلغ السكتين قال له : ما جئتكم بها تين ، فحزن لذلك النبي « ص » ، فأنزل الله تعالى تسلياً له : « وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى » . الآية . وقوله : (ولما كادوا ليفتنونك) وباطل القصة المفتراة أسود قائم . ولكنني غنيت بنقل الرد عليها ؛ لأن هذه الاسماء الآتية ذكرت مع هذه القصة ، ولا شك في أن كثيراً منهم لا يمكن أن تصدق أنه يرويه ، أو يصدق بها مثل ابن عباس رضي الله عنه ، وتدبر هذه الاسماء التي جعلتها أعني بدحض هذه الفرية الملعونة : « سعيد بن جبير ، شعبة ، أمية بن خالد الذي يقال عنه : إنه ثقة مشهور ، وأبو بشر ، ومحمد بن كعب القرظي ، ومحمد بن قيس وابن شهاب الزهري ، والسدى ، وموسى بن عقبة ، وابن إسحاق وعكرمة وسليمان التيمي ، والوفى والبخاري ، من هؤلاء من له ذكر بايمان عظيم ومن له ذكر بما ينال شيئا من صدق إيمانه ، وعفا الله عن رواه دون تعقيب . يهدمها من هؤلاء الذين نسبت إليهم رواية ما لهذه الأكذوبة ، وإليك ما رده القاضي عياض في الشفاء على تلك الفرية النجسة : « هذا حديث لم يخرج أحد من أهل الصحة ، ولا رواه ثقة بسند متصل سليم ، وإنما أولع به وبمثل

وسمى الذين قدموا منهم من أجل ذلك الخبر ، وذكر فيهم طليبا ، وقال

المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب المتلففون من الصحف كل صحيح
موسم ، وصدق القاضي بكر بن العلاء المالكي حيث قال : لقد بلى الناس ببعض
أهل الأهواء والتفسير ، وتعلق بذلك الملحدون مع ضعف نقلته واضطراب
رواياته ، وانقطاع إسناده واختلاف كلماته ، فقائل يقول : إنه في الصلاة وآخر
يقول : قالما في نادى قومه حين نزلت عليه السورة ، وآخر يقول : إن الشيطان
قالما على لسانه ، وأن النبي « ص » لما عرضها على جبريل ، قال : ما هكذا أقرأتكم
وآخر يقول : بل أعلمهم الشيطان أن النبي « ص » — قرأها ، فلما بلغ
النبي « ص » — ذلك قال : والله ما هكذا نزلت — إلى غير ذلك من اختلاف
الرواة ، ومن حكيت هذه الحكاية عنه من المفسرين والتابعين ، لم يسندها أحد
منهم ولا رفعها إلى صاحب ، وأكثر الطرق عنهم فيها ضعيفة واهية والمرفوع
فيها حديث شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ، قال : فيما
أحسب أن النبي « ص » كان بمكة وذكر القصة . قال أبو بكر البزار : هذا
الحديث لا نعلمه يروى عن النبي « ص » — بإسناد متصل يجوز ذكره إلا هذا ،
ولم يسنده عز شعبة إلا أمية بن خالد ، وغيره يرسله عن سعيد بن جبير ، ولما يعرف
عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس ، فقد بين لك أبو بكر — رحمه الله — أنه
لا يعرف من طريق يجوز ذكره سوى هذا ، وفيه من الضعف ما نبه عليه مع
وقوع الشك فيه — كما ذكرنا — الذي لا يؤمن به ولا حقيقة معه ، وأما حديث الكلبي
فما لا يجوز الرواية عنه ، ولا ذكره لقوة ضعفه وكذبه ، كما أشار إليه البزار ،
والذي منه في الصحيح أن النبي « ص » قرأ : والنجم وهو بمكة ، فسجد معه
المسلمون والمشركون والجن والإنس ، أقول : قوله الذي في الصحيح يعني ما روى
في البخاري ومسلم عن ابن مسعود ، وليس فيه حديث الفرانيق ، بل روى هذا الحديث
من طرق كثيرة ، وليس فيها حديث الفرانيق ، وبعد أن فرغ القاضي عياض من ،

في نسبه: ابن أبي كبير بن عبد بن قصي، وزيادة أبي كبير في هذا الموضع لا يوافق عليه

توهين الفرية من طريق النقل، مضى يكر عليها بالحجة العقلية الدامغة، فيقول: «أجمعت الأمة على عصمته - ص - ونزاهته عن مثل هذه النقيصة إماماً من تمثيه أن ينزل عليه مثل هذا من مدح آلهة غير الله، وهو كفر، أو أن يتصور عليه الشيطان، ويشبه عليه القرآن، حتى يجعل فيه ما ليس منه، ويعتقد النبي - ص - أن من القرآن ما ليس منه حتى ينبه جبريل - عليه السلام - وذلك كله ممتنع في حقه - صلى الله عليه وسلم - أو يقول ذلك النبي - ص - من قبل نفسه عمداً، وذلك كفر، أو سهواً، وهو معصوم من هذا كله، وقد قررنا بالبراهين والإجماع عصمته - ص - من جريان الكفر على قلبه أو لسانه لا عمداً ولا سهواً، أو أن يشبه عليه ما يلقى الملك بما يلقى الشيطان، أو يكون للشيطان عليه سبيل، أو أن يتقول على الله لا عمداً، ولا سهواً ما لم ينزل عليه، وقد قال تعالى: (ولو يقول علينا بعض الأفواويل لاخذنا منه باليمين، ثم لقطعنا منه الوتين، فما منكم من أحد عنه حاجزين) الحاقة: ٤٤ - ٤٧ وقال تعالى: (ولو لا أن ثبثناك لقد كدت تركن لإيهام شيئاً قليلاً، إذا لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات، ثم لا تجد لك علينا نصيراً) الإسراء: ٧٥. ووجه ثان وهو استحالة هذه القصة نظراً وعرفاً، وذلك أن هذا الكلام لو كان كما روى لكان بعيد الالتئام، متناقض الأقسام، يمتزج المدح بالذم. متخاذل التأليف والنظم. ولما كان النبي - ص -، ولا من يحضرته من المسلمين. وصناديد المشركين ممن يخفى عليه ذلك. وهذا لا يخفى على أدنى متأمل. فكيف ممن رجح حلمه. واتسع في باب التبيان. ومعرفة فمحيح الكلام علمه، ثم أكد أن القصة لو حدثت لوجدت بها إقريش على المسلمين الصولة. ولما قامت اليهود بها عليهم الحجة. لأنهم كانوا يتربصون بالنبي وبالمسلمين لأقل فتنة، ولكننا نجد هذه القصة مروية عن طريق ضعيفة. وأنه لم يرو عن معاند فيها كلمة، ولا عن مسلم بسببها بنت شفة، ولا شك في إدخال بعض شياطين الجن والإنس هذا الحديث على بعض مغفل

المحدثين . ليلبس به على ضعفاء المسلمين ص ١١٦ وما بعدها ح ٢ الشفاء طبعة سنة ١٢٩٠ هـ مطبعة خليل أفندى

وتدبر مع هذا قول الله سبحانه : (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) الحجر : ٩ وقوله : (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك . وإن أم تفعل فما بلغت رسالته) المائدة : ٦٧ فإن زاد أو نقص فما بلغ رسالته . إنا بلغ حقا متمزجا بباطل . وتدبر قوله العظيم : (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى) النجم : ٣ : ٤ وقوله سبحانه : (سنقرئك فلا تنسى إلا ما شاء الله إنه يعلم الجهر وما يخفى) الأعلى

والفخر الرازى — على ما فيه — يقول : هذه القصة باطلة وموضوعة ولا يجوز القول بها . وقال البيهقي : هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل .

والمراد بالفرانتيق : الأصنام . وهى فى الأصل : الذكور من طير الماء . وقيل : الطويل العنق الأبيض : وقيل : هو السكركى ، واحدها : غرنوق بضم النون والغين . وبكسر الغين وإسكان الراء وفتح النون . وبضم الغين وفتح النون . وغرنيق بكسر الغين والنون ، وغرناق بفتح الغين والراء والنون ، وغرناق بكسر الغين وإسكان الراء . وغرائق : الشاب الأبيض الجليل ، وجمعها : الغرائق والغرائيق . وقد شبهوا أصنامهم بالفرانتيق وهى الطيور التى تعلو فى السماء وترتفع .. والعجب أن الحافظ بن حجر يحاول فى الفتح الدفاع عن قواعد المحدثين ، ويفعل عن الطعنة الغادرة التى اقترفت ضد الرسالة والرسول . فيقول عن النقد العظيم الذى وجهه القاضى عياض لطريق الحديث « وجميع ذلك لا يتمشى على القواعد . فإن الطرق إذا كثرت وتباينت مخارجها دل ذلك على أن لها أصلا . وقد ذكرت أن ثلاثة أسانيد منها على شرط الصحيح . وهى مراسيل يحتاج بمثلها من يحتاج بالمراسيل ، وكذا من لا يحتاج به لاعتضاد بعضها بيمض ، وإذا تقرر ذلك تعين تأويل ما وقع فيها مما يستنكر ، ص ٣٥٥ ج ٨ لست أدري أين يمكن أن نجعل لقواعد بشرية متهافنة مكانة فوق الحق المبين ، من هدى الله ؟ إنا هنا يجب أن نعصم بقواعد الحق المبين ، لا بقواعد المحدثين . التى يؤدى الدفاع عنها هنا إلى النيل من قداسة القرآن وعصمة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولا سيما إذا وجدنا أن التأويلات التافهة التى سفسدت بها هذه

وكذلك وجدت في حاشية كتاب الشيخ التنبيه على هذا^(١) وذكره أبو عمر ونسبه كما نسب ابن إسحق بزيادة: أبي كبير ، وكان بدرى في إحدى الروايتين عن ابن إسحق ، وكذلك قال الواقدى وابن عقبة ، ومات بأجنادين شهيدا لا عقب له .

تأويل : كل سىء ما فعل الله باطل :

فصل : وذكر قول كبيد :

== التواعد تأويلات لا يشهد لها نقل ، ولا يحترمها عقل ، القضية المعروضة :
أيسجد محمد لصنم ، ويثنى على صنم ، ويفترى على الله الكذب ؟ أي يخفى على محمد — وقد هداه القرآن — حقيقة الكفر وألفاظ الكفر ويعبث الشيطان به ؟ كل مسلم يعلم من ينسب إلى الرسول هذا الفرية الخبيثة الجاحدة .

وأقول هنا تعليقا على قوله سبحانه : (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته) إنها وردت في سورة الحج عقب التذكير بالقوم الذين كذبوا رسلهم ، وبعض مواقف المشركين منه صلى الله عليه وسلم ، وإملاء الله للقرى وهي ظالمة ، وكذلك التذكير بمصير الصالحين والمعادنين . إن ورودها كذلك يؤكد أن التمنى المقصود هو تمنيه صلى الله عليه وسلم إسلام قومه كما تمنى الرسل والتبوء قبله . وأن إلقاء الشيطان في أمنية الرسول (ص) هو وسوسته التي يبشأ في نفوس أوليائه ؛ ليحملهم على البقاء على الكفر ، فلا تتحقق أمنية الرسول (ص) ، وأما نسخ الله لما يلقى الشيطان ، فهو نصره لرسوله وتأييده له حتى يؤمن الكثير من قومه ، كما فعل بيونس وغيره . والله أعلم .

(١) ورد نسبه في نسب قريش دون ذكر أبي كبير ص ٢٥٦ أما أبو كبير فهو منهب بن عبد بن قصى في نسب قريش . شهد بدرًا مع النبي ﷺ ، وقتل يوم اليرموك شهيدا . ص ٢٥٧ .

أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ

وقصة ابن مضمون إلى آخرها ، وليس فيها ما يشكل غير سؤال واحد ، وهو قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم : أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا الشَّاعِرُ قولُ كَيْبِد :

أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ^(١)

فصدقه في هذا القول وهو - عليه السلام - يقول في مناجاته : «أنت الحق ، وقولك الحق ، ووعدك الحق ، والجنة حق ، والنار حق ، ولقاؤك حق»^(٢) ، فكيف يجتمع هذا مع قوله :

أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ

فالجواب من وجهين أحدهما : أن يريد بقوله : ما خلا الله : ماعدا ، وعدا رحمة التي وعد بها من رحمته ، والنار وما توعد به من عقابه ، وما سوى هذا فباطل أى : مضمحل والجواب الثانى : أن الجنة والنار وإن كانتا حقا ، فإن الزوال عليهما جائز لذاتهما ، وإنما يبقيان بإبقاء الله لهما ، وأنه يخاق الدوام لأهلها على

(١) رواه الشيخان عن أبي هريرة . وفي رواية لمسلم : أَصْدَقُ بَيَات . وفي رواية لأحمد والترمذى عن أبي هريرة : أَشْعَرُ كَلِمَةٍ تَكَلَّمْتُ بِهَا الْعَرَبُ كَلِمَةً لَيْبِد ، وهذه الرواية ترفع إشكال السبيل ، وقد عد البخارى وابن أبى خيثمة وغيرهما لبيدا ، فى الصحابة . وقيل : عاش قرنا ونصفا أو أكثر ، ومات فى خلافة عثمان . وهو القائل .

ولقد سئمت من الحياة وطولها وسؤال هذا الناس : كيف لبيد

(٢) رواه البخارى

قول من جعل الدوام والبقاء معنى زائداً على الذات ، وهو قول الأشعري ، وإنما الحق على الحقيقة من لا يجوز عليه الزوال ، وهو القديم ^(١) الذي انعدامه محال ؛ ولذلك قال عليه السلام : أنت الحق بالآلف واللام ، أى المستحق لهذا الاسم على الحقيقة ، وقولك الحق ؛ لأن قوله قديم ، وليس بمخلوق فيبيد ، ووعدك الحق ، كذلك ، لأن وعده كلامه ، هذا مقتضى الألف واللام ، ثم قال : والجنة حق ، والنار حق بغير ألف ولام ، ولقاؤك حق كذلك ؛ لأن هذه أمور محدثات والمحدث لا يجب له البقاء من جهة ذاته ، وإنما علمنا بقاءها من جهة الخبر الصابق الذى لا يجوز عليه الخلف ، لا من جهة استحالة البقاء عليها ، كما يستحيل على القديم - سبحانه - الذى هو الحق ، وما خلاه باطل ، فإما جوهر وإما عرض ، وليس فى الأعراض إلا ما يجب له الفناء ، ولا فى الجواهر إلا ما يجوز عليه الفناء والبطول ، وإن بقى ولم يبطل فحائز أن يبطل . وأما الحق - سبحانه -

(١) لم يرد فى قرآن ولا سنة وصف الله بالقدم ، وإنما ورد فى القرآن وصفه بأنه الأول . أما القدم فكانت صفة للضلال : (قالوا : تالله إنك لفى ضلالك القديم) يوسف : ٩٥ وللعرجون : (والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم) يس : ٣٩ والإفك : (وإذ لم يهتدوا به ، فسيقولون : هذا إفك قديم) الأحقاف : ١١ والآباء الضالين السابقين : (قال : أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآبائكم الأقدمون . فإنهم عدولى إلا رب العالمين) الشعراء : ٧٦ ولا يجوز وصف الله بصفة هذا استعمالها . وهذه موارد فى القرآن الكريم ، كما لا يجوز أن يسمى الله أو يوصف إلا بما سمي ووصف به نفسه . ولو وضعت صفة أنه الأول ، بدلا من قديم لاستراح الفكر البشرى من هذا الجدل المحموم الذى استمر حتى الآن حول صفة القدم ومدلولها ونسبتها إلى الله والعالم . فلا ينسکر حتى زنادقة الفلسفة وملحدو الإشراقية أنه سبحانه هو : الأول .

فليس من الجواهر والأعراض ، فاستحال عليه ما يجب لها ، أو يجوز عليهما .

ذكر ميث أبي بكر مع ابن الدغنة :

وذكر حديث أبي بكر حين لقي ابن الدُّغْنَةَ ، واسمه : مالك ، وهو سيد الأحابيش ، وقد سماهم ابن إسحاق ، وهم : بنو الحارث وبنو الهَوْن من كنانة ، وبنو المصْطَلِق من خُزَاعَة تحبَّشوا ، أى : تجمَّعوا ، فسموا الأحابيش . قيل : إنهم تحالفوا عند جُبَيْل ، يقال له حُبَيْشِي^(١) ، فاشتق لهم منه هذا الاسم .

وقوله لأبي بكر : إناك لتَكْسِب المعدوم^(٢) ، يقال : كَسَبَت الرجل مالا ،

(١) قال عنه ابن دريد فى الاشتقاق : جبل يقال له حبشى . ص ١٩٣ .

(٢) فى رواية للبخارى أنه قال له : إناك تكسب المعدوم ، وتصل الرحم وتحمل الكل ، وتقرى الضيف ، وتمين على نوائب الحق ، ونحن نلاحظ أنه عين ما قالته أم المؤمنين خديجة رضى الله عنها للنبي صلى الله عليه وسلم حين عاد إلى البيت ليلة الوحي

والحديث فى البخارى بسنده عن عروة بن الزبير عن عائشة ، وفيه أن أبا بكر خرج مهاجرا إلى أرض الحبشة حتى بلغ برك - السكسر أشهر - الغاد ، والدغنة بفتح الدال وكسر الغين وتخفيف النون ، أوفتحها وفتح النون مع تشديدها ، أو بضم الدال والغين وتشديد النون ، وسمى بهذا لاسترخاء فى لسانه . أو لأن الدغنة أمه ، أو أم أبيه ، وقيل : دابته . وفى رواية البخارى : « وارتحل معه ابن الدغنة فظاف ابن الدغنة عشية فى أشراف قريش ، فقال لهم : إن أبا بكر لا يخرج مثله . ولا يخرج ، وفيه أيضاً : « فلبث أبو بكر بذلك يعبد ربه فى داره ، ولا يستعلن بصلاته ، ولا يقرأ فى غير داره ، ثم بدا لأبي بكر ، فابتنى مسجدا بفناء داره ، وكان يصل فيه ، ويقرأ القرآن ، فيتمتدح عليه نساء المشركين وأبنائهم . . . » . ورواه البخارى فى باب الهجرة إلى المدينة مطولا . وفى مواضع أخرى مختصرا .

فتعديه إلى مفعولين . هذا قول الأَصْمَعِيِّ ، وحكى غيره : أ كسبته مالا ، فمضى
تَكْسِبُ المعلوم ، أى : تَكْسِبُ غَيْرَكَ ما هو معدوم عنده ، والدَّغْنَةُ : اسم
امرأة عُرِفَ بها الرجل ، والدَّغْنُ : الغنمُ يبقى بعد المطر .

عن الشعب ونقض الصحيفة :

فصل : وذكر نقض الصحيفة ، وقيام هشام فيها ونسبه ، فقال : هشام
ابن الحارث ، بن حُبَيْب ، وفي الحاشية عن أبي الوليد : إنما هو هشام بن عمرو
ابن ربيعة بن الحارث^(١) ، وهكذا وقع نسبه في رواية يونس عن ابن إسحاق ،
وكان أبوه عمرو أخا نَضْلَةَ بن هاشم لأمه .

وذكر أنه كان يأتى بالبعير قد أَوْقَرَهُ بَرًّا بالزأى المعجمة ، وفي غير نسخة
الشيخ أبى بحر : بَرًّا ، وفي رواية يونس : بَرًّا أو بُرًّا على الشك من الراوى .

وذكر أن منصور بن عَكْرِمَةَ كان كاتب الصحيفة ، فَشَلَّتْ يَدُهُ ، وَلِلنَّسَابِ

(١) لعل المؤلف كانت بيده نسخة من السيرة غير التى معنا ، فالتى معنا فيها :
هاشم بن عمرو بن ربيعة ، ونسبه مختلف عما فى كتاب نسب قريش ، فهو فيه
هكذا : هـ هشام بن عمرو بن ربيعة بن الحارث بن حبيب بن جذيمة بن مالك
ابن حسل بن عامر بن لؤى ، فهو فى النسب كما ترى من نسل جذيمة بن مالك ،
أما فى السيرة فهو من نسل نعيم بن مالك شقيق جذيمة ، وقد قال مصعب عن هاشم
هذا : هـ وهو الذى قام فى نقض الصحيفة التى كتبت قريش على بنى هاشم
فى نفر قاموا معه ، منهم : مطعم بن عدى بن نوفل وزمعة بن الأسود بن المطلب ،
وأبو البختري بن هشام بن الحارث فى رجال من قريش ، ص ٤٣١ ، وانظر
أيضاً ص ٤١٢ عن سلاله عامر بن لؤى

من قریش فی کتاب الصحیفة قولان، أحدهما : أن كاتب الصحیفة هو : بَعِیْضُ ابن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، والقول الثانی : أنه منصور ابن عَبدِ شُرَحْبِيلَ بن هاشم من بنی عبد الدار أيضا ، وهو خلاف قول ابن إسحاق ، ولم يذكر الزُّبَيْرُ فی کتاب الصحیفة غیر هذين القولین ، والزُّبَيْرُ بْنُ أَعْلَمُ بِأَنساب قومهم (١) .

وذكر ما أصاب المؤمنین مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فی الشَّعْبِ من ضیق الحصار لا یبایعون ولا یناکحون ، وفی الصحیح : أنهم جُهِدُوا حتی كانوا یا کلون الخَبْطَ وَوَرَقَ السَّمرِ ، حتی إن أحدهم لَیَضَعُ كما تَضَعُ الشاةُ (٢) . وكان فیهم سعدُ بن أبی وقَّاص . روى أنه قال : لقد جُعت ، حتی إني وطئت ذات لیلۃ علی شیء رطب ، فوضعتہ فی فمی وبلعته ، وما أدري ما هو إلى الآن . وفی رواية یونس : أن سعداً قال : خَرَجْتُ ذات لیلۃ لأبول ، فسمعت قَفَقَمَةً تحت البول ، فإذا قطعة من جِلْدٍ بغير یابسة ، فأخذتها وغسلتها ، ثم أحرقتها . ثم رَضَضْتُها ، وَسَفَفْتُها بالماء ، فَقَوَّيتُ بها ثلاثاً ، وكانوا إذا قدمت العیرُ مکةً یأتی أحدهم السوقَ لیشتري شیئاً من الطعام لعیاله ، فیعوم أبولهب عدو الله ، فیعول :

(١) ذكرهما المصعب الزبیری ص ٢٢٢ نسب قریش ، وذكر أن کنیة منصور هی : أبو الروم

(٢) فی اللسان : « وأما الذی فی حدیث سعد : إن كان أحدهما لیضع كما تضع الشاة . أراد : أن نجوم - النجو : ما ینخرج من البطن من غائط - كان ینخرج بمرأ لیبسه من أكلهم ورق السمر ، وعدم الغذاء المألوف ، مادة وضع .

بامعشر التجار : غَالُوا عَلَى أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ، حَتَّى لَا يُدْرِكُوا مَعَكُمْ شَيْئًا ، فَقَدْ عَلِمْتُمْ مَالِي وَوَفَاءَ ذِمَّتِي ، فَأَنَا ضَامِنٌ أَنْ لَا خَسَارَ عَلَيْكُمْ ، فَيَزِيدُونَ عَلَيْهِمْ فِي السَّلْعَةِ ، قِيمَتَهَا أَضْعَافًا حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى أَطْفَالِهِ ، وَهُمْ يَتَضَاعَوْنَ مِنَ الْجُوعِ ، وَلَيْسَ فِي يَدَيْهِ شَيْءٌ يُطْعِمُهُمْ بِهِ ، وَيَغْدُو التَّجَارُ عَلَى أَبِي لَهَبٍ ، فَيَرْجِعُهُمْ فِيمَا اشْتَرَوْا مِنَ الطَّعَامِ وَاللِّبَاسِ ، حَتَّى جُهِدَ الْمُؤْمِنُونَ ، وَمِنْ مَعَهُمْ جُوعًا وَعُزْبًا ، وَهَذِهِ إِحْدَى الشَّدَائِدِ الثَّلَاثِ الَّتِي دَلَّ عَلَيْهَا تَأْوِيلُ الْغَطَّاتِ الثَّلَاثِ الَّتِي غَطَّهَ جَبْرِيلُ حِينَ قَالَ لَهُ : اقْرَأْ ، قَالَ : مَا أَنَا بِقَارِئٍ ، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ كَانَ فِي الْيَقِظَةِ ، وَلَسْكَنَ مَعَ ذَلِكَ لَهُ فِي مُقْتَضَى الْحِكْمَةِ تَأْوِيلٌ وَإِيمَاءٌ ، وَقَدْ تَقَدَّمَتِ الْإِشَارَةُ إِلَى هَذَا قَبْلَ ، وَإِلَى آخِرِ حَدِيثِ الصَّحِيفَةِ لَيْسَ فِيهَا مَا يَشْكُلُ ^(١) .

(١) كَانَ ابْتِدَاءُ حَصْرِهِمْ فِي الْحَرَمِ سَنَةَ سَبْعٍ مِنَ الْمَبْعَثِ . فَأَقَامُوا سَنَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا كَمَا رَوَى ابْنُ إِسْحَاقَ ، وَجَزَمَ مُوسَى بْنُ عَقِبَةَ بِأَنَّهَا كَانَتْ ثَلَاثَ سِنِينَ . وَذَكَرَ الْوَاقِدِيُّ أَنَّ خُرُوجَهُمْ مِنَ الشَّعْبِ كَانَ فِي سَنَةِ عَشْرٍ مِنَ الْمَبْعَثِ ، وَمَاتَ أَبُو طَالِبٍ بَعْدَ أَنْ خَرَجُوا بِقَلِيلٍ . وَيَقُولُ الْحَافِظُ فِي فَتْحِ الْبَارِي : « وَلَمَّا لَمْ يَثْبُتْ عِنْدَ الْبَخَارِيِّ شَيْءٌ مِنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ اكْتَفَى بِإِيرَادِ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ : نَصَهُ : « قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) حِينَ أَرَادَ حَنْيِنًا : مَزَلْنَا غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِخَيْفِ بَنِي كِنَانَةَ ، حَيْثُ تَقَامَسُوا عَلَى الْكَفْرِ ، لِأَنَّ فِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى أَصْلِ الْقِصَّةِ ، لِأَنَّ الَّذِي أَوْرَدَهُ أَهْلُ الْمَغَازِي مِنْ ذَلِكَ كَالْشَّرْحِ لِقَوْلِهِ فِي الْحَدِيثِ : عَلَى الْكَفْرِ ، ص ١٥٢ وَمَا يَبْعُدُهَا ج ٧ فَتَحِ الْبَارِي .

وَيَقُولُ الْحَافِظُ فِي نَفْسِ الْمَكَانِ أَيْضًا عَمَّا أَكَلَنَهُ الْأَرْضَةُ مِنَ الصَّحِيفَةِ : « أَمَّا ابْنُ إِسْحَاقَ وَمُوسَى بْنُ عَقِبَةَ وَعُرْوَةُ فَذَكَرُوا عَكْسَ ذَلِكَ أَنَّ الْأَرْضَةَ لَمْ تَدْعُ إِسْمًا لِلَّهِ إِلَّا أَكَلَنَهُ ، وَبَقِيَ مَا فِيهَا مِنَ الظُّلْمِ وَالْقَطِيعَةِ ، قَالَ الْبَرْهَانُ مَا حَاصِلُهُ : وَهَذَا أُثْبِتَ مِنَ الْأَوَّلِ ص ٣٩٠ ج ١ شَرْحُ الْمَوَاهِبِ اللَّدْنِيَّةِ .

شرح والية أبي طالب :

وقول أبي طالب : ألا^(١) قد أتى بحرّنا ، يعنى الذين بأرض الحبشة ، نسبهم إلى البحر لركوبهم إياه ، وهكذا وجه النسب إليه ، وقد قال عاميه السلام : إذا نشأت بحريّة ، وزعم ابن سيدة فى كتاب المحكم له أن العرب نسب إلى البحر : بحرانيّ على غير قياس ، وأنه من شواذ النسب ، ونسب هذا القول إلى سيديوه والخليل ، ولم يقله سيديوه قط ، وإنما قال فى شواذ النسب : تقول فى بهراء : بهزانيّ ، وفى صنعاء : صنعانيّ ، كما تقول : بحرانيّ فى النسب إلى البحرين التى هى مدينة ، وعلى هذا تلقاه جميع النحاة ، وتأولوه من كلام سيديوه ، وإنما شبه على ابن سيدة لقول الخليل فى هذه المسألة ، أعنى مسألة النسب إلى البحرين ، كأنهم بنّوا البحر على بحرّان ، وإنما أراد لفظ البحرين^(٢) ألا تراهم يقول

(١) فى السيرة : ألا هل .

(٢) قياسها : بحريني . ولكنهم قالوا : بحرانيّ ، فقياس المثنى المجهول نونه معتقب الإعراب أن يكون فى الأحوال بالالف ، فلزام البحرين الياء شاذ إذن وإذا جعل نون المثنى معتقب الإعراب لم يحذف فى النسب لاهو ولا الألف فقيل : بحرانيّ على أنه منسوب إلى البحران المجهول نونه معتقب الإعراب ص ٨٢ > ٢ شرح الشافعية ، وللتوضيح أقول : من العلماء من يلزم المثنى إذا سمى به الألف والنون ويعربه إعراب مالا ينصرف ، ومنهم من يلزمه الألف والنون ويصرفه فتظهر علامات الإعراب على النون رفعا وجرا ونصباً ، ولا تكون الألف علامة إعراب ، ولهذا ينسب إلى المثنى حيث قد دون حذف شيء منه مثل بحرانيّ . وقياس صنعاء وبهراء فى النسب : بهراوى وصنعاوى مثل حمراوى ، ولكنهم أبدلوا النون من الواو شذوذاً للنسبة التى بينهما . وقيل فى النون التى فى صنعانيّ لأنها بدل من الهمزة فى صنعاء ، أو بدل من الواو فى نسبها القياسى ، وهو صنعاوى كأنهم قالوا : صنعاوى كصحراوى ، ثم أبدلوا من الواو نونا ، وهو المختار عند =

في كتاب العين : تقول بَحْرَانِي في النسب إلى الْبَحْرَيْن ، ولم يذكر النسب إلى البحر أصلاً للعلم به ، وأنه على القياس جار ، وفي الغريب المصنف عن اليزيدي أنه قال : إنما ^(١) قالوا : بَحْرَانِي في النسب إلى الْبَحْرَيْن ، ولم يقولوا : بَحْرِي ليفرقوا بينه وبين النسب إلى الْبَحْرِ ، وما زال ابن سيدة يعثر في هذا الكتاب وغيره [عثرات] يَدْمِي منها الْأَظْلُ ، وَيَدْحَضُ دَحَضَاتُ تُخْرِجُهُ إِلَى سَبِيلِ مَنْ ضَلَّ ^(٢) ألا تراه قال في هذا الباب : وذكر بحيرة طَبْرِية ، فقال : هي من أعلام خروج الدجال ، وأن ماءها يَبْيَسُ عند خروجه ، والحديث : إنما جاء في ^(٣) عين زُغَر ، وإنما ذكرت بحيرة طَبْرِية في حديث يأجوج ومأجوج ،

== الزمخشري ، لأن النون من الفم ، والهمزة من أقصى الحلق ، فلا مناسبة بينهما ، أما النون فتقارب الواو . وقد سبق ذكر شيء من هذا . هذا وقد ورد في اللسان منسوباً إلى ابن سيدة : والنسب إلى البحر : بَحْرَانِي على غير قياس . قال سيديوه قال الخليل : كأنهم بنوا الاسم على فعلان ، ثم نقل ابن منظور بعد هذا عين ما ذكره السهيلي رداً على ابن سيدة ، وقد نسبته إلى السهيلي . وفيه : « اشبهته على ابن سيدة ، بدلاً من شبه . واليزيدي بدلاً من اليزيدي . »

(١) في الأصل : إذا ، والتصويب من اللسان ص ٢٣٢ الذي وردت فيه نفس هذه الفقرة .

(٢) الأظْل باطن الإصبع ، ودحض كقطع : زلقت رجله .

(٣) في اللسان : غور . وفي معجم البكري : عين زغر اختلف فيها ، فقليل هي بالشام . قال الكلبي : زغر : امرأة نسبت إليها هذه العين . وفي حديث علي أن عين زغر بالبصرة . وعين زغر هي التي سألت عنها الدجال في حديث تميم الداري . وقال ابن سهل الأحول : سميت بزغر بنت لوط . وفي المراسد : قرية بمشارف الشام في طرف البحيرة المنتنة ، وتسمى البحيرة بها ، وهي قرب الكرك .

وأَنهم يشربون ماءها ، وقال في الجمار في غير هذا الكتاب : [إنما] هي التي تُرى
بعرفة ، وهذه هَفْوَةٌ لَا تُقال ، وَعَثْرَةٌ [لا] لَعَالها^(١) وكم له من هذا إذا تسكلم
في النسب وغيره^(٢) ، ومن النسب إلى البَحْر قولُه عليه السلام لأسماء بنت
عميس حين قدمت من أرض الحبشة : البَحْرِيَّة الحَبَشِيَّة ، فهذا مثل قول
أبي طالب : أأهل أتى بَحْرِيَّنا .

وقوله : والله بالناس أَرْوَدُ : أي : أَرْفَقُ ، ومنه : رُوِيْدَكَ ، أي : رِفَقًا جاء
بلفظ التصغير ؛ لأنهم يريدون به تقليلا أي : أَرْفَقَ قليلا ، وليس له مكبر من
لفظه ؛ لأن المصدر : إِرْوادا ، إلا أن يكون من باب تصغير الترخيم ، وهو أن
تصغر الاسم الذي فيه الزوائد ، فمحذوفها في التصغير ، فتقول في أسود : سُوَيْدُ ،
وفي مثل إِرْواد : رُوَيْدُ^(٣) .

وقوله : من ليس فيها بَقَرَقَر : أي : ليس بذليل ، لأن القَرَقَرَ : الأرضُ

(١) لما : صوت معناه : الدعاء للعائر بأن يرتفع من عثرته . يقال : لَعَالُ فلان
وفي الدعاء عليه بالنعس : يقولون : لا لعاله . والسياق يقتضي وجود كلمة : لا .
وقد وضعناها لهذا ، ومع ذلك فهي في اللسان الذي نقل هذا النص كله عن السهيلي .
(٢) إلى هنا انتهى ما نقله اللسان عن الروض ، وقد نقل من أول : زعم ابن
سيدة في كتاب المحكم .

(٣) تصغير الترخيم شاذ قليل ، وبرى الفراء أن العلم وحده هو الذي
يصغر تصغير الترخيم ، لأن ما بقي منه بعد الترخيم دليل على ما حذف لشبهة
العلم ، وأجازه البصريون في غير العلم واستشهدوا بالمثل : عرف حميق جملة
فصغر أحمق تصغير ترخيم .

الْمَوْطُوءَةُ الَّتِي لَا تَمْنَعُ سَائِكَهَا ، وَيَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ بِهِ : لَيْسَ بِذِي هَزَلٍ ، لِأَنَّ
الْفَرَقَةَ : الضَّحْكَ .

وقوله : وَطَائِرُهَا فِي رَأْسِهَا يَتَرَدَّدُ . أَيْ : حَظُّهَا مِنَ الشُّؤْمِ وَالشَّرِّ ،
وَفِي التَّنْزِيلِ : ﴿الزَّمْنَادُ طَائِرُهُ فِي عُنُقِهِ﴾ الْإِسْرَاءُ : ١٣ ، وَقَوْلُهُ : لَهَا حُدُجٌ سَهْمٌ
وَقَوْسٌ وَمِرْهَدٌ ، وَجَدْتُ فِي حَاشِيَةِ كِتَابِ الشَّيْخِ مِمَّا كَتَبَهُ عَنْ أَبِي الْوَلِيدِ الْكِنَانِيِّ
عَلَى هَذَا الْبَيْتِ : لَعَلَّهُ حُدُجٌ بَضْمُ الْحَاءِ وَالْدَّالِ جَمْعُ حِدْجٍ عَلَى مَا حَكَى الْفَارْسِيُّ ،
وَأَنْشَدَ شَاهِدًا عَلَيْهِ عَنْ ثَعْلَبٍ :

قَدْ أَفَانَسْنَا الْخُؤُلَ وَالْحُدُجَ

وَنَظِيرُهُ : سِتْرٌ وَسِتْرٌ ، ذَكَرَ ذَلِكَ عَنْهُ ابْنُ سَيِّدَةَ فِي مُحْكَمِهِ ، فَيَكُونُ الْمَعْنَى :
لِأَنَّ الَّذِي يَقُومُ لَهَا مَقَامُ الْحُدُجِ سَهْمٌ وَقَوْسٌ وَمِرْهَدٌ . إِلَى هُنَا انْتَهَى مَا فِي
حَاشِيَةِ كِتَابِ الشَّيْخِ . قَالَ الْمَوْلَفُ : وَفِي الدِّينِ : الْحُدُجُ : حَسَكُ الْقُطْبِ [مَا دَامَ
رَطْبًا] فَيَكُونُ ^(١) الْحُدُجُ فِي الْبَيْتِ مُسْتَعَارًا مِنْ هَذَا ، أَيْ : لَهَا حَسَكُ ،
حَسَمَ فُسْرُهُ فَقَالَ : سَهْمٌ وَقَوْسٌ وَمِرْهَدٌ ^(٢) ، هَكَذَا فِي الْأَصْلِ بِالرَّاءِ وَكَسْرِ الْمِيمِ

(١) الْقُطْبُ : ضَرْبٌ مِنَ النَّبَاتِ يَذْهَبُ حَبَالًا عَلَى الْأَرْضِ طَوِيلًا ، وَلَهُ زَهْرَةٌ
صَفْرَاءُ ، وَشَوْكَةٌ إِذَا حَصَدَ وَبَسَّ يَشْقَى عَلَى النَّاسِ أَنْ يَطَّوَّهُ ، وَفِي الْأَصْلِ :
الْحُدُجُ حَسَكُ الْعَبْطِ ، وَالْعَبْطُ : الْقَطَنُ ، وَهَذَا لَا يَتَّفَقُ مَعَ مَا قَبْلَهُ مِنْ قَوْلِهِ : وَالْحُدُجُ
حَسَكُ ، وَمَا أَثْبَتَهُ مِنَ اللِّسَانِ ، وَمَا بَيْنَ الْقَوْسَيْنِ زِيَادَةٌ مِنَ اللِّسَانِ ، وَقَوْلُ الْفَارْسِيِّ
عَنْ ثَعْلَبٍ مَوْجُودٌ فِي اللِّسَانِ ، وَقَدْ فُسِّرَهَا أَبُو ذَرٍّ الْخَشَنِيُّ بِمَا بَاقٍ : وَحُدُجٌ
كَثْرَةٌ ، وَأَصْلُ الْحُدُجِ : صَغَارُ الْخَنْظَلِ وَالْخَشْخَاشِ ، فَشَبَّهَ كَثَرَتَهُمْ بِهِ .

(٢) عِنْدَ الْخَشَنِيِّ : مِرْهَدٌ بَفَتْحِ الْمِيمِ : رَمَحَ لَيْنٌ ، وَمَنْ رَوَاهُ فِرْهَدٌ ، فَعَنَاهُ —

فيحتمل أن يكون مقلوبا من مَرْهَدٍ : مَفْعَلٌ من رَهَدَ الثوبَ إذا مزقه ، ويعنى به رُمْحًا أو سيفًا ، ويحتمل أن يكون غير مقلوب ، ويكون من الرّهيد ، وهو الناعم أى : ينعم صاحبه بالظفر ، أو ينعم هو بالرّئى من الدّم ، وفي بعض النسخ : مَزْهَدٌ بفتح الميم والزاي ، فإن صحت الرواية به ، فمعناه : مَزْهَدٌ في الحياة ، وحرّص على الممات ، والله أعلم . وقوله فيها : إذا جمعت أيدي المفيضين رُعد . يعنى : أيدي المفيضين بالقِداح في الميسر ، وكان لا يفيض معهم في الميسر إلا سخي . ويسمون من لا يدخل معهم في ذلك : الأبرم . وقالت امرأة لبعلمها - وكان برما بخيلا ، ورأته يقرن بضعتين في الأكل : أبرما قرؤنا ^(١) ويسمونه أيضا الخُصُور : يريد أبو طالب : إنهم يطعمون إذا بخل الناس . والميسر : هى الجزور التى تُنْقَسَمُ ، يقال : يَسْرَتُ إذا قسمت ، هكذا فسره المُقَبِّبُ وأنشد :

أقول لهم بالشَّعبِ إذ يَنيسِرُونِني ألم ييأسوا أنى ابنُ فارسٍ زَهْدَمَ ^(٢)

قال : يَنيسِرُونِني أى : يَفْتَسِمُونَ مالى ، ويُرَوِّى : يَأْسِرُونِني من الأثر .

== الرمح الذى إذا طعن به ، وسع الخرق ، ومن رواه مزهد ، فهو ضعيف لامعنى له إلا أن يراد به الشدة على معنى الاشتقاق .

(١) فى اللسان : وفى المثل : أبرم اقرؤنا . أى : هو برم ويأكل مع ذلك تمرتين تمرتين .

(٢) البيت فى اللسان ، وقد نسبته فى مادة يسر إلى سحيم بن وثيل البربوعى . وفيه : ألم تعلموا بدلا من : ألم ييأسوا . كان وقع عليه سباء فضربه عليه بالسهم . وفى مادة زهدم يقول : قال ابن برى : زهدم : اسم لفارس لسحيم بن وثيل ، وفيه يقول ابن جابر : أقول لهم بالشعب الخ . والزهدم : الصقر ، وزهدم : اسم فارس ، وفارس يقال له : فارس زهدم .

وتوله : رَفَرَفِ الدَّرْعُ أَحْرَدُ . رَفَرَفُ الدَّرْعِ : فُضُولُهَا ، وَقِيلَ فِي مَعْنَى :
 رَفَرَفِ خُضْرٍ : فَضُولُ الْقُرْشِ وَالْبُسْطِ ، وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ ، وَعَنْ عَلِيِّ أَنَسٍ :
 الْعَرِافِقُ ، وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ : الرِّفَارِفُ : رِيَاضُ الْجَنَّةِ ، وَالْأَحْرَدُ الَّذِي فِي مَشْيِهِ
 تَقَاوُلٌ ، وَهُوَ مِنَ الْخَرَدِ ، وَهُوَ : عَيْبٌ فِي الرَّجْلِ . وَفِيهِ : هَمَزٌ وَاسْتَهْلَ بِنِ بَيَّضَاءَ
 رَاضِيًا . سَهْلٌ هَذَا هُوَ : ابْنُ وَهْبٍ بِنِ رَبِيعَةَ بِنِ هِلَالٍ بِنِ رَبِيعَةَ بِنِ الْحَارِثِ بِنِ
 فِهْرِ ، يَعْرِفُ : بِابْنِ الْبَيَّضَاءِ ^(١) ، وَهِيَ أُمُّهُ ، وَاسْمُهَا : دَعْدَةُ بِنْتُ جَعْدَمَ بِنِ أُمَيَّةَ
 ابْنِ ضَرْبٍ بِنِ الْحَارِثِ بِنِ فِهْرِ ، وَهُمْ ثَلَاثَةُ إِخْوَةٍ : سَهْلٌ وَسُهَيْلٌ وَصَفْوَانُ
 بَنُو الْبَيَّضَاءِ . وَقَوْلُهُ :

وَإِنِّي وَإِيَّاهُمَا كَمَا قَالَ قَائِلٌ لَدَيْكَ الْبَيَانُ لَوْنُكَ لَمْتُ أَسْوَدُ ^(٢)

أَسْوَدُ : اسْمُ جَبَلٍ كَانَ قَدْ قُتِلَ فِيهِ قَتِيلٌ ، فَلَمْ يَعْرِفْ قَاتِلَهُ ، فَقَالَ أَوْلِيَاءُهُ
 الْمَقْتُولِ هَذِهِ الْمَقَالَةُ ، فَذَهَبَتْ مِثْلًا .

(١) وَرَدَ نَسَبُ وَهْبٍ فِي نَسَبِ قَرِيْشٍ هَكَذَا : « وَهْبٌ ، بِنِ رَبِيعَةَ بِنِ هِلَالٍ ،
 ابْنِ مَالِكٍ بِنِ ضَبَّةَ بِنِ الْحَارِثِ ، ص ٤٤٦ ، وَلَمْ يَذْكُرْ غَيْرَ سَهْلٍ وَصَفْوَانَ ابْنِ
 وَهْبٍ بِنِ رَبِيعَةَ بِنِ هِلَالٍ ، لَسَكُنَ فِي جَهْرَةَ ابْنِ حَزْمٍ : « سَهْلٌ بِنِ وَهْبٍ بِنِ رَبِيعَةَ بِنِ
 عَامِرٍ بِنِ مَالِكٍ بِنِ ضَبَّةَ بِنِ الْحَارِثِ بِنِ فِهْرِ » ص ١٦٧ جَهْرَةُ ابْنِ حَزْمٍ ، وَلَمْ يَذْكُرْ
 سَهْلًا . وَالْإِمَامُ فِي النَسَبِ هُوَ : دَعْدَةُ بِنْتُ جَعْدَمَ بِنِ عَمْرٍو بِنِ عَائِشَ ، وَفِي جَهْرَةَ
 ابْنِ حَزْمٍ جَاءَ بَعْدَ عَائِشَ : ابْنُ الْمَطْرِفِ بِنِ حَارِثِ بِنِ فِهْرِ .

(٢) فِي النُّسخَةِ الَّتِي مَعْنَاهَا : « فَإِنِّي وَإِيَّاهُمَا ، وَفِي الْقَامُوسِ : أَسْوَدُ الْعَيْنِ ، وَأَسْوَدُ
 الْفَسَاءِ ، وَأَسْوَدُ الْعُمَارِيَّاتِ ، وَأَسْوَدُ الدَّمِ ، وَأَسْوَدُ الْحَمَى : جِبَالٌ ، وَفِي الْحَشَنِ
 أَسْوَدُ : اسْمُ رَجُلٍ ، وَأَرَادَ : يَا أَسْوَدُ ، وَهُوَ مِثْلُ يَضْرِبُ لِلْقَادِرِ عَلَى الشَّيْءِ .
 وَلَا يَفْعَلُهُ ص ١٠٩ .

قول مسانه في مطعم وهشام بن عمرو :

فصل : وذكر قول حسان في مُطْعِمِ بْنِ عَدِيٍّ ، ويذكر جواره للنبي -
عليه السلام - وذلك حين رجع من الطائف ، وقيامه في أمر الصحيفة :
فلو كانَ مجْدٌ يُخَالِدُ الدهرَ واحداً من الناس أبقى مجْدُهُ اليومَ مُطْعِماً (١)
وهذا عند النحويين من أقبح الضرورة ، لأنه قدم الفاعل ، وهو مضاف
إلى ضمير المفعول ، فصار في الضرورة ؛ مثل قوله :

جزى رَبُّهُ عني عَدِيٌّ بنَ حاتم (٢)

(١) استشهد به ابن عقيل في شرح الالفية ، وهو يشرح قول ابن مالك .

وشاع نحو خاف ربه عمر وشذ نحو زان نوره الشجر

أى : شاع تقديم المفعول المشتمل على ضمير يرجع إلى الفاعل المتأخر ، وشذ
عود الضمير من الفاعل المتقدم على المفعول المتأخر ، وإنما شذ ذلك لأن فيه
عود الضمير على متأخر لفظاً ورتبة ؛ لأن الشجر مفعول به ، وهو متأخر لفظاً ،
والأصل فيه أن ينفصل عن الفعل ، فهو متأخر رتبة . وقد أجاز هذا اللاحش
وابن جنى وأبو عبد الله الطوال وابن مالك في التسهيل ؛ ونصر الجرجاني مذهب
اللاحش ، وفي بيتنا هذا آخر المفعول وهو مطعم عن الفاعل ، وهو مجده مع أن الفاعل
مضاف إلى ضمير يعود على المفعول . فيقتضى رجوع الضمير إلى متأخر لفظاً
ورتبة . والبيت في الاشتقاق : « فلو أن مجداً خلد الخ ص ٨٨ .

(٢) البيت لابن الأسود الدؤلي يهجو عدى بن حاتم الطائي ، وبقيته : « جزاء
الكلاب العاويات وقد فعل » . وقد نسب ابن جنى إلى النابغة الذبياني . والشاهد
فيه تأخير المفعول وهو عدى ، وقدم الفاعل وهو ربه مع اتصال الفاعل بضمير
يعود على المفعول . انظر خزنة الأدب للبغدادي ص ١٠٩ وما بعدها
هو شرح ابن عقيل لاللفية ص ٤٢٠ بتحقيق الشيخ محي الدين عبد الحميد .

غير أنه في هذا البيت أشبه قليلا لتقدم ذكر مُطْعِم ، فكأنه قال : أبقى
مجدُّ هذا المذكور المتقدم ذكرُهُ مُطْعِمًا . ووضع الظاهر موضع المضمَر ، كالوقلت :
إن زيدا ضَرَبْتُ جاريته زيدا ، أى : ضربت جاريته إياه ، ولا بأس بمثل
هذا ، ولا سِيما إذا قصدت قصدَ التعظيم وتَفخيم ذكر الممدوح ، كما قال الشاعر :

ومالَى أَن أكونَ أعيبَ يحيى وَيُنحَى طَاهِرِ الأَثوابِ بَرٌّ

ويجوز نصبُه عندى على البدل من قوله : وَبَكَّى عَظِيمَ المُشعرين ، ويكون
المفعول من قوله : أبقى مجدُّه محذوفا ، فكأنه قال : أبقاه مجدُّه أبدا ، والمفعول
لأُقبَح في حذفه ، إذا دل عليه الكلام كما في هذا البيت .

وذكر قول حسان في هشام بن عمرو ، وقال فيه : للعارث بن حُبَيْب
ابن سُحَّام ، وقد تقدم نسبه ، وهو حُبَيْب بالتخفيف تصغير حِبِّ ، وجعله
حسانُ تصغير حُبَيْب ، فشَدَّده ، وأيس هذا من باب الضرورة ؛ إذ لا يسوغ
أن يقال في فُلَيْس : فُلَيْس ، ولا في كَلَيْب : كَلَيْب في شعر ولا غيره ، ولكن
لما كان الحُبُّ والحبيب بمعنى واحد جعل أحدهما مكان الآخر ، وهو حَسَنٌ
في الشعر ، وسائغ في الكلام ، وهشام بن عمرو هذا أسلم ، وهو معدود في المؤلَّفة
قلوبهم ، وكانوا أربعين رجلا فيما ذكروا .

وقوله : ابن سُحَّام ، هو : اسم أمه ، وأكثر أهل النسب يقولون فيه : سُحَّام
بشين معجمة ، وألفت في حاشية كتاب الشيخ أن أبا عبيدة النُّسابة وعَوانة
يقولون فيه : سُحَّام بسين وحاء مهملتين ، والذي في الأصل من قول ابن هشام :

إسلام الطفيل بن عمرو الدوسي

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على ما يرى من قومه ، يبذل لهم النصيحة ، ويدعوهم إلى النجاة مما هم فيه . وجعلت قريش ، حين منعه الله منهم ، يحذرونه الناس ، ومن قدم عليهم من العرب .

وكان الطفيل بن عمرو الدوسي يحدث : أنه قدم مكة - ورسول الله صلى الله عليه وسلم بها - فمشى إليه رجال من قريش - وكان الطفيل رجلاً شريفاً شاعراً كليباً - فقالوا له : يا طفيل ، إنك قدمت بلادنا ، وهذا الرجل الذي بين أظهرنا قد أعضل بنا ، وقد فرق جماعتنا ، وشدت أمرنا ، وإنا قولُه كالسحر يفرق بين الرجل وبين أبيه ، وبين الرجل وبين أخيه ، وبين الرجل وبين زوجته ، وإنا نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا ، فلا تكلمته ولا تسمع منه شيئاً .

سخام بسين مهملة ، وخاء معجمة ^(١) ولفظ سُخَام من شَخِمَ الطعام ، وخَشِمَ إذا تغيرت رائحته ، قاله أبو حنيفة .

(١) في نسب قريش ص ٣٢٤ أن شحاما بالشين والحاء هو : جذيمة بن مالك ابن حسل ، وأنه جد هشام بن عمرو بن ربيعة بن الحارث بن حبيب بضم الحاء - ابن جذيمة ابن مالك بن حسل . وفيه أيضا أن حبيباً بن جذيمة يقال له : شحام ، وأن أمه هي مارية بنت عبد معيص . وفي النسب بيت آخر غير ثلاثة الآيات التي في السيرة :
 أخنى بنو خلف وأخنى قنفذ وأبو الربيع ، وطار ثوب هشام
 ونسب هشام في الجمهرة كما هو في النسب ص ١٦٠ ، وفي الإصابة : حنيف بدلا من حبيب . وأن هشاما أعطاه النبي (ص) دون المائة من غنائم حنين .

قال : فوالله مازالوا بى حتى أجمعتُ أن لا أسمع منه شيئاً ، ولا أكلّمه ، حتى حشوتُ فى أذنى حين غدوتُ إلى المسجد كُرسفاً فَرَقاً من أن يبلغنى شىءٌ من قوله ، وأنا لا أريد أن أسمعَه . قال : فغدوتُ إلى المسجد ، فإذا رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - قائمٌ يصلى عند الكعبة . قال : فقمّتُ منه قريباً ، فأبى الله إلا أن يُسمعنى بعضَ قوله . قال : فسمعتُ كلاماً حسناً . قال : فقلتُ فى نفسى : وائسكلُ أُمى !! والله إني لرجلٌ كبيبٌ شاعرٌ ما يخفى على الحسنُ من القبيح ، فما يَمنعنى أن أسمعَ من هذا الرجل ما يقول ! فإن كان الذى يأتى به حسناً قبلتُه ، وإن كان قبيحاً تركتُه .

قال : فمكثتُ حتى انصرف رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - إلى بيته فأتبعته ، حتى إذا دخل بيته دخلتُ عليه ، فقلت : يا محمد ، إن قومك قالوا لك كذا وكذا - للذى قالوا - فوالله ما برحوا يُخَوِّفوننى أمرَكَ حتى سددتُ أذنى بكُرسُفٍ لئلا أسمع قولك ، ثم أبى الله إلا أن يُسمعنى قولك ، فسمعتُه قولاً حسناً ، فاعرض على مرك . قال : فعرض على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الإِسلام ، وتلا على القرآن ، فلا والله ما سمعتُ قولاً قطُّ أحسنَ منه ، ولا أمراً أعدلَ منه ، قال : فأسلمت ، وشهدتُ شهادةَ الحق ، وقلت : يا نبيَّ الله إني امرؤٌ مُطاعٌ فى قومى ، وأنا راجعٌ إليهم ، وداعبهم إلى الإِسلام ، فادعُ الله أن يجعلَ لى آيةً تكون لى عوناً عليهم فيما أدعُوهم إليه فقال : اللهم اجعلْ له آيةً .

قال : فخرجتُ إلى قومى ، حتى إذا كنتُ بِثَنِيَّةٍ تُطلِعُنى على الحاضرِ وقع

نور بين عيني مثل المصباح ، فقلت : اللهم في غير وجهي ، إني أخشى ،
أن يظنوا أنها مُثْلَةٌ وقعت في وجهي فإراق دينهم . قال : فتحوّل فوق في رأس
سوطي . قال : فجعل الحاضر يترأّون ذلك النور في سوطي كالقنديل المعلق ،
وأنا أهبط إليهم من الثّنية ، قال : حتى جثّتهم فأصبحتُ فيهم .

إسلام والد الطفيل وزوجته

قال : فلما نزلت أتاني أبي ، وكان شيخا كبيرا ، قال : فقلت : إليك عني
يأبّ ، فإست منك ، وإست مني ، قال : ولم يابني ؟ قال : قلت : أسلمتُ ،
وتابعت دين محمد - صلى الله عليه وسلم - قال : أي بني ، فدينك دينك ، قال :
فقلت : فاذهب ، فاغتسل ، وطهر ثيابك ، ثم تعال حتى أعلمك ما علمتُ .
قال : فذهب فاغتسل ، وطهر ثيابه . قال : ثم جاء فعرضتُ عليه الإسلام ،
فأسلم .

قال : ثم أتني صاحبتى ، فقلت : إليك عني ، فإست منك وإست مني ،
قالت : لم ؟ بأبي أنت وأمي ، قال : قلت : قد فرّق بيني وبينك الإسلام ،
وتابعت دين محمد - صلى الله عليه وسلم - قالت : فدينك دينك ، قال : قلت :
فاذهبي إلي حينا ذى الشرى - قال ابن هشام : و يقال : حمى ذى الشرى -
فتطهرى منه .

وكان ذو الشرى صنما لِدَوْس ، وكان الحمى حمى حموه له ، به وشل من
ماء يهبط من جبل .

قال : قالت : بأبي أنت وأمي ، أتخشى على الصبيّة من ذى الشّرى شيئا ؟
قال : قلت : لا ، أنا ضامنٌ لذلك ، فذهبت فاغتسلت ، ثم جاءت فعرضتُ
عليها الإسلام ، فأسلمت .

ثم دعوت دَوْسًا إلى الإسلام ، فأبطنوا علىّ ، ثم جثّ رسول الله -
صلّى الله عليه وسلم - بمكّة ، فقلت له : يا نبيّ الله ، إنه قد غلبني على دَوْس
الزّنا ، فادعُ الله عليهم ، فقال : اللهم اهْدِ دَوْسًا ، ارجع إلى قومك فادعهم
وارفُق بهم ، قال : فلم أزل بأرض دَوْس أدعوهم إلى الإسلام ، حتى هاجر
رسول الله - صلّى الله عليه وسلم إلى المدينة ، ومضى بدرٌ وأحدٌ والخندقُ ،
ثم قدمتُ على رسول الله - صلّى الله عليه وسلم - بمن أسلمَ معي من قومي ،
ورسولُ الله - صلّى الله عليه وسلم - بخيبر ، حتى نزلتُ المدينةَ بسمعين أو ثمانين
بيتًا من دَوْس ، ثم لحقنا برسول الله - صلّى الله عليه وسلم - بخيبر ، فأسلمهم لفساد
مع المسلمين .

ثم لم أزل مع رسول الله - صلّى الله عليه وسلم - حتى إذا فتح الله عليه مكّة ،
قال : قلت : يا رسول الله ، ابعثنى إلى ذى الكفّين ، ضم عمرو بنُ حمّة
حتى أُحرّقه .

قال ابن إسحاق : فخرج إليه ، فجعل طفيل يوقد عليه النار ، ويقول :
يا ذا الكفّينِ كُنتُ مِنْ عُبَادِكَ ميلادنا أقدمُ مِنْ ميلادِكَ
إني حشوتُ النَّارَ فِي فُؤَادِكَ

قال : ثم رجع إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فكان معه بالمدينة ، حتى قبض الله رسوله - صلى الله عليه وسلم - فلما ارتدت العرب ، خرج مع المسلمين ، فسار معهم ، حتى فرغوا من طليحة ، ومن أرض نجد كلها . ثم سار مع المسلمين إلى اليمامة - ومعه ابنة عمرو بن الطفيل - فرأى رؤيا وهو متوجه إلى اليمامة ، فقال لأصحابه : إني قد رأيت رؤيا ، فاعبروها لي ، رأيت أن رأسي حلق ، وأنه خرج من فمي طائر ، وأنه لقيتني امرأة ، فأدخلتني في فرجها ، وأرى ابني يطلبني طلبا حثيثا ، ثم رأيته حبس عني ، قالوا : خيرا . قال : أما أنا والله ، فقد أولتها ، قالوا : ماذا ؟ قال : أما حلق رأسي فوضعه ، وأما الطائر الذي خرج من فمي فرؤي ، وأما المرأة التي أدخلتني فرجها ، فالأرض تحفر لي ، فأغيب فيها ، أما طلب ابني إياي ثم حبسه عني ، فإني أراه سيجهد أن يصيبه ما أصابني ، فقتل رحمه الله شهيدا باليمامة ، وجرح ابنه جراحة شديدة ، ثم استبَلَّ منها ، ثم قُتل عام اليزموك في زمن عمر رضي الله عنه شهيدا .

من قصة أعشى بن قيس بن ثعلبة

قال ابن هشام : حدثني خلاد بن قرّة بن خالد السدوسي وغيره من مشايخ بكر بن وائل من أهل العلم : أن أعشى بن قيس بن ثعلبة بن عكابة ابن صعب بن علي بن بكر بن وائل ، [بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دُعْي] ابن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار [خرج إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يريد الإسلام فقال يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم :

أَلَمْ تَقْتَمِضْ عَيْنَكَ لَيْلَةَ أَرْمَدَا
وَمَا ذَاكَ مِنْ عَشْقِ النِّسَاءِ ، وَإِنَّمَا
وَإِذَا أَرَى الدَّهْرَ الَّذِي هُوَ خَائِنٌ
كَهَوْلًا وَشُبَّانًا فَقَدْتُ وَتَرْوَةً
وَمَا زِلْتُ أَبْنَى الْمَالَ مُذْ أَنَا يَافِعٌ
وَأَبْتَذِلُ الْعَيْسَ الْمَرَامِيلَ تَعْتَلِي
أَلَا أَتِيهِذَا السَّائِلِي أَيْنَ يَمْتَمُ
فَإِنْ تَسْأَلْنِي عَنِّي ، فَيَا رَبِّ سَائِلِي
أَجِدْتُ بِرِجْلَيْهَا النَّجَاءَ ، وَرَاجَعْتُ
وَفِيهَا - إِذَا مَا هَجَرْتُ - عَجْرَفِيَّةٌ
وَأَلَيْتُ لَا آوِي لَهَا مِنْ كَلَالَةٍ
مَتَى مَا تُنَافَخِي عِنْدَ بَابِ ابْنِ هَاشِمٍ
نَبِيًّا يَرَى مَا لَا تَرَوْنَ وَذَكَرُهُ
لَهُ صَدَقَاتٌ مَا تُغِيبُ وَنَائِلٌ
أَجِدْكَ لَمْ تَسْمَعْ وَصَاةَ مُحَمَّدٍ
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَرْحَلْ بَزَادَ مِنَ التَّقَى
نَدِمْتَ عَلَى أَنْ لَا تَكُونُ كَمَثَلِهِ
فَإِيَّاكَ وَالْمَيْتَاتِ لَا تَقْرَبْنَهَا
وَذَا النُّصَبِ الْمَنْصُوبِ لَا تَنْدُسْكَفَهُ

وَبَتْ كَلِمَاتِ السَّلَامِ مُسْتَدَا
تَنَاسَيْتَ قَبْلَ الْيَوْمِ خَلَّةً مَهْدَا
إِذَا أَصْلَحْتُ كَفَايَ عَادَ ، فَأَفْسَدَا
فَلَيْلَهُ هَذَا الدَّهْرُ كَيْفَ تَرَدَّدَا !!
وَلِيدًا وَكِهْلًا حِينَ شِدَّتْ وَأَمْرَدَا
مَسَافَةً مَا بَيْنَ التَّجْبِيرِ فَصَرَّخَدَا
فَإِنَّ لَهَا فِي أَهْلِ يَثْرِبَ مَوْعِدَا
حَفِيَّ عَنِ الْأَعْشَى بِهِ حَيْثُ أَصْعَدَا
يَدَاهَا خِنَافًا لَيْنًا غَيْرَ أَحْرَدَا
إِذَا خَلَّتْ حِرْبَاءَ الظَّهِيرَةِ أَضِيدَا
وَلَا مِنْ حَفِيٍّ حَتَّى تَلَاقَى مُحَمَّدَا
تُرَاحِي ، وَتَلْقَى مِنْ قَوَاضِلِهِ نَدَى
أَغَارَ لَعْمَرَى فِي الْبِلَادِ وَأُنْجَدَا
وَلَيْسَ عَطَاءُ الْيَوْمِ مَا نَعَهُ غَدَا
نَبِيُّ الْإِلَهِ حَيْثُ أَوْصَى ، وَأَشْهَدَا
وَلَا فَيْتَ بَعْدَ الْمَوْتِ مَنْ قَدْ تَزَوَّدَا
فَتَرَصِدَ لِلْأَمْرِ الَّذِي كَانَ أَرْصَدَا
وَلَا تَأْخُذَنَّ سَهْمَا حَدِيدًا ، لَتَقْصِدَا
وَلَا تَعْبُدِ الْأَوْتَانَ ، وَاللَّهُ فَاْعْبُدَا

ولا تَقْرَبَنَّ حُرَّةً كَانَ سِرُّهَا عَلَيْكَ حَرَامًا فَانْكَحَنَّ أَوْ تَابَّدَا
وَذَا الزَّحِيمِ الْقُرْبَى فَلَا تَقْطَعَنَّه لِمَا قَبِيحَةٍ وَلَا الْأَسِيرَ الْمُقَيَّدَا
وَسَبِّحْ عَلَى حِينِ الْعَشِيَّاتِ وَالضُّحَى وَلَا تَحْمَدِ الشَّيْطَانَ وَاللَّهَ فَاحْجَدَا
وَلَا تَسْخَرَنَّ مِنْ بَائِسٍ ذِي خَرَارَةٍ وَلَا تَحْسَبَنَّ الْمَسَالَ الْغُرَى مُخْلَدَا

مصير الأعشى

فلما كان بمكة أو قريبا منها ، اعترضه بعضُ المشركين من قريش ، فسأله عن أمره ، فأخبره أنه جاء يريد رسول الله - صلى الله عليه وسلم ؛ ليُسلم ، فقال له : يا أبا بصير ، إنه يُحرِّمُ الزَّنا ، فقال الأعشى : والله إن ذلك لأمرٌ مالى فيه من أرب ، فقال له : يا أبا بصير ، فإنه يحرم الخمر ، فقال الأعشى : أمّا هذم فوالله إن في النفس منها أملاّلات ، ولكنى منعرفٌ فأتروى منها عامى هذا ، ثم آتية فأسلم . فانهصرف فمات في عامه ذلك ، ولم يَعد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذلة أبي جهل

قال ابن إسحاق : وقد كان عدوَّ الله أبو جهل بن هشام مع عداوته لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - وبغضه إياه ، وشدّته عليه ، يُذِلُّه الله له إذآرآه .

أبو جهل والإراشى

قال ابن إسحاق : حدثني عبد الملك بن عبد الله بن أبي سفيان الثقفي ،
وكان واعية ، قال : قدم رجلٌ من إراش - قال ابن هشام : ويقال : إراشة -
بابل له مكة ، فابتاعها منه أبو جهل ، فمطله بأنمانها . فاقبل الإراشى حتى
وقف على نادر من قريش ، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - في ناحية المسجد
جالس ، فقال : يا معشر قريش ، مَنْ رجلٌ يؤدّيني على أبي الحكم بن هشام ،
فإني رجلٌ غريب ، ابنٌ سبيل ، وقد غلبني على حق ؟ : فقال له أهلُ ذلك
الجلس : أتري ذلك الرجلَ الجالس - لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -
وهم يهزءون به ؛ لما يعلمون بينه وبين أبي جهل من العداوة - اذهب إليه ،
فإنه يُؤدّيك عليه .

فاقبل الإراشى حتى وقف على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال :
يا عبد الله إن أبا الحكم بن هشام قد غلبني على حق لي قبلك ، وأنا غريب
ابن سبيل ، وقد سألت هؤلاء القومَ عن رجلٍ يؤدّيني عليه ، يأخذني حقّ
منه ، فأشاروا إلىّ ، فخذني حقّ منه ، يرحمك الله ، قال : انطلق إليه ،
وقام معه رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - فلما رأوه قام معه ، قالوا لرجل
ممن معهم : اتبعه ، فانظر ماذا يصنع .

قال : وخرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى جاءه ، فضرب
عليه بابُه ، فقال : من هذا ؟ قال : محمد ، فاخرج إليّ ، فخرج إليه ، ومافى
وجهه من رائحة ، قد انتفج لونه ، فقال : أعطِ هذا الرجل حقه ، قال : نعم ،

لاتبرح حتى أعطيته الذى له ، قال : فدخل ، فخرج إليه بحقه ، فدفعه إليه . قال : ثم انصرف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقال للإراشى : الحق بشأنك ، فأقبل الإراشى حتى وقف على ذلك المجلس ، فقال : جزاه الله خيراً ، فقد والله أخذ لى حق .

قال : وجاء الرجل الذى بعثوا معه ، فقالوا : ويحك ! ماذا رأيت ؟ قال : عجباً من العجب ، والله ما هو إلا أن ضرب عليه بابته ، فخرج إليه ومامعه رُوحه ، فقال له : أعط هذا حقه ، فقال : نعم ، لاتبرح حتى أخرج إليه حقه فدخل فخرج إليه بحقه ، فأعطاه إياه . قال : ثم لم يلبث أبو جهل أن جاء ، فقالوا له : وبلك ! مالك والله مارأينا مثل ما صنعت قط ! قال : ويحكم ، والله ما هو إلا أن ضرب على بابى ، وسمعت صوته ، فمُلئت رعباً ، ثم خرجتُ إليه ، وإن فوق رأسه لفخلاً من الإبل ، مارأيت مثل هامة ، ولا قصرته ، ولا أنبأ : نَاط ، لو أبيت لأكلنى .

ركانة ومصارعته

قال ابن إسحاق : وحدثني أبي إسحاق بن يسار ، قال : كان رُكَّانةُ ابن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف أشدَّ قُرَيْش ، فغلا يوماً برسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى بعض شعاب مكة ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : يارُكَّانة ، ألا تتقى الله ، وتقبل ما أدعوك إليه ؟ قال : إني لو أعلم أن الذى تقول حق لانبعتك ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم :

أَفَرَأَيْتَ إِنْ صَرََعْتُكَ ، أَتَعْلَمُ أَنَّ مَا أَقُولُ حَقٌّ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : فَقُمْ حَتَّى أَصَارَ عَكَ . قَالَ : فَقَامَ إِلَيْهِ رُكَّانَةً بِصَارِعِهِ ، فَلَمَّا بَطَّشَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَضْجَعَهُ ، وَهُوَ لَا يَمْلِكُ مِنْ نَفْسِهِ شَيْئًا ، ثُمَّ قَالَ : عُدُّ يَا مُحَمَّدُ ، فَعَادَ فَصَرَ عَهُ ، فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ : وَاللَّهِ إِنْ هَذَا لِلْعَجَبِ ، أَنْتَصِرَ عَنِّي ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ إِنْ شِئْتُ أَنْ أُرِيكَهُ ، إِنْ أَنْقَيْتَ اللَّهُ وَاتَّبَعْتَ أَمْرِي ، قَالَ : مَا هُوَ ؟ قَالَ : أَدْعُوكَ هَذِهِ الشَّجَرَةَ الَّتِي تَرَى فَتَأْتِنِي ، قَالَ : ادْعُهَا ، فَدَعَاها ، فَأَقْبَلَتْ حَتَّى وَقَفَتْ بَيْنَ يَدَيِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ : فَقَالَ لَهَا : ارْجِعِي إِلَى مَكَانِكَ . قَالَ : فَرَجَعَتْ إِلَى مَكَانِهَا !

قَالَ : فَذَهَبَ رُكَّانَةً إِلَى قَوْمِهِ ، فَقَالَ : يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ ، سَاحِرُوا بِصَاحِبِكُمْ أَهْلَ الْأَرْضِ ، فَوَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ أُسْحَرَ مِنْهُ قَطُّ ، ثُمَّ أَخْبَرَهُم بِالَّذِي رَأَى ، وَالَّذِي صَنَعَ .

قدوم وفد النصارى من الحبشة

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : ثُمَّ قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَهُوَ بِمَكَّةَ - عَشْرُونَ رَجُلًا ، أَوْ قَرِيبٌ مِنْ ذَلِكَ مِنَ النَّصَارَى ، حِينَ بَلَغَهُمْ خَبَرُهُ مِنَ الْحَبَشَةِ ، فَوَجَدُوهُ فِي الْمَسْجِدِ ، فَجَاسُوا إِلَيْهِ وَكَلَّمُوهُ وَسَلُّوهُ ، وَرَجَالٌ مِنْ قُرَيْشٍ فِي أُنْدِيَتِهِمْ حَوْلَ الْكَعْبَةِ ، فَمَا فَرَّغُوا مِنْ مَسْأَلَةِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَمَّا أَرَادُوا ، دَعَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِلَى اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - وَتَلَا عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ ، فَلَمَّا سَمِعُوا الْقُرْآنَ فَاضَتْ أَعْيُنُهُمْ مِنَ الدَّمْعِ ، ثُمَّ اسْتَجَابُوا

لله ، وآمنوا به وصدقوه ، وعرفوا منه ما كان يُوصف لهم في كتابهم من أمره . فلما قاموا عنه اعترضهم أبو جهل بن هشام في نفر من قُرَيش ، فقالوا لهم : خيِّبكم الله من ركب ! بعثكم من وراءكم من أهل دينكم ترتادون لهم ؛ لتأتوهم بخبر الرجل ، فلم تطمئن مجالسكم عنده ، حتى فارقتم دينكم ، وصدقتموه ببال ، ما نعلم ركبا أحق منكم ، أو كما قالوا ، فقالوا لهم : سلام عليكم ، لا تُجاهِلُكم ، انا مانحن عليه ، ولكم ما أنتم عليه ، لم نأل أنفسنا خيرا .

ويقال : إن النفر من النصارى من أهل نجران ، فالله أعلم أى ذلك كان . فيقال - والله أعلم - فيهم نزلت هؤلاء الآيات : « الذين آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ . وَإِذَا يُنْزِلُ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ ، إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا ، إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ » .. إلى قوله : « لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ ، سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا تَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ » القصص : ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٥ .

قال ابن إسحاق : وقد سألت ابن شهاب الزهري عن هؤلاء الآيات فيمن أنزلن ، فقال لى : ما أسمع من علمائنا أنهن أنزلن في النجاشي وأصحابه ، والآية من سورة المائدة من قوله : « ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَسِيصِينَ وَرُهْبَانًا ، وَأَسْرَمُوا لَا يَسْتَكْبِرُونَ » .. إلى قوله : « فَانكُتِبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ » المائدة : ٨٢ ، ٨٣ .

قال ابن إسحاق وكان رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - إذا جلس

في المسجد ، فجلس إليه المستضعفون من أصحابه : خبابٌ ، وعمارٌ ، وأبوفكيهة يسار مولى صفوان بن أمية بن محرز ، وصهيب ، وأشباههم من المسلمين ، هزئت بهم قريش ، وقال بعضهم لبعض : هؤلاء أصحابه كما ترون ، هؤلاء من الله عليهم من بيننا بالهدى والحق ! لو كان ماجاء به محمدٌ خيراً ما سبقنا هؤلاء إليه ، وما خصهم الله به دوننا . فأنزل الله تعالى فيهم : « وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ ، وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ، وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا : أَهَؤُلَاءِ مَنْ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا ، أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ . وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا ، قُلْ : سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ، ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ غُفُورٌ رَحِيمٌ » الأنعام : ٥٢ - ٥٤

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما بلغني - كثيراً ما يجلس عند المرأة إلى مبيعة غلام نصراني ، يقال له : جبر ، عبدُ لبني الحضرمي ، فكانوا يقولون : والله ما يعلم محمدٌ كثيراً مما يأتى به إلا جبرُ النصراني ، غلامُ بني الحضرمي ، وأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم : « وَلَقَدْ نَعَامُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ : إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ » النحل : ١٠٣

قال ابن هشام : يُلحدون إليه : يميلون ، والإلحاد : الميل عن الحق

قال رؤبة بن العجاج :

إِذَا تَبِعَ الضَّحَّاكَ كُلُّ مُلْحِدٍ [وَنَحْنُ ضَرَابُونَ هَامَ الْعُنْدِ]

ابن هشام : يعني الضحَّاك الخارجي ، وهذا البيت في أرجوزة له

مول مربيث طفيل الدوسي وزى الكفين :

فصل : وذكر حديث طفيل بن عمرو الدوسي ، وهو طفيل بن عمرو ابن طريف بن العاصي بن ثعلبة بن سلم بن جهم بن دوس إلى آخره ^(١) وليس فيه إشكال إلا قوله : حنفا ذى الشرى ، وقد قال ابن هشام : هو حمى ، وهو موضع حموة لصنمهم ذى الشرى ، فإن صحت رواية ابن إسحاق ، فالنون قد تبدل من الميم ، كما قالوا : حُلان وحُلَام للجدى ، ويجوز أن يكون من حنوت العود ، ومن تحنيفة الوادى ، وهو ما انحنى منه .

وقوله : يا ذا الكفين است من عبادكا . أراد : الكفين بالتشديد ، تخفف للضرورة ، غير أن فى نسخة الشيخ أن الصنم كان يسمى : ذا الكفين ، وتخفف .

(١) فى الإصابة : ابن فهم بدلا من : جهم . وله فيها نسب آخر هو : ابن عبد عمرو بن عبد الله بن مالك ، بن عمرو بن فهم ، لقبه : ذو النور ، وحكى المرزبانى فى معجمه أنه الطفيل بن عمرو بن حممة ويقول ابن حجر فى الإصابة عن قصة الطفيل فى السيرة : وذكرها ابن إسحاق فى سائر النسخ بلا إسناد ، وأخرجه ابن سعد أيضاً من وجه آخر وكذلك الاموى عن ابن السكبي بإسناد آخر . هذا وقد ذكر ابن حبان أنه مات باليرموك ، وقيل : بأجنادين كما ذكر موسى بن عقبة وأبو الاسود عن عروة .

(٢) فى الاصنام لابن السكبي ص ٢٧ ط ١ : وكان لدوس ثم لبني منهب . ابن دوس صنم يقال له : ذو الكفين ، فلما أسلموا بعث النبي ﷺ ص ، الطفيل ابن عمر الدوسى لحرقه . وروى الرجز ، وفى جمهرة ابن حزم : وكان لحزاعة ودوس ، كسره عمرو بن حممة الدوسى ، ص ٤٦٠ ، وفى المراسد : أن فاده تخفف وتضعف . وفى ذكره القاموس فى مادة كف .

الفاء بخطه بعد أن كانت مشددة ، فدل أنه عنده مخفف في غير الشعر ، فإن صح هذا فهو محذوف اللام ، كأنه تننية كَفء ، من كفأت الإناء ، أو إذا كفء بمعنى كفء ؟ ! ثم سُمَّتِ الهمزة ، وألقيت حركتها على الفاء ، كما يقال : انْخَبْه وانْخَبْ^(١) ، وفي الحديث : أن أهل الحاضر من دَوَسٍ كانوا يترأون في الشَّيْثَةِ ، وفي سوطه كالقنديل المعلق^(٢) ، وذكره المبرِّد فقال في لفظ الحديث : جعلوا ينظرون إلى الجبل ، وهو يهتف من شدة الضياء والنور ، وروى ، أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال : لما قال طفيل للنبي - صلى الله عليه وسلم - إن

(١) يقول ابن الحاجب في باب تخفيف الهمزة المتحركة الساكن ما قبلها : والمتحركة إن كان قبلها ساكن ، وهو واو أو ياء زائدتان لغير الإلحاق قلبت إليها ، وأدغمت فيها كخطية ، ومقروءة ، وأفيس . . . وإن كان حرفاً صحيحاً أو معتلاً غير ذلك نقلت حركتها إليه ، وحذفت نحو : مسلة وخب وشى وسو ، ص ٢٢ > ٣ شرح الشافعية ، ويقول الرضى : أعلم أنه إذا وقف على المتحركة المطرقة ، فإما أن يوقف على مذهب أهل التحقيق ، أو على مذهب أهل التخفيف ، فالأول مضى حكمه مستوفى في باب الوقف ، وأما على مذهب أهل التخفيف فإنه تخفف الهمزة أولاً ؛ لأن حالة الوصل متقدمة على حالة الوقف ، ونقل الهمزة حاصل حالة الوصل ، فتخفف على ما هو حق التخفيف من النقل والحذف في نحو الخب والقلب والإدغام في نحو : بوى ومقروء ، فيبقى الخب بتحريك الباء كالدلم ، ثم يوقف عليه بالسكون المحض ، والروم أو الإشام أو التضعيف ، ص ٤٢ > ٣ شرح الشافعية .

(٢) هذا كلام رواه الطبري وأبو الفرج الأصبهاني عن طريق ابن الكلبي ، فتأمل الطريق . وحادث مثل هذا كان يدعو إلى أن تتواتر عن الناس أخباره ، لا أن يروى هكذا كوسوسة الشيطان تحصره الملائكة .

دوسا غلب عليها الزنى والربا ، فادع الله عليهم ، قلنا : هــكت دوس ، حتى
قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - اللهم اهد دوسا^(١) .

الأعشى ورايته ومحنة والسرف :

فصل : وذكر ابن هشام حديث الأعشى^(٢) وقصيدته إلى آخرها ، فلما كان
قريباً من مكة لقيه بعض المشركين ، فقال : إلى أين يا أبا بصير ؟ الحديث ، وذكر
تحريمه الخمر ، وتحريمه الزنى ، وقول الأعشى : أما الخمر ففي الناس منها علالات
وقال غير ابن هشام : كان القائل للأعشى هذه المقالة أبو جهل . قالها في دار عتبة
ابن ربيعة ، وكان نازلاً عنده ، قال المؤلف : وهذه غفلة من ابن هشام ، ومن
قال بقوله ، فإن الناس مجمعون على أن الخمر لم ينزل تحريمها إلا بالمدينة بعد أن
مضت بدر وأحد^(٣) ، وحرمت في سورة المائدة ، وهي من آخر ما نزل ، وفي

(١) رواه الشيخان

(٢) كان أبوه فيس يدعى : قتيل الجوع ؛ لأنه دخل غارا ، فوقعت صخرة ،
فسدت الغار ، فمات جوعاً ص ٨٣ سطر اللآلى ، وفي طبقات الشعراء لابن قتيبة
أن رحلته كانت في صالح الحديبية ، وهذا يوافق ما ذهب إليه السهيلي ، وما ذكر عن
تحريم الخمر ، وما ورد في القصيدة

ونسبه في الأغاني : ميمون بن قيس بن جندل بن سراحيل بن عوف ،
ابن سعد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة الحصن الخ وما بين قوسين في السيرة زده
عن الأغاني . كان الأعشى يلقب بصناجة العرب ، لأنه - كما يقول صاحب
الأغاني - كان يغنى في شعره .

(٣) تظاهرت عدة أحاديث تؤيد هذا الرأي ، وفي البخارى بسنده عن
جابر قال : أصبح أناس غداة أحد الخمر ، فقتلوا من يومهم شهداء ، وذلك قبل
تحريمها .

الصحيحين من ذلك قصة حمزة حين شربها ، وغنمته القيتان : ألا يا حمز ،
للشرف^(١) النواء ، فبقر خواصر الشارفين ، واجتنب أسنمتهم .

(١) الحديث كما قال . وخلاصته أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان قد أعطى عليا شارفا - والشارف من الإبل الناقة التي قد أسنت - من غنائم بدر غير شارف آخر كان لعلي نصيبا من غنائم بدر ، وذهب على لبعض شأنه ، والشارفان إلى جنب حجرة رجل من الانصار ، فلما عاد على وجدتهما ، وقد قطعت أسنمتهما ، وبقرت خواصرهما ، وأخذ من أكبادهما ، فبكى على ، وعرف أن فاعل ذلك هو عمه حمزة الذي كان مع جماعة من الانصار يشربون الخمر ، فسكر ، وغنمته جاريتان شعرا - سيأتى بعد مقام وفعل بالشارفين ما تقدم ذكره ، فذهب على يشكو للنبي د ص ، فذهب النبي د ص ، إلى البيت الذي فيه حمزة ، وطفق يلومه ، فراح يصعد النظر في رسول الله د ص ، عدة مرات ، ثم قال حمزة : هل أنتم إلا عبيد لآبي ، فعرف الرسول د ص ، أنه قد ثمل - أى غشاه السكر - فنكص على عقبيه القهقري ، وقد غنم الجاريتان حمزة بما يأتى :

ألا يا حمز للشرف النواء وهن معقات بالفناء
ضغ السكين في اللبات منها وضر جن حمزة بالدماء
وعجل من أطايبها لشرب قديدا من طيبخ أو شواء

وقد أراد الذى أمر القيتين أن تغنيا هذا بعث همه حمزة - لما عرف من كرمه - لنحر الناقتين . والنواء بكسر النون جمع نأوية ، وهى الناقة السمينة . والشرب بكسر الشين وسكون الراء جمع شارب ، والفناء بكسر الفاء : جانب الدار التى كانوا فيها ، وضرج : لطح ، القديد : اللحم المطبوخ . وفى معجم الشعراء للمعزبانى أن هذا الشعر لعمد ابنه بن السائب بن أبي السائب الخزومى ، ولكنه غير أنصارى . والقهقري : الماشى إلى خلف ، وهذه حكمة عظيمة من الرسول د ص ، إذ خشى ازدياد عبث حمزة فى حال سكره ، فينتقل من القول إلى الفعل . وعند ابن أبي شيبة أن الرسول د ص ، أغرم حمزة ثمن الناقتين . وقد روى البخارى الحديث فى باب الخمس ، وغنائم بدر

وقوله للنبي عليه السلام: هل أنتم إلاَّ عبيدٌ لآبائي ، وهو سَمِيل . أخذت بطوله . فإن صح خبر الأعشى ، وما ذكر له في الخمر ، فلم يكن هذا بمكة ، وإنما كان بالمدينة ، ويكون القائل له : أما علمت أنه يحرم الخمر ، من المنافقين ، أو من اليهود ، فالله أعلم . وفي التصيدة ما يدل على هذا قوله : فإن لها في أهل يثرب موعدا ، وقد ألفت للقالى رواية عن أبي حاتم عن أبي عبيدة قال : لقي الأعشى عامر بن الطفيل في بلاد قيس ، وهو مقبل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فذكر له أنه يحرم الخمر ، فرجع ، فهذا أولى بالصواب ، وقول الأعشى : أتروى منها هذا المام ، ثم أعود فأسلم لا يخرجني عن الكفر بإجماع ، قال الإسفرايني في عقيدته : إذا قال المؤمن سأ كفر : غداً أو بعد غد ، فهو كافر لحينه بإجماع ، وإذا قال الكافر : سأؤمن غداً ، أو بعد فهو على كفره . لا يخرجني عن حكم الكفر إلاَّ إيمانه إذا آمن ، ولا خـلاف في هذا والله المستعان .

وقوله: أَلَمْ تَغْتَمِضْ عَيْنَكَ لَيْلَةَ أَرْمَدًا ، لم ينصب ليلة على الظرف ؛ لأن ذلك يفسد معنى البيت ، ولسكن أراد المصدر فحذفه ، والمعنى : اغتماض ليلة أرمد ، فحذف المضاف إلى الليلة ، وأقامها مقامه ، فصار إعرابها كإعرابه (١) ، وقد روى هذا البيت : ليلى بالكاف ، ومعناه : غَمَضُ أَرْمَد ، وقيل : بل أرمد على هدم

(١) قال الفارسي : أراد : اغتماض ليلة أرمد ، وليس بظرف ، ونسب الاغتماض إلى الليل ، كما قال عز وجل : بل مكر الليل والنهار ، ص ٤٠ سمط اللالى للبكرى

الرواية من صفة الليل ، أى حال منه على المجاز ، كما تقول : ليلى ساهر .

وقوله : تناسيت قبل اليوم خلة مَهْدَدًا . مَهْدَدٌ : فَعْلٌ من المَهْد ، ولولا قيام الدليل على أن الميم أصلية لحكنا بأنه مَفْعَل ؛ لأن الكلمة الرباعية إذا كان أولها ميما أو همزة ، فحملها على الزيادة ، إلا أن يقوم دليل على أنها أصلية ، والدليل على هذه الكلمة ظهور التضعيف فى الدال ؛ إذ لو كانت الميم زائدة لما ظهر التضعيف ، ولقلت فيه : مَهْدٌ كما تقول : مَرَدٌ وَمَكْرٌ ومَفَرٌّ فى كل ما وزنه مَفْعَل من المضاعف ، وإنما الدال فى مَهْدَد ضوعفت ليلحق ببهاء جَعْفَر^(١)

(١) يقول أبو عثمان المازنى فى التصريف فى باب الإلحاق المطرد فى الأسماء والأفعال : « أما المطرد الذى لا ينكسر ، فإن يكون موضع اللام من الثلاثة مكررا للإلحاق ، مثل مهدد وقردد وعندد ، ص ٤٧

وبقول ابن جنى فى المنصف شرح التصريف : « اعلم أنك إذا استوفيت ثلاثة أحرف من الأصول ثم تكررت اللام قضيت بزيادتها ، وذلك نحو قردد وجلبب فالدال والباء الأخيرتان زائدتان ؛ لأنهما قد تكررتا ، ولو كان موضع الدال الأخيرة حرف غير الدال لكانت الكلمة رباعية ، ص ٤٧

وفى ص ١٤١ يقول أبو عثمان المازنى : « ومهدد الميم فيه أصل ؛ لأنها لو كانت زائدة لكانت مهدا : « بفتح الميم والهاء وتضعيف الدال ، لأن مفعلا : « بفتح الميم وسكون الناء وفتح العين ، من المضاعف يحىء مدغما نحو مرد ومسد . « ويشرح ابن جنى هذا بقوله : « فظهور الدالين يدل على أنه فعلل بمنزلة قردد فإن قال قائل فقد قالوا : محجب فبينوا وهو مفعل — فما تنكر أن يكون مهدد أيضاً مفعلا من الهد ؟ قيل محجب شاذ لا يقاس عليه ، وقياسه محب كمرد ومسد ثم بين أن محجب علم ، والأعلام تغير كثيرا عما عليه أكثر الأسماء ، ولهذا جاز فى محجب إظهار التضعيف ، ثم قال : فإن قال قائل فإن مهدد اسم علم ، وهو اسم امرأة ، فما تنكر أن يكون مهدد مثل محجب ، إذ هو علم مثله ؟ ثم أجاب هو عن =

وقوله : إذا خِلت حِرْبَاءَ الظُّهيرة أَصِيدُ . والأصيد : المائل العنق ،
ولما كانت الحِرْبَاءُ تدور بوجهها مع الشمس كيفما دارت ، كانت في وسط
السماء في أول الزوال ، كالأصيد ، وذلك أحر ما تكون الرَّمضاء . يصف ناقته
بالنشاط ، وقوة المشي في ذلك الوقت .

وقوله : خِفافاً إِيَّانَا . في العين : خَنَفَتِ الناقة تخنِفَ يديها في السير ،
إذا مالت بهما نشاطاً ، وناقة خَنُوف قال الراجز .

إن الشَّوَاءَ وَالذَّسِيلَ وَلِرُغْفٍ وَالْقَيْنَةَ الحِمْيَاءَ ، وَالكَاسَ الْأُنْفُ
لِلظَّاعِنِينَ الخِيلَ ، والخيلُ خُمُفٌ^(١)

== هذا بقوله : إن محبب مفعول من الحب . أما مهدد فليس فيها دليل يدل على أنها
من الهد ، دون المهد . فيقتضى بأنه مفعول ، انظر ص ٤١ ، ٤٧ ، ١٤١ من كتاب
المنصف لابن جنى بشرحه التصريف للمازني ، انظر أيضاً ص ٥٨ > ٢
الخصائص وص ١٤ ، ٥٧ ، ٦٣ ، ٦٤ من شرح شافية ابن الحاجب ج ١

(١) الرجز للقيط بن زرارة ، وفي اللسان : الفشيل ، وقطف بدلا من الفسيل .
وخنف ، وللضاربين الهام بدلا من : الظاعنين الخيل . والشواء : لحم مشوى .
والفشيل على رواية اللسان : ما طبخ من اللحم بغير توابل يخرج من المرق ،
وينشل . ويقال أيضاً ، نشل اللحم : أخذ بيده عضوا ، فتناول ما عليه من اللحم .
بنية وهو الفشيل ، واللحم الذي يؤخذ قبل النضج ، والقيشة : الجارية المغنية ،
الكأس الأنف : هي التي لم يشرب بها قبل ، والقطف : جمع قطوف ، وهي التي
تسمى السير

وقوله : **أَيِّنَّا** غير **أَحْرَدَا** ^(١) أى : تفعل ذلك من غير حَرَدٍ فى يديها ، أى اعوجاج ، و**النَجِيرُ** و**صَرَخْدُ** بلدان ، وأهل النجير أول من ارتد فى خلافة أبى بكر بعد أهل ^(٢) **دَبَا** وكان أهل دبا قد حاصروهم **حُدَيْفَةُ** بن **أَسِيد** ، وحاصر أهل النجير **زياد بن ليبيد** بأمر أبى بكر ، حتى نزلوا على حكمه . وأما **صَرَخْدُ** فبلد طيب الأعذاب ، وإليه تنسب **الْقَصْرُ خَدِيَّة** . وفى **الأمالى** : ولدت **كطعم القصر خدى** تركته

(١) البيت فى اللسان فى مادة : خذف .

(٢) بفتح الدال على وزن فعل مع القصر : سوق من أسواق العرب بعمان ، ومدينة عظيمة مشهورة بعمان كانت فصبها ، وبضم مع تشديد الباء من : واحة البصرة فيها أنهار وقرى ، والدبا بالتعريف : موضع يظهر الخيرة معروف ، وفى هامش نسخة من معجم ما استمعتم : دبا : لإحدى فرستى العرب يجتمع فيها تجار أهل الهند والسند . والصين وأهل المشرق والمغرب ،

(٢) تمام البيت : « بأرض المدائن خشية الحدثنان ، وبعده :

ومبدل الشحنة بينى وبينه دعوت وقد طال السرى ، فدعانى

لذ : يعنى النوم ، و**الصَرَخْدَى** : العسل كذا قال أبو الميلاس ، والعداء : اللذائن ، الحدثنان : ما يحدث من الأمور . وقال أبو بكر : اللذ : اللذينة يعنى النوم و**الصَرَخْدَى** : الخمر ، وقوله : ومبدل الشحنة ، يعنى : كلبا وذلك أن الرجل إذا تحير فى الليل ، فلم يدر أين البيوت نبح ، فسمعه الكلاب ، فتنبح ، فيقصد أصواتها . ص ٢١٠ ج ١ **أمالى القالى ط ٢** ولم ينسبها إلى أحد . وهما فى حيوان الجاحظ ص ١٢١ > ١ . تحت عنوان : وقال آخر يصف كلبا ، والبيت الأول فى اللسان رواه فى مادة : لذ ، و**صَرَخْدُ** ، وقال : قال ابن برى : البيت للراعى ، وعجزه : دفعته . عشية خمس القوم والعين عاشقة ، أراد أنه لما دخل ديار أعدائه لم يتم حذارا لهم . وهذه الرواية الأخيرة رواه اللسان فى مادة **صَرَخْدُ**

وقوله : وآيت لا آوى لها من كلالَةٍ ، ولا من وجى^(١) ، أى : لأرق لها ،
يقال : آويت للضعيف إية ومأوية^(٢) إذا رقت له كبدا .

وقوله : أغار لعمرى فى البلاد وأنجدا ، المعروف فى اللغة : غار وأنجد ، وقد
أنشدوا هذا البيت : لعمرى غار فى البلاد وأنجدا . والغور : ما انخفض من
الأرض ، والنجد : ما ارتفع منها ، وإنما تركوا القياس فى الغور ، ولم يأت على
أفعل إلا قليلا ، وكان قياسه أن يكون مثل أنجد ، وأنهم ؛ لأنه من أم الغور ،
فقد هبط ونزل ، فصار من باب غار الماء ، ونحو ذلك ، فإن أردت : أشرف على
الغور ، قلت : أغار ، ولا يكون خارجا عن القياس^(٣)

وقال : صرخد : موضع نسب إليه الشراب فى قول الراعى ، ثم روى البيت بالرواية
الآخرة .

ولد كطعم الصرخدى طرخته عشية خمس القوم والقوم عاشقة
وفى المراءد : صرخد : قلعة ملاصقة لبلد حوران حصينة وولاية واسعة
حسنة ، وينسب إلى صرخد الخير الجيد . وقد وصفها أبو الفداء فى التقويم
وصفا دقيقا ، ومن قاله أن من شرقها يسلك الإنسان طريقا إلى العراق يتطلب
من السائر عشرة أيام ليصل إلى بغداد .

(١) فى الأغاني : فأليت لا أرثى ، والأغاني حفى كما فى السيرة ، وفى تجريد
الأغاني : وجى كما فى الروض . وهناك فى الأغاني مغارة أخرى هيئة لما هنا .
(٢) فى القاموس : أوى له كروى أوية ، ولابة ومأوية ، ومأواة : رقى .
(٣) وفى الأغاني عن مصيره : « فبلغ خبره قريشا ، فرصدها على طريقه ،
وقالوا : هذا صناجة العرب ما مدح أحدا قط إلا رفع من قدره ، فلما ورد
عليهم ، قالوا له : أين أردت يا أبا بصير قال : أردت صاحبكم هذا لاسلم ، قالوا :
لأنه ينهك عن خلال ويحررها عليك وكلها بك رافق ولك موافق ، قال : وما هن ؟

وقوله : وليس عطاء اليوم مانعه غدا . معناه على رفع العطاء ونصب مانع ، أى : ليس العطاء الذى يعطيه اليوم مانعه غدا من أن يعطيه ، فالهاء عائدة على المدح ، فلو كانت عائدة على العطاء لقال : وليس عطاء اليوم مانعه هو ، بإبراز الضمير الفاعل ، لأن الصفة إذا جرت على غير من هى له برز الضمير المستتر بخلاف الفعل ، وذلك لِسِرِّ بيناء فى غير هذا الموضع لم يذكره الناس ، ولو نصب العطاء لجاز على إضمار الفعل المتروك إظهاره ، لأنه من باب اشتغال الفعل عن المفعول بضميره ، ويكون اسم ليس على هذا مضمر فيها عائداً على النهي صلى الله عليه وسلم .

== فقال أبو سفيان بن حرب : الزنا ، قال : لقد تركنى الزنا ، وما تركته ، ثم ماذا ؟ قال : القمار ، قال : لعلى إن لقيته أن أصيب منه عوضاً عن القمار ، ثم ماذا ؟ قالوا : الربا . قال : ما دنت ولا أدنت ، ثم ماذا ؟ قالوا : الخمر ، قال : أوه ، أرجع إلى صباية قد بقيت لى فى المهراس ، فأشربها فقال له أبو سفيان : هل لك فى خير مما هممت به ؟ قال : وما هو ؟ قال : نحن ، وهو الآن فى هدنة ، فتأخذ مائة من الإبل ، وترجع إلى بلدك سنتك هذه ، وتنظر ما يصير إليه أمرنا ، فإن ظهرنا عليه كنت قد أخذت خلفنا ، وإن ظهر علينا أتيتهم ، ورجع بعد أن أخذ مائة بمير . ورواية الأغانى تتفق وما قيل عن تحريم الخمر ، وما روى فى بعض الأحاديث عن زمن تحريمها . وعن مصير الأعشى يقول الأغانى : فلما كان بقاع منفوخة رمى به بعيره فقتله . ورواية الأغانى قريبة جداً من رواية ابن قتيبة فى طبقات الشعراء

غور كل شيء : قعره وعمقه وبعده ، وقال الفراء : أغار بمعنى : غار . ويقول ابن منظور . وقد روى بيت أعشى مخروم النصف : غار لعمرى فى البلاد وأنجدنا . وقال الجوهري : غار يغور غورا ، أى : أتى الغور ، ولا يقال : أغار . وقال الأصمعى عن معنى أغار فى بيت الأعشى : أسرع ، وأنجد : أى ارتفع ، ولم يرد فى البيت : أتى الغور ، ولا أنجدنا ، قال : وليس عند الأصمعى فى إتيان الغور إلا غار . وانظر مادة غور ، ففىها تفصيل أكثر .

وقوله : فانكحَنَ أو تأبدا . يريد : أو ترهب ؛ لأن الراهب أبداً عزبٌ فقيل له : متأبداً اشتق من لفظ الأبد .

وقوله : فالله فاعبدا ، وقف على النون الخفيفة بالالف ، وكذلك فانكحَنَ أو تأبدا ، ولذلك كتبت في الخط بالف ، لأن الوقف عليها بالالف ، وقد قيل في مثل هذا : إنه لم يُرد النون الخفيفة ، و إنما خاطب الواحد بخطاب الاثنين ، وزعموا أنه معروف في كلام العرب ، وأنشدوا في ذلك :
فإن تزجراني يا ابنَ عفان أزدرجر وإن تدعاني أحمر عرساً مُنمعا^(١)
وأنشدوا أيضا في هذا المعنى :

وقلت لصاحبي : لا تحبسنا بنزع أصولها واجتث شيخا^(٢)

(١) البيت لسويد بن كراع العكلي ، وكان سويد قد هجا به عبد الله ابن دارم ، فاستعدوا عليه سعيد بن عثمان . فأراد ضربه ، فقال سويد قصيدة أولها :

تقول ابنة العوفي ليلي ألا ترى إلى ابن كراع لا يزال مفرعا
مخافة هذين الأميرين سهدت رقادي وغشتي بياضا مفرعا
وهذا يدل على أنه خاطب اثنين لا واحدا . بدليل قوله أيضا .

فإن أننا أحكمتاني فازجرا أراهم تؤذيني من الناس رمعا
(٢) في رواية : واجدز أي : اجتز ، والبيت من أبيات للمضرس بن ربيع الفقعسي الأسدي ، وهي :

وضيف جاءنا والليل داج وريح القر تحفز منه روحا

ونسبه الجوهري ليزيد بن الطثرية نقلا عن الكسائي ، ولكن ابن برويه في أماليه على الصحاح يؤكد أنه لمضرس ، وفي رواية : فقلت لصاحبي لا تحبسني .

ولا يمكن إرادة النون الخفيفة في هذين البيتين ، لأنها لا تكون ألفا ،
إلا في الوقف ، وهذا الفعل قد اتصل به الضمير ، فلا يصح اعتقاد الوقف
عليه دون الضمير ، وحكى أن الحجاج قال : يا حرسى اضربا عنقه ، وقد يمكن
فيه حمل الوصل على الوقف ، ويحتمل أن يريد : اضرب أنت وصاحبك ،
وقد قيل في قوله سبحانه : ﴿ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ ﴾ إن الخطاب للملك وحده حملا على
هذا الباب ، وقيل : بل هو راجع إلى قوله تعالى : (سائق وشهيد) وفي القصيدة
زيادة لم تقع في رواية ابن هشام وهي قوله في وصف الفاقة :

فأما إذا ما أدْجَلْتُ ، فترى لها رقيبين نجماً لا يغيب وفردا

وقع هذا البيت بعد قوله : لينا غير أحردا

وقوله في صفة النبي صلى الله عليه وسلم : أغار لعمرى في البلاد
وأنجدا . وبعده :

به أنقذ الله الأنام من العمى وما كان فيهم من يرئع إلى هدى

حديث الإراشى :

فصل : وذكر حديث الإراشى الذى قدم مكة ، واستعدى على أبى جهل .
قال ابن إسحاق : هو من إراش ، وهو ابن النوث أو ابن عمرو^(١) ،
ابن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ ، وهو والد أنمار الذى
ولد بجيلة وختم . وإراشة الذى ذكر ابن هشام : بطن من خثعم ، وإراشة

(١) في جمهرة ابن حزم : إراش بن عمرو بن الغوث النخ

مذكورة في المالميق في نسب فرعون صاحب مصر ، وفي بَيْلٍ أَيْضاً بنو
إِراشة^(١) ، وقوله : مَنْ [رجل] يُوْدِيْنِي عَلَى أَبِي الْحَكَمِ أَيْ : يَعْنِي عَلَى أَخْذِ
حَقِّي مِنْهُ ، وَهُوَ مِنَ الْأَدَاةِ الَّتِي تُوَصِّلُ الْإِنْسَانَ إِلَى مَا يَرِيدُ ، كَأَدَاةِ الْحَرْبِ ،
وَأَدَاةِ الصَّانِعِ ، فَالْحَاكِمُ يُوْدِي الْخَصْمَ ، أَيْ يُوَصِّلُهُ إِلَى مَطْلَبِهِ ، وَقَدْ قِيلَ : إِنْ الْهَمْزَةُ
بَدَلُ مَنْ عَيْنَ ، وَيُوْدِي وَيُعْدِي بِمَعْنَى وَاحِدٍ ، أَيْ : يُزِيلُ الْعُدُوَانَ ، وَالْعَدَاءُ
وَهُوَ : الظُّلْمُ ، كَمَا تَقُولُ : هُوَ يُشْكِيكَ أَيْ : يُزِيلُ شَكْوَاكَ ، وَفِي حَدِيثٍ
خَبَابٍ : شَكُونَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حَرَّ الرَّمَضَاءِ ، فَلَمْ يُشْكِنَا
مَعْنَاهُ عَلَى أَحَدِ الْقَوْلَيْنِ : لَمْ يَرْفَعْ شَكْوَانَا وَلَمْ يُزِلْهَا .

وقوله : فُخِرَ إِلَى اللَّهِ ، وَمَانَى وَجْهَهُ رَاثِمَةً ، أَيْ : بَقِيَّةُ رُوحٍ ، فَكَانَ مَعْنَاهُ : رُوحُ
بَاقِيَةٍ ، فَالذِّكْرُ جَاءَ بِهِ عَلَى وَزْنِ فَاعِلٍ ، وَالْأَدِلُّ عَلَى أَنَّهُ أَرَادَ مَعْنَى الرُّوحِ وَإِنْ
جَاءَ بِهِ عَلَى بِنَاءِ فَاعِلَةٍ قَوْلُ الْإِرَاشِيِّ فِي آخِرِ الْحَدِيثِ : خَرَجَ إِلَى : وَمَا عِنْدَهُ رُوحُهُ .
مصارعة رثانة :

فصل : وَذَكَرَ حَدِيثَ رُكَّانَةِ وَمَصَارَعَتِهِ لِلنَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -^(٢)

(١) وَفِي الْإِسْتِثْقَاءِ : وَمَنْ بَنَى عِزَّ إِرَاشَةٍ .

(٢) قِصَّةُ الْمَصَارَعَةِ مَشْهُورَةٌ لِرُكَّانَةِ لَكِنْ جَاءَ مِنْ وَجْهِهِ آخِرُ أَنَّهُ يَزِيدُ
ابْنَ رُكَّانَةَ . وَفِي حَدِيثِ الْمَصَارَعَةِ اضْطِرَابٌ . وَلَقَدْ قَالَ التِّرْمِذِيُّ عَنْ حَدِيثِ
الْمَصَارَعَةِ الَّذِي أَخْرَجَهُ هُوَ وَأَبُو دَاوُدَ مِنْ رِوَايَةِ أَبِي الْحَسَنِ الْعَسْقَلَانِيِّ عَنْ
أَبِي جَعْفَرٍ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ رُكَّانَةَ عَنْ أَبِيهِ : غَرِيبٌ ، وَلَيْسَ لِإِسْنَادِهِ بِقَائِمٍ . وَحَدِيثُ
الشَّجَرَةِ الَّتِي طَلَبَ الرَّسُولُ دَسَّ ، مَشْهُوبٌ لَا يَسَانِدُهُ هَدْيُ الْقُرْآنِ .

وقد تقدم مثل هذا الحديث عن أبي الأشدين الجُمجِيّ ، ولعلهما أن يكونا جميعاً صارعا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقد تقدم التعريف بأبي الأشدين ، وباسم ونسبه ؛ ورُكَّاة هذا هو : ابن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب من مَسَلَمَةِ الفتح ، وتوفي في خلافة معاوية ، وهو الذي طلق امرأته ألبتة ، فسأله رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن نيته ، فقال : إنما أردت واحدة ، فردها عليه ^(١) ، ومن حديثه عن النبي صلى الله عليه وسلم : أنه قال : إن لكل

(١) روى أبو داود في سننه عن نافع بن عجير بن عبد يزيد بن ركانة أن ركانة بن عبد يزيد طلق امرأته سهيمة ألبتة ، فأخبر النبي « ص » بذلك ، وقال : والله ما أردت إلا واحدة ، فقال النبي « ص » ، والله ما أردت إلا واحدة ؟ فقال ركانة : والله ما أردت إلا واحدة ، فردها إليه رسول الله « ص » ، فطلقها الثانية في زمن عمر ، والثالثة في زمن عثمان ، وفي جامع الترمذي عن عبد الله ابن يزيد بن ركانة عن أبيه عن جده أنه طلق امرأته ألبتة ، فأتى رسول الله « ص » فقال له : ما أردت ؟ قال واحدة ، قال : الله ، قال : آتته . قال : هو على ما أردت ، قال الترمذي : لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وسألت محمداً — يعني البخارى — عن هذا الحديث ؟ فقال : فيه اضطراب . فتارة يقول : طلقها ثلاثاً وتارة يقول : واحدة ، وتارة يقول : ألبتة ، وقال أحد : وطرقه كلها ضعيفة . أقول : إن القرآن يفرض أن يكون الطلاق بشروطه المذكورة في الكتاب ، مرة بعد مرة حتى يبلغ ثلاثاً ، وبعدها لا تحل حتى تنكح زوجاً آخر . ولا يصح إيقاع الطلاق مطلقاً إلا بعد القيام بما فرض الله من وعظ وهجر في المضاجع وضرب يقصد به التأديب ، ثم تحكيم مؤمنين خبيرين بالحكمومة ، فإن لم يصل معها إلى غاية تقيم البيت على مودة ورحمة ، وتمسكتهما من إقامة حدود الله ، تربص بها حتى تظهر بما يأتيها كل شهر ، ثم بعد هذا يوقع الطلاق مرة واحدة قبل أن يمسه وكذلك في المرة الثانية =

دين خلقا ، وخلق هذا الدين الحياء^(١) ، ولا ينفك يزيد بن رُكَّانة صحبةً أيضاً ،
ويروى عن يزيد بن رُكَّانة ابنه على ، وكان على قد أعطى من الأبد والقوة
ما لم يُعط أحد ، زرع في ذلك إلى جدِّ رُكَّانة ، وله في ذلك أخبار ذكرها
الفاكهى ، منها : خبره مع يزيد بن معاوية ، وكان يزيد بن معاوية من أشد
العرب ، فصارع يوماً ، فصرعه على سرعة لم يسمع بمثلاً ، ثم حمله بعد ذلك
على فرس جحوح لا يطلق ، فعلم على ما يراد به ، فلما تجحج به الفرس ضمَّ عليه نخذه
نخمة نفق منها الفرس ، وذكر عنه أيضاً أنه نابط رجلين أيديْن ، ثم جرى
يهما ، وهما تحت إبطيه حتى سماحا : الموت الموت ، فأطلقهما .

وفد نصارى الحبشة :

فصل : وذكر قدوم وفد النصارى من الحبشة وإيمانهم ، وما أنزل الله
فيهم من قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ﴾ ولم يقل : من النصارى ،
ولاسمهم هو سبحانه بهذا الاسم ، وإنما حكى قولهم الذى قالوه حين عرفوا
بأنفسهم ، ثم شهد لهم بالإيمان ، وذكر أنه أثابهم الجنة ، وإذا كانوا هكذا

== ثم الأخيرة أمام عدلين في كل مرة . ولنتدبر سورة الطلاق ، وآيات الطلاق في
سورة البقرة نجد القرآن يهدينا إلى أن الله لم يشرع لإيقاع الثلاث جملة واحدة ألينة .
وحسبنا قوله سبحانه : (للطلاق مرتان) فإن العرب في لغتها لا تعقل وقوع
المرتين إلا متعاقبتين ، وثبت أدلة أخرى ، وحسبنا ما ذكرناه .

(١) رواه ابن ماجه عن أنس وابن عباس كما ذكر السيوطى فى الجامع الصغير
وقال عنه : ضعيف .

فليسوا بنصارى ، هم من أمة محمد - عليه السلام - وإنما عُرف النصارى بهذا الاسم ، لأن مبدأ دينهم كان من ناصرة قرية بالشام ، فاشتقَّ اسمهم منهم ، كما اشتقَّ اسم اليهود من يهود بن يعقوب ، ثم لا يقال لمن أسلم منهم : يهودى . اسم الإسلام أولى بهم جميعاً من . ذلك النسب ^(١) .

عن غلام المبيغ ومصرّب وأبى فكبره :

فصل : ذكر أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يجلس إلى مبيغة

(١) هدى القرآن يؤكد أن كل رسول دعا إلى الإسلام ، لأنه هو دين الله الذى به أرسلوا جميعاً ، ويقول الدكتور بوست فى قاموسه عن يهود : « أطلقت هذه الكلمة أولاً على بنى يهوذا تمييزاً لهم عن الأسباط العشرة الذين سموا : لإسرائيل إلى أن تشتت الأسباط أولاً ، وأمر يهوذا ثانياً ، فنم دعى جميع نسل يعقوب يهوداً ، وفى أيام المسيح والرسول انقسم كل العالم إلى يهود وأمم ، وقد روى البيهقى حديث هؤلاء فى دلائل النبوة وأعلام الرسالة . هذا وقد ذكر النسائى أن آيات سورة المائدة (ذلك بأن منهم قسيسين) قد نزلت فى حق النجاشى ، بينما يروى الطبرانى أنها فى حق كرايين أى : فلاحين ، جاءوا مع جعفر بن أبى طالب ص ٨٦ ج ٢ تفسير ابن كثير . وهذا الاختلاف يحتم علينا ألا ننتد كثيراً على ما روى من أسباب النزول . وذكر الإمام أحمد وابن جرير ، وابن أبى حاتم فيما نزل فى حق المستضعفين أن الذى مر على الرسول . د ص ، هو الأقرع ابن حابس التميمى وعيينة بن حصن . فطلبوا منه أن يبعد المستضعفين عنه ، وأن يقعد معهم متى شاء حين يفرغون منه ، فأجابهم إلى طلبهم ، ولكن قال ابن كثير عنه : إنه حديث غريب ، لأن الآية مكية . والأقرع وعيينة ، إنما أسلبا بعد الهجرة بزمان طويل . وروى الحاكم غير هذا .

غُلام^(١) . المبيعة : مفعلة مثل المبيشة ، وقد يجوز أن يكون مفعلة بضم العين - وهو قول الأخفش ، وأما قولهم : سلعة مبيعة فمفعولة ، حذفت الواو منها في قول سيبويه حين سكنوا الياء استئقالا للضمة ، وفي قول أبي الحسن الأخفش إن الياء بدل من الواو الزائدة في مبيوعة ، ووزنها عنده : مفعولة بحذف العين ، ولل كلام على هذين المذهبين موضع غير هذا .

وذكر ضُهيّا وأبا فكيهة ، وسنذكر اسم أبي فكيهة ، والتعريف به فيما بعد لأنه بذري ، وكذلك ضُهيّب بن سنان ، ونقتصر في هذا الموضع على ذكر اسمه وهو : يسار مولى عبد الدار^(١) .

(١) هناك خلاف حول اسم هذا الغلام وحول الذين افتروا قصة السوء ، فعن قتادة ، أن اسمه يعيش ، وعن ابن عباس أن اسمه بلعام ، وكان المشركون يرون رسول الله حين يدخل عليه ، ويخرج من عنده ، فقالوا هذه القرية ، وقال الضحاك : هو سلمان الفارسي ولكن الآية مكية ، وسلمان إنما أسلم بالمدينة ، وروى عن عبد الله بن مسلم أنه كان له غلامان روميان يقرآن كتاباً لهما بلسانهما ، فكان النبي (ص) يمر بهما ، فيسمع منهما ، فقال المشركون ما قالوا . وروى الزهري عن ابن المسيب أن الذي بهت الرسول (ص) بهذه القالة الكاذبة رجل كان يكتب الوحي للرسول (ص) ثم ارتد بعد ذلك . وهي أقوال يضرب بعضها بعضها . ولقد رد الله على القرية رداً هو الحق الذي يزهق الباطل ، فلننتدبره .

(٢) قيل إنه : مولى صفوان بن أمية . ويقال إن أصله من الأزد ، وقيل إن اسمه أفتح بن يسار ، وإن كان ينسب إلى الأشعرين .

سبب نزول سورة الكوثر

قال ابن إسحاق : وكان العاص بن وائل السهمي - فيما بلغني - إذا ذكر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : دعوه ، فإنما هو رجل أبتى ، لا عقب له ، لومات لا تقطع ذكره ، واسترحم منه ، فأنزل الله في ذلك : (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ مَا هُوَ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا . وَالْكَوْثَرُ : العظيم .

الكوثر في الشعر

قال ابن إسحاق : قال لبيد بن ربيعة الكلابي :
وصاحب مَلْحُوبٍ فُجِعْنَا بِوَجْهِهِ وعند الرِّدَاعِ بَيْتُ آخِرِ كَوْثَرِ
يقول : عظيم .

قال ابن هشام : وهذا البيت في قصيدة له . وصاحب مَلْحُوبٍ : عَوْفُ
ابن الْأَخْوَصِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ كِلَابٍ ، مات مَلْحُوبٍ . وقوله : عند الرِّدَاعِ
بيت آخر كَوْثَرٍ : يعني شريح بن الأخوص بن جَعْفَرِ بْنِ كِلَابٍ ، مات بالرِّدَاعِ .
وكَوْثَرٍ : أراد الكثير ، ولفظه مشتق من لفظ الكثير . قال الكُمَيْتُ بْنُ زَيْدٍ يمدح
هشام بن عبد الملك بن مروان :

وأنت كثيرٌ يا ابنَ مَرْوَانَ طَيِّبٌ وكان أبوك ابنُ العقائلِ كَوْثَرِ
وهذا البيت في قصيدة له . وقال أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي عَائِدٍ الْهُذَلِيُّ يصف
حمار وحش :

يُحَامَى الْحَقِيقُ إِذَا مَا احْتَدَمْنَ وَحَمَحَمْنَ فِي كَوْثَرٍ كَالْجِلَالِ
يعنى بالكوثر : الغبار الكثير ، شبهه لكثرتة عليه بالجلال . وهذا
البيت في قصيدة له .

قال ابن إسحاق : حدثني جعفر بن عمرو — قال ابن هشام : هو جعفر
ابن عمرو بن أمية الضمري — عن عبد الله بن مسلم أخى محمد بن مسلم بن شهاب
الزهرى ، عن أنس بن مالك ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وقيل له : يا رسول الله ، ما الكوثر الذى أعطاك الله ؟ قال : نهر كما بين صنعاء
إلى أيلة ، آينته كعدد نجوم السماء ، ترده طيور لها كأعناق الإبل . قال : يقول
عمر بن الخطاب : إنها يا رسول الله لنا عمة ، قال : آكلها أنعم منها .

قال ابن إسحاق : وقد سمعت في هذا الحديث أو غيره أنه قال — صلى الله
عليه وسلم : « مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَا يَظْمَأُ أَبَدًا » .

نزول : (وقالوا لولا نزل عليه ملك)

قال ابن إسحاق : ودعا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قومه إلى الإسلام ،
وكلهم ، فأبلغ إليهم ، فقال له زمعة بن الأسود ، والنضر بن الحارث ،
والأسود بن عبد يغوث ، وأبي بن خلف ، والعاص بن وائل : لو جعل معك
يا محمد ملك يحدث عنك الناس ويرى معك ، فأنزل الله تعالى في ذلك من
قولهم : (وقالوا لولا أنزل عليه ملك ، وآو أنزلنا مآكا تقضى الأمر
مهم لا ينظرون ، ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا ، وللبسنا عليهم
ما يلبسون) الأنعام : ٨ ، ٩ .

نزول : (ولقد استهزى برسلك من قبلك)

قال ابن إسحاق : ومَرَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم — فيما بلغنى — بالوليد بن المغيرة ، وأمّية بن خلف ، وبأبي جهل بن هشام ، فغمزوه وهمزوه ، واستهزءوا به ، فغاظه ذلك : فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ مِنْ أَمْرِهِمْ : (وَلَقَدْ اسْتَهْزَى بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ ، فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) الْأَنْبِيَاءُ : ٤١ .

ذكر الإسراء والمعراج

قال ابن هشام : حدثنا يزيد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق الملقب قال : ثم أُسْرِى رسول الله صلى الله عليه وسلم — من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، وهو بيت المقدس من إيلياء ، وقد فشا الإسلام بمكة في قريش . وفي القبائل كلها .

قال ابن إسحاق : كان من الحديث فيما بلغنى عن مشراه — صلى الله عليه وسلم — عن عبد الله بن مسعود ، وأبي سعيد الخدري ، وعائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، ومعاوية بن أبي سفيان ، والحسن بن أبي الحسن البصري ، وابن شهاب الزهري ، وقتادة وغيرهم من أهل العلم ، وأمّ هاني بنت أبي طالب ، ما اجتمع في هذا الحديث ، كلّ يحدّث عنه بعض ما ذكر من أمره حين أُسْرِى به — صلى الله عليه وسلم ، وكان في مشراه ، وما ذكر عنه بلاء وتمحيص ، وأمر من أمر الله في قدرته وسلطانه ، فيه عبرة لأولى الأبواب ،

وهَدَى وَرَحْمَةً وَثَبَاتٍ لِمَنْ آمَنَ وَصَدَّقَ ، وَكَانَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ سَيِّحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى
يَقِينٍ ، فَاسْرَى بِهِ كَيْفَ شَاءَ ، لِيُريَهُ مِنْ آيَاتِهِ مَا أَرَادَ ، حَتَّى عَاينَ مَا عَاينَ مِنْ
أَمْرِهِ وَسُلْطَانِهِ الْعَظِيمِ ، وَقُدْرَتِهِ الَّتِي يَصْنَعُ بِهَا مَا يُرِيدُ .

رَاوِيَةُ ابْنِ مَسْعُودٍ

فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ — فِيمَا بَلَغَنِي — عَنْهُ — يَقُولُ :

أَتَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْبُرَاقِ — وَهِيَ الدَّابَّةُ الَّتِي كَانَتْ
تُحْمَلُ عَلَيْهَا الْأَنْبِيَاءُ قَبْلَهُ ، تَضَعُ حَافِرَهَا فِي مَنْتَهَى طَرَفِهَا — فَحُمِلَ عَلَيْهَا ،
ثُمَّ خَرَجَ بِهِ صَاحِبُهُ ، يَرَى الْآيَاتِ فِيمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى بَيْتِ
الْمَقْدَسِ ، فَوَجَدَ فِيهِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلَ وَمُوسَى وَعِيسَى فِي نَقَرٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ قَدْ
جُمِعُوا لَهُ ، فَصَلَّى بِهِمْ . ثُمَّ أَتَى بِثَلَاثَةِ آتِيَةٍ ، إِنْاءَ فِيهِ لَبَنٌ ، وَإِنْاءَ فِيهِ خَمْرٌ ،
وَإِنْاءَ فِيهِ مَاءٌ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَسَمِعْتُ قَائِلًا يَقُولُ
حِينَ عُرِضَتْ عَلَيَّ : إِنْ أَخَذَ الْمَاءَ ، غَرِقَ وَغَرِقَتْ أُمَّتُهُ ، وَإِنْ أَخَذَ الْخَمْرَ غَوَى ،
وَوَغَوَتْ أُمَّتُهُ ، وَإِنْ أَخَذَ اللَّبَنَ هُدِيَ ، وَهُدِيتْ أُمَّتُهُ . قَالَ : فَأَخَذْتُ إِنْاءَ اللَّبَنِ ،
فَشَرَبْتُ مِنْهُ ، فَقَالَ لِي جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : هُدِيتَ وَهُدِيتْ أُمَّتُكَ يَا مُحَمَّدُ .

حَدِيثُ الْحَسَنِ

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَحُدِّثْتُ عَنْ الْحَسَنِ أَنَّهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : بَيْنَا أَنَا نَأْتِمُ فِي الْحِجْرِ ، إِذْ جَاءَنِي جَبْرِيلُ ، فَهَمَزَنِي بِقَدَمِهِ ،
فَجَلَسْتُ فَلَمْ أَرْ شَيْئًا ، فَعُدْتُ إِلَى مَضْجَعِي ، فَجَاءَنِي الثَّانِيَةَ فَهَمَزَنِي بِقَدَمِهِ ،

فجلستُ فلم أرَ شيئاً ، فعدتُ إلى مَضْجَعِي ، فجاءني الثالثةَ فهمزني بقدمه ، فجلستُ ، فأخذ بَمَضْجَعِي ، فقامت معه فخرج إلى بابِ المسجد ، فإذا دَابَّةٌ أبيضُ ، بين البغل - والحمار - في فَيْخِذِهِ جَنَاحَانِ يَحْمِزُ بهما رجلَيْه ، يضع يده في مُنْتَهَى طرفه ، فحُمِّلْنِي عليه ، ثم خرج معي لا يفوتني ولا أفوته .

حديث قتادة

قال ابن إسحاق ، وحُذِّثْتُ عن قَتَادَةَ أَنَّهُ قَالَ : حُذِّثْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : لَمَّا دَنَوْتُ مِنْهُ ؛ لأَرْكَبَهُ شَمْسٌ ، فَوَضَعَ جَبْرِيلُ يَدَهُ عَلَى مَعْرِفَتِهِ ، ثُمَّ قَالَ : أَلَا تَسْتَعِجِي يَا بَرَأَقُ ! مِمَّا تَصْنَعُ ، فَوَاللَّهِ مَا رَكِبْتُ عَبْدًا لِلَّهِ قَبْلَ مُحَمَّدٍ أَكْرَمُ عَلَى اللَّهِ مِنْهُ . قَالَ : فَاسْتَعْجِلَا حَتَّى ارْقُضَ عَرَقًا ، ثُمَّ قَرَّ حَتَّى رَكِبْتَهُ .

من حديث الحسن

قال الحسنُ في حديثه : فَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَمَضَى جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَهُ ، حَتَّى انْتَهَى بِهِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، فَوَجَدَ فِيهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى فِي نَفَرٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ فَأَمَّهُمْ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَصَلَّى بِهِمْ ، ثُمَّ أَتَى بِإِنَاءَيْنِ ، فِي أَحَدِهِمَا : خَمْرٌ ، وَفِي الْآخَرِ : لَبَنٌ . قَالَ : فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنْاءَ اللَّبَنِ ، فَشَرِبَ مِنْهُ ، وَتَرَكَ إِنْاءَ الْخَمْرِ . قَالَ : فَقَالَ : لَهُ جَبْرِيلُ : هُدَيْتَ لِلْفِطْرَةِ ، وَهُدَيْتَ أُمَّتَكَ يَا مُحَمَّدُ ، وَحُرِّمْتَ عَلَيْكَ الْخَمْرَ ، ثُمَّ انصرفت رسولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلم - إلى مكة ، فلما

أصبح غداً على قريش ، فأخبرهم الخبر . فقال أكثر الناس : هذا والله الإمرُ
الْبَيْنُ ، والله إن العير لتطرد شهراً من مكة إلى الشام مُدبرة ، وشهراً مقبلة ،
أفيذهب ذلك محمدٌ في ليلة واحدة ، ويرجع إلى مكة ! قال : فارتدَّ كثيرٌ ممن
كان أسلم ، وذهب الناس إلى أبي بكرٍ ، فقالوا له : هل لك يا أبا بكرٍ في
صاحبك ، يزعم أنه قد جاء هذه الليلة بيت المقدس ، وصلى فيه ، ورجع إلى
مكة . قال : فقال لهم أبو بكرٍ : إنكم تكذبون عليه ، فقالوا : بلى ، ها هو ذا
في المسجد يحدث به الناس ، فقال أبو بكرٍ : والله لئن كان قاله لقد صدق ،
فما يُعجبكم من ذلك ؟ ! فوالله إنه ليُخبرني أن الخبر ليأتيه من السماء إلى الأرض
في ساعةٍ من ليلٍ أو نهار فأصدقه ، فهذا أبعدُ مما تعجبون منه ، ثم أقبل حتى
انتهى إلى رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : يا نبي الله . أحدثتَ
هؤلاء القومَ أنك أتيت المقدس هذه الليلة ؟ قال : نعم ، قال : يا نبي الله ،
فصفه لي ، فإني قد جئتُه - قال الحسن : فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم :
فرُفِع لي حتى نظرتُ إليه - فجعل رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - يصفه لأبي
بكرٍ : ويقول أبو بكرٍ : صدقتَ ، أشهد أنك رسولُ الله ، كلما وصف له منه شيئاً ،
قال : صدقتَ ، أشهد أنك رسولُ الله ، حتى انتهى ، قال رسولُ الله - صلى الله
عليه وسلم - لأبي بكرٍ : وأنت يا أبا بكرٍ الصديق ، فيومئذ سماء الصديق .

قال الحسن : وأنزل الله تعالى فيمن ارتدَّ عن إسلامه لذلك : (وَمَا جَعَلْنَا
الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ ، وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ ، وَنُخَوِّفُهُمْ
فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا » الإسراء : ٦٠ .

فهذا حديث الحسن عن مَشْرَى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وما دخل فيه من حديث قتادة .

الإسراء رؤيا

قال ابن إسحاق : وحدثني بَعْضُ آل أبي بكر : أن عائشة زوجَ النبي صلى الله عليه وسلم كانت تقول : ما فُقِدَ جَسَدُ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولكن الله أنشَرَ بروحه .

قال ابن إسحاق : وحدثني يعقوب بن عُثْبَةَ بن المغيرة بن الأَخْنَس : أن معاوية بن أبي سفيان ، كان إذا سُئِلَ عن مَشْرَى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : كانت رُؤْيَا من الله تعالى صادقة .

فلم يُنْكَرْ ذلك من قولها ، لقول الحسن : إن هذه الآية نزلت في ذلك ، قول الله تبارك وتعالى : (وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ) الإسراء : ٦٠ . ولقول الله تعالى في الخبر عن إبراهيم عليه السلام إذ قال لابنه : (يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ) الصافات : ١٠٢ . ثم مضى على ذلك . فعرفت أن الوحي من الله يأتي الأنبياء أيقاظا ونياما .

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيما بلغني - يقول : ننام عيناى ، وقابى يقظان . والله أعلم أى ذلك كان قد جاءه ، وعان فيه ما عان ، من أمر الله ، على أى حاله كان : نائما ، أو يقظان ، كل ذلك حق وصدق .

الصفات التي وصف بها النبي بعض الرسل

قال ابن إسحاق : وزعم الزُّهْرِيُّ عن سعيد بن المُسَيَّب أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وصف لأصحابه إبراهيم وموسى وعيسى حين رآهم في تلك الليلة ، فقال : أما إبراهيم ، فلم أر رجلاً أشبه بصاحبكم ، ولا صاحبكم أشبه به منه ، وأما موسى فرجل آدمٌ طويلٌ ضَرْبٌ جَعْدٌ أَقْنَى كأنه من رجال شَنْوَةَ ، وأما عيسى بن مريم ، فرجل أحمر ، بين القصير والطويل ، سَبَطَ الشعر ، كثير خيلان الوجه ، كأنه خرج من دِيَمَاس ، تَخَالَ رَأْسَهُ يَقْطُرُ ماء ، وليس به ماء ، أشبه رجالكم به عُروَةُ بن مَسْعُود النخعي

قال ابن هشام وكانت صفة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيما - ذكر عمر مولى غُفْرَةَ عن إبراهيم بن محمد بن علي بن أبي طالب ، قال : كان علي بن أبي طالب عليه السلام ، إذا نعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال - : لم يكن بالطويل المُمَغِط ، ولا القصير المُتَرَدِّد . وكان رُبْعَةً من القوم ، ولم يكن بالَجَدِّ القَطَطِ ولا السَّبَطِ ، كان جَعْدًا رَجُلًا ، ولم يكن بالْمُطَمِّمِ ولا الْمُكَلِّمِ . وكان أبيضَ مُشْرَبًا ، أَدْعَجَ العينين ، أَهْدَبَ الأُشْفَارَ ، جليل المُشَاشِ . الكَتَدَ ، دقيق المُسْرُبَةِ أَجْرَدَ ، شَتْنُ الكَفَيْنِ والقدمين ، إذا مَشَى تَقَلَّعَ ، كأنما يمشي في صَدَبٍ ، وإذا التفت التفت معا ، بين كَتْفَيْهِ خَاتَمُ النبوة ، وهو صلى الله عليه وسلم خاتمُ النَّبِيِّينَ ، أَجْوَدُ الناس كَفًّا ، وأَجْرَأُ الناس صدرًا ، وأصدق الناس لهجة ، وأوفى الناس ذِمَّةً ، وألينهم عَرِيكةً ، وأكرمهم عِشْرَةً ،

من رآه بديهة هابه ، ومن خالطه أحبه ، يقول ناعته : لم أر قبله ولا بعده مثله ، صلى الله عليه وسلم

حديث أم هانئ عن الإسراء

قال محمد بن إسحاق : وكان - فيما باغنى - عن أم هانئ بنت أبي طالب رضى الله عنها - واسمها : هند - فى مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنها كانت تقول : ما أسرى برسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلا وهو فى بيتى ، نائم عندى تلك الليلة فى بيتى ، فصلّى العشاء الآخرة ، ثم نام ونمنا ، فلما كان قبيل الفجر أهبطنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلما صلى الصبح ، وصليّنا معه ، قال : يا أم هانئ ، لقد صليّتُ معكم العشاء الآخرة كما رأيتَ بهذا الوادى ، ثم جئتُ بيت المقدس فصليّتُ فيه ، ثم قد صليّتُ صلاة الغداة معكم الآن كاترين ، ثم قام ليخرج ، فأخذتُ بطرف رِدائه ، فتكشّف عن بطنه كأنه قُبْطِيّة مطوّية ، فقلت له : يا نبيّ الله ، لا تحدّث بهذا الناس ، فيكذبوك ويؤذوك ، قال : والله لأحدثنهموه . قالت : فقلت لجارية لى حبشيّة : ويحك اتبعى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى تسمعى ما يقول للناس ، وما يقولون له . فلما خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى الناس أخبرهم ، فعجبوا وقالوا : ما آية ذلك يا محمد ؟ فإنّا لم نسمع بمثل هذا قطّ ، قال : آية ذلك أنى مررتُ بعير بنى فلان بوادى كذا وكذا ، فأنفرهم حسّ الدابة ، فندّ لهمّ بعيرٌ ، فدللّتهم عليه ، وأنا موجه إلى الشام . ثم أقبلتُ حتى إذا كنتُ بضجّنان مررتُ بعير بنى فلان ، فوجدتُ القوم نياما ، ولهم إناء فيه ماء قد غطّوا عليه

بشيء فـكشفتُ غطاءه وشربتُ مافيه ، ثم غطيتُ عليه كما كان ، وآية ذلك أن غيرهم الآن تَصُوب من البَيْضَاء ، فَغِنْيَةُ التَّخَعُّمِ بِقَدْمِهَا جَلُّ أَوْرَقُ ، عليه غرارتان ، إحداهما سوداء ، والأخرى بَرَقَاء . قالت : فابتدر القومُ الثَّانِيَّة ، فلم يَكْتُمهم أولُ منَ الْجَلِّ كما وصف لهم ، وسألوهم عن الإِنَاء ، فأخبروهم أنهم وَضَعُوهُ مَمْلُوءاً ماءً ثم غَطَّوهُ ، وأنهم هَبُّوا فوجدوه مغطى كما غَطَّوهُ ، ولم يجدوا فيه ماءً . وسألوا الآخرين وهم بمكة ، فقالوا : صدق والله ، لقد أنفَرنا في الوادي الذي ذَكَرَهُ ، وَنَدَلْنَا بَعِيرٌ ، فَسَمِعْنَا صَوْتَ رَجُلٍ يَدْعُونَا إِلَيْهِ ، حَتَّى أَخَذْنَاهُ .

الأبتر والسكوتر :

فصل : وذكر قول العاصي بن وائل : إن محمداً أَبْتَرُ إِذَا مَاتَ انقطع ذكره ، وأنزل الله تعالى فيه قوله من سورة السكوتر على قول ابن إسحاق ، وأكثر المفسرين . وقيل : إن أبا جهل هو الذي قال ذلك . وقد قيل : كعب ابن الأشرف ، ويلزم على هذا القول الأخير أن تكون سورة السكوتر مدنية ، وقد روى يونس عن أبي عبد الله الجُعْفِيِّ عن جابر الجُعْفِيِّ عن محمد بن علي ، قال : كان القاسم ابن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد بَلَغَ أَنْ يَرْكَب الدابة ، وَيَسِيرَ عَلَى النَّجِيبَةِ ، فَلَمَّا قَبِضَهُ اللَّهُ ، قَالَ الْعَاصِي : أَصْبَحَ مُحَمَّدٌ أَبْتَرٌ مِنْ ابْنِهِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ السَّكُوتَ » . عَوْضاً يَأْمُرُ مِنْ مَصِيبَتِكَ بِالْقَاسِمِ : « فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرِ إِنْ شِئْتَ إِنَّكَ هُوَ الْأَبْتَرُ » ولم يقل : إن شئتَكَ أَبْتَرُ^(١) يتضمن اختصاصه بهذا الوصف ، لأن هو في مثل هذا .

(١) في الكلام نقص لعله : . فقوله : هو الأبتر . .

الموضع تعطى الاختصاص ، مثل أن يقول قائل : إن زيدا فاسق ، فلا يكون مخصوصا بهذا الوصف دون غيره ، فإذا قلت : إن زيدا هو الفاسق ، فمعناه : هو الفاسق الذى زعمت ^(١) ، فدل على أن بالحضرة من يزعم غير ذلك ، وهكذا قال الجرجاني وغيره فى تفسير هذه الآية أن هو تعطى الاختصاص ، وكذلك قالوا فى قوله سبحانه : (وأنه هو أغنى وأقنى) لما كان العباد ^(٢) يتوهمون أن غير الله قد يغنى ، قال : هو أغنى وأقنى ، أى : لا غيره ، وكذلك قوله تعالى : « وأنه هو أمات وأحيا » إذ كانوا قد يتوهمون فى الإحياء والإماتة ماتوهم المبرود حين قال : أنا أخى وأميت ، أى : أنا أقتل من شئت ، وأستحيى من شئت ، فقال عز وجل : وأنه هو أمات وأحيا أى : لا غيره ، وكذلك قوله تعالى : (وأنه هو ربُّ الشعرى) ^(٣) أى : هو الربُّ لا غيره ، إذ كانوا قد اتخذوا أربابا من دونه ، منها : الشعرى ، فلما قال : وأنه خلق الزوجين ، وأنه أهلك عاداً استغنى الكلام عن هو التى تعطى معنى الاختصاص ، لأنه فعل لم يبدعه أحد ، ولما ثبت هذا ، فكذلك قوله : إن شئت هو الأبر أى : لا أنت . والأبر : الذى لا عقب له يتبعه ، فعدمه كالأبر الذى هو عدم

(١) فى الأصل : التى .

(٢) التعبير الدقيق : بعض العبيد .

(٣) هذه الآيات من سورة النجم وترتيبها : (وأنه هو أمات وأحيا . وأنه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة إذا تمنى ، وأن عليه النشأة الآخرة . وأنه هو أغنى وأقنى ، وأنه هو رب الشعرى) النجم ٤٤ — ٤٩ . وأقنى : أعطى المال المتخذ قنية . والشعرى : كوكب خلف الجوزاء أشد ضياء من الغميصاء وفى القاموس : الشعرى : العبور ، والشعرى : الغميصاء اختا سهل .

الذَّئِبِ، فإذا قلت هذا، ونظرت إلى العاصي، وكان ذا ولد وعقب، وولده عُثْمَرُ وَهْشَامُ ابْنَا العاصي بن وائل، فكيف يثبت له الذَّئِبُ، وانقطاع الولد، وهو ذو ولد ونسل، ونفيه عن نبيه، وهو يقول: «ما كان مُحَمَّدُ أباً أحدي من رجالكم» الأحزاب الآية: ٤٠. فالجواب: أن العاصي - وإن كان ذا ولد - فقد انقطعت العصمة بينه وبينهم، فليسوا بأتباع له، لأن الإسلام قد حجزهم عنه، فلا يرثهم ولا يرثونه، وهم من أتباع محمد عليه السلام، وأزواجه أمهاتهم، وهو أب لهم، كما قرأ: أُنْبِئْ ابْنَ كَعْبٍ: «وأزواجه أمهاتهم، وهو أب لهم»^(١)، والنبى أولى بهم» كما قال الله سبحانه، فهم وجميع المؤمنين أتباع النبى فى الدنيا، وأتباعه فى الآخرة إلى حوضه، وهذا معنى الكَوْنِ، وهو موجود فى الدنيا لكثرة أتباعه فيها، ليفدى

(١) لا يتصور مسلم أن قوله: وهو أب لهم، آية من القرآن، لأنها ليست فى المصحف. وما ليس فى المصحف فلا يعمده مسلم قرآناً أبداً كان راويه. والحديث الذى رواه البخارى حول الآية: ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به فى الدنيا والآخرة. اقرءوا إن شئتم: (النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم) فأبنا مؤمن ترك مالا فليرثه عصبته من كانوا، وإن ترك ديناً أو ضياعاً فليأتنى، فأنا مولاه، ولم ترد تلك القراءة عن طريق صحيح، والعجيب أن تسند هذه القراءة إلى أبى بن كعب وابن عباس، وأنها تروى عن معاوية ومجاهد وعكرمة والحسن ١١ تدبر هذه الأسماء المحشودة وراءه وهو أب لهم، والله يقول: (ما كان محمد أباً أحدي من رجالكم) ففى القراءة مخالفة صريحة للآية المحسكة، ثم هى توحى كثيراً من القراءات المغفلة بأن المصحف الذى بأيدينا ينقص بعض آيات أنزلها الله على محمد صلى الله عليه وسلم. ومحاولة التأويل، أو الدفاع عن هذه القراءات محاولة يكيد بها الشيطان، ويمكر ضد القرآن، ومساندة لرواة مجهولين دسوا، وكتب يحاول بعض الناس أن يرفعوها فوق القرآن.

أرواحهم بما فيه حياتهم من العلم ، وكثرة أتباعه في الآخرة ليستقيم من حوضه ما فيه الحياة الباقية ، وعدو الله العاصي على هذا هو الأبر على الحقيقة ، إذ قد انقطع ذنبه وأتباعه ، وصاروا تبعاً لمحمد - صلى الله عليه وسلم - ولذلك قوبل تغييره للنبي - صلى الله عليه وسلم - بالبر بما هو ضده من الكثرة ؛ فإن السكثرة تضاد معنى القلة ، ولو قال في جواب اللعين : إنا أعطيناك الحوض الذى من صفته كذا وكذا لم يكن رداً عليه ، ولا مُشاكلاً لجوابه ، ولكن جاء باسم يتضمن الخير الكثير ؛ والعدد الجَم الغفير المُضاد لمعنى البَر ، وأن ذلك في الدنيا والآخرة بسبب الحوض المورود الذى أعطاه ، فلا يختص لفظ الكوثر بالحوض ، بل يجمع هذا المعنى كله ، ويشتمل عليه ، ولذلك كانت آنيته كعدد النجوم^(١) ، ويقال : هذه الصفة في الدنيا : علماء الأمة من أصحابه ومن بعدهم ، فقد قال : أصحابي كالنجوم^(٢) ، وهم يرؤون العلم عنه ، ويؤدونه

(١) في حديث متفق عليه : « حوضى مسيرة شهر ، وزواياه سواء ، مائه أبيض من اللبن ، وريحه أطيب من المسك ، وكيزانه كنجوم السماء من يشرب منها فلا يظمأ أبداً . » كما وردت مسألة الكيزان هذه في روايتين عند مسلم ، إحداهما عن أبي هريرة ، والأخرى عن أنس . ولكن لنذكر مع هذا حديثاً آخر : « قال رسول الله - ص - : « إني فرطكم على الحوض ، من مر على شرب ، ومن شرب لم يظمأ أبداً ، ليردن على أقوام أعرفهم ، ويعرفوننى ، ثم يحال بيني وبينهم ، فأقول لمنهم منى ، فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ، فأقول : سحقاً سحقاً لمن غير بعدى ، متفق عليه . »

(٢) في حديث رواه رزين : « أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم ، وقد قال عنه المحدث الفاضل الشيخ محمد ناصر الالباني : « حديث باطل ، وإسناده واه جداً . » ص ٢١٩ ج ٣ مشكاة المصابيح .

إلى مَنْ بعدهم ، كما تَرَوِي الآنيَّةُ في الحوض ، وتسقى الواردةَ عليه : تقول : رَوَيْتُ الماءَ، أى : اسْتَقَيْتَهُ كما تقول : رَوَيْتُ العلمَ ، وكلاهما فيه حياة ، ومنه قيل لمن روى علماً أو شعراً : راوية تشبيهاً بِالْمَزَادَةِ أو الدَّابَّةِ التي يُحْمَلُ عليها الماء وليس من باب علامة ونسابة ، وفي حديث أبي بَرَزَةَ في صفة الحوض أنها تَنْزَوِي فِي أَكْفِ الْمُؤْمِنِينَ ، يعنى الآنيَّةُ، وَحَصْبَاءُ الْحَوْضِ : اللؤلؤُ والياقوت ^(١) ، ويقابلهما في الدنيا الحِكمُ الماثورةُ عنه ، ألا ترى أن اللؤلؤَ في علم التعبير حِكْمٌ وفوائدٌ علم ، وفي صفة الحوض له المسك ، أى : حَمَائِهِ ^(٢) ويقابله في الدنيا : طيبُ الثناء على العلماء ، وأتباع النبي الأتقياء ، كما أن المسك ، في : علم التعبير ثناءٌ حَسَنٌ ، وعلم التعبير من علم النُّبُوَّةِ مُقْتَبَسٌ . وذكر في صفة الحوض الطيرُ التي ترده كأعناقِ الْبُخْتِ ^(٣) ، ويقابله من صفة العلم في الدنيا وُرُودُ الطالبيين من كل صُفْعٍ ^(٤) وَقَطَرٌ على حضرة العلم وانتياهم إياها في زمن النبي - صلى الله عليه وسلم - وبعده ، فتأمل صفة الكوثر معقولة في الدنيا ، محسوسة في الآخرة مُدْرَكَةٌ

(١) في حديث رواه الفسافي : حَصْبَاءُ اللَّوْلُؤِ وَالْيَاقُوتِ

(٢) كَذَا بِالْأَصْلِ ، وَاحْتَمَاءُ : الطين الاسود ، وفي حديث رواه البخارى عن الكوثر : « فَإِذَا طِينُهُ مَسَكَ أَذْفَرُ » .

وفي حديث رواه أحمد : « فَضْرِبْتُ بِيَدِي فِي تَرَابِهِ ، فَإِذَا مَسَكَ أَذْفَرُ » ، وفي حديث آخر : « وَضْرِبْتُ بِيَدِي إِلَى أَرْضِهِ ، فَأَخْرَجَ مِنْ طِينِهِ الْمَسَكَ » .

(٣) الْبُخْتُ : نوع من الإبل طويلة الأعناق ، وقد ذكرت في حديث رواه الترمذى ، وصححه الحاكم ، وفيه : « وَأَعْنَاقُ الْجَزْرِ ، جَمْعُ جَزُورٍ : الْبَعِيرُ .

(٤) نَاحِيَةٌ .

بِأَعْيَانٍ - هُنَالِكَ بَيْنَ لَكَ إِعْجَازُ التَّنْزِيلِ وَمُطَابَقَةُ السُّورَةِ - اسْبَبٌ - نَزُولُهَا ،
وَلِذَلِكَ قَالَ فَضِيلٌ : (فَصَلَ لِرَبِّكَ وَانْحَرَ) أَيْ : تَوَاضَعَ لِمَنْ أَعْطَاكَ الْكَوْثَرَ
بِالصَّلَاةِ لَهُ ، فَإِنَّ الْكَثْرَةَ فِي الدُّنْيَا تَقْتَضِي فِي أَكْثَرِ الْخَلْقِ الْكِبَرَ : وَتَحْدُو
إِلَى الْفَخْرِ وَالْحَيْرِيَّةِ ، فَلِذَلِكَ كَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ طَائِطاً رَأْسَهُ عَامَ الْفَتْحِ حِينَ رَأَى
كَثْرَةَ أَتْبَاعِهِ ، وَهُوَ عَلَى الرَّاحِلَةِ حَتَّى أُلْصِقَ عُنُقُونَهُ ^(١) بِالرَّحْلِ امْتِثَالاً لِأَمْرِ
رَبِّهِ ، وَكَذَلِكَ أَمَرَهُ بِالنَّحْرِ شُكْرًا لَهُ ، وَرَفَعَ الْيَدَيْنِ إِلَى النَّحْرِ ^(٢) فِي الصَّلَاةِ عِنْدَ
اسْتِقْبَالِ الْقِبْلَةِ الَّتِي عِنْدَهَا يَنْحَرُ ، وَإِلَيْهَا يَهْدِي مَعْنَاهُ : الْجَمْعُ بَيْنَ الْفَعْلَيْنِ : النَّحْرُ
لِلْأُمُورِ بِرَبِّهِ يَوْمَ الْأَضْحَى ، وَالْإِشَارَةُ إِلَيْهِ فِي الصَّلَاةِ بِرَفْعِ الْيَدَيْنِ إِلَى النَّحْرِ ، كَمَا أَنَّ
الْقِبْلَةَ نَحْجُوجَةٌ مُصَلَّى إِلَيْهَا ، فَكَذَلِكَ يَنْحَرُ عِنْدَهَا ، وَيُشَارُ إِلَى النَّحْرِ عِنْدَ
اسْتِقْبَالِهَا ، وَإِلَى هَذَا التَّفَتُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ قَالَ : مَنْ صَلَّى صَلَاتِنَا ، وَاسْتَقْبَلَ
قِبْلَتَنَا ، وَنَسَكَ نُسُكَنَا فَهُوَ مُسْلِمٌ ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ : « قُلْ : إِنْ صَلَّاتِي وَنُسُكِي
وَنَحْيَايَ وَمَعَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لِأَشْرِيكَ لَهُ ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ ، وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ]
الْأَنْعَامُ ١٦٢ ، ١٦٣ فَتَرَنَ بَيْنَ الصَّلَاةِ إِلَى الْكَعْبَةِ ، وَالنُّسُكِ إِلَيْهَا ، كَمَا قَرَنَ بَيْنَهُمَا
حِينَ قَالَ : « فَصَلَ لِرَبِّكَ وَانْحَرَ » وَذَكَرَ فِي صِفَةِ الْحَوْضِ : كَمَا بَيْنَ صَنْعَاءَ
وَأَيْسَةَ ^(٣) وَقَدْ جَاءَ فِيهِ أَيْضًا فِي الصَّحِيحِ « كَمَا بَيْنَ جَرَبَاءَ وَأَذْرَحَ ^(٤) » وَبَيْنَهُمَا

(١) الْعُنُونُ : مَا نَبَتَ عَلَى الذَّنْفِ وَتَحْتَهُ سَفَلًا .

(٢) النَّحْرُ : أَعْلَى الصَّدْرِ .

(٣) مِنْ حَدِيثِ رِوَاةِ الطَّبْرَانِيِّ وَابْنِ حِبَانَ . وَأَيْلَةُ : مَدِينَتُهُ عَلَى سَاحِلِ بَحْرِ

الْقَلْزُومِ مَا إِلَى الشَّامِ . وَأَيْلَةُ : مَوْضِعٌ بِرِضْوَى .

(٤) جَرَبَاءُ — وَفِي الْأَصْلِ : حَرْبَاءُ مَوْضِعٌ مِنْ أَعْمَالِ عُمَانَ بِالْبَلْقَاءِ مِنْ

أَرْضِ الشَّامِ . وَهِيَ وَارِدَتَانِ فِي حَدِيثٍ مُتَّفَقٍ عَلَيْهِ . وَجَرَبَاءُ تَقْصِيرٌ وَتَمْدٌ ، وَالْقَصْرُ

مسافة بعيدة ، وفي الصحيح أيضاً في صفته : كما بين عدن أبين إلى عمان ، وقد تقدم ذكر أبين ، وأنه ابن زهير بن أيم بن خير ، وأن عدن سميت برجل من خير عدن بها ، أي : أقام ، وتقدم أيضاً ما قاله الطبري أن عدن وأبين هما ابنا عدنان أخوا معد ، وأما عمان بتشديد الميم وفتح العين ، فهي بالشام قرب دمشق ، سميت بعمان بن لوط بن هاران ، كان سكناها - فيما ذكروا - وأما عمان بضم العين وتخفيف الميم ، فهو باليمن سميت بعمان بن سنان ، وهو من ولد إبراهيم - فيما ذكروا - وفيه نظر ؛ إذ لا يُعرف في ولد إبراهيم لصلبه من اسمه سنان . وفي صفة الحوض أيضاً كما بين الكوفة ومكة ، وكما بين بيت المقدس والكعبة ، وهذه كلها روايات متقاربة المعاني ، وإن كانت المسافات بعضها أبعد من بعض ، فكذلك الحوض أيضاً له طول وعرض وزوايا وأركان ، فيكون اختلاف هذه المسافات التي في الحديث على حسب ذلك جعلنا الله من الواردين عليه ، ولا أظن أن كبادنا في الآخرة إليه . وما جاء في معنى الكوثر مارواه ابن أبي نجيح عن عائشة - قالت : الكوثر نهر في الجنة ، لا يدخل أحد أصبغيه في أذنيه إلا سمع خريز ذلك النهر ، وقع هذا الحديث في السيرة من رواية يونس ، وراوه الدارقطني من طريق مالك بن مغول عن الشعبي عن مسروق عن عائشة قالت : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : « إن الله أعطاني نهرًا يقال له الكوثر لا يشاء أحد من أمتي أن يسمع خريز ذلك الكوثر إلا سمعه ، فقلت : يا رسول الله وكيف ذلك ؟ قال : أدخلني أصبغيك في أذنيك وشددي ، فالذي تسمعين فيهما من خريز الكوثر ^(١) » وروى

(١) حديث ابن أبي نجيح منقطع ، وحديث الدارقطني مرفوع .

الدارقُطْنِيُّ من طريق جابر بن عبد الله أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال لعلي : « والذي نفسى بيده إنك لثائدٌ عن حَوْضِي يومَ القيامة تزدود عنه كغفَّارِ الأمم ، كما تزداد الإبلُ الضالَّةُ عن الماء بعصامن عَوْسَجٍ ^(١) » إلا أن هذا الحديث يرويه حَرَامُ بن عُثْمَانَ عن ابْنِ جَابِرٍ ، وقد سئل مالك عنه ، فقال : ليس بثقة ، وأغلظ فيه الشافعي القول ، وأما قوله - عليه السلام - ومِنْبَرِي على حَوْضِي ، فقد قيل في معناه أقوالٌ ، ويفسره عندى الحديث الآخر ، وهو قوله عليه السلام ، وهو عَلَى المنبر : « إني لأنظر إلى حَوْضِي الآن ^(٢) » من مقامى هذا « فتأمله .

استشهاد ابن هشام على معنى الكوثر :

وذكر ابن هشام فى الاستشهاد على معنى الكوثر قول لبيد بن ربيعة :

وصاحبٌ مَلْحُوبٌ فُجِحْنَا بيومه وعند الرِّدَاعِ بيتُ آخرِ كوثرٍ
وبالفورة الحَرَابِ ذو الفضلِ عامرٌ فنعم ضياه الطارقِ الْمُتَنَوِّرِ ^(٣)

يعنى عامر بن مالك مُلَاعِبَ الأُسْنَةِ ، وهو عم لبيدٍ ، وسنذكر : لِمَ سُمِّيَ مُلَاعِبَ الأُسْنَةِ إذا جاء ذكره إن شاء الله تعالى . وصاحبٌ مَلْحُوبٌ : عوفٌ

(١) شجر من شجر الشوك له ثمر مدور، كأنه خرز العقيق «المعجم الوسيط»

(٢) عجيب من السهيل أن يعتد بمثل هذه الداهيات التى أتف أصحاب

الصحيح من ذكرها ١١

(٣) بيت السكيت الذى فى السيرة فى الاشتقاق واللسان ، وفيه : الخلاف

مكان : المعائل .

ابن الأَحْوَص ، وقد ذكره ابن هشام . والذي عند الرَّدَاع : شَرِيحُ بن الأَحْوَص
في قوله ، وقال غيره : هو حِيَّان بن عُثْبَةَ بن مالك بن جَعْفَر بن كلاب .
والرَّدَاع : من أرض اليمامة . وَمَلْحُوب : مَفْعُولٌ من لَحَبْتُ العود ، إذا
قشَرته ، فكان هذا الموضع سُمِّيَ مَلْحُوبًا ، لأنه لا أكرم فيه ولا شَجَر .

ذكر حديث المستهزئين :

وذكر حديث المُسْتَهْزِئِينَ برسول الله - صلى الله عليه وسلم - وما أنزل
الله فيهم من قوله تعالى : « وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتُمْ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ » الآية الأنبياء : ٤١ .
فقال فيها : اسْتَهْزَيْتُمْ بِرُسُلٍ ثُمَّ قال : فحاق بالذين سَخِرُوا منهم ، ولم يقل :
اسْتَهْزَؤُوا ، ثم قال : ما كانوا به يستهزئون ولم يقل : يَسْخَرُونَ . ولا بدَّ في حكمة
في هذا من جهة البلاغة وتنزيل الكلام منازل ، فقوله : اسْتَهْزَيْتُمْ بِرُسُلٍ ، أى :
اسْتَمِعُوا من الكلام الذى يُسَمَّى استهزاءً ماساءهم تأنيسالة ، ليتأسَّى بمن قبله
من الرسل ، وإنما سُمِّيَ استهزاءً إذا كان مسموعاً ، وهو من فعل الجاهلين :
قال الله تعالى : « أَتَتَّخِذُنَا هُزُوءًا قَالَ : أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ »
البقرة : ٦٧ . وأما السُّخْرُ والسُّخْرَى ، فقد يكون في النفس غير مسموع ،
ولذلك تقول : سَخِرْتُ منه ، كما تقول : عَجِبْتُ منه ، إلا أن العجب لا يختص
بالمعنى المذموم ، كما يختص السُّخْرُ ، وفي التنزيل خبراً عن نوح : « إِنَّ تَسْخَرُوا
مِنَّا ، فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ » ، كما تَسْخَرُونَ هود : ٢٨ ولم يَقُل : نَسْتَهْزِئُ بِكُمْ
كما تَسْتَهْزِئُونَ ؛ لأن الاستهزاء ليس من فعل الأنبياء ، إنما هو من فعل الجاهلين
كما قدمنا من قول موسى عليه السلام ، فالنبي يَسْخَرُ أى : يعجب من كفر من

يَسْخَرُ بِهِ ، وَمَنْ سَخَّرَ عَقُولَهُمْ . فَإِنْ قُلْتَ : فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : (اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ) ، قَالُوا : الْعَرَبُ تَسْمِي الْجَزَاءَ عَلَى الْفِعْلِ بِاسْمِ الْفِعْلِ كَمَا قَالَ تَعَالَى : (نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ) وَهُوَ مَجَازٌ حَسَنٌ ^(١) وَأَمَّا الْاسْتَهْزَاءُ الَّذِي كُنَّا بِصَدَدِهِ ، فَهُوَ الْمُسَمَّى اسْتَهْزَاءً حَقِيقَةً ، وَلَا يَرْضَى بِهِ إِلَّا جَهُولٌ . ثُمَّ قَالَ سُبْحَانَهُ : (فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخَّرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) أَيْ حَاقَ بِهِمْ مِنَ الْوَعِيدِ الْمُبَلَّغِ لَهُمْ عَلَى السَّنَةِ لِرَسُولٍ مَا كَانُوا يَسْتَهْزِئُونَ بِهِ بِالنَّبِيِّ ، فَنَزَلَتْ كُلُّ كَلِمَةٍ عَنَزَلَهَا ، وَلَمْ يَحْسَنْ فِي حُكْمِ الْبَلَاغَةِ وَضَعُ وَاحِدَةٍ مَكَانَ الْأُخْرَى . وَذَكَرَ أَيْضًا قَوْلَهُ سُبْحَانَهُ : (وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَنَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا) أَيْ : لَوْ جَعَلْنَاهُ الرَّسُولَ إِلَيْهِمْ مِنَ الْمَلَائِكَةِ لَمْ يَكُنْ إِلَّا عَلَى صُورَةِ رَجُلٍ ، وَلَدَخَلَ عَلَيْهِمْ مِنَ اللَّبْسِ فِيهِ مَا دَخَلَ فِي أَمْرِ مُحَمَّدٍ وَقَوْلُهُ : لَبَسْنَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ مِنْهُ سُبْحَانَهُ ، فَهُوَ يُعْمَى مِنْ شَاءَ عَنِ الْحَقِّ ، وَيَفْتَحُ بَصِيرَةً مَنْ شَاءَ ، وَقَوْلُهُ : مَا يَلْبَسُونَ ، مَعْنَاهُ : يَلْبَسُونَ عَلَى غَيْرِهِمْ ، لِأَنَّهُمْ أَكْثَرُهُمْ قَدْ عَرَفُوا أَنَّهُ الْحَقُّ ، وَلَسَكُنْ جَعَدُوا بِهَا ، وَاسْتَدَيْقَمَتْنَاهَا أَنْفُسُهُمْ ، فَجَعَلُوا ، يَلْبَسُونَ أَيْ يَلْبَسُ ، بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَيَلْبَسُونَ عَلَى أَهْلِهِمْ وَأَتْبَاعِهِمْ ، أَيْ : يَخْلُطُونَ عَلَيْهِمْ بِالْبَاطِلِ ، نَقُولُ الْعَرَبُ : لَبَسْتُ عَلَيْهِمْ

(١) سبق التعليق على مثل هذا . والنسيان هنا حقيقة لامجاز ، لأن أصل النسيان — كما يقول ابن الأثير : الترك . ويقول ابن فارس في معجمه عن أصل المادة إنها أصلان : أحدهما يدل على إغفال الشيء ، والثاني : على ترك الشيء ، فيكون المعنى : تركوا الله فتركهم ، هذا لأن دعوى المجاز فيما يتعلق بأسماء الله وصفاته وأفعاله دعوى تجمع بين الحماسة والجرأة والقول على الله بغير علم . ولا سيما وأنه لم يرد عن خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم شيء من هذا .

الأمرَ أَلْبَسَهُ ، أى: سترته وخلطته ، ومن ألبس الثياب : لَبَسَ أَلْبَسُ ، لأنه فى معنى كَسَيْتُ ، وفى مُقَابَلَةِ عَرَيْتُ ، فجاء على وزنه ، والآخرفى معنى : خَلَطْتُ أو سَتَرْتُ ، فجاء على وزنه .

شرح ما فى حديث الإسراء من المشكل

اتفقت الرواة على تسميته إسرائاً ، ولم يُسمَّه أحدٌ منهم : سُرَى ، وإن كان أهلُ اللغة قد قالوا : سَرَى وأُسْرَى بمعنى واحد ، فدل على أن أهل اللغة لم يُحقِّقوا العبارة ، وذلك أن القراء لم يختلفوا فى العبارة من قوله : (سُبْحَانَ الذى أَسْرَى بِعَبْدِهِ) ولم يقل : سَرَى ، وقال : والليل إذا يسر ، ولم يقل : يُسْرِى ، فدل على أن السَّرَى من سَرَيْت إذا سَرَيْت ليلاً ، وهى مؤنثة^(١) تقول : طالت سُرَاكَ الليلة ، والإسراء مُتَعَدِّ فى المعنى ، ولكن حذف مفعوله كثيراً حتى ظن أهل اللغة أنهما بمعنى واحد ، إصاراً أوها غير متعديين إلى مفعول فى اللفظ ، وإنما أسرى بعبده ، أى : جعل البراق يسرى ، كما تقول : أَمْضَيْتُهُ ، أى : جعلته يَمْضَى ، لكن كثر حذف المفعول لقوة الدلالة عليه ، أو للاستغناء عن ذكره ، إذ المقصود بالخبر ذكر محمد ، لا ذكر الدابة التى سارت به ، وجاز فى قصة لوط عايه السلام . أن يقال له : فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ : أى فاسر بهم ، وإن يقرأ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِالْقَطْع ، أى : فَأَسْرِ بهم مَا يَتَحَمَّلُونَ عليه من دابة أو نحوها ، ولم يتصور ذلك فى السَّرَى بالنبي صلى الله عليه وسلم ، إذ لا يجوز أن يقال سَرَى بعبده بوجه

من الوجوه ؛ فلذلك لم تأت التلاوة إلا بوجه واحد في هذه القصة فتدبره .
وكذلك تسامح النحويون أيضا في الباء والهمزة ، وجعلوها بمعنى واحد
في حكم التعدية ، ولو كان ما قالوه أصلا لجاز في : أمرضته أن تقول : مَرَضْتُ به ،
وفي أَسَقَمْتُهُ : أن تقول : سَقِمْتُ به ، وفي أَعَمَيْتُهُ أن تقول : عَمَيْتُ به قياسا
على : أَذْهَبْتُهُ وَأَذْهَبْتُ به ، ويأبى الله ذلك والعالَمون ؛ فإنما الباء تعطى مع التعدية
طَرَفًا من المشاركة في الفعل ، ولا تعطيه الهمزة ، فإذا قلت : أقعدته ، فمعناه :
جعلته يقعد ، واسكنك شاركته في القعود ، فجذبته بيدك إلى الأرض ، أو نحو
ذلك ، فلا بد من طَرَفٍ من المشاركة إذا قعدت به ، ودخلت به ، وذهبت به
بخلاف أدخلته وأذهبت .

فإن قلت : فقد قال الله سبحانه ذهب الله بنورهم ، وذهب بسمعهم وأبصارهم
ويتعالى - سبحانه - عن أن يوصف بالذهاب ، أو يضاف إليه طرف منه ،
وإنما معناه : أذهب نورهم وسمعهم . قلنا : في الجواب عن هذا : أن النور
والسمع والبصر كان بيده سبحانه ، وقد قال : بيده الخير ، وهذا من الخير
الذي بيده ، وإذا كان بيده ، فجائز أن يقال ذَهَبَ به على المعنى الذي يقتضيه
قوله سبحانه بِيَدِهِ الخيرُ كأننا ما كان ذلك المعنى ، فعليه ينبنى ذلك المعنى
الآخر الذي في قوله : ذهب الله بنورهم مجازاً كان أو حقيقةً ، ألا ترى أنه
لما ذكر الرَّجْسَ كيف قال : « لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ » الأحزاب : ٣٣ .
ولم يقل يَذْهَبُ به ، وكذلك قال : « وَيُذْهِبَ عَنْكُمُ رِجْسَ الشَّيْطَانِ »
الأنفال : ١١ تعليلًا لعباده حسن الأدب معه ، حتى لا يضاف إلى التمدُّوس
سبحانه - لفظاً ومعنى شيء من الأرجاس ، وإن كانت خَلْقًا له ومِلْكًا

فلا يقال : هي بيده على الخصوص ، تحسيفا للعبارة وتنزيها له ، وفي مثل النور والسمع والبصر يحسن أن يقال : هي بيده ، فحسن على هذا أن يقال : ذهب به ، وأما أسرى بعبدته ، فإن دخول الباء فيه ليس من هذا القبيل ، فإنه فعل يتمدى إلى منعول ، وذلك المفعول المسمى هو الذى سرى بالعبد فشاذه بالأسرى ، كما قدمنا فى قعدت به أنه يُعطى المشاركة فى الفعل ، أو فى طرف منه ، فتأمله ^(١) .

(١) علق ابن القيم على قوله سبحانه : أسرى بعبدته ، فقال : « فى قوله تعالى : (أسرى بعبدته) دون بعث بعبدته ، وأرسل به ما يفيد مصاحبته فى مسراه فإن الباء هنا للمصاحبة كهى فى قوله : هاجر بأهله ، وسافر بغلامه ، وليست للمتعديّة فإن أسرى يتمدى بنفسه ، يقال : سرى به ، وأسراه ، وهذا لأن ذلك السرى كان أعظم أسفاره - صلى الله عليه وسلم - والسفر يعتمد الصاحب ، ولهذا كان - صلى الله عليه وسلم - إذا سافر يقول : ا هم أنت الصاحب فى السفر . فإن قيل : فهذا المعنى يفهم من الفعل الثلاثى لو قيل : سرى بعبدته ، فافائدة الجمع بين الهمزة والباء ، ففيه أجوبة ، ثم رفض ما أجاب به غيره ثم قال : والجواب الصحيح أن الثلاثى المتعدي بالباء يفهم منه شيان أحدهما : صدور الفعل من فاعله : الثانى : مصاحبته لما دخلت عليه الباء . فإذا قلت : سربت يزيد ، وسافرت به كنت قد وجد منك السرى والسفر مصاحبا لزيد فيه . وأما المتعدي بالهمزة : فيقتضى إيقاع الفعل بالمفعول فقط ، كقوله تعالى : (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم ، . ونظائره فإذا قرن هذا المتعدي بالهمزة بالباء أفاد إيقاع الفعل على المفعول مع المصاحبة المفهومة من الباء ، ولو أتى فيه بالثلاثى فهم منه معنى المشاركة فى مصدره ، وهو تمتنع فتأمله ، ص ٢٠٣ - ٣ بدائع القواعد .

أَلَا هُوَ إِسْرَاءُ بِقِظَةِ أَمْسٍ صَانِدًا :

فصل : ونقدم بين يدي الكلام في هذا الباب : هل كان الإسراء في يقظة مجسده ، أو كان في نومه بروحه ، كما قال سبحانه : « اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا » الزمر : ٤٣ وقد ذكر ابن إسحاق عن عائشة ومعاوية أنها كانت رؤيا حق ، وأن عائشة قالت : لم تفقد بدنه ، وإنما عرج بروحه تلك الليلة ، ويحتاج قائل هذا القول بقوله سبحانه : « وما جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَبْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ » الإسراء ٦٠ . ولم يقل : الرؤيا ، وإنما يُسَمَّى رؤيا ما كان في النوم في عرف اللغة ، ويحتاجون أيضاً بحديث البخاري عن أنس بن مالك قال : ليلة أُسْرِيَ برسول الله - صلى الله عليه وسلم - من مسجد الكعبة أنه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه ، وهو قائم في المسجد الحرام ، فقال أولهم : أيهم هو ؟ فقال أوسطهم : هو هذا ، وهو خيرهم ، فقال آخرهم : خذوا خيرهم فكانت تلك الليلة ، فلم يرههم حتى أتوه ليلة أخرى ، فيما يرى قلبه وتنام عينه ولا ينام قلبه ، وكذلك الأنبياء عليهم السلام تنام أعينهم ، ولا تنام قلوبهم ، فلم يُكَلِّمُوهُ ، حتى احْتَمَلُوهُ فوضوه عند بئر زمزم . فتولاه منهم جبريل . الحديث بطوله ، وقال في آخره : واستيقظ ، وهو في المسجد الحرام ، وهذا نص لا إشكال فيه أنها كانت رؤيا صادقة ، وقال أصحاب القول الثاني : قد تكون الرؤيا بمعنى الرؤية في اليقظة ، وأنشدوا للراعي يصف صائدا :

وَكَبَّرَ لِلرُّؤْيَا ، وَهَشَّ فَوَادُهُ وَبَشَّرَ قَلْبًا كَانَ جَمًّا بِلَابِلِهِ ^(١)

قالوا : وفي الآية بيان أنها كانت في اليقظة ، لأنه قال : « وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس » ولو كانت رؤيا نوم ما افتتن بها الناس حتى ارتد كثير من أسلم ، وقال الكفار : يزعم محمد أنه أتى بيت المقدس ، ورجع إلى مكة ليلته ، والعبير تطرد إليها شهراً مُقْبِلَةً وشهراً مُذْبِرَةً ، ولو كانت رؤيا نوم ، لم يستبعد أحدٌ منهم هذا ، فمعلوم أن النائم قد يرى نفسه في السماء ، وفي المشرق والمغرب ، فلا يستبعد منه ذلك واحتج هؤلاء أيضاً بشربه الماء من الإناء الذي كان مُغَطًى عند القوم ، ووجدوه حين أصبح لا ماء فيه ، وبإرشاده للذين نَدَّ بعيرُهم حين أنفرهم حِسَّ الدابة ، وهو البراق حتى دلهم عليه ، فأخبر أهل مكة بأمارته ذلك ، حتى ذكر الغرارَينِ السَّوداءِ والبرقاء ^(٢) كما في هذا الكتاب ، وفي رواية يونس : أنه وعدَّ قريشاً بقدوم العير التي أرشدهم إلى البعير ، وشرب إناءهم ، وأنهم سَيَقْدُمُونَ ويُخْبِرُونَ بذلك ،

(١) البلايل : شدة الهم والوسواس في الصدر . والراعى هو : عبيد بن حصين ابن معاوية من بني نعيم ، يكنى أبا جندل أو أبا نوح شاعر إسلامي ، وهم أهل بيت سؤدد . وسمى الراعى لقوله :

ضعيف العصابادى العروق تخاله عليها إذا ما أحمل الناس لإصبعها
حذا لابل إن تبسع الريح مرة يدعها ويخف الصوت حتى تربعا
لها أمرها حتى إذا ما تبسوات لاخفاها مرعى تبوأ مضجعا

(٢) اجتمع فيها سواد وبياض . وفي الرواية أنها بيضاء

فقالوا : يا محمد متى يَقدُمون ؟ فقال : يوم الأربعاء ، فلما كان ذلك اليوم ، ولم يَقدُموا ، حتى كَرَبَت الشمسُ أن تَغْرُبَ ، فدعا الله فحبس الشمس حتى قَدِموا كما وصف ، قال : ولم يحبس الشمسَ إلَّا له ذلك اليوم ، وإيُوشَعَ بن نُونٍ^(١) وهذا كُلُّه لا يكون إلَّا يَنْظَظَةً ، وذهبت طائفةٌ ثالثة ، منهم : شيخُنا القاضى أبو بكر [ابن العربي] رحمة الله إلى تصديق المقالتين ، وتصحيح الحديثين ، وأن الإسراء كان مرتين ، إحداهما : كان في نومه وتوطئة له وتيسيراً عليه ، كما كان بدء نبوته الرؤيا الصادقة ، ليسهل عليه أمر النبوة فإنه عظيم تضعف عنه القوى البشرية ، وكذلك الإسراء سهَّله عليه بالرؤيا ؛ لأنَّه هو له عظيم ، فجاءه في اليقظة على تَوَاطُؤَةٍ وَتَقْدِمَةٍ ، رَفَقًا مِن الله بعبده وتسهيلاً عليه ، ورأيت المهلب في شرح البخارى قد حكى هذا القولَ عن طائفةٍ من العلماء ، وأنهم قالوا : كان الإسراء مرتين : مرةً في نومه ، ومرة في يقظته بيدنه صلى الله عليه وسلم .

(١) هو فتى موسى - كما يقال - ونبي بنى إسرائيل بعده ، واسمه عند الكتائبين : يشوع ، وسفره يقع بعد سفر التثنية من العهد القديم ، وهم يروون أن يوشع حاصر أريحا ، فلما غربت الشمس ، أو كادت تغرب ، ويدخل عليهم السبت الذى جعل عليهم ، وشرع لهم قال لها : إِنْكَ مَأْمُورَةٌ ، وأنا مَأْمُورٌ اللهم احببها على ، فحبسها الله حتى تمسكن من فتح البلد ، وزادوا فقالوا : وأمر القمر ، فوقف عن الطلوع .

ثم يروى ابن كثير حديثاً عن الإمام أحمد : « إن الشمس لم تحبس لبشر إلَّا ليوشع ليالى سار إلى بيت المقدس ، فكيف إذن حبست للنبي صلى الله عليه وسلم ؟ وفي مسلم حديث يفيد أن الله حبس الشمس لئبى غزا . لكنه لم يصرح فيه باسم يوشع انظر ص ٣٢٣ ج ١ البداية والنهاية لابن كثير ج ١

قال المؤلف : وهذا القول هو الذى يصح ، وبه تتفق معانى الأخبار ،
 ألا ترى أنه قال فى حديث أنس الذى قدمنا ذكره : أنه ثلاثه نفر قبل أن
 يُوحى إليه ، ومعلوم أن الإسراء كان بعد النبوة ، وحين فُرضت الصلاة^(١)
 كما قدمنا فى الجزء قبل هذا ، وقيل كان قبل الهجرة بعام ، ولذلك قال فى
 الحديث : فارتد كثير ممن كان قد أسلم ، ورواة الحديثين حفاظ ، فلا يستقيم
 الجمع بين الروایتين إلا أن يكون الإسراء مرتين ، وكذلك ذكر فى حديث
 أنس : أنه لقي إبراهيم فى السماء السادسة وموسى فى السابعة ، وفى أكثر
 الروايات الصحيحة أنه رأى إبراهيم عند البيت المعمور فى السماء السابعة ،
 ولقى موسى فى السادسة ، وفى رواية ابن إسحاق أتى بثلاثة أنبياء ، أحدهما :
 فقال قائل : إن أخذ الماء غرق ، وغرقت أمته ، وفى إحدى روايات البخارى
 فى الجامع الصحيح : أنه أتى بإناء فيه عسل ، ولم يذكر الماء والرواة أثبتت ،
 ولا سبيل إلى تكذيب بعضهم ولا توهينهم ، فدل على صحة القول بأنه كان
 مرتين ، وعاد الاختلاف إلى أنه كان كله حقا ، ولكن فى حالتين ووقتین
 مع ما يشهد له من ظاهر القرآن ، فإن الله سبحانه يقول : « ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى
 فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ، فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى » ثم قال : (مَا كَذَبَ
 الْفُؤَادُ مَا رَأَى) النجم : ٨ ، ٩ فهذا نحو ما وقع فى حديث أنس من قوله :
 فيما يراه قلبه ، وعينه نائمة^(٢) والفؤاد : هو القلب ، ثم قال : « أَقَامَا رُؤُوسَهُ عَلَى

(١) بل الثابت من آيات القرآن أن الصلاة كانت مفروضة قبل الإسراء .

(٢) فى البخارى : باب : كان النبى صلى الله عليه وسلم ، تنام عينه ، ولا ينام قلبه .

رواه سعيد بن ميناء عن جابر عن النبى صلى الله عليه وسلم .

ما يرى) ولم يقل: ما قد رأى، فدل على أن ثم رؤية أخرى بعد هذه، ثم قال: (ولقد رآه نزلة أخرى) أى: فى نزلة نزلها جبريل إليه مرة، فراه فى صورته التى هو عليها (عند سدرته المنتهى، إذ يغشى السدرة ما يغشى) قال: يغشاها فراش من ذهب، وفى رواية: يذتر منها الياقوت، وثمرتها مثل قلال هجر^(١) ثم قال: (ما زاع البصر) ولم يقل: الفؤاد، كما قال فى التى قبل هذه، فدل على أنها رؤية عين وبصر فى النزلة الأخرى، ثم قال: (لقد رأى من آيات ربه الكبرى)^(٢)، وإذا كانت رؤية عين: فهى من الآيات الكبرى، ومن أعظم البراهين والعبر، وصارت الرؤيا الأولى بالإضافة إلى الأخرى ليست من الكبرى؛ لأن ما يراه العبد فى منامه دون ما يراه فى يقظته لا محالة، وكذلك قال فى أكثر الأحاديث إنه رأى عند سدرته المنتهى نهريْن ظاهرين، ونهريْن باطنين، وأخبره جبريل أن الظاهرين: النيل والفرات، وذكر فى حديث أنس أنه رأى هذين النهريْن فى السماء الدنيا، وقال له الملك: هما النيل والفرات، أصلهما وعنصرهما، فيحتل أن يكون رأى فى حال اليقظة منبعمهما، ورأى فى المرة الأولى النهريْن دون أن يرى أصلهما والله أعلم. فقد جاء فى تفسير قوله تعالى: (وأُنزلنا من السماء ماءً بقدر فأنسكنا فى الأرض) المؤمنون: ١٨ أنهم أنزلوا من الجنة

-
- (١) قرية كانت من قرى المدينة، وليست هجر البحرين، وكانت تعمل بها القلال تأخذ الواحدة منها مزادة من الماء، سميت قلة لأنها ترفع وتحمل.
- (٢) الآيات السابقة كلها من سورة النجم.

من أسفل درجة منها على جفاح جبريل ، فأودعهما بطون الجبال^(١) ثم إن

(١) بما أومن به أنه من الخير تخطيط حديث يرويه راو يخالف المحكم الصريح من كتاب الله ، والواقع المحس بكل نوع من الإحساس ، فهذا أفضل من أن نحتق بشأن حديث ينتج عنه تكذيب القرآن ، وتكذيب الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، ورمى الإسلام بأنه عفن وخرافة ، والإسلام هو الحق والنور والحياة ، وأرجو أن يكون قولي واضحا : والحديث الذى يخالف المحكم الصريح من القرآن ، والواقع المشهود الملموس المحس ، وقد أكد القرآن الإسراء ، وآياته المحكمة تقطع به وحددت مكان الإسراء ، ومن لمس جانب هذا الحق بأنارة من شك ، فقد أثم لثما عظيما وباء بخسران مبین ، وقارىء القرآن عن الإسراء لا يرتاب فى شيء ، فإن هو عرج على بعض الأحاديث ، وبعضها يخالف لبعض ربما أثارته نزعة من ريبة ، لهذا يجب علينا أن نستمع إلى ما يصادق القرآن منها ، ونضرب صفحا عن الأخرى ، تدبر أمر النيل والقرات ، وأين هما ، ثم اقرأ ماورد فى بعض الأحاديث عنهما نجد شيئا لا يمكن تصديقه إلا بضروب بعيدة من خرف التأويل ، ألا يكفى أن نتدبر قوله تعالى : (سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله ، لئريه من آياتنا ، إنه هو السميع البصير) كلام يملأ القلب والعقل والشعور نورا وهداية وبصرا وإيمانا وتسيحا لله الذى فعل بعبده ذلك .

هذا وقد عرض السبيل أمورا منها : رأى القائلين بأن الإسراء كان مرتين مرة فى نومه ، ومرة فى يقظته . ولإليك عرض الإمام ابن القيم لهذا : وقال موسى نابن عقبة عن الزهرى : عرج بروح رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى بيت المقدس ، وإلى السماء قبل خروجه إلى المدينة بسنة . . .

وكان الإسراء مرة واحدة ، وقيل : مرتين ، مرة يقظة ، ومرة مناما ، وأرباب هذا القول كأنهم أرادوا أن يجمعوا بين حديث شريك ، وقوله : ثم استيقظت ، وبين سائر الروايات ، ومنهم من قال : بل كان هذا مرتين ، مرة قبل الوحى لقوله فى حديث شريك : وذلك قبل أن يوحى إليه ، ومرة بعد =

=الوحى كما دلت عليه سائر الأحاديث . ومنهم من قال : بل ثلاث مرات ، مرة قبل الوحى ، ومرتين بعده ، وكل هذا خبط ، وهذه طريقة ضعفاء الظاهرية من أرباب النقل الذين إذا رأوا فى القصة لفظة تخالف سياق بعض الروايات جعلوها مرة أخرى ، فكما اختلفت عليهم الروايات عددوا الوقائع . والصواب الذى عليه أئمة النقل أن الإسراء كان مرة واحدة بمكة بعد البعثة . وبما عجبوا لهؤلاء الذين زعموا أنه مرارا كيف ساغ لهم أن يظنوا أنه فى كل مرة تفرض عليه الصلاة خمسين ، ثم يتردد بين ربه وبين موسى ، حتى يصير خمسا ، ثم يقول : أمضيت فريضة ، وخففت عن عبادى ، ثم يعيدها فى المرة الثانية إلى خمسين ، ثم يحطها عشرا عشرا ١٤ وقد غلط الحفاظ شريكا فى ألفاظ من حديث الإسراء ، ومسلم أورد المستند منه ، ثم قال : فقدم وأخر ، وزاد ونقص ، ولم يسرد الحديث ، وأجاد رحمه الله ، ص ١٣٠ > ٢ زاد المعاد ط السنة المحمدية . وعن المعراج بقظة أو مناما يقول الإمام الجليل أيضاً : « وقد نقل عن ابن إسحاق عن عائشة ومعاوية أنهما قالاً : إنما كان الإسراء بروحه ، ولم يفقد جسده . ونقل عن الحسن البصرى نحو ذلك ، ولكن يفتى أن يعلم الفرق بين أن يقال : كان الإسراء مناما ، وبين أن يقال : كان بروحه دون جسده ، وبينهما فرق عظيم ، وعائشة ومعاوية لم يقولوا : كان مناما ، وإنما قالوا : أسرى بروحه ، ولم يفقد جسده . وفرق بين الأمرين ، فإن ما يراه النائم قد يكون أمثالا معزوبة للعلوم فى الصور المحسوسة ، فيرى كأنه قد عرج به إلى السماء ، أو ذهب به إلى مكة وأقطار الأرض ، وروحه لم تصعد ، ولم تذهب ، وإنما ملك الرؤيا ضرب له المثال .

والذين قالوا : عرج برسول الله - صلى الله عليه وسلم - طائفتان ، طائفة قالت : عرج بروحه وبدنه ، وطائفة قالت : عرج بروحه ، ولم يفقد بدنه ، وهؤلاء لم يريدوا أن المعراج كان مناما ، وإنما أرادوا أن الروح ذاتها أسرى بها ، وعرج بها حقيقة ، وباشرت من جنس ما تباشر بعد المفارقة ، وكان حالها فى ذلك كحالها بعد المفارقة فى صعودها إلى السماوات سماء سماء ، حتى ينتهى بها =

== إلى السماء السابعة ، فتقف بين يدي الله عز وجل ، فيأمر فيها بما يشاء ، ثم تنزل إلى الأرض . والذي كان لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليلة الإسراء أكمل مما يحصل للروح عند المفارقة ، ومعلوم أن هذا أمر فوق ما يراه النائم ، لكن لما كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في مقام خرق العوائد . . عرج بذات روحه المقدسة حقيقة من غير إماتة ، ومن سواه لا ينال بذات روحه الصعود إلى السماء إلا بعد الموت والمفارقة ، ص ١٢٨ المصدر السابق ، وهو تأويل جيد للإمام الجليل .

ويقول الإمام الشوكاني : « وقد اختلف أهل العلم : هل كان الإسراء بجسده مع روحه ، أو بروحه فقط ؟ فذهب معظم السلف والخلف إلى الأول ، وذهب إلى الثاني طائفة من أهل العلم ، منهم : عائشة ومعوية والحسن وابن إسحاق ، وحكاه ابن جرير عن حذيفة بن اليمان ، وذهبت طائفة إلى التفصيل ، فقالوا : كان الإسراء بجسده يقظة إلى بيت المقدس ، وإلى السماء بالروح ، واستدلوا على هذا التفصيل بقوله : إلى المسجد الأقصى ، فجعله غاية للإسراء بذاته ، فلو كان الإسراء من بيت المقدس إلى السماء وقع بذاته لذكره ، والذي دلت عليه الأحاديث الصحيحة الكثيرة هو ما ذهب إليه معظم السلف والخلف من أن الإسراء بجسده وروحه يقظة إلى بيت المقدس ، ثم إلى السماوات ، ولا حاجة إلى التأويل ، ص ١٩٩ > ٢ فتح القدير ط مصطفى البابي الحلبي . ولو أن الشوكاني قال : بعض الأحاديث الصحيحة ، لمكان أوفق لأن بعض الأحاديث الصحيحة أيضاً تدل على أنه كان بروحه .

تاريخ الإسراء : كما يتحدث الإمام الشوكاني عن تاريخ الإسراء بقوله : « وقد اختلف أيضاً في تاريخ الإسراء ، فروى أن ذلك كان قبل الهجرة إلى المدينة بسنة ، وروى أن الإسراء كان قبل الهجرة بأعوام ، ووجه ذلك أن خديجة عجلت مع النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد ماتت قبل الهجرة بخمس سنين ، وقيل بثلاث ، وقيل بأربع ، ولم تفرض الصلاة إلا ليلة الإسراء ، وقد استدل بهذا ابن عبد البر على ذلك ، وقد اختلفت الرواية عن الزهري . ومن قال : بأن ==

الإسراء كان قبل الهجرة بسنة الزهري في رواية عنه ، وكذلك الحربي ، فإنه قال : أسرى بالنبي صلى الله عليه وسلم ليلة سبع وعشرين من ربيع الأول قبل الهجرة بسنة . وقال ابن القاسم في تاريخه : كان الإسراء بعد مبعثه بثمانية عشر شهراً قال ابن عبد البر : لا أعلم أحداً من أهل السير قال يمثل هذا . وروى عن الزهري أنه أسرى به قبل مبعثه بسبعة أعوام ، وروى عنه أنه قال : كان قبل مبعثه بخمس سنين ، وروى يونس عن عروة عن عائشة أنها قالت : توفيت خديجة قبل أن تفرض الصلاة ، ص ٢٠٠ المصدر السابق . وأقول : سبق أن بينت أن القرآن يؤكد أن الصلاة فرضت في بداية مبعثه صلى الله عليه وسلم .

وقد تحدث السهيلي عن قوله سبحانه (ثم دنا فتدلى) الخ

ولإليك رأى السلف في هذا ينقله الإمام ابن القيم أيضاً ، وأنا أنقله عنه من المصدر السابق : « وأما قوله تعالى في سورة النجم (ثم دنا فتدلى) فهو غير الدنو والتدلى في قصة الإسراء ، فإن الذي في سورة النجم هو : دنو جبريل وتدليه ، كما قالت عائشة وابن مسعود ، والسياق يدل عليه ، فإنه قال : (عليه شديد القوى) وهو جبريل : (ذو مرة فاستوى ، وهو بالافق الأعلى ، ثم دنا فتدلى) فالضائر كلها راجعة إلى هذا المعلم الشديد القوى ، وهو ذو المرة — أى القوة — وهو الذى استوى بالافق الأعلى ، وهو الذى دنا فتدلى ، فكان محمد - صلى الله عليه وسلم - قدر قاب قوسين أو أدنى ، فأما الدنو والتدلى الذى في حديث الإسراء ، فذلك صريح في أنه دنو الرب تبارك وتعالى وتدليه . ولا تعرض في سورة النجم لذلك ، بل فيها أنه رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى . وهذا هو جبريل رآه محمد - صلى الله عليه وسلم - على صورته مرتين مرة في الأرض ، ومرة عند سدرة المنتهى ، ص ١٢٧ المصدر السابق . وبهذا يسقط استدلال السهيلي بأن الإسراء كان مرتين .

وعن مسألة رؤية النبي صلى الله عليه وسلم ربه ليلة الإسراء والمعراج يقول الإمام ابن القيم أيضاً : « واختلف الصحابة : هل رأى ربه تلك الليلة أم لا ؟ فصح =

== عن ابن عباس أنه رأى ربه ، وصح عنه أنه قال : رآه بفؤاده ، وصح عن عائشة وابن مسعود إنكار ذلك ، وقالوا : إن قوله تعالى : (ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى) إنما هو جبريل ، وصح عن أبي ذر أنه سأله : هل رأيت ربك ، فقال : نور أنى أراه أى حال بينى وبين رؤيته النور ، كما قال فى لفظ آخر : رأيت نورا ، وقد حكى عثمان بن سعيد الدارمى اتفاق الصحابة على أنه لم يره . قال شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه : وليس قول ابن عباس إنه رآه مناقضا لهذا ، ولا قوله : رآه بفؤاده ، وقد صح عنه أنه قال : رأيت ربى تبارك وتعالى ، ولكن لم يكن هذا فى الإسراء ، ولكن كان فى المدينة لما احتبس فى صلاة الصبح ، ثم أخبرهم عن رؤية ربه تبارك وتعالى تلك الليلة فى منامه ، وعلى هذا بنى الإمام أحمد ، وقال : نعم رآه حقا ، فإن رؤيا الأنبياء حق ، ولا بد . ولكن لم يقل أحمد : إنه رآه بعينى رأسه يقظة ، ومن حكى عنه ذلك ، فقد وهم عليه ، ولكن قال مرة : رآه ، ومرة قال : رآه بفؤاده ، فحكيت عنه روايتان ، وحكيت عنه الثالثة من تصرف بعض أصحابه أنه رآه بعينى رأسه ، وهذه نصوص أحمد موجودة ليس فيها ذلك ، وأما قول ابن عباس إنه رآه بفؤاده مرتين ، فإن كان استناده إلى قوله تعالى : (ما كذب الفؤاد ما رأى) ثم قال : (ولقد رآه نزلة أخرى) — والظاهر أنه مستنده - فقد صح عنه - صلى الله عليه وسلم - أن هذا المرقى جبريل ، رآه مرتين فى صورته التى خلق عليها ، وقول ابن عباس هذا هو مستند الإمام أحمد فى قوله : رآه بفؤاده ، والله أعلم ، ص ٢٧ المبحث السابق . وقد يقال : رأى آخر هو أن الإسراء به صلى الله عليه وسلم كان بحسده وروحه ، أما المعراج فكان بروحه كما شرح الإمام ابن القيم ، بدليل ما ورد فى بعض الروايات . فرواية شريك لا يذكر فيها الإسراء مطلقا . وفى رواية عن أنس أيضا : « بينا أنا نائم إذ جاء جبريل عليه السلام ، فوكز بين كتفى ، فقممت إلى شجرة فيها كوكرى الطير ، فتعد فى أحدهما ، وقعدت فى الآخر ، فسمت وارتفعت حتى سدت الخافقين ، وأنا أقلب طرفى ، ولو شئت أن أمس السماء لمسست ، . . . هذه أيضا لم يأت فيها ذكر الإسراء إلى المسجد الأقصى ، ولا للبراق . وفى رواية ==

== أنس عن مالك بن صعصعة يقول : د بيننا أنا في الخطيم - وربما قال فتادة في الحجر مضطجما - إذ أتاني آت ، فجعل يقول لصاحبه : الأوسط بين الثلاثة ، قال : فأتاني ، فقد ما بين هذه إلى هذه أى من ثغرة نحره إلى مشعرته . أو من قصته إلى مشعرته ، ولم يأت كذلك ذكر الإسراء ، وفي رواية أخرى : فرج سنف يبنى ، وأنا بمكة ، فنزل جبريل ، ففرج صدرى ، ثم غسله من ماء زمزم ، ثم جاء بطست من ذهب ممتلئة حكمة وإيمانا ، فأفرغها في صدرى ثم أطبقه . ثم أخذ بيدى فخرج بي إلى السماء . . . لعل هذه الروايات تعين على إثبات هذا الرأى الأخير ، وهو أن المعراج شئ ، والإسراء شئ آخر ، وأن أن المعراج كان بالروح ، وهذه هى الرؤيا التى أراه الله ، أما الإسراء . فكان بحسنة وروحه .

هذا وقد أجريت بعض مقارنات بين الروايات المختلفة عن بعض الامور التى وردت فى قصة ، ولإليك بعضها :

المكان الذى كان منه الإسراء : سنغفل التعبير بما يأتى :

وورد فى رواية ، ، وو : د فى رواية أخرى للاختصار ، ولإليك ما ورد عن مكان الإسراء : المسجد الحرام . فرج عن سقف بيته ، وهو فى مكة . بيت أم هانىء . وقد جاءت هذه الرواية بصورة تأكيد ، وذلك إذ تقول أم هانىء : « ما أسرى برسول الله » ص ، إلا وهو فى بيتى قائم عندى . وبعض الروايات أغفلت ذكر المكان .

البراق أو ما حمل عليه : بعض الروايات أغفلت ذكره . دابة أبيض فوق الحمار ودون البغل - أتى به مسرجا ملجما ، فاستصعب ، قهره جبريل ، فارفض عرقه : حمل على البراق ، فأوثق الدابة ، أو قال : الفرس . شجرة فيها كوكرى الطير ، فتعد فى أحدهما ، وقعد جبريل فى الآخر ، فسمت وارتفعت حتى سادت الحافقين . ينفى حذيفة بن اليمان أنه ربطه ، وإنما سخره له الله .سمى فرسا ، وراح يصفه النبي لأبي بكر ، لأن أبا بكر كان قد رآها من قبل ،

== شق الصدر : كان قبل الوحى ، وقد جاءه ثلاثة نفر ، وهو نائم فى المسجد الحرام ، فقال أوسطهم : هو خيرهم ، فقال آخرهم : خذوا خيرهم ، فكانت تلك الليلة ، فلم يرههم حتى أتوه ليلة أخرى فيما يرى قلبه وتنام عينه ، ولا ينام قلبه ، فلم يكلموه ، حتى احتملوه ، فوضعوه عند بشر زمزم ، فتولاه منهم جبريل ، فشق ما بين نحره إلى لبته النخ . أتاه ثلاثة ، فشق أحدهم من ثفرة نحره إلى مشعرته ، أو من قصته إلى شعرته . . . جاء جبريل وميكائيل ، فشق بطنه . فرج مقف بيته ، وهو بمكة فنزل جبريل ، ففرج صدره ، ثم غسله من ماء زمزم ، ثم جاء بطست من ذهب ممثلة حكمة وإيماناً ، فأفرغها فى صدره د ص ، ثم أطبقه

صلاته ليلة الإسراء : صلى ركعتين فى بيت المقدس . صلى بطيبة و بطور سيناء

وبيت لحم ، حيث ولد عيسى وصلى فى بيت المقدس ، حيث جمع له الأنبياء عليهم السلام ، فقدمه جبريل ، حتى أمهم ، يقسم حذيفة بن اليمان أنه ما صلى فى المسجد الأقصى ، ولا دخله هو وجبريل ، وأنهما مازا يلا البراق حتى فتحت لهما أبواب السماء ، صلى فى بيت المقدس حيث اجتمع ناس كثيرون ، ثم أذن مؤذن ، فأقيمت الصلاة ، ويروى الحديث أن النبي د ص ، قال : فقمنا صفوفاً ننتظر من يؤمنا ، فأخذ بيدي جبريل عليه السلام ، فقدمنى فصليت بهم ، فلما انصرفت ، قال جبريل : يا محمد أتدرى من صلى خلفك ؟ قال : قلت : لا ، قال : صلى خلفك كل نبي ، بعثه الله عز وجل . بعث له آدم فمن دونه من الأنبياء ، فأمرهم تلك الليلة . صلى فى بيت المقدس ، وصلى النبيون أجمعون معه . صلى فى بيت المقدس ، كما صلى فى البيت المعمور . هبط إلى بيت المقدس ، وهبط معه الأنبياء : فصلى بهم . كانت صلاته بالأنبياء فى السماء ، وكانت صلاته أول دخوله إلى بيت المقدس .

الآية التى شرب منها : أتى بها بعد صلاته ركعتين فى بيت المقدس قبل الخروج .

وهما : خمر ولبن ، وأسند إلى الرسول د ص ، اختيار اللبن . عرض عليه خمر وماء ولبن عند بيت المقدس . عرضت عليه الآية فى السماء بعد أن رفع إلى البيت المعمور . وكانت آية خمر ولبن وعسل . إناء من لبن وإناء عسل بين يدي ==

== شيخ متسكى ، وهو الذى قال لجبريل : اختار صاحبك الفطرة . بعد انصرافه من بيت المقدس أتى له بقديحين من لبن وعسل . جىء له بكأس من عسل ولبن ، وهو فى المسجد . بعد خروجه من بيت المقدس جىء له بإناء فيه ماء ، فشرب يسيرا ، وإناء فيه لبن فشرب حتى روى ، وإناء فيه خمر فلم يشرب .

الأنبياء الذين لقيهم فى السموات : سأذكر ما ورد فى عدة روايات فى الرواية الاولى : فى السماء الاولى آدم وعنصر النيل والقرات والكوثر ، وفى الثانية إدريس ولم يذكر من فى الثالثة ، وفى الرابعة : هارون ، ومن فى الخامسة لم يحفظ الراوى اسمه ، وفى السادسة : إبراهيم ، وفى السابعة موسى .

فى الرواية الثانية آدم فى السماء الاولى ، وفى الثانية : يحيى وعيسى . وفى الثالثة : يوسف ، وفى الرابعة إدريس ، وفى الخامسة : هارون ، وفى السادسة : موسى ، وفى السابعة : إبراهيم وهو مستند إلى البيت المعمور .

وفى الرواية الثالثة : فتح له باب من أبواب السماء ، فرأى النور الاعظم ، وإذا دون الحجاب : رفرق الدر والياقوت ، وأوحى إلى الرسول : « ص » ما شاء الله أن يوحى . ولم يذكر شيئاً عن النبيين .

وفى الرواية الرابعة : فى السماء الاولى : آدم فى الاولى ، وفى الثانية : عيسى ويحيى وفى الثالثة يوسف ، وفى الرابعة : هارون ، وفى الخامسة إدريس ، وفى السادسة : موسى ، وفى السابعة إبراهيم .

وفى الرواية الخامسة : آدم فى الاولى ، فى الثانية عيسى وابن خالته يحيى ، فى الثالثة : يوسف . فى السماء الرابعة : إدريس ، فى الخامسة : هارون ، فى السادسة : موسى ، فى السابعة : إبراهيم . والكوثر فوق السابعة :

وفى الرواية السادسة : فى الاولى : آدم ، فى الثانية : عيسى ويحيى ، فى الثالثة : يوسف . فى الرابعة : إدريس ، فى الخامسة : هارون . فى السادسة : موسى ، فى السابعة : إبراهيم . وعند سدرة المنتهى فوق ذلك وجد أربعة الأنهار منها : النيل والفرات ، ثم رفع إلى البيت المعمور .

= وفي الرواية السابعة : في الاولى : آدم ، ثم عرج إلى السماء الثانية ، وذكر أنه وجد في السماوات إدريس وموسى وعيسى ، ولكن لم يثبت منازلهم ، وذكر أنه وجد إبراهيم في السادسة

وفي الرواية الثامنة : كالرواية السابقة . وفي الرواية التاسعة : وجد ملكا يقال له : إسماعيل ، وهو صاحب السماء الدنيا ، ووجد في السماء الاولى آدم وفي الثانية : يوسف ، وفي الثالثة : يحيى وعيسى ، وفي الرابعة : إدريس ، وفي الخامسة : هارون ، وفي السادسة : موسى ، وفي السابعة : إبراهيم .

وفي الرواية العاشرة : في الاولى : آدم ، وفي الثانية : عيسى ويحيى . في الثالثة : يوسف ، في الرابعة : إدريس : في الخامسة : هارون . في السادسة : موسى . في السابعة : إبراهيم .

الانهار : في السماء الدنيا نهران ، هما : عنصر النيل والفرات ، كما وجد الكوثر : فوق ظهر السماء السابعة عند سدرة المنتهى : أربعة أنهار ، اثنان باطنان والآخران : النيل والفرات . الكوثر : ينشق من عين تخرج من سدرة المنتهى التي فوق السماء السابعة ، وهناك أيضاً نهر يسمى الرحمة اغتسل فيه النبي ﷺ ، فغفر له كل ذنب ، أنهار أولها : رحمة الله ، والثاني : نعمة الله ، والثالث : سقايم ربهم شرابا طهورا . بهذا العرض يتجلى لنا وجود ما لا يمكن أن يوصف إلا بالتضاد أو التناقض ، ولا يمكن أن يتصور مسلم أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يأتي بمثل هذا التناقض ، أو يحكم على الشيء بالنفي ، وبالإثبات في آن واحد .

الإسراء حق ، لأنه من إخبار القرآن ، فلنحرص على عدم التوسع في ذكر الروايات التي يناقض بعضها بعضا ، أو يحكم عليه الواقع المشهود المحسوس بأنه وضع خيال .

وليحذر المتهوكون الظن بأننا نضرب صفحا عن أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، إنما نضرب صفحا عن أحاديث الرواة الذين يخطئون ساهين ، أو يتعمدون الخطأ ماكرين . ألا ترون إلى المفسر السلفي الجليل الإمام ابن كثير كيف يقول عن شريك بن عبد الله بن أبي نمر الذي أخرجه البخاري حديث =

الله سبحانه سير فعمهما ، ويذهب بهما عند رفع القرآن وذهاب الإيمان ، فلا يبقى على الأرض خير ، وذلك قوله تعالى : (وإنا على ذهابٍ به لَقَادِرُونَ) وفي حديث مُسْنَدٍ ذكره النحاس في المعاني بأنهم من هذا فاختصرته ، ووقع في كتاب المعلم للمازري قول رابع في الجمع بين الأقوال قال : كان الإسراء بجسده في اليقظة إلى بيت المقدس ، فكانت رؤيا عين ، ثم أُسرى بروحه إلى فوق سبع سموات ، ولذلك شَنَّع السكفَارُ قوله : وَأَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ فِي لَيْلَتِي هَذِهِ ، وَلَمْ يَشْمُعُوا قوله فيما سوى ذلك ^(١) .

== الإسراء في كتاب التوحيد : وإن شريك . اضطرب في هذا الحديث ، وساء حفظه ، ولم يضبطه ، ويقول عن روايات حديث الإسراء : : وإن اختلفت عبارات الرواة في أداثه ، أو زاد بعضهم فيه ، أو نقص منه ، فإن الخطأ جائز على من عدا الأنبياء عليهم السلام ، ومن جعل من الناس كل رواية خالفت الأخرى مرة على حدة ، فأثبت لإسراءات متعددة ، فقد أبعد ، وأغرب ، وهرب إلى غير مهرب ، ولم يتحصل على مطلب ، وقد صرح بعضهم من المتأخرين بأنه عليه السلام أُسرى به مرة من مكة إلى بيت المقدس فقط ، ومرة من مكة إلى السماء فقط ، ومرة إلى بيت المقدس ، ومنه إلى السماء ، وفرح بهذا المسلك ، وأنه قد ظفر بشيء يخلص به من الإشكالات ، وهذا بعيد جداً ، انظر تفسير سورة الإسراء من تفسير ابن كثير ، ولعلنا ندرك أنه ما دفع هؤلاء إلى هذا إلا التناقض البادى بين روايات حديث الإسراء ، وإلا ليمانهم بأن كل هذه المتناقضات تنسب حقاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أما أنا فأؤمن أن الرسول لا يقول إلا حقاً وصدقاً ، ولا يمكن أن يصيبه النسيان الماكر ، وهو يقص علينا آية من آيات ربه الكبرى . وما عرضت نفسي لغضب الناس إلا اتقاء لغضب الله ، فإن يك هذا الظن منى صواباً فن الله ، وإلا فني ، والله الهادي إلى ما يحبه ويرضاه .

(١) هذا رأى سديد ، وهو بعض ما ذهب إليه الإمام ابن القيم .

شمس البراق :

فصل : ومما يُسأل عنه في هذا الحديث شمسُ البراق حين ركبه النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال له جبريل : أما تستحيي يا بُراقُ ، فما ركبك عبدُ الله قبل محمد هو أكرمُ عليه منه ، فقد قيل : في نفرته ما قاله ابن بَطَّال في شرح الجامع الصحيح ، قال : كان ذلك ابعد عهد البراق بالأنبياء ، وطول الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام ، وروى غيره في ذلك سبباً آخر قال في روايته في حديث الإسراء : قال جبريل لمحمد عليه السلام حين شمسَ به البراق : لعالم يا محمد مَسَسَتْ الصَّفراءُ اليوم ، فأخبره النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه مامسها إلا أنه مرَّ بها ، فقال : تباً لمن يعبدك من دون الله ، ومامسها إلا لذلك ، وذكر هذه الرواية أبو سعيد النَّيْسَابُورِي في شرف المصطفى ، فله أعلم ، وقد جاء ذكر الصَّفراء في مُسْنَدِ الْبَزَّاز ، وأنها كانت صنماً بعضه من ذهب فكسرها رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - يوم الفتح ، وفي الحديث الذي خرجه التِّرْمِذِيُّ ^(١) من طريق بُرَيْدَةَ الْأَسْلَمِيِّ ^(٢) أنه - عليه السلام - حين انتهى

(١) يقول ابن الأثير في اللباب إنها نسبة إلى مدينة قديمة على طرف نهر بلخ الذي يقال له جيحون ، والناس مختلفون في كيفية هذه النسبة ، بعضهم يقول بفتح التاء وبعضهم بضمها ، وبعضهم بكسرها . والمنداول على لسان أهل تلك المدينة : بفتح التاء وكسر الميم ، والذي كنا نعرفه فيه قديماً كسر التاء والميم جميعاً ، والذي يقوله المنفوقون ، وأهل المعرفة بضم التاء والميم ، وبعض هذا في المراد .

(٢) قيل اسمه عامر : وبريدة لقب ، وفي الصحيحين أنه غزا مع النبي « ص » .

إلى بيت المقدس ، قال جبريل : بإصبعه إلى الصخرة ، فخرقها فشد بها البراق^(١) ، وصلى ، وأن حذيفة أنكر هذه الرواية ، وقال : لم يفر منه وقد سخره له عالم الغيب والشهادة^(٢) ، وفي هذا من الفقه على رواية بُرَيْدَةَ : التنبيه على الأخذ بالحزم مع صحة التوكل ، وأن الإيمان بالقدر كما - روى عن وهب بن منبه - لا يمنع الحازم من توقي المهالك . قال وهب : وجدته في سبعين كتابا من كتب

(١) رواه أبو بكر البزار ، وقال : لا نعلم رواه عن الزبير بن جنادة إلا أبو نميلة ، ولا نعلم هذا الحديث إلا عن بريدة . وقد رواه الترمذى في التفسير من جامعه عن يعقوب بن إبراهيم . وقال : غريب .

(٢) في الأصل : لم أفر منه . وفي حديث حذيفة هذا تعبير بحكم المعنى ، فقد سمع زر بن حبیش - بحدث عن ليلة الإسراء ، فقال له : ما اسمك يا أصلع ؟ فأنا أعرف وجهك ، ولا أدري ما اسمك ؟ قال زر : أنا زر بن حبیش ، فقال له حذيفة : فما علمك بأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - صلى فيه ليلته ، أى : فى بيت المقدس ؟ فقال زر : القرآن يخبرنى بذلك ، فقال حذيفة كلمته الرائعة التى تشع بنور الحق العظيم : من تكلم بالقرآن أفلح ، ثم طلب من زر أن يقرأ ، فقرأ : سبحان الذى أسرى ، فقال حذيفة : يا أصلع ! هل تجد صلى فيه ؟ فقال زر : لا . فقال حذيفة : والله ما صلى فيه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، ليلته ، ولو صلى فيه لكتبت عليكم صلاة فيه ، كما كتب عليكم صلاة فى البيت العتيق . والله ما زالا البراق حتى فتحت لهما أبواب السماء ، فرأيا الجنة والنار ، ووعد الآخرة أجمع ، ثم عادا عودهما على بدئهما ، قال زر : ثم ضحك حتى رأيت نواجذه قال حذيفة : ويحدثون أنه ربطه لا يفر منه ، وإنما سخره له عالم الغيب والشهادة . وقد روى حديث حذيفة هذا الإمام أحمد ، وأبو داود الطيالسى ، والترمذى والنسائى ، وقال الترمذى : حسن

الله التديمة^(١) ، وهذا نحو من قوله صلى الله عليه وسلم : « قَيِّدْهَا وَتَوَكَّلْ »^(٢) .
فإيمانه صلى الله عليه وسلم بأنه قد سُخِّرَ له كإيمانه بقدر الله وعلمه بأنه سبق
فى علم الكتاب ماسبق ، ومع ذلك كَانَ يَتَزَوَّدُ فى أسفاره وَيُعِدُّ السلاح
فى حُرُوبه ، حتى لقد ظاهر بين درعين فى غزوة أُحُدٍ . وَرَبَطَهُ للبراق
فى حَقِّقَةِ البابِ من هذا الفن ، وهو حديث صحيح ، وقد رواه غير بُرَيْدَةَ
ووقع فى حديث الحارث بن أبى أسامة من طريق أنس ، ومن طريق
أبى سعيد ، وغيرهما أعنى رَبَطَهُ للبراق فى الخَلْقَةِ التى كانت تَرَبِّطُهُ فيها
الأنبياء ، غير أن الحديث يرويه داود بن المُجَبَّر ، وهو ضعيف .

معنى قول الملائكة : من معك

معنى قول الملائكة : من معك ومما يُسألُ عنه قولُ الملائكة فى كل سماء
للجبريل : مَنْ معك ، فيقول : محمد ، فيقولون : أَوْقَدْ بَعَثْ إِلَيْهِ فيقول : نعم
هكذا لفظ الحديث فى الصَّحاح ، ومعنى سؤالهم عن البعثِ إليه فيما قال بعض
أهل العلم ، أى : قد بعث إليه إلى السماء ، كما قد وجدوا فى العلم أنه سيخرج به ،
ولو أرادوا بَعَثَهُ إلى الخلق ، لقالوا : أَوْقَدْ بَعَثْ ، ولم يقولوا إليه ، مع أنه
يبعد أن يخفى عن الملائكة بَعَثُهُ إلى الخلق ، فلا يعلمون به إلى ليلة الإسراء .
وفى الحديث الذى تقدم فى هذا الكتاب بيان أيضا حين ذكر تسبيح ملائكة
السماء السابعة ، ثم تسبيح ملائكة كل سماء ، ثم يسأل بعضهم بعضا : مِمَّ سَبَّحْتُمْ
حتى ينتهى السؤال إلى ملائكة السماء السابعة ، فيقولون : قَضَى رَبُّنَا فى خَلْفِهِ

(١) ياويل التفسير من مخترعات وهب

(٢) فى الجامع الصغير للسيوطى : « اعقلها وتوكل » وراه الترمذى عن أنس

كذا ، ثم ينتمى الخبرُ إلى سماء الدنيا - الحديث بطوله ، وفى هذا ما يدل على أن الملائكة قد علمت بنبوّة محمد - صلى الله عليه وسلم - حين نُبِّئ ، وإنما قالت : أوقد بعث إلهيه ، أى قد بعث إليه بالبراق كما تقدّم على أن فى حديث أنس أن ملائكة سماء الدنيا قالت لجبريل : أوقد بعث ، كما وقع فى السيرة وليس فى أول الحديث : إلهيه ، هذا إنما جاء فى حديث الرؤيا التى رآها بقلبه ، كما قدمنا ، وأن ذلك قبل أن يوحى إليه كما جاء فى الحديث بعينه ، وفى هذا قوة لما تقدم من أن الإسراء كان رؤيا ، ثم كان رؤية ؛ ولذلك لم نجد فى رواية من الروايات أن الملائكة قالوا : أوقد بعث إلهيه إلا فى ذلك الحديث ، فالحق أعلم .

باب الحفظة :

ودكر باب الحفظة ، وأن عليه مذكرا يقال له : إسماعيل ، وقد جاء ذكره فى مُسنَدِ الحارث ، وفيه أن تحت يده سبعون ألف ملك تحت يد كل ملك سبعون ألف^(١) ملك ، هكذا لفظُ الحديث فى رواية الحارث ، وفى رواية ابن إسحاق : اثنا عشر ألف ملك هكذا لفظُ الحديث ، وفى مُسنَدِ الحارث أيضا .

(١) أخرجه البيهقى فى كتاب دلائل النبوة وأوله يخالف الروايات الأخرى فبينما أنا نائم عشاء فى المسجد الحرام ، إذ أتانى آت ، فأيقظنى ، فاستيقظت ، فلم أرى شيئا ، فإذا أنا بكهيفة خيال ، فأتبعته بصري ؛ حتى خرجت من المسجد الحرام الخ .

وذكر سِدْرَةَ الْمُنتَهَى، فقال : لو غطيت بُورَقَةً من ورقها هذه الأُمَّة لَغَطَّاهُمْ،
وفي صفتها من رواية الجميع : فإذا ثمرها كَقِلَالِ هَجَرَ ، وفي حديثِ الْقُلَّتَيْنِ
من كتاب الطهارة ، من رواية ابن جُرَيْج : إذا كان الماءُ قُلَّتَيْنِ من قِلَالِ
هَجَرَ لم يحمل الخبث^(١) قالوا : والقُلَّتَانِ منها تَسْعَانِ خَمْسَمِائَةِ رطل ، قال
الترمذى : وذلك نحو من خَمْسِ قَرَبٍ ، وفي تفسير ابن سلام قال عن بعض
السلف : إنها سُمِّيَتْ سِدْرَةَ الْمُنتَهَى ، لأن روح المؤمن ينتهى به إليها ،
فتصلى عليه هنالك الملائكةُ المقربون . قال ذلك في تفسير عليين .

آدم في سماء الدنيا والأسودۃ التي رآها :

فصل : وفيه أنه رأى آدم في سماء الدنيا ، وعن يمينه أسودۃ ، وعن شماله
أسودۃ ، وأن جبريل أعلمه أن الأسودۃ التي عن يمينه هم : أصحابُ اليمين ،
وفي رواية ابن إسحاق : تعرض عليه أرواحُ ذُرِّيَّتِهِ ، فإذا نظر إلى الذين عن
يمينه ضحك ، وقد سئل عن هذا ، فقل : كيف رأى عن يمينه أرواحُ أصحابِ
اليمين ، ولم يكن إذ ذاك من أصحابِ اليمين إلا نَفَرٌ قَلِيلٌ ، ولعله لم يكن ماتَ

(١) هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج القرشي الأموي مولاهم المسكي
أبو الوليد ، ويقال : أبو خالد ، وهو من تابعي التابعين توفي سنة ١٥٠ وقيل
غير ذلك .

(٢) تكلمنا عنه من قبل ، وأقول : ورد في نيل الأوطار الإمام الشوكاني :
« وأما التقييد بقِلَالِ هَجَرَ ، فلم يثبت مرفوعاً إلا من رواية المغيرة بن سقلاب
عند ابن عدى ، وهو منكر الحديث . قال النخيل : لم يكن مؤتمناً على الحديث ،
وقال ابن عدى : لا يتابع على عامة حديثه ، ص ٣١ ط عثمان خليفة .

ك الليلة منهم أحد ، وظاهر الحديث يقضى أنهم كانوا جماعة . فالجواب أن يقال : إن كان الإسراء رؤيا بقلبه ، فتأويلها أن ذلك سيكون ، وإن كانت رؤيا عين ، كما قال ابن عباس وغيره بمعناه : أن ذلك أرواح المؤمنين رآها هنالك ، لأن الله تعالى يتوفى الخلق في منامهم ، كما قال في التنزيل : ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ الزمر ٤٣ فصعد بالأرواح إلى هنالك ، فرآها ثم أعيدت إلى أجسادها . وجواب آخر : وهو أن أصحاب اليمين الذين ذكرهم الله تعالى في سورة المدثر في قوله تعالى : ﴿ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ - فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴾ ٣٩ : ٤٠ . قال ابن عباس : هم الأطفال الذين ماتوا صغارا ، ولذلك سألوا الجرمين : (مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ) لأنهم ماتوا قبل أن يعلموا بكفر الكافرين ، وقد ثبت في الصحيح أن أطفال المؤمنين والكافرين في كفالة إبراهيم عليه السلام ، وأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال لجبريل حين رآهم في الروضة مع إبراهيم : مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جَبْرِيلُ ؟ فقال : أولاد المؤمنين الذين يموتون صغارا ، فقال له : وأولاد الكافرين ، قال : وأولاد الكافرين . خرجه البخارى في الحديث الطويل من كتاب الجنائز ، وخرجه في موضع آخر ، فقال فيه : أولاد الناس ، فهو في الحديث الأول نص ، وفي الثانى عموم ، وقد روى فى أطفال الكافرين أنهم خدم لأهل الجنة ، فعلى هذا لا يبعد أن يكون الذى رآه عن يمين آدم من نسم ذريته أرواح هؤلاء ، وفى هذا ما يدفع تشعيب هذا السؤال والاعتراض منه .

من حكم الماء :

فصل : وفيه شُرْبُهُ من إناء القوم ، وهو مُغَطَّى ، والماء وإن كان لا يُمْلَكُ
والناس شُرْكَاءَ فيه ، وفي النار والسَّكَلَا كما جاء في الحديث ، لكن المستقى
إذا أحرزه في وعائه ، فقد ملكه ، فكيف استباح النبي صلى الله عليه وسلم
شُرْبُهُ وهو ملكٌ لغيره ، وأملكُ الكفار لم تكن أبيحت يومئذ ، ولادماؤهم .

فالجواب أن العربَ في الجاهلية كان في عُرْفِ العادة عندهم إبادة الرُّسُلِ
لأبن السبيل فَضْلًا عن الماء ، وكانوا يعهدون بذلك إلى رِعَائِهِمْ ، ويشترونه عليهم
عند عقد إجارتهم : أَلَا يَمْنَعُوا الرُّسُلَ ، وهو اللبن من أحدٍ مرَّ بهم ، وللحكم في
العُرْفِ في الشريعة أصولٌ تشهد له ، وقد ترجم البخاريُّ عليه في كتاب البيوع ،
وخرج حديثُ هِنْدِ بنتِ عُتْبَةَ ، وفيه : خُذِي ما يكفيك وولدك بالمعروف .

عن دخول بيت المقدس وصفه الأنبياء :

فصل : وذكر فيه أنه دخل بيتَ الْمَقْدِسِ ، ووجد فيه نفرًا من الأنبياء ،
فصَلَّى بهم ، وفي حديث التِّرْمِذِيِّ الذي قدَّمناه عن حُذَيْفَةَ أنه أنكر أن
يكونَ صَلَّى بهم ، وقال : ما زال من ظُهرِ الْبُرَاقِ ، حتى رأى الجنة والنار ،
وما وعده الله تعالى ، ثم عاد إلى الأرض ، وزيادة العدل مقبولة ، ورواية من
أثبتَ مُقَدِّمَةُ على رواية مَنْ نَفَى ، وذكر فيه صفة الأنبياء ، وقال في عيسى :
كان رأسُهُ يَقْطُرُ ماءً وليس به ملاء ، وكأنه خرج من دِيَمَاسٍ والدِّيمَاسُ : الْحُمَامُ ،

وأصله : دِمَّاسٌ ويجمع على دَمَامِيسَ ، وقد قيل في جمعه : دَيَامِيسُ ^(١) ، ومثله :
 قيراط ودينار وديباج ، الأصل فيها كلها : التضعيف ، ثم قلب الحرف المدغم ياء ،
 فلما جمعوها وصغروا ، ردّوه إلى أصله ، فقالوا : قراريط ودنانير : [وقُرِيْطٌ
 ودُنَيْنِيرٌ] ^(٢) ، غير أنهم لم يقولوا : دنانير ولا قياريط ، كما قالوا : دَيَامِيسَ ،
 وقالوا : دَبَابِيجٌ ودَيَابِيجٌ ^(٣) ، وأصلُ الدَّمَسِ : التفتيشُ ومنه كَلِيلُ دَامِسَ ، وفي
 هذه الصفة من صفات عيسى عليه السلام إشارة إلى الرّئيِّ والخِصْبِ الذي يكون
 في أيامه إذا هُيِطَ إلى الأرض والله أعلم .

وذكر في صفة موسى أنه آدمٌ طَوَّالٌ ، ولو صفه إياه بالأدَمَةِ أصلٌ في كتاب
 الله تعالى ، قاله الطَّبْرِي عند تفسير قوله : ﴿ تَخْرُجُ بَيضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ﴾ قال :
 في خُروج يده بَيضَاءَ آيَةٍ في أن خرجت بيضاء مخالفاً لونها لسائر لونِ جسده ،
 وذلك دليلٌ بينٌ على الأدَمَةِ التي هي خلافُ البياض ^(٤) .

وذكر إبراهيم فقال : لم أر رجلاً أشبه بصاحبكم ولا صاحبكم أشبه به منه ،

(١) في اللسان : إن فتحت الدال جمع على دياميس مثل شيطان وشياطين ،
 وإن كسرتها جمعت على دماميس ،

(٢) زيادة يقتضيها السباق .

(٣) في اللسان مادة دز : قال أبو منصور : دينار وقيراط وديباج
 أصلها أعجمية ، غير أن العرب تكلمت بها قدينا ، فصارت عربية .

(٤) الذي في الطبري في تفسير الآية : ذكر أن موسى عليه السلام كان رجلاً
 آدم ، فأدخل يده في جيبه ، ثم أخرجها بيضاء من غير سوء من غير برص
 مثل الثلج ، ثم ردها ، فخرجت كما كانت على لونه .

يمنى : نفسه ، وفى آخر هذا الكلام إشكالٌ من أجل أن أشبه منصوبٌ
فى الموضعين ، ولكن إذا فهمت معناه ، عرفت إعرابه ، ومعناه : لم أر رجلاً
أشبه بصاحبكم ولا صاحبكم به منه^(١) ، ثم كرر أشبه توكيذا فصارت لغواً كأنمقحَم
وصاحبكم معطوفٌ على الضمير الذى فى أشبه الأول الذى هو نعمتٌ لرجل ،
وحسن العطف عليه ، وإن لم يؤكد بهو ، كما حسن فى قوله تعالى : ﴿ ما أشركنا
ولا آباؤنا ﴾ من أجل الفصل بلا النافية ، ولو أسقط من الكلام أشبه الثانى ،
لكان حسناً جداً ، ولو آخر صاحبكم فقال : ولا أشبه به صاحبكم منه لجاز ،
ويكون فاعلاً بأشبه الثانية ، ويكون من باب قولهم : مارأيتُ رجلاً أحسنَ
فى عينه الكحلُ من زَيْدٍ ، وهى مسألة عذراء لم تفتزعها أيدى النحاة^(٢) ،
بعد ولم يشف منها مُتَقَدِّمٌ منهم ، ولا متأخراً ممن رأينا كلامه فيها وقد أملىنا
فى غير هذا الكتاب فيها تحقيقاً شافياً .

صفة النبى صلى الله عليه وسلم :

فصل : وذكر فى صفة - النبى - صلى الله عليه وسلم - مما نفعته به على بن
أبى طالب - رضى الله عنه - فقال : لم يكن بالطويل الممّط بالعين المعجمة ،

(١) رواية مسلم : أشبه الناس به صاحبكم - يعنى نفسه .

(٢) هى مسألة مفصلة فى كتب النحو عن عمل أفعل التفضيل ورفع الاسم
الظاهر ، فانظر لها مثلاً ص ١٠٦ > ٢ من شرح التصريح على التوضيح ، ص ٤٦
> ٣ من حاشية الصبان على شرح الأشموني ط ١٣٠٥ هـ ص ٢٥٢ > ٣ النحو
الوافى للأستاذ عباس حسن .

وفى غير هذه الرواية بالعين المهملة ، وذكر الأوصاف إلى آخرها وقد شرحها أبو عبيد ، فقال عن الأصمى ، والكسائى وأبى عمرو وغير واحد : قوله : ليس بالطويل المُمعطأى : ليس بالبائن الطويل ، ولا القصير المتردد^(١) . يعنى : الذى تردد خاتمته بعضه على بعض ، وهو مجتمع ليس بسبط الخلق يقول : فليس هو كذلك ، ولكن ربعة بين الرجلين ، وهكذا صفة - صلى الله عليه وسلم - وفى حديث آخر : ضرب اللحم بين الرجلين .

وقوله : ليس بالمطهم ، قال الأصمى : هو التام كل شيء منه على حدته ، فهو بارع الجمال ، وقال غير الأصمى المكنى المدور الوجه ، يقول : ليس كذلك ، ولكنه مسنون ، وقوله : مشرب يعنى الذى أشرب حمره ، والأدعج العين : الشديد سواد العين قال الأصمى : الدُّعْجَةُ : هى السواد ، والجليل المشاش : العظيم العظام مثل الركبتين والمرفقين والمنكبتين ، وقوله : السكتة هو : الكاهل ، وما يليه من جسده ، وقوله شثن الكفين والقدمين يعنى : أنهما إلى الغلط . وقوله : ليس بالسبط ولا الجعد القَطَط ، فالقَطَط : الشديد الجعودة مثل شعور الحَبَشَة ، ووقع فى غريب الحديث لأبى عبيد التام كل شيء منه على حدته . يقول : ليس كذلك ، ولكنه بارع الجمال ، فهذه الكلمة ، أعنى : ليس كذلك نَحْلَةً بالشرح ، وقد وجدته فى رواية أخرى عن أبى عبيد بإسقاط : يقول كذلك ، ولكن على نص ذكرناه آنفا

(١) وردت هذه الأوصاف فى حديث رواه الترمذى وإسناده ضعيف .

قصة المعراج

قال ابن إسحاق : وحدثني من لائهم عن أبي سعيد الخدري - رضى الله عنه - أنه قال : سمعتُ رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : لما فرغتُ مما كان في بيت المقدس ، أتى بالمعراج - ولم أر شيئاً قطُّ أحسنَ منه - وهو

عنه عن الأصمى ، والذي في غريب الحديث من تلك الزيادة وهم وقع في الكتاب ، والله أعلم .

وأما ما رواه الترمذى عن الأصمى في شرح المطهم قال : هو البادن : الكثير اللحم ، ذكره عن أبي جعفر ، عن الأصمى ، وذكر عنه في الممَّط نحو ما قدمناه ، قال : وسمعتُ أعرابياً يقول تمَّط في نُسَّابة أى : مدَّها ، وفي كتاب العين : مَغَطْتُ الشيء إذا مددته ، وقال في باب العين المهملة مَعَطْتُ ^(١) الشيء إذا مددته ، كما قال في الغين المعجمة ، فعلى هذا يقال فيه مَمَّط ومَمَّط ، ووزنه مُنْفَعِل ، واندغمت النون في الميم ، كما اندغمت في محوته فأصحى لما أمن التباسه بالمضاعف ، ولم يدغموا النون في الميم في شاة زَمَاء ، ولا في غَم لثلا يلبس بالمضاعف ، لو قالوا : أزماء وغمًا ، وقد ذكرنا قبل ما وهم فيه الترمذى من تفسير زِرِّ الحَجَلَةِ حيث قال : يقال إنه بيض له ، حيث تكلمنا على خاتم النبوة وصفته ، واختلاف الرواية فيه والحمد لله .

(١) كذلك يقول اللسان .

الذى يَمُدُّ إِلَيْهِ مِيتُكُمْ عَيْنَيْهِ إِذَا حُضِرَ ، فَأَضْمَدَنِي صَاحِبِي فِيهِ ، حَتَّى انْتَهَى .
بِى إِلَى بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ السَّمَاءِ ، يُقَالُ لَهُ : بَابُ الْحَقِيقَةِ ، عَلَيْهِ مَلَكٌ مِنَ
الْمَلَائِكَةِ ، يُقَالُ لَهُ : إِسْمَاعِيلُ ، تَحْتَ يَدَيْهِ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ مَلَكٍ ، تَحْتَ يَدَى
كُلِّ مَلَكٍ مِنْهُمْ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ مَلَكٍ - قَالَ : يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ - حِينَ حَدَّثَ بِهَذَا الْحَدِيثِ : وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ - فَلَمَّا دَخَلَ بِي ،
قَالَ : مَنْ هَذَا يَا جَبْرِيلُ ؟ قَالَ : هَذَا مُحَمَّدٌ . قَالَ : أَوْ قَدْ بُعِثَ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ :
فَدَعَا لِي بِخَيْرٍ : وَقَالَ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَحَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ عَنْ حَدَّثِهِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ قَالَ : تَلَقَّيْنِي الْمَلَائِكَةُ حِينَ دَخَلْتُ السَّمَاءَ الدُّنْيَا ، فَلَمْ
يَلْقِنِي مَلَكٌ إِلَّا ضَاحِكًا مُسْتَبْشِرًا ، يَقُولُ خَيْرًا وَيَدْعُو بِهِ ، حَتَّى لَقِيتُ مَلَكًا
مِنَ الْمَلَائِكَةِ ، فَقَالَ مِثْلَ مَا قَالُوا ، وَدَعَا بِمِثْلِ مَا دَعَوْا بِهِ ، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَضْحَكْ ،
وَلَمْ أَرَ مِنْهُ مِنَ الْبَشَرِ مِثْلَ مَا رَأَيْتُ مِنْ غَيْرِهِ ، فَقُلْتُ لَجَبْرِيلَ : يَا جَبْرِيلُ مَنْ هَذَا
الْمَلِكُ الَّذِى قَالَ لِي كَمَا قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ وَلَمْ يَضْحَكْ إِلَيَّ ، وَلَمْ أَرَ مِنْهُ مِنَ الْبَشَرِ مِثْلَ
الَّذِى رَأَيْتُ مِنْهُمْ ؟ قَالَ : فَقَالَ لِي جَبْرِيلُ : أَمَا إِنَّهُ لَوْ ضَحِكَ إِلَيَّ أَحَدٌ كَانَ
قَبْلَكَ ، أَوْ كَانَ ضَاحِكًا إِلَى أَحَدٍ بَعْدَكَ ، لَضَحِكَ إِلَيْكَ ، وَلَكِنَّهُ لَا يَضْحَكُ ،
هَذَا مَالِكُ خَازِنِ النَّارِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقُلْتُ
لَجَبْرِيلَ ، وَهُوَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بِالْمَكَانِ الَّذِى وَصَفَ لَكُمْ (مُطَاعٍ تَمَّ أَمِينُ) :
أَلَا تَأْمُرُهُ أَنْ يُرَبِّى النَّارَ ؟ فَقُلْتُ : بَلَى ، يَا مَالِكُ ، أَرِ مُحَمَّدًا النَّارَ . قَالَ : فَكَشَفَ
عَنْهَا غِطَاءَهَا ، فَفَارَتْ ، وَارْتَفَعَتْ ، حَتَّى ظَنَنْتُ : لَتَأْخُذَنِّ مَا أَرَى . قَالَ :

فقلت لجبريل : يا جبريل ، مُرّه ، فليردّها إلى مكانها . قال : فأمره ، فقال لها : اخبري ، فرجعت إلى مكانها الذي خرجت منه . فما شبّهت رُجوعها إلا وقوع الفأل . حتى إذا دخلت من حيثُ خرجت رَدّ عليها غطاءها .

قال أبو سعيد الخدري في حديثه : إن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال : لما دخلت السماء الدنيا ، رأيت بها رجلاً جالساً تُعرض عليه أرواح بني آدم ، فيقول لبعضها ، إذا عُرضت عليه خيراً ويُسرّ به ، ويقول : روح طيّبة خرجت من جسد طيب ، ويقول لبعضها إذا عُرضت عليه : أفس ، ويُعيس بوجهه ويقول : روح خبيثة خرجت من جسد خبيث . قال : قلت : من هذا يا جبريل ؟ قال : هذا أبوك آدم ، تُعرض عليه أرواح ذريته ، فإذا مرت به روح المؤمن منهم سرّ بها : وقال روح طيبة خرجت من جسد طيب . وإذا مرت به روح الكافر منهم أفس منها ، وكَرِهها ، وساء ذلك ، وقال : روح خبيثة خرجت من جسد خبيث .

قال ثم رأيت رجالاً لهم مَشَافِرُ كَمَشَافِرِ الإبل ، في أيديهم قِطْع من نار كالأنهار ، يقذفونها في أفواههم ، فتخرج من أديبارهم . فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء أكَلّة أموال اليتامى ظُلماً .

قال : ثم رأيت رجالاً لهم بُطُون لم أرَ مثلاً قطُّ بسبيل آل فرعون ، يَمُرُّونَ عليهم كالإبل الممَيومة حين يُعْرَضُونَ على النار ، يطئونهم لا يقدرُونَ على أن يتحوّلوا من مكانهم ذلك . قال قلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال هؤلاء أكَلّة الربا .

قال : ثم رأيتُ رجالاً بين أيديهم لحم ثمين طيّب ، إلى جنبه لحم غَتٍّ ممّتن ، يأكلون من الفَتِّ الممتن ، ويتركون السمين الطيب . قال : قلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين يتركون ما أحلّ الله لهم من النساء ، ويذهبون إلى ما حرّم الله عليهم منهن .

قال : ثم رأيت نساءً معلقاتٌ بثديّهنّ ، فقلتُ : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء اللاتي أدخلن على الرجال من ليس من أولادهم .

قال ابن إسحاق : وحدثني جعفر بن عمرو ، عن القاسم بن محمد أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال : اشتدّ غضب الله على امرأةٍ أدخلت على قومٍ من ليس منهم ، فأكل حراثهم ، واطلع على عوراتهم .

عود إلى حديث الخدرى : ثم رجع إلى حديث أبي سعيد الخدرى ، قال : ثم أضعدني إلى السماء الثانية ، فإذا فيها ابنا الخالة : عيسى بن مريم ، ويحيى بن زكريّا ، قال : ثم أضعدني إلى السماء الثالثة ، فإذا فيها رجل صورته كصورة القمر ليلة البدر ، قال : قلت : من هذا يا جبريل ؟ قال : هذا أخوك يوسف بن يعقوب . قال : ثم أضعدني إلى السماء الرابعة ، فإذا فيها رجل فسألته : من هو ؟ قال : هذا إدريس — قال : يقول رسول الله — صلى الله عليه وسلم : ورفعناه مكاناً عليّاً — قال : ثم أضعدني إلى السماء الخامسة فإذا فيها كهيل أبيض الرأس واللحية ، عظيم المنان ، لم أر كهلاً أجمل منه ، قال قلت : من هذا يا جبريل ؟ قال : هذا الموحّجُ في قومه هارون بن عمران ، قال : ثم أضعدني إلى السماء السادسة ، فإذا فيها رجل آدمٌ طويلٌ أقفَى كأنه من رجال سُوءة ؛ فقلت له :

من هذا يا جبريل ؟ قال : هذا أخوك موسى بن عمران . ثم أضعفنى إلى السماء السابعة ، فإذا فيها كهل جالس على كرسيٍّ إلى باب البيت المعمور ، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ، لا يرجعون فيه إلى يوم القيامة . لم أر رجلاً أشبه بصاحبكم ، ولا صاحبكم أشبه به منه ، قال : قلت : من هذا يا جبريل ؟ قال : هذا أبوك إبراهيم . قال : ثم دخل بي الجنة ، فرأيت فيها جارية لعساء ، فسألتها : لمن أنت ؟ وقد أعجبتنى حين رأيته ، فقالت : لزيد بن حارثة ، فبشّر بها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة .

قال ابن إسحاق : ومن حديث عبد الله بن مسعود — رضى الله عنه — عن النبي — صلى الله عليه وسلم — فيما بلغنى : أن جبريل لم يصعد به إلى سماء من السموات إلا قالوا له حين يستأذن فى دخولها : من هذا يا جبريل ؟ فيقول : محمد ، فيقولون : أو قد بعث ؟ فيقول : نعم ، فيقولون : حياه الله من أخ وصاحب ، حتى انتهى به إلى السماء السابعة ، ثم انتهى به إلى ربه ، ففرض عليه خمسين صلاة فى كل يوم .

قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : فأقبأت راجعاً ، فلما مررت بموسى بن عمران ونعم صاحبُ كان لکم ، سألتى كم فُرض عليك من الصلاة ؟ فقلت خمسين صلاة كل يوم ؛ فقال : إن الصلاة ثقيلة ، وإن أمتك ضعيفة ، فارجع إلى ربك ، فاسأله أن يخفف عنك وعن أمتك . فرجعتُ فسألت ربي أن يخفف عني ، وعن أمتي ، فوضع عني عشرين . ثم انصرفت فمررت على موسى فقال لى مثل ذلك ، فرجعتُ فسألت ربي ، فوضع عني عشرين .

ثم انصرفت ، فررت على موسى ، فقال لى مثل ذلك ، فرجعت فسأله فوضع
عنى عشراً ، ثم لم يزل يقول لى مثل ذلك ، كلما رجعت إليه ، قال : فارجع
فاسأل ، حتى انتهيتُ إلى أن وضع ذلك عنى ، إلا خمس صلوات فى كل يوم
وليلة . ثم رجعت إلى موسى ، فقال لى مثل ، ذلك ، فقلت : قد راجعتُ ربى
وسأله ، حتى استحييتُ منه ، فما أنا بفاعل رواه البيهقى فى كتاب دلائل
النبوة وابن جرير وابن أبى حاتم .

فمن أذهن منكم إيماناً بهنّ ، واحتساباً لهنّ ، كان له أجرُ خمسين صلاة
مكتوبة . رواه . وفى الحديث غرابة ونكارة .

رؤية النبي ربه :

فصل : وقد تكلم العلماء فى رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لربه ليلة الإسراء ،
فروى مسروق عن عائشة أنها أنكرت أن يكون رآه ، وقالت من زعم أن محمداً
رأى ربه ، فقد أعظم على الله الفرية ، واحتجت بقوله سبحانه (لا تدركه
الأنصارُ ، وهو يُدرك الأنصارَ) الأنعام : ١٠٣ وفى مصنف الترمذى عن
ابن عباس وكعب الأحبار أنه رآه ، قال كعب : إن الله يقسم رؤيته وكلامه
بين موسى ومحمد ، وفى صحيح مسلم عن أبى ذرّ قال : يارسول الله هل رأيت
ربك ؟ قال : رأيتُ نوراً ، وفى حديث آخر من كتاب مسلم أنه قال : نوراً أنى
أراه ، وليس فى هذا الحديث بيان شاف أنه رآه ، وحكى عن أبى الحسن
الأشعري أنه قال : رآه بعينى رأسه ، وفى تفسير النقاش عن ابن حنبل أنه
سئل : هل رأى محمدُ ربه ، فقال : رآه رآه رآه حتى انقطع صوته ، وفى تفسير

عبد الرزاق عن معمر عن الزهري وذكر إنكار عائشة أنه رآه ، فقال لزهري : ليست عائشة أعلم عندنا من ابن عباس ، وفي تفسير ابن سلام عن عروة أنه كان إذ ذكر إنكار عائشة أن يكون رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رأى ربه يشتد ذلك عليه ، وقول أبي هريرة في هذه المسألة كقول ابن عباس أنه رآه ؟ روى يونس عن ابن إسحاق عن داود بن الحصين قال : سأل مروان أبا هريرة : هل رأى محمد ربه ؟ قال : نعم ، وفي رواية يونس أن ابن عمر أرسل إلى ابن عباس يسأله : هل رأى محمد ربه ؟ فقال : نعم رآه ، فقال ابن عمر : وكيف رآه ، فقال ابن عباس كلاما كرهت أن أوردته بلفظه لما يؤم من التشبيه ، ولو صح لكان له تأويل والله أعلم ، والمتحصل من هذه الأقوال - والله أعلم - أنه رآه لأعلى أكل ماتكون الرؤية على نحو ما يراه في حظيرة القدس عند الكرامة العظمى والنعيم الأكبر ، ولكن دون ذلك ، وإلى هذا يؤمى قوله : رأيت نوراً ونوراً أنى أراه في الرؤية الأخرى والله أعلم .

وأما الدُّنُو والتَّدَلَّى فهما خبرٌ عن النبي - صلى الله عليه وسلم - عن بعض المفسرين ، وقيل إن الذي تدلى هو جبريل عليه السلام تدلى إلى محمد حتى دنا منه وهذا قول طائفة أيضاً ، وفي الجامع الصحيح في إحدى الروايات منه : فتدلى الجبار ، وهذا مع صحة نقله لا يكاد أحد من المفسرين يذكره لاستحالة ظاهره ، أو للغفلة عن موضعه ، ولا استحالة فيه ؛ لأن حديث الإسراء إن كان رؤيا رآها بقلبه وعينه نائمة - كما في حديث أنس فلا إشكال فيما يراه في نومه عليه السلام فقد رآه في أحسن صورةٍ ووضع كنهه بين كتفيه ، حتى وجد بردها بين يديه

رواه الترمذى^(١) من طريق معاذ فى حديث طويل ، ولما كانت هذه رؤيا .

(١) الحديث كما رواه أحمد بسنده عن ابن عباس أن رسول الله ص ، قال : أتانى ربه الليلة فى أحسن صورة - أحسنه يعنى فى النوم - فقال : يا محمد أتدرى فيم يختصم الملائة الأعلى ؟ قال : قلت لا ، فوضع يده بين كتفى حتى وجدت بردها بين يدي - أو قال نحري فعلت - فى السموات والأرض ، ثم قال : يا محمد هل تدرى فيم يختصم الملائة الأعلى ؟ قال : قلت : نعم يختصمون فى الكفارات والدرجات . قال : وما الكفارات ؟ قال : قلت المسك فى المساجد بعد الصلوات ، والمشي على الأقدام إلى الجماعات ، وإبلاغ الوضوء فى المسكاره ، من فعل ذلك عاش بخير ، ومات بخير ، وكان من خطيئته كبروم ولدته أمه ، وقال : قل يا محمد إذا صليت . اللهم إني أسألك فعل الخيرات ، وترك المنكرات ، وحب المساكين ، وإذا أردت بعبادك فتنة أن تقبضنى إليك غير مقترن . قال : والدرجات : بذل الطعام ، وإفشاء السلام ، والصلوة بالليل والناس نيام ، ورواه أحمد أيضاً بسنده عن معاذ قال : احتبس علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات غداة من صلاة الصبح ، حتى كدنا نترامى قرن الشمس ، فخرج - صلى الله عليه وسلم - سريعا فتوب بالصلوة ، فصلى ، وتجاوز فى صلاته ، فلما سلم ، قال - صلى الله عليه وسلم - كما أنتم ، ثم أقبل إلينا فقال : إني قت من الليل ، فصليت ما قدر لى ، فنعست فى صلاتى حتى استيقظت ، فإذا أنا بربي عز وجل فى أحسن صورة ، الخ ولكنه قال فى هذه الرواية : فنجلى لى كل شيء وعرفت ، بدلا من : فعلت ما فى السموات الأرض . وشتان ما هما فى الدلالة . وعن الدرجات قال فيها : لين الكلام بدلا من إفشاء السلام . أما الدعاء فى رواية معاذ أن الله قال له : سل ، قلت : اللهم إني أسألك فعل الخيرات ، وترك المنكرات ، وحب المساكين ، وأن تغفر لى ، وترحمنى ، وإذا أردت فتنة يقوم فتوفئنى غير مقترن ، وأسألك حبك ، وحب من يحبك وحب عمل يقربنى إلى حبك . أما فى رواية ابن عباس ، فقد ورد أن الله هو الذى طلب منه أن يقول هذا ، وعلمه إياه . هذا والحديث رواه الترمذى من حديث جهم بن عبد الله .

اليمامي ، وقال : حسن صحيح ، وهو في السنن من طرق . ويقول ابن كثير : وهو حديث المنام المشهور ، ومن جعله بقطة ، فقد غلط .

وما أعظم فقه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فيما رواه أحد بسنده عن عامر ، قال : أتى مسروق عائشة ، فقال : يا أم المؤمنين : هل رأى محمد صلى الله عليه وسلم — ربه عز وجل ؟ قالت سبحان الله لقد قف شعري لما قلت . أين أنت من ثلاث من حدثكهن ، فقد كذب . من حدثك أن محمدا رأى ربه ، فقد كذب ، ثم قرأت : (لا تدركه الأبصار ، وهو يدرك الأبصار) (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب) ومن أخبرك أنه يعلم ما في غد ، فقد كذب . ثم قرأت : (إن الله عنده علم الساعة ، وينزل الغيث ، ويعلم ما في الأرحام) الآية . ومن أخبرك أن محمدا قد كتم ، فقد كذب ، ثم قرأت : (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك) وانكته رأى جبريل في صورته مرتين ، وتدبر ما رواه أحد بسنده عن مسروق قال : ذكرت عند عائشة ، فقلت : أليس الله يقول : (ولقد رآه بالأفق المبين — ولقد رآه نزلة أخرى) فقالت : أنا أول هذه الأمة ، سألت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — عنها ، فقال : إنما ذاك جبريل . لم يره في صورته التي خلق عليها إلا مرتين ، رآه منهبطاً من السماء إلى الأرض ساداً عظم خلقه ما بين السماء والأرض ، وأخرجاه في الصحيحين من حديث الشعبي به . ولمسلم في الرؤية طريقان بلفظين عن أبي ذر قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل رأيت ربك ؟ فقال : نوراني أراه . والآخر : رأيت نوراً . وقد حكى الحلال في علله أن الإمام أحمد سئل عن هذا الحديث ، فقال : ما زلت منهكراً له ، وما أدري ما وجهه . . ويقول الأئمة : إن عائشة سألت عن الرؤية بعد الإسراء ، ولم يثبت لها النبي الرؤية . ومن قال : إنه خاطبها على قدر عقلاها ، أو حاول تخطيطها فيما ذهبت إليه كابن خزيمة في كتاب التوحيد ، فإنه هو المخطئ . وقد ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة أنه قال في قوله تعالى : (ولقد رآه نزلة أخرى) قال : رأى جبريل عليه السلام . وحسبنا هذا .

لم ينكرها أحدٌ من أهل العلم ، ولا استبشعها ، وقد بينا آنفاً أن حديث الإسراء كان رؤيا ثم كان يقظة فإن كان قوله فتدلى الجبارُ في المرة التي كان فيها غير نائمٍ ، وكان الإسراء بجسده ، فيقال فيه من التأويل ما يقال في قوله : ينزل ربنا كلَّ ليلةٍ إلى سماء الدنيا ، فليس بأبعدَ منه في باب التأويل ، فلا نكارةَ فيه كان في نوم أو يقظة ، وقد أشرنا إلى تمام هذا المعنى في شرح ما تضمنه لفظ القوسين من قوله : قَابَ قَوْسَيْنِ في جزء أُمَلِينَاهُ في شرح سبحانه الله وبحمده ، نَضَمْنِ لطائف من معنى التقديس والتسبيح ، فليُنظر هناك وأُمَلِينَاهُ أيضاً في معنى رؤية الرب سبحانه في المنام ، وفي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ مسألة لقناع الحقيقة في ذلك كاشفةً فمن أراد فهم الرؤية والرؤيا فليُنظرها هناك ، ويقوى ما ذكرناه من معنى إضافة التدلّي إلى الربِّ سبحانه كما في حديث البخاري ما رواه ابن سنجر مُسنَداً إلى شُرَيْحِ بْنِ عُبَيْدٍ ، قال : لما صعد النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى السماء ، فأوحى إلى عبده ما أوحى ، فلما أحس جبريل بدُنُوِّ الرَّبِّ خَرَّ ساجداً ، فلم يَزَلْ يُسَبِّحُ سُبْحَانَ رَبِّ الْجَبَرُوتِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكَبَرِيَاءِ وَالْعِظْمَةِ حَتَّى قَضَى اللَّهُ إِلَى عَبْدِهِ مَا قَضَى ، قال : ثم رفع رأسه ، فرأى في خلقه الذي خُلِقَ عليه منظوماً أجنحته بالزَّبَرَجَدِ وَالْوَأْوَاءُ وَالْيَاقُوتُ ، فخَيَّلَ إِلَى أَنْ مَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ قَدْ سَدَّ الْأَفْقَيْنِ ، وكنت لا أراه قبل ذلك إلا على صُورٍ مختلفة ، وكنت أكره ما أراه على صورة دِحْيَةَ بْنِ خَلِيفَةَ الْكَلْبِيِّ ، وكان أحياناً لا يراه قبل ذلك إلا كما يرى الرجلُ صاحبه من وراء الغراب^(١).

(١) حديث متهافت . أما رؤيته صلى الله عليه وسلم لجبريل على صورة دحية ، فقد ورد في روايات صحيحة .

لِقَاؤُهُ لِلنَّبِيِّينَ :

فصل : ومما سئل عنه من حديث الإسراء ، وتكلم فيه لقائوه لأدم في السماء الدنيا ، ولإبراهيم في السماء السابعة ، وغيرهما من الأنبياء الذين لقيهم في غير هاتين السماءين ، والحكمة في اختصاص كل واحد منهم بالسماء التي رآه فيها ، وسؤال آخر في اختصاص هؤلاء الأنبياء باللقاء دون غيرهم ، وإن كان رأى الأنبياء كلهم ، فما الحكمة في اختصاص هؤلاء الأنبياء بالذكر ؟ وقد تكلم أبو الحسن بن بطال في شرح البخارى على هذا السؤال ، فلم يصنع شيئاً ، ومغزى كلامه الذى أشار إليه أن الأنبياء لما علموا بقدومه عليهم ابتدروا إلى لقائه ابتدار أهل الغائب للغائب القادم ، فمنهم من أسرع ، ومنهم من أبطأ . إلى هذا المعنى أشار فلم يزد عليه ، والذى أقول فى هذا : إن مأخذ فهمه من علم التعبير ، فإنه من علم النبوة ، وأهل التعبير يقولون : من رأى نبياً بعينه فى المنام ، فإن رؤياه تؤخذ بما يشبه حال ذلك النبى من شدة أو رخاء أو غير ذلك من الأمور التى أخبر بها عن الأنبياء فى القرآن ، والحديث ، وحديث الإسراء كان بمكة وهى حرم الله وأمنه وقطانها جيران الله ، لأن فيها بيته ، فأول ما رأى عليه من الأنبياء آدم الذى كان فى أمن الله وجواره ، فأخرجه عدوه إبليس منها ، وهذه القصة تشبهها الحالة الأولى من أحوال النبى - صلى الله عليه وسلم حين أخرجه أعداؤه من حرم الله وجوار بيته ، فكربه ذلك وعمه . وأشبهت قصته فى هذا قصة آدم ، مع أن آدم تعرض عليه أرواح ذريته البر والفاجر منهم ، فكان فى السماء الدنيا بحيث يرى الفريقين ، لأن أرواح أهل الشقاء لا تلج فى السماء ، ولا تفتح لهم أبوابها كما قال الله تعالى ، ثم رأى

في الثانية عيسى ويحيى وهما الممتحنان باليهود ، أما عيسى فسكذبتة اليهود وآذته ، وهُمُوا بقتله فرفعه الله ، وأما يحيى فقتلوه ، ورسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - بعد انتقاله إلى المدينة صار إلى حالة ثانية من الامتحان ، وكانت محنته فيها باليهود ، آذوه وظَاهَرُوا عليه وَهُمُوا بإلقاء الصَّخْرَةِ عليه ، ليقتلوه فَنَجَّاهُ اللهُ تعالى كما نَجَّى عيسى منهم ، ثم سَمَوْهُ في الشاة ، فلم تزل تلك الأَكَلَةُ تعاوده ، حتى قطعت أَمْرَهُ^(١) كما قال عند الموت ، وهكذا فعلوا بابنِي الخِلاَةِ : عيسى ويحيى ، لأنَّ أُمَّ يَحْيَى أَشْيَاعُ بنتُ عُمَرَانَ أختُ مَرْيَمَ ، أمهما : حَنَّةُ ، وأما لقاءهُ لِيُوسُفَ في السماء الثالثة ، فإنه يؤذن بحالة ثالثة تشبهه حال يوسف ، وذلك بأن يوسف ظَفِرَ بإخوته بعد ما أخرجوه من بين ظَهْرَانِيهِمْ فصفَحَ عنهم ، وقال لا تَتْرِيبَ عَلَيْكُمْ الْآيَةَ ، وكذلك نبينا - عليه السلام - أَمَرَ يَوْمَ بَذْرِ جُمْلَةٍ من أَفَارِبِهِ الَّذِينَ أخرجوه فيهم عمه العباسُ ، وابن عمه عقيل ، فمنهم من أطلق ، ومنهم من قَبِلَ فداؤه ، ثم ظهر عليهم بعد ذلك عامَ الفتح لجمعهم ، فقال لهم : أقول ما قال أخى يوسف لا تَتْرِيبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ ، ثم لقاءهُ لإِدْرِيسَ في السماء الرابعة ، وهو المكان الذى سماه اللهُ مَكَانًا عَلِيًّا ، وإِدْرِيسُ أول من آتاه اللهُ الْخَطَّ بِالْقَلَمِ ، فكان ذلك مُؤْذَنًا بِحَالَةٍ رَابِعَةٍ ، وهى عُلُوُّ شَأْنِهِ - عليه السلام - حتى أخافَ الْمُلُوكَ وكتبَ إِلَيْهِمْ يَدْعُوهُمْ إلى طَاعَتِهِ ، حتى قال أَبُو سَفْيَانَ ، وهو عند ملكِ الرُّومِ ، حين جاءه كتابُ النَّبِيِّ عليه السلام ، ورأى ما رأى من خَوْفِ هِرَقْلَ :

(١) الأبر : الظهر وعرق فيه ، ووريد العنق والا كحل . وقد ذكر قصة الشاة المسمومة البخارى وغيره .

لقد أمر أمر ابن أبي كَبْشَةَ^(١) ، حتى أصبح يخافه ملكُ بني الأَصْفَرِ ، وكتب عنه بالقلم إلى جميع ملوك الأرض ، فمنهم من اتبعه على دينه كالنَّجَاشِيِّ ، وملكَ عمان ، ومنهم من هادنه ، وأهدى إليه وأنحفه كَهْرَقْلَ والمَقْوِسَ ومنهم من تعصَّى عليه ، فأظهره الله عليه ، فهذا مقام على ، وخط بالقلم كنحو ما أوتى لإدريس - عليه السلام - ولقاؤه في السماء الخامسة لهارون المُجَبِّبِ في قومه يؤذن بحب قريش ، وجميع العرب له بعد بُغْضِهِمْ فيه ، ولقاؤه في السماء السادسة لموسى يؤذن بحالة تشبه حالة موسى حين أمر بغزو الشام فظهر على الجبابرة الذين كانوا فيها ، وأدخل بني إسرائيل البلد الذي خرجوا منه بعد إهلاك عدوهم ، وكذلك غزا رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - تبوكَ من أرضِ الشام ، وظهر على صاحب دَوْمَةَ حتى صالحه على الجزية بعد أن أتى به أسيرا ، وافتتح مكة ، ودخل أصحابه البلد الذي خرجوا منه ، ثم لقاؤه في السماء السابعة لإبراهيم - عليه السلام - لحكمتين : إحداهما : أنه رآه عند البيت المعمور مُسْنِداً ظهره إليه والبيتُ المعمورُ حيال مكة ، وإليه تحج الملائكة ، كما أن إبراهيم هو الذي بنى الكعبة ، وأذن في الناس بالحج إليها والحكمة الثانية أن آخر أحوال النبي - صلى الله عليه وسلم - حجَّه إلى البيت الحرام ، وحجَّ معه نحو من سبعين ألفاً من المسلمين ، ورؤيته إبراهيم عند أهل التَّأْوِيلِ تؤذن بالحج ، لأنه الداعي إليه والرافع لقواعد الكعبة المحجوبة ، فقد انتظم في هذا الكلام الجواب عن

(١) أي كثر وارتفع شأنه يعني النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد تقدم ذكر

السؤالين المتقدمين ، أحدهما : السؤال عن تخصيص هؤلاء بالذكر ، والآخر :
السؤال عن تخصيصهم بهذه الأماكن من السماء الدنيا إلى السابعة ، وكان الحزم
ترك التكلف لتأويل ما لم يرد فيه نصٌّ عن السلف ، ولكن عارض هذا
الغرض ما يجب من التفكير في حكمة الله ، والتدبر لآيات الله ، وقول الله تعالى :
﴿ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ وقد رُوِيَ أَنَّ تَفَكُّرَ سَاعَةٍ خَيْرٌ مِنْ
عِبَادَةِ سَنَةٍ ^(١) ما لم يكن النظر والتفكير مجرداً من ملاحظة الكتاب والسنة ،
ومقتضى كلام العرب ، فعند ذلك يكون القول في الكتاب والسنة بغير علم عصمنا
الله - تعالى - من ذلك ^(٢) ، وجعلنا من الْمُتَمَثِّلِينَ لأمره حيث يقول : فاعتبروا
يا أولى الأبصار وليدبروا آياته ، وليتَذَكَّرْ أُولُو الْأَلْبَابِ ، ولولا إسرَاعُ
الناس إلى إنكار ما جهلوه ، وغَلَطُ الطباع عن فهم كثير من الحكمة لأبداننا
مِنْ سِرِّ هذا السؤال ، وكشفنا عن الحكمة في هؤلاء الأنبياء المسلمين في هذه
المراتب أكثر مما كشفنا ^(٣).

البيت المعمور :

فصل : وذكر البيت المعمور ، وأنه يَدْخُلُهُ كل يوم سبعون ألف مَلَكٍ
روى ابن سنجر عن علي - رحمه الله - قال : البيت المعمور بيت في السماء السابعة

(١) التفكير نفسه في خلق السموات والأرض وغيرهما من أجل أنواع
العبادة ، فكيف نجعل التفكير شيئاً والعبادة شيئاً آخر ؟ وهذا يدل على ضعف
الحديث .

(٢) هذه رائعة من السبيل ، فلنتدبرها باحتفال تستحقه

(٣) والحق أنه لم يكشف ، وإنما اعتسف .

يقال له : الضَّرَاحُ ، واسم السماء السابعة : عَرِيْبًا^(١) ، روى أبو بكر الخطيب بإسناد صحيح إلى وهب بن مُنْبَهٍ قال : من قرأ البقرة وآل عمران يوم الجمعة كان له نُورٌ يملأ ما بين عَرِيْبَاءَ وجريباء وجريبا ، وهي الأرض السابعة^(٢) ، وذكر عن عبد الله بن أبي الهذيل قال : البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف دَحِيَّةٍ عند كل دَحِيَّةٍ سبعون ألف ملك رواه عنه أبو التَّيَّاح [يزيد الضُّبَيْحِي] قال أبو سلمة : قلتُ ما الدَّحِيَّةُ ؟ قال : الرئيس . وروى ابنُ سنجر أيضا من طريق أبي هريرة عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم قال : في السماء السابعة بيتٌ يقال له : المَعْمُورُ بِحِمَالٍ مَسْكَةٌ ، وفي السماء السابعة نهرٌ يقال له الحيوان^(٣) يدخله جبريل كل يوم فينغمس فيه اغتماسةً ، ثم يخرج فينتفض انتفاضةً ، يخر عنه سبعون ألف قطرةً ، يخلق الله من كل قطرة ملكا ويؤمنون أن يأنوا البيت المعمور ويصلوا فيه فيفعلون ثم يخرجون فلا يعودون إليه أبداً ، [و] يولى عليهم أحدكم يؤمر أن يقف بهم من السماء موقفاً يُسَبِّحُونَ الله [فيه]

(١) في القاموس واللسان والنهاية لابن الأثير أن اسم السماء السابعة : عروباء (٢) في اللسان : الجرباء : السماء سميت بذلك لما فيها من الكواكب ، وقيل : سميت بذلك لموضع الحجرة كأنها جربت بالنجوم . وقيل : الجرباء من السماء : الناحية التي لا يدور فيها فلك الشمس والقمر . . والجرباء والملاءم : السماء الدنيا . . وأرض جرباء محلة وقحوظة لاشئ فيها ، وفي التامرس عن الجرباء أنها قرية بجانب أذرح ، ثم قال : وغلط من قال : بينهما ثلاثة أيام ، وإنما الوهم من رواية الحديث من إسقاط زيادة ذكرها الدارقطني ، وهي : ما بين ناحيتي حوض كما بين المدينة وجرباء وأذرح .

(٣) في ابن أبي حاتم : وفي السماء الرابعة نهر يقال له الحيوان .

إلى أن تقوم الساعة» (١)

فرصة الصلاة :

فصل : وأما فرض الصلاة عليه هنالك ، ففيه التنبيه على فضلها ، حيث لم تُفرض إلا في الحضرة (٢) المُقدَّسة ؛ ولذلك كانت الطهارة من شأنها ، ومن شرائط أدائها ، والتنبيه على أنها مناجاة الرب ، وأن الرب تعالى مُقْبِلٌ بوجهه على المصنّي بناجيه يقول : حَمَدَنِي عَبْدِي ، أَتُسَنِّي عَلَى عَبْدِي (٣) إلى آخر

(١) الحديث أخرجه ابن أبي حاتم ، وقد تكلم عنه ابن كثير ، فقال : وهذا حديث غريب جداً تفرد به روح بن جناح ، هذا وهو القرشي الاموي مولاهم أبو سعيد الدمشقي ، وقد أنكر عليه هذا الحديث جماعة من الحفاظ ، منهم : الجوزجاني والعقبلي والحاكم أبو عبد الله النيسابوري وغيرهم ، وقال الحاكم : لا أصل له من حديث أبي هريرة ، ولا سعيد ، ولا الزهري ، تفسير سورة الطور .

(٢) سبق بيان أن آيات القرآن تؤكد أن الصلاة كانت مفروضة قبل هذا ، وإلا وجب القول بأن الإسرائكان في عقب المبعث مباشرة . هذا ، ولا يجوز أن نقول : الحضرة المقدسة ، فإنه لا يعد تعبيراً إسلامياً ، ولكنه تعبير صوفي قديم ولم يرد في قرآن أو حديث ، ولم يجر على لسان صحابي أو تابعي ، ولا يجوز أن ننسب إلى الله سبحانه إلا ما نسب هو - جل شأنه - إلى نفسه .

(٣) من حديث رواه مسلم والنسائي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن ، فبى خداج — ثلاثاً — غير تمام فقبل لأبي هريرة : إنا نكون خلف الإمام ، فقال اقرأ بها في نفسك ، فإني سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : قال الله - عز وجل - قسمت الصلاة بيني وبين عبدتي نصفين . ولعبدى ما سأل ، فإذا قال العبد : الحمد لله رب العالمين قال الله : حمدني عبدى ، وإذا قال : الرحمن الرحيم ، قال الله أننى على عبدى ، =

السورة ، وهذا مُشاكِـلٌ لفرضها عليه في السماء السابعة حيث سمع كلام الرب ، وناجاه ، ولم يعرج به حتى طَهَّرَ ظاهره وباطنه بماء زمزم كما يتطهر المصلي للصلاة ، وأُخْرِجَ عن الدنيا بجسمه ، كما يخرج المصلي عن الدنيا بقلبه ، ويحرَّمُ عليه كل شيء إلا مناجاة ربه وتوجهه إلى قبلته في ذلك الحين ، وهو بيت المقدس ، ورفع إلى السماء كما يرفع المصلي يديه إلى جهة السماء إشارة إلى القبلة العليا فهي البيت المعمور ، وإلى جهة عرش من يناجيه ويصلي له سبحانه .

فرصه الصلوات خمسين

فصل وأما فرض الصلوات خمسين ثم حط منها عشرا بعد عشر إلى خمس صلوات . وقد روى أيضا أنها حطت خمسا بعد خمس ، وقد يُمكن الجمع بين الروایتين لدخول الخمس في العشر ، فقد تكلم في هذا الفقه من الفريضة :

== فإذا قال : مالك يوم الدين ، قال الله : مجدى عبدي ، وقال مرة : فوض إلى عبدي . فإذا قال : إياك نعبد ، وإياك نستعين قال : هذا بينى وبين عبدي ، ولعبدي . ما سألت ، فإذا قال : إهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم غير المنضوب عليهم ، ولا الضالين ، قال الله : هذا لعبدي ، ولعبدي ما سأل ، وقال الترمذى : هذا حديث حسن . أقول : إن القرآن يفرض على كل مسلم إذا قرأ القرآن أن يستمع وينصت ، وعلى هذا يجب على المأموم - خلافا لما في الحديث - ألا يقرأ بالفتاحة في نفسه ، وهو يسمع القرآن من الإمام ، لأن الله يقول : (وإذا قرأ القرآن فاستمعوا له ، وأنصتوا لعلكم ترحمون) . الأعراف : ٢٠٤ . والقول بأن الأمر موجه إلى من يكونون في غير الصلاة . قول على الله بغير علم .

أَهُوَ نَسْخٌ أَمْ لَا ؟ عَلَى قَوْلَيْنِ ، فَقَالَ قَوْمٌ : هُوَ مِنْ بَابِ نَسَخِ الْعِبَادَةِ قَبْلَ الْعَمَلِ بِهَا ، وَأَنْكَرَ أَبُو جَعْفَرٍ النَّجَّاسُ هَذَا الْقَوْلَ مِنْ وَجْهَيْنِ ، أَحَدُهُمَا الْبِنَاءُ عَلَى أَصْلِهِ وَمَذْهَبُهُ فِي أَنَّ الْعِبَادَةَ لَا يَجُوزُ نَسْخُهَا قَبْلَ الْعَمَلِ بِهَا ، لِأَنَّ ذَلِكَ عِنْدَهُ مِنَ الْبَدَاءِ ، وَالْبَدَاءُ مُحَالٌ عَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ . الثَّانِي : أَنَّ الْعِبَادَةَ إِنْ جَازَ نَسْخُهَا قَبْلَ الْعَمَلِ بِهَا عِنْدَ مَنْ يَرَى ذَلِكَ ، فَلَيْسَ يَجُوزُ عِنْدَ أَحَدٍ نَسْخُهَا قَبْلَ هَبْوِطِهَا إِلَى الْأَرْضِ وَوَصُولِهَا إِلَى الْمُخَاطَبِينَ : قَالَ : وَإِنَّمَا أَدْعَى النَّسْخَ فِي هَذِهِ الصَّلَوَاتِ الْمَوْضُوعَةِ عَنْ مُحَمَّدٍ وَأَمَّتِهِ الْقَاشَانِيِّ ، لِيَصَحَّحَ بِذَلِكَ مَذْهَبَهُ فِي أَنَّ الْبَيَانَ لَا يَتَأَخَّرُ ، ثُمَّ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : إِنَّمَا هِيَ شِفَاعَةٌ شَفَعَهَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لِأُمَّتِهِ وَمَرَاةً رَاجِعَةً رَاجِعَهَا رَبُّهُ ، لِيُخَفِّفَ عَنْ أُمَّتِهِ ، وَلَا يُسَمَّى مِثْلَ هَذَا نَسْخًا .

قَالَ الْمَوْافِقُ : أَمَّا مَذْهَبُهُ فِي أَنَّ الْعِبَادَةَ لَا تُنْسَخُ قَبْلَ الْعَمَلِ بِهَا ، وَأَنَّ ذَلِكَ بَدَآءٌ فَلَيْسَ بِصَحِيحٍ ، لِأَنَّ حَقِيقَةَ الْبَدَاءِ أَنَّ يَبْدُو لِلْأَمْرِ رَأْيٌ يَقْبَلُ لَهُ الْعُصَابُ فِيهِ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ تَبَيَّنَ ، وَهَذَا مُحَالٌ فِي حَقِّ مَنْ يَعْلَمُ الْأَشْيَاءَ بِعِلْمٍ قَدِيمٍ ^(١) ، وَإِيسَ النَّسْخَ مِنْ هَذَا فِي شَيْءٍ إِنَّمَا النَّسْخُ تَبْدِيلُ حُكْمٍ بِحُكْمٍ ، وَالْكُلُّ

(١) فِي اللِّسَانِ : « الْبَدَاءُ : اسْتِصْوَابُ شَيْءٍ عِلْمٌ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَعْلَمْ ، وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ غَيْرُ جَائِزٍ ، وَيَقُولُ الشَّهْرَسْتَانِيُّ فِي الْمَلَلِ وَالنَّجَلِ : « الْبَدَاءُ لَهُ مَعَانٍ : الْبَدَاءُ فِي الْعِلْمِ ، وَهُوَ أَنْ يَظْهَرَ لَهُ صَوَابٌ عَلَى خِلَافِ مَا أَزَادَ وَحُكْمٌ ، وَالْبَدَاءُ فِي الْأَمْرِ ، وَهُوَ أَنْ يَأْمُرَ بِشَيْءٍ ، ثُمَّ يَأْمُرُ بَعْدَهُ بِخِلَافِ ذَلِكَ ، قَالَ هَذَا وَهُوَ يَتَحَدَّثُ عَنِ الْمُخْتَارِ بْنِ عُبَيْدِ الثَّقَفِيِّ أَحَدِ زُعَمَاءِ فِرْقِ الشَّيْعَةِ الْأَوَائِلِ ، ثُمَّ قَالَ : « وَإِنَّمَا صَارَ الْمُخْتَارُ إِلَى اخْتِيَارِ الْقَوْلِ بِالْبَدَاءِ ، لِأَنَّهُ كَانَ يَدْعَى عِلْمَ مَا يَحْدُثُ مِنَ الْأَحْوَالِ إِمَّا بِوَحْيٍ يُوْحَى إِلَيْهِ ، وَإِمَّا بِرِسَالَةٍ مِنْ قِبَلِ الْإِمَامِ ، فَسَكَنَ إِذَا وَجَدَ أَصْحَابَهُ بِكَوْنِ شَيْءٍ ، وَحُدُوثِ حَادِثَةٍ ، فَإِنْ وَافَقَ كَوْنَهُ قَوْلَهُ جَعَلَهُ دَلِيلًا »

في سابق علمه ومقتضى حكمته، كنسخه المرض بالصحة، والصحة بالمرض، ونحو ذلك، وأيضاً بأن العبد المأمور يجب عليه عند توجه الأمر إليه ثلاث عبادات: الفعل الذي أمر به، والعزم على الامتثال عند سماع الأمر، واعتقاد الوجوب إن كان واجباً فإن نسخ الحكم قبل الفعل، فقد حصلت فائدتان: العزم واعتقاد الوجوب. وعلم الله ذلك منه، فصح امتحانه له واختباره بإياه، وأوقع الجزاء على حسب ما علم من نيته، وإنما الذي لا يجوز نسخ الأمر قبل نزوله، وقبل علم الخطاب به، والذي ذكر النحاس من نسخ العبادة بعد العمل بها، فليس هو حقيقة النسخ، لأن العبادة المأمور بها قد مضت، وإنما جاء الخطاب بالنهاي عن مثلها لأغنها، وقولنا في الخمس والأربعين صلاة الموضوعة عن محمد وأمه أحد وجهين، إما أن يكون نسخ ماوجب على النبي صلى الله عليه وسلم من أدائها ورفع عنه استمرار العزم واعتقاد الوجوب، وهذا قد قدمنا أنه نسخ على الحقيقة، ونسخ عنه ماوجب عليه من التبليغ، فقد كان في كل مرة عازماً على تبليغ ماأمر به، وقول أبي جعفر: إنما كان شافعاً ومراجماً ينفى النسخ فإن النسخ قد يكون عن سبب معلوم، فشفاعته عليه السلام لأمه كانت سبباً للنسخ لا مبطلةً لحقيقته،

== على صدق دعواه، وإن لم يوافق قال: قد بدا لربكم، وكان لا يفرق بين النسخ والبداء، ص ٢٣٧ = ١ الملل والنحل للشهرستاني ط مكتبة الحسين التجارية فالبداء إذن أسطورة ملعونة، ومحال نسبتها إلى الله سبحانه ولا يجوز وصف علم الله بأنه قديم، كما لا يجوز وصف الله بهذه الصفة كما سبق بيانه. كما أنه لا يجوز أن يقال عن آية في القرآن إنها منسوخة، فمكل آية في القرآن هي حق لا ريب فيه، وكل آية فيه يجب أن نؤمن بأنها غير منسوخة.

ولكن المنسوخ ما ذكرنا من حكم التبليغ الواجب عليه قبل النسخ وحكم الصلوات الخمس في خاصته ، وأما أمته فلم ينسخ عنهم حكم إذ لا يتصور نسخ الحكم قبل بلوغه إلى المأمور ، كما قدمنا ، وهذا كله أحد الوجهين في الحديث .

والوجه الثاني أن يكون هذا خبرا لا تمثيلا ، وإذا كان خبرا لم يدخله النسخ ، ومعنى الخبر أنه عليه السلام أخبره ربه أن على أمته خمسين صلاة ، رمعناه : أنها خمسون في اللوح المحفوظ ، وكذلك قال في آخر الحديث : هي خمس وهي خمسون ، والحسنة بعشر أمثالها فتأوله رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على أنها خمسون بالفعل ، فلم يزل يراجع ربه حتى بين له أنها خمسون في الثواب لا بالعمل . فإن قيل : فما معنى نصفها عشرا بعد عشر ؟ قلنا : ليس كل الخلق يحضر قلبه في الصلاة من أولها إلى آخرها ، وقد جاء في الحديث أنه يكتب له منها ما حضر قلبه فيها ، وأن العبد يصلي الصلاة ، فيكتب له نصفها ربعا حتى انتهى إلى عشرها ، ووقف ، فهي خمس في حق من كتب له عشرها ، وعشر في حق من كتب له أكثر من ذلك ، وخمسون في حق من كملت صلاته وأداها بما يلزمه من تمام خشوعها وكال سجودها وركوعها .

أوصاف من الملائكة :

فصل : وذكر أنه عليه السلام لم يلقه ملك من الملائكة إلا ضاحكا مستبشرا إلا ما لكأ خازن جهنم ، وذلك أنه لم يضحك لأحد قبله ، ولا هو ضاحك لأحد ، ومصدق هذا في كتاب الله تعالى ، قال الله سبحانه عز وجل عليها ملائكة غلاظ شداد في التحريم : ٦ وهم موكلون بفضب الله تعالى ، فالفضب لا يزالهم

أبدا ، وفي هذا الحديث ممانعة للحديث الذي في صفة ميكائيل أنه ما ضحك منذ خلق الله جهنم ، وكذلك يعارضه ما خرّج الدارقطني أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تبسم في الصلاة ، فلما انصرف سُئِلَ عن ذلك ، فقال : رأيت ميكائيل راجعا من طلب القوم ، على جناحيه القبارُ فضحك إليّ ، فتبسمت إليه ، وإذا صح الحديثان ، فوجه الجمع بينهما : أن يكون لم يضحك منذ خلق الله النار إلى هذه المدة التي ضحك فيها لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيكون الحديث عامًا يُراد به الخصوص ، أو يكون الحديث الأول حدث به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قبل هذا الحديث الأخير ثم حدث بعدُ بما حدث به من ضحكِهِ إليه ، والله أعلم ولم يرَ مالا كما على الصورة التي يراه عليها المعذبون في الآخرة ، ولو رآه على تلك الصورة ما استطاع أن ينظر إليه .

أكله الربا في رؤيا المعراج :

وذكر أكله الربا وأنهم بسبيل آل فرعون يمرون عليهم كالإبل المهيومة ، وهي العطاش ، والهَيَام : شدة العطش ، وكان قياس هذا الوصف ألا يقال فيه مَهيومة ، كما لا يقال معطوشة ، إنما يقال هائم وهَيَّان ، وقد يقال : هَيُومٌ ويجمع على هيم ، ووزنه فعل بالضم لكن كسرٍ من أجل الياء كما قال تعالى : ﴿ قَسَارِبُونَ شُرَبَ الْهَيْمِ ﴾ الواقعة : ٥٥ ولكن جاء في الحديث مَهيومة ، كأنه شيء فعل بها كالمحمومة والمجنونة وكالمنهوم ، وهو الذي لا يشبع وكان قياس الياء أن تعتل ، فيقال : مَهيمة ، كما يقال : مَبيعة في معنى مَبيوعة .

ولكن صحت الياء ، لأنها في معنى الهيمومة كما صحت الواو في عور لأنه في معنى أعور ، كما صحت في اجتوروا لأنه في معنى : تَجَاوَرُوا ، وإنما رآهم مُتَفَخِّخَةً بطونهم ؛ لأن العقوبة مُشَاكِلَةٌ للذنب ، فأكل الربا يربو بطنه ، كما أراد أن يربو ماله بأكل ما حُرِّمَ عليه ، فمُحِقَّتِ البركة من ماله ، وجُعِلَتْ نَفْخًا في بطنه ، حتى يقوم كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من النَّمَسِّ ، وإنما جُعِلُوا بطريق آل فرعون يمرون عليهم غُدُوًّا وَعَشِيًّا لأن آل فرعون هم أشد الناس عذابا يوم القيامة ، كما قال سبحانه : ﴿ اذْخُلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ غافر : ٤٦ . فخصُّوا بسبيلهم ، ليعلم أن الذين هم أشد الناس عذابا بطونهم فضلا عن غيرهم من الكفار ، وهم لا يستطيعون القيام ، ومعنى كونهم في طريق جهنم بحيث يُمرُّ بالكفار عليهم ، أن الله سبحانه قد أوقف أمرهم بين أن ينتهوا ، فيكون خيرا لهم ، وبين أن يعودوا ويصروا ، فيدخلهم النار ، وهذه صفة مَنْ هو في طريق النار قال الله تعالى : ﴿ مَنْ جَاءَ مُوعِظَةً مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ ﴾ البقرة : ٢٧٥ . إلى آخر الآية وفي بعض المَسْنَدَات أنه رأى بطونهم كالبيوت ، يعني : أَكَلَةَ الرِّبَا ، وفيها حَيَاتٌ ترى خارج البطون . فإن قيل : هذه الأحوال التي وصفها عن أَكَلَةِ الرِّبَا إن كانت عبارة عن حالهم في الآخرة ، قَالَ فرعون في الآخرة قد أُدْخِلُوا أَشَدَّ الْعَذَابِ ، وإنما يُعْرَضُونَ على النارِ غُدُوًّا وَعَشِيًّا في البرزخ ، وإن كانت هذه الحال التي رآهم عليها في البرزخ ، فأى بطون لهم ، وقد صاروا عظاما ورفاتا ، ومُزَّقُوا كُلَّ مُمَزَّقٍ فالجواب أنه إنما رآهم في البرزخ ، لأنه حديثٌ عما رأى ، وهذه الحال هي حال

أرواحهم بعد الموت ، وفيها تصحيح لمن قال : الأرواحُ أجسادٌ لطيفة قابلة للنعم والعذاب ، فيخلق الله في تلك الأرواح من الآلام ما يجده من انتفخ بطنه حتى وُطئ بالأقدام ، ولا يستطيع من قيامٍ ، وليس في هذا الحديث دليل على أنهم أشد عذاباً من آلِ فرعون ، ولكن فيه دليل على أنهم يَطْوُونهم آلُ فرعون وغيرهم من الكفار الذين لم يأكلوا الرِّبَا ماداموا في البرزخ إلى أن يقوموا يوم القيامة ، كما يقوم الذي يتخبطه الشيطانُ من المَسِّ ، ثم ينادى منادى الله ﴿ ادْخُلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ غافر : ٤٦ وكذلك ما رأى من النساء المعلقات بشديهن^(١) يجوز أن يكون رأى أرواحهن ، وقد خلق فيها من الآلام ما يجده من هذه حاله ، ويحتمل أيضاً أن يكون مثبّت له حالهن في الآخرة ، وذكر الذين يدعون ما أحل الله من نسائهم ، ويأتون ما حرم عليهم ، وهذا نص على تحريم إتيان النساء في أعجازهن ، وقد قام الدليل على تحريمه من الكتاب والسنة والإجماع ، وقد ذكرنا المواضع التي يقوم منها التحريم على هذه المسألة من كتاب الله ، ومن حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وذكرنا ما جاء في ذلك عن ابن عباس من قوله : هو الكفر ، وقول ابن عمر : هي اللواطية الصغرى ، وأما الإجماع ، فإن المرأة تُرَدُّ بداء الفرج ، ولو جاز وطؤها في المسلك الآخر ما أجمعوا على ردّها بداء الفرج ، وقد مهّدنا الأدلة على هذه المسألة مُفردة في غير هذا الإملاء بما فيه شفاء والحمد لله

(١) لم يخرج أحد من أصحاب الصحيح ، وفي بعض رواياته غرابة ونكارة .

الولد لغير رشدة :

وقوله : فأكل حرائبهم : الحَرِيبَةُ : المبال ، وهو من الحرب ، وهو السَّلْبُ ، يريد أن الولد إذا كان لغير رشدة نُسب إلى الذي وُلد على فراشه ، فيأكل من ماله صغيراً ، وينظر إلى بناته من غير أمه وإلى أخوانه ، ولَسَنَ بَعَمَاتٍ له ، وإلى أمّه وليست بجدة له ، وهذا فساد كبير ، وإنما قدّم ذكر الأكل من حَرِيبته وماله قبل الاطلاع على عَوْراته ، وإن كان الاطلاع على العَوْرَاتِ أشنع ، لأن نفقته عليه أول من حال صغره ، ثم قد يبلغ حد الاطلاع على عَوْراته ، أولاً يبلغ ، وأيضاً فإن الأم أرضعته بلبانها ، ولم تدفعه إلى مرضعة كان الزَّوْجُ أباً له من الرضاعة ، وكان حكمه حكم الابن من الرضاعة ، وفي ذلك نقصان من الشناعة ، فإن بلغ الصَّبِي ، وثابت الأم ، وأعلمته أنه لغير رشدة ليستغف عن ميراثهم ، ويكف عن الاطلاع على عَوْراتهم ، أو علم ذلك بقرينة حال وجب عليه ذلك وإن كان شرّاً الثلاثة كما جاء في الحديث في ابن الزَّنا ، وقد تَوَوَّلَ حديثُ شرِّ الثلاثة على وُجُوهِ ، هذا أقربها إلى الصواب ، لقوله عليه السلام : أَكَلَ حَرَائِبَهُمْ ، واطَّلَعَ على عَوْرَاتِهِمْ ، ومن فعل هذا عن عمد وقصد فهو شر الناس ، وإن لم يعلم فأكله واطلاعه شرُّ عمل ، وأبواه حين زَنِيَا فارقا ذلك العمل الخبيث لحيثهما والابن في عمل خبيث من مَذْشَنِهِ إلى وفاته ، ، فعمله شرُّ عمل .

حكم الحاكم لا يحل الحرام :

وفي هذا الحديث من الفقه أيضاً أن حكم الحاكم لا يُحلُّ حراماً ، وذلك أن الولد في حكم الشريعة للفراش إلا أن يُنفَى باللَّعَانِ ، فإذا حكم الحاكم بهذا ، وعلم

الولد عند بلوغه خلاف ما حكم به الحاكم لم يحل له بهذا الحكم ما حرّم الله عليه من أكل الخرائب والاطلاع على العورات ، وفي هذا ردّ لمذهب أبي حنيفة من قوله : إن حكم الحاكم قد يحل ما يعلم أنه حرام مثل أن يشهد شاهدان على رجل أنه طلق ، وهما يعلمان أنه لم يطلق فيقبل القاضي شهادتهما فيطلق المرأة على الرجل ، فإذا بانّت منه كان لأحد الشاهدين أن ينكحها مع علمه بأنه قد شهد زوراً ، لم يقل أبو حنيفة بهذا القول في الأموال لقول النبي عليه السلام « إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إليّ ، ولعلّ أحدكم أن يكون ألحن بحجّته من صاحبه ، فأقضى له على نحو ما أسمع ، فمن قضيت له بشيء من حقّ أخيه ، فلا يأخذه ، فإنما أقطع له قطعة من النار ^(١) » ففي هذا الحديث مع الذي تقدّم ردّ لمذهبه ، ولا حجة له في أن يقول ذلك مخصوص بالأموال من وجهين : أحدهما : أن أن القياس أصل من أصوله ، وقياس المسألتين واحد ، الثاني : أنه قال من حق أخيه ، ولم يقل من مال أخيه ، وهذا لفظ يعم الحقوق كلها قال المؤلف : وعندى أن أبا حنيفة رحمه الله : إنما بنى هذه المسألة على أصله في طلاق المكره ، فإنه

(١) رواه الجماعة . ومعنى ألحن : أبلغ كما وقع في الصحيحين أى : أحسن لإيراد الكلام ، ولا بد من تقدير محذوف لتصحيح معناه . وهو أى وهو كاذب ، ويسمى هذا عند علماء الأصول : دلالة اقتضاء ، لأن اللفظ الظاهر المذكور يقتضى هذا المحذوف ، وقد يكون معناه : أعرف بالحجة ، وأقطن لها من غيره ويقال : لحنت الإعلان إذا قلت له قولاً يفهمه ، ويخفى على غيره لأنك تميله بالتورية عن الواضح المفهوم ، فاللحن : الميل عن جهة الاستقامة ، يقال : لحن فلان في كلامه : إذا مال عن صحيح المنطق . وفي روايته ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجّته من بعض ، فأقضى بنحو ما أسمع ،

عنده لازم فإذا أكره الرجلُ على الطلاق ، وقلنا يلزم الطلاق له ، فقد حرمت المرأة عليه ، وإذا حرمت عليه جاز أن ينكحها من شاء فالإثم إنما تعلق في هذا المذهب بالشهادة دون النكاح ، وقد خالفه فقهاء الحجاز في طلاق المكراه ، وقولهم يعضده الأثر ، وقول أبي حنيفة يعضده النظر ، والخواص في هذه المسألة يصدّنا عما نحن بسبيله .

مطلب إدريس

فصل : وذكره لإدريس في السماء الرابعة مع قوله تعالى : (وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيمًا) مريم ، مع أنه قد رأى موسى وإبراهيم في مكان أعلى من مكان إدريس فذلك والله أعلم لما ذكر عن كعب الأحبار أن إدريس خص من جميع الأنبياء أن رفع قبل وفاته إلى السماء الرابعة ، ورفع مَلَكٌ كان صديقاً له ، وهو الملك الموكَّل بالشمس فيما ذكر ، وكان إدريس سأله أن يُريه الجنة ، فأذن له الله في ذلك ، فلما كان في السماء الرابعة رآه هنالك مَلَكُ الموت ، فمجب ، وقال أمرت أن أقبض روح إدريس الساعة في السماء الرابعة ، فقبضه هنالك ، وفرعه حياً إلى ذلك المكان العلى خاصُّ له دون الأنبياء^(١) .

(١) يقول ابن كثير عن هذا : « وقد روى ابن جرير ههنا أثراً غريباً عجيباً ، ثم ذكر الأثر بطوله ، بخبره المشعور ، وكذبه الملعون ، ثم قال بعده : « هذا من أخبار كعب الأحبار الإسرائيليّات ، وفي بعضه نكارة والله أعلم ، تفسير الآية من سورة مريم . أما المكان العلى فقد ذكر الحسن وغيره أنه الجنة . ونحذر من موبات كعب

قول الأنبياء في كل سماء :

فصل : وذكر من قول الأنبياء له في كل سماء : مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ ،
وقول آدم وإبراهيم : بالابن الصالح وقد ذكرنا في أول هذا الكتاب حُجَّةً لِمَنْ
قال : إن إدريسَ ليس بجَدَّةَ لَنُوحٍ ، ولا هو من آباء رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - لأنه قال مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ ، ولم يقل : بالابن الصالح

فرافقة طلب موسى أنه يكون من أمة احمد :

وأما اعتناهُ موسى - عليه السلام - بهذه الأُمَّة وإلحاحه على نبيها أن يشفع
لها ، وَيَسْأَلُ التَّخْفِيفَ عنها ، فاقوله - والله أعلم - حين قُضِيَ إِلَيْهِ الْأَمْرُ بِجَانِبِ
الْقَرْيَةِ ، ورأى صفات أمة محمد عليه السلام في الألواح ، وجعل يقول : إني
أجد في الألواح أُمَّةً صَفَّتْهُمْ كَذَا ، اللهم اجعلهم أمتي ، فيقال له : تلك أمة
أحمد ، وهو حديث مشهور^(١) ، فكان إشفاقه عليهم واعتناؤه بأمرهم كما يعتنى
بالقوم مَنْ هُوَ مِنْهُمْ ، لقواه : اللهم اجْعَلْنِي مِنْهُمْ ، والله أعلم .

(١) هو مشهور ، واسكن شهرة الباطل الماكر ، والضلالة اللثيمة ،
وقد أخرجه أبو نعيم في الدلائل ، ولم يخرج أحد من أصحاب الصحيح .
وكيف يطلب موسى من الله أن تكون هذه الأمة التي ستأتي بعده بقرون أمة له ؟
وكيف نصدق أو كيف يستقيم القول بأنه أعطى خصلتي الرسالة والتكليم بعد هذه
المناقشة ، على حين كان هو رسولا مكلما قبل أن تنزل الألواح عليه . فقد ورد
في ختام الحديث . أن موسى قال : يا رب فاجعلني من أمة أحمد ، فأعطى عند
ذلك خصلتين ، فقال : (يا موسى إني اصطفتك على الناس برسالاتي وبكلامي ،
فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين) لأنها خرافة ظاهرها يـنزع إلى تمجيد
النبي ، ص ، وباطنها - بهته بالكذب والخرف اللاحق ،

بعض ما رأى :

ومما جاء فى حديث الإسراء مما لم يذكره ابن اسحاق فى مُسند الحارث ابن أبى أسامة أنه - عليه السلام - ناداه مناد ، وهو على ظهر الأبراق : يا محمد ، فلم يعرج عليه ، ثم ناداه آخر : يا محمد يا محمد ثلاثا ، فلم يعرج عليه ، ثم أقيته امرأة عليها من كل زينة ناشرة يديها ، تقول : يا محمد يا محمد ، حتى تَفَشَّتْ ، فلم يعرج عليها ، ثم سأل جبريل عما رأى ، فأخبره ، فقال : أما المنادى الأول ، فداعى اليهود لو أجبتَه لَتَهَوَّدَت أمتك ، وأما الآخر فداعى النصارى ، ولو أجبتَه لَتَنَصَّرَت أمتك ، وأما المرأة التى كان عليها من كل زينة ، فأنهيا الدنيا أو أجبتَها لآثرت الدنيا على الآخرة^(١) .

(١) وردت فى حديث رواه البيهقى فى الدلائل بسنده إلى أبى سعيد الخدرى وابن جرير . ورواه ابن أبى حاتم بسياق طويل كما يقول ابن كثير - حسن أنقى أجود مما ساقه غيره على غرابته وما فيه من النكارة .

ثم بحمد الله
الجزء الثالث ويليه الجزء الرابع
ان شاء الله

وأوله : ﴿ كفاية الله أمر المستهزئين ﴾

فهرس

الجزء الثالث من الروض الأنف

الرقم	الموضوع	الرقم	الموضوع
٦	ابتداء فرض الصلاة د س ،	٢٩	تفسير ونحو : اصدع بما
٧	أول من أسلم د س ،		تؤمر د ن ، ل ،
٩	إسلام زيد بن حارثة د	٣٩	حول ما المصدرية والذي
١٠	إسلام أبي بكر		ن ، ل ،
١١	فرض الصلاة	٤٢	مبادأة رسول الله د ص ، د س ،
١٢	لانسخ في القرآن د س ،	٤٣	صلاة الرسول وصحبه في
١٣	الوضوء		الشعاب د س ،
١٤	جبريل يؤم الرسول د ص ،	٤٣	عداوة الشرك للرسول د ص ،
١٥	أول من آمن	٤٦	مناصرة أبي طالب للرسول د ص ،
١٦	إسلام زيد	٤٩	مبادأة رسول الله
١٩	إسلام أبي بكر	٥٠	أبو البختری
٢٢	من أسلموا على يد أبي بكر د س ،	٥٢	لو وضعوا الشمس في يميني
٢٧	إسلام أبي عبيدة وسعيد بن زيد	٥٤	عرض قرش على أبي طالب
٢٩	إسلام سعد . وابن عوف	٥٦	شرح شعر لأبي طالب
	والنحام	٦١	موقف الوليد بن المغيرة من
٢١	ابن مسعود ومسعود القاري		القرآن د س ،
٢٣	تصحيح نسب أبي حذيفة	٦٣	أبو طالب بفخر بأبن أخيه د
٢٤	عميس	٦٣	لامية أبي طالب د
٢٥	تصحيح في نسب بنى عدى	٦٩	شرح ابن هشام لبعض القصيدة د
٢٧	إسلام عامر بن فهيرة	٧٠	ذكره صلى الله عليه وسلم ينتشر د
٣٨	عامر بن الطفيل د ش ،		

س = سيرة . ش = شرح . وما ليس أمامه شيء أو أمامه راء فهو من
الروض : و د ن ل ، مسائل نحوية ولغة

الرقم	الموضوع	الرقم	الموضوع
٧١	أبو قيس بن الأسلت ونسبه دس،	١٣١	حول سورة الكهف دس،
٧٢	قصيدة ابن الأسلت د	١٤٣	أول من جهر بالقرآن د
٧٤	داحس والغبراء د	١٤٤	ما لى رسول الله د ص، د
٧٦	حرب حاطب د	١٤٥	المذثر والذير والعريان
٧٧	حكيم بن أمية ينهى عن عداوة	١٤٧	تقديم المفعول على الفعل
	الرسول دس،	١٤٨	الرقى وعتبة بن ربيعة
٧٧	موقف الوليد من القرآن د	١٥٠	إسلام حمزة
٨٠	ذرفى ومن خلقت وحيدا	١٥٢	طلبهم الآيات
٨٢	شرح لامية أبى طالب	١٥٤	عبد الله بن أبى أمية
٨٢	قلب الواو تاء د ن . ل ،	١٥٤	هم أبى جهل بالقاء الحجر
٨٤	وسوم الإبل	١٥٦	أرايت د ن . ل ،
٨٤	حول الصفة المشبهة د ن . ل ،	١٥٧	الاساطير وشىء عن الفرس
٨٧	حديث أم زرع د ش ،	١٦١	عن الكهف والفرفان
٨٨	الودع والودع .	١٦٢	لم قدم الحمد على الكتاب؟
٨٩	من شرح لامية أبى طالب	١٦٣	شرح شواهد شعرية
٩٤	حسن ذا أدبا د ن . ل ،	١٦٤	للرقم وأهل الكهف
٩٥	عود إلى شرح اللامية د ن . ل ،	١٦٤	لأعراب أحصى د ن . ل ،
١٠٢	برى وبراء وما يشبههما	١٦٥	عن الكهف مرة أخرى
١٠٣	الاستشفاء	١٦٩	واو الثمانية د ن . ل ،
١٠٧	ابن الأسلت وقصيدته	١٧١	آية الاستشفاء
١١٢	حرب داحس	١٧٢	وابشوا فى كهفهم
١١٦	حرب حاطب	١٧٤	السنة والعام د ن . ل ،
١١٦	ما لقيه الرسول دس،	١٧٧	ذو القرنين
١١٨	إسلام حمزة د	١٨١	حكم التسمى بأسماء النبيين
١٢٠	الرسول دس، وعتبة د	١٨٢	الروح والنفس
١٢٢	بين النبي دس، وبين قريش د	١٨٨	الروح سبب الحياة

الموضوع	الرقم	الموضوع	الرقم
عبد شمس	٢٢٧	الإنسان روح وجسد	١٩١
عمار لم يهاجر إلى الحبشة	٢٢٨	النفس	١٩١
حول بني الحارث بن قيس	٢٢٩	ابن هرمة	١٩٢
حول بني زهرة وطليب بن عبيد	٢٢٩	خزنة جهنم	١٩٤
عن شعر الهجرة الحبشية ونحوياته	٢٣٠	بهته «ص» بأن بشرأ يعلمه	١٩٥
«ن . ل»		المستمعون لللاوة النبي «س»	١٩٦
حول أن المصدرية «ن . ل»	٢٣٢	العدوان على المستضعفين	١٩٩
حول لام التعجب	٢٣٧	تعذيب بلال وعمقه	١٩٩
من معاني شعر ابن مظعون	٢٣٨	من اعتقاء أبي بكر	٢٠٠
أنساب	٢٣٩	بين أبي بكر وأبيه	٢٠١
أم سلمة	٢٤١	تعذيب عمار	٢٠١
قريش تطلب المهاجرين «س»	٢٤٣	فتنة المعتذبين	٢٠٢
النور الذي كان على قبر النجاشي	٢٤٣	رفض تسليم الوليد بن الوليد	٢٠٢
«س»		الهجرة الأولى إلى الحبشة	٢٠٣
حوار بين النجاشي وبين المهاجرين	٢٤٦	المهاجرون إلى الحبشة	٢٠٥
«س»		من شعر الهجرة الحبشية	٢١٣
المهاجرون وانتصار النجاشي	٢٤٨	حول آيات من القرآن	٢١٥
تملك النجاشي على الحبشة	٢٤٩	حكم المـكـره على الكفر والمعصية	٢١٨
قرش تطلب المهاجرين	٢٥٢	آل ياسر	٢٢٠
عمارة بن الوليد بن المغيرة	٢٥٣	زئيرة وغيرها	٢٢١
حول حديث المهاجرين مع	٢٥٥	أم عميس	٢٢١
النجاشي		عن بلال	٢٢٢
إضافة العين إلى الله	٢٥٧	عن الهجرة إلى الحبشة	٢٢٢
معنى ان عيسى كلمة الله وروحه	٢٥٨	النجاشي وعثمان ورقية	٢٢٢
من هدى السلف في الصفات «ش»	٢٥٨	رؤيا ورقية ولدى العاص	٢٢٥
كلمة «حضرة» ونسبتها إلى الله «ش»	٢٥٩	أمة بنت خالد وأبوها	٢٢٦

الرقم	الموضوع	الرقم	الموضوع
٢٦٠	أصحمة النجاشي	٢٩٧	كمال المصحف وتامه «ش»
٢٦١	من فقه حديث الهجرة الحبشية	٢٩٨	بعض ما قيل عن الصحيفة «ش»
٢٦١	الصلاة على النجاشي	٢٩٩	تفسير بائية أبي طالب
٢٦٢	حكم الصلاة على الغائب	٣٠٠	لا التي للبرقة و ن . ل ،
٢٦٤	إسلام عمر «س»	٣٠١	عود إلى شرح البائية
٢٧١	عن إسلام عمر و حديث خباب	٣٠٤	مسد أم جميل
	«س»	٣٠٨	عن الجيد والعنق و ن . ل ،
٢٨٢	خبر الصحيفة القرشية «س»	٣٠٩	غلو في الوصف بالحسن
٢٨٢	موقف أبي لهب «س»	٣١٢	الفهر
٢٨٣	بائية أبي طالب	٣١٣	حول خباب وقولهم مذمم
٢٨٤	من جهالة أبي جهل	٣١٣	سد الذرائع
٢٨٥	ما لقى رسول الله من قومه	٣١٤	إنما الأعمال بالنيات «ش»
٢٨٥	أبو لهب وامراته	٣١٥	شرح ابن تيمية لسد
٢٨٧	أمية بن خلف		الذرائع «ش»
٢٨٨	العاص بن وائل	٣١٦	عن النضر ورستم
٢٨٨	أبو جهل	٣١٧	ابن الزبيري وعزير (١)
٢٨٩	النضر بن الحارث	٣١٩	حصب جهنم
٢٩٠	ابن الزهري والأخفس	٣٢٠	عما نزل في حق الأخفس
٢٩٢	ما نزل في حق الوليد بن المغيرة	٣٢٠	عن النسب على غير قياس «ش»
	وأبي بن خلف وعقبة بن أبي	٣٢١	الزويم «ر» ، ش ،
	معيط «س»	٣٢٢	تفسير سورة «الكافرون»
٢٩٤	ما نزل في حق من اعترضوا	٣٢٤	عن كلمة «ما» و ن . ل ،
	طواف الرسول «س»	٣٢٧	الزقوم
٢٩٤	ما قيل في حق أبي جهل «س»	٣٢٨	حديث ابن أم مكتوم
٢٩٥	قصة ابن أم مكتوم «س»	٣٣٠	العائدون من الحبشة «س»
٢٩٦	حديث صحيفة قريش «س»	٣٣٣	قصة ابن مظعون مع الوليد

الرقم	الموضوع	الرقم	الموضوع
٢٢٤	أبو سلمة في جوار أبي طالب «س»	٣٩١	عن غلام المبيعة وصهيب وأبي فكيهة
٢٣٦	أبو بكر يرد جوار ابن الدغنة «د»	٣٩٢	سبب نزول الكوثر «د س»
٣٣٨	نقض الصحيفة «د»	٣٩٢	الكوثر في الشعر «د»
٣٤٤	قصة الغرائب «ش ر»	٣٩٤	وقالوا لولا نزل عليه ملك «د»
٣٤٩	كل شيء ما خلا الله باطل	٣٩٥	وانقداستهزى برسول من قبلك «د»
٣٥٢	أبو بكر وابن الدغنة	٣٩٥	الإسراء والمعراج «د س»
٣٥٣	عن الشعب ونقض الصحيفة	٤٠١	حديث أم هانئ عن الإسراء «د»
٣٥٦	شرح دالية أبي طالب	٤٠٢	الآبتر والكوثر «د ر»
٢٥٦	النسب على غير قياس «ش»	٤٠٩	استشهاد ابن هشام على معنى الكوثر «د ر»
٣٥٧	عود إلى الدالية «د ر»	٤١٠	ذكر حديث المستهزين «د ر»
٣٦٢	شعر حسان في مطعم وهشام	٤١٢	شرح «أ» في حديث الإسراء من المشكل «د ر»
٣٦٤	إسلام الطفيل «د س»	٤١٥	أكان الإسراء يقظة أم منام «د ر»
٣٦٨	قصة الأعشى	٤١٧	أكان الإسراء مرتين «د ر»
٣٧٠	ذلة أبي جهل والإراشي «س»	٤٢٠	حول الإسراء والمعراج «ش»
٣٧٢	ركانة ومصارعة «د»	٤٢٢	رأى الشوكاني «ش»
٣٧٣	قدوم وفد النصارى من الحبشة «د»	٤٢٣	رأى ابن القيم «ش»
٣٧٦	حول حديث الطنيل الدوسي «د ر»	٤٢٥	موازنات بين الروايات «ش»
٣٧٧	خب وخب «ش»	٤٣٠	شماس البراق «د ر»
٣٧٨	دالية الأعشى وحمزة والشرف «د ر»	٤٢٢	قول الملائكة : من معك ؟
٣٨٠	عود إلى دالية الأعشى	٤٢٣	باب الحنظة «د ر»
٣٨٤	أغار وأنجد «د ن ل»	٤٣٤	آدم في سماء الدنيا والأسودة التي رآها «د ر»
٣٨٦	حول الوقف على النون الخفيفة «د ن ل»	٤٣٦	من حكم الماء (ر)
٣٨٨	مصارعة ركانة		
٣٩٠	وفد نصارى الحبشة		

الرقم	الموضوع	الرقم	الموضوع
٤٣٦	عن دخول بيت المقدس وصفة	٤٥٩	أوصاف من الملائكة « ر »
	الأنبياء « ر »	٤٦٠	أكله الرباني رؤيا المعراج « ر »
٤٣٨	صفة النبي صلى الله عليه وسلم	٤٦٣	الولد لغير رشدة « ر »
٤٤٠	قصة المعراج « ر »	٤٦٢	حكم الحاكم لا يحل الحرام « ر »
٤٤٥	رؤية النبي ربه « ر »	٤٦٥	مكان إدريس « ر »
٤٥٠	لقاؤه للنبين « ر »	٤٦٦	قول الأنبياء في كل سماء « ر »
٤٥٣	البيت المعمور « ر »	٤٦٦	خرافة طلب موسى أن يكون من
٤٥٤	فرض الصلاة « ر »		أمة أحمد « ر »
٤٥٦	فرض الصلوات الخمس « ر »	٤٦٧	بعض ما رأى



